

(٧٣٧)

مسالة اللفظ والمعنى

من مصنفات علوم القرآن والقراءات

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"إليها ما يكون معها شيئا واحدا. وإذا كان الأمر كذلك كان قول من قال في امرئ ونحوه: إنه معرب من مكانين، غير مستقيم، لما أريتكه من حذفهم علامة التثنية والجمع في النسب. وأما «١» قوله: قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم [الجمعة/ ٨] فقد جوز أبو الحسن فيه: أن تكون الفاء فيه زائدة. وحكى أبو يعلى «٢» عن أبي عثمان «٣» مثل ذلك. ووجه ذلك أن الفاء تدخل للعطف أو للجزاء وزيادة «٤»، فلما لم يكن للعطف مذهب من حيث لم يستقم عطف الخبر على مبتدئة لم يصح حمله على العطف، ولم يستجز حمله على أنها للجزاء لبعد ذلك في **اللفظ والمعنى**.

فأما اللفظ فلأن الجزاء الذي هو في الأصل شرط لازم غير مستغنى عنه ولا يستقل الجزاء إلا به. فلما كانت صورة الشرط على ما ذكرنا، ولم يكن الوصف كذلك- لأنك في أكثر الأمر مخير في ذكره وتركه- لم يكن موضعا للجزاء كما يكون موضعا له مع المبتدأ الموصول، والنكرة الموصوفة، كقوله تعالى: الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ثم قال: فلهم أجرهم [البقرة/ ٢٧٤]. وما بكم من نعمة فمن الله

---

(١) في (ط): أما.

(٢) هو أبو يعلى بن أبي زرعة من أصحاب المازني وكان مقدما عالما بالنحو، ثقة فيما يرويه، وله من الكتب المصنفة «كتاب الجامع في النحو» لم يتمه، ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٨٩ والأنباري في نزهة الألباء ص ٢١٩.

(٣) هو أبو عثمان المازني وتقدمت ترجمته ص: ١٦.

(٤) في (ط): أو زائدة.." (١)

"وحكى أبو عمر أن يونس لم يكن يرى «١» (لكن) الخفيفة من حروف العطف. ويقوي هذا القول أن أخوات لكن مما حذف منهن لم يخرج بالتخفيف عن ما كان عليه قبل التخفيف. ألا ترى أن: (إن) و (أن) و (كأن) كذلك؛ ومثلها (لعل).

فالقياس في (لكن) أن يكون في التخفيف على ما عليه أخواتها، ولا تخرج بالتخفيف عما كانت «٢» عليه، كما لم تخرج أخواتها عنه.

ويقوي ذلك أن معناها مخففة كمعناها مشددة، فإذا وافق حال التخفيف حال التشديد في **اللفظ والمعنى**، وجب أن تكون في التخفيف مثلها في التشديد.

فإن قلت: لم لا تكون مثل حتى التي تكون لمعان مختلفة مع أن اللفظ واحد «٣».

قيل: إن (حتى) وإن كانت على لفظة واحدة، فإن المعاني التي تدل عليها مختلفة. ألا ترى أن العطف فيها غير الجر ووقوع الابتداء «٤» كما يقع الابتداء بعد إذا نحو: خرجت فإذا زيد، غير الجر والعطف. وكذلك الواو إذا كانت عاطفة معناها غير الجارة. وكذلك إذا كانت في نحو: جاء البرد والطيالسة.

---

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ١/ ٤٣

(١) في (ط): يرى أن.

(٢) في (ط): كن.

(٣) في (ط): اللفظة واحدة.

(٤) في (ط): ووقوع الابتداء كما أن وقوعه في الابتداء كما يقع الابتداء.." (١)

"بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم؛ فتصحيح قولهم (معايش) الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في **اللفظ والمعنى** لا إشكال في تصحيحه، وفي وجوب العدل عن إعلاله، ومن أعل فهمز؛ فمجازه على وجه الغلط، وهو أن معيشة على وزن: سفينة، فتوهمهما: فعيلة؛ فهمز كما يهمز «١» مصائب، ومثل ذلك مما «٢» يحمل على الغلط قولهم في جمع مسيل: أمسلة، وقد جاء ذلك في شعر هذيل. قال أبو ذؤيب «٣»:

وأمسلة مدافعها خليف فتوهموه فعيلة. وإنما هو مفعلة؛ فالميم في أمسلة على هذا ميم مفعل، وقد حكى يعقوب وغيره مسيل ومسل، فالميم على هذا فاء، ومسيل: فعيل وليس بمفعل من سال.

ومن همز: مداين، لم يجعله: مفعلة، من دان «٤» ولكنه

(١) في (ط): فهمزها كما همز.

(٢) في (م): ما.

(٣) عجز بيت وصدره:

بواد لا أنيس به يباب وقبله:

فقال له أرى طيرا ثقالا ... تخبر بالغنيمة أو تخيف

ويباب: قفر ليس فيه أحد- ومدافعها: التي تدفع إلى الأودية.

وخليف: الطريق في أصل الجبل. انظر شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ١٨٥.

(٤) في (ط): دان يدين.." (٢)

"ومما يحتمل أن تكون الضمة أبدلت فيه كسرة قولهم:

بكيت، والمحتزن البكي «١» فالبكي يجوز أن يكون فعيلا، ويكون باك وبكي، كعالم وعليم، وشاهد وشهيد، فالكسرة من «٢» العين على هذا كسرة فعيل، ويجوز أن يكون فعولا، أبدلت الواو منها «٣» ياء، وأبدلت من ضمتها الكسرة «٤» كقولهم: أدحي النعام، وآري الدابة «٥» هما فاعول، إلا أن اللام من أدحي واو وقلبت ياء، ومن آري ياء والكسرة في البناء «٦» مبدلة ضمة.

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٢/١٧٧

(٢) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٤/٨

ووجه قول حمزة والكسائي في كسرهما الحاء من حليهم، هو أن المكسر من المجموع «٧» قد غير «٨» عما كان الواحد عليه في **اللفظ والمعنى**، كما أن الاسم المضاف إليه كذلك، ألا ترى أن الاسم المكسر في الجمع يدل بالتكسير

كأن متنيه من النفي ومواقع الطير: مواضع وقوعها التي اعتادت إتيانها- والصفي ج صفا والصفا: ج صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئا.

انظر الجمهرة ٣/ ١٥٣ - ومجالس ثعلب ١/ ٢٠٧، واللسان (صفا).

(١) البكي: كثير البكاء. انظر ما سبق ١/ ٧٤.

(٢) في (ط): في.

(٣) في (ط): منه.

(٤) في (ط): كسرة.

(٥) أدحي النعام: مبيضها في الرمل، والآري: محبس الدابة (اللسان: دحي- أري).

(٦) عبارة (ط): في البناءين مبدلة من ضمة.

(٧) في (ط) الجموع

(٨) في (ط): غيره.." [1]

"في ليلة لا نرى بها أحدا ... يحكي علينا إلا كواكبها

فأبدل من الضمير الذي في صفة المنفي وإن كان الكلام الذي فيه هذا الضمير موجبا في المعنى.

[هود: ١٠٥]

اختلفوا في إثبات الياء وإسقاطها في الوصل والوقف من قوله عز وجل: يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه [هود/ ١٠٥].

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي: يوم يأتي بياء في الوصل، ويحذفونها في الوقف. غير ابن كثير فإنه كان يقف بالياء ويصل بالياء فيما أحسب.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في وصل ولا وقف «١».

قال أبو علي: اعلم أن فاعل يأتي في قوله: يوم يأتي لا تكلم نفس لا يخلو من أن يكون اليوم الذي أضيف إلى يأتي، أو اليوم المتقدم ذكره «٢»، فلا يجوز أن يكون فاعله ضمير اليوم

الفاعل في يحكي لأنه في المعنى منفي ولو نصب على البدل من أحد لكان أحسن لأن أحدا منفي في **اللفظ والمعنى**. والبدل منه أفضل.

---

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٨٤/٤

انظر الأعلم ١/ ٣٦١ على طرة الكتاب. وشرح أبيات المغني ٣/ ٢٣٣ رقم الإنشاد ٢٢٣، وقد نسب البيت إلى عدي بن زيد سيبويه وأبو علي، وصوب البغدادي نسبته إلى أحيحة بن الجلاح الأنصاري.

(١) السبعة ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) وسيأتي بيانه.." (١)

"مفعول الاتخاذ، لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين، كقوله: واتخذ الله إبراهيم خليلا [النساء/ ١٢٥]. وقوله: اتخذوا أيمانهم جنة [المجادلة/ ١٦] فأفرد الوكيل وهو في معنى الجمع، لأن فعيلا يكون مفرد **اللفظ والمعنى** على الجمع، نحو قوله: وحسن أولئك رفيقا [النساء/ ٦٩]. فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قول من قرأ بالتاء، والياء.

ويجوز أن يكون نداء وذلك على قول من قرأ بالتاء: ألا تتخذوا يا ذرية، ولا يسهل أن يكون نداء على قول من قرأ بالياء، لأن الياء للغيبة والنداء للخطاب، ولو رفع الذرية على البدل من الضمير في قوله: أن لا تتخذوا كان جائزا، وقد ذكر أنها قراءة. ولو رفع على البدل من الضمير المرفوع كان جائزا، ويكون التقدير: أن لا تتخذ ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلا، ولو جعله بدلا من قوله بنى إسرائيل جاز، وكان التقدير: وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح.

[الاسراء: ٧]

اختلفوا في قوله: ليسوءوا وجوهكم [٧].

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وحفص عن عاصم:

ليسوءوا بالياء جماع، همزة بين واوين.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة: (ليسوء) على واحد بالياء.

وقرأ الكسائي: (لنسوء) بالنون «١».

قال أبو علي: قوله: لتفسدن في الأرض مرتين [الإسراء/ ٤] المعنى: فإذا جاء وعد الآخرة، أي: المرة الآخرة من قوله: لتفسدن

---

(١) السبعة ٣٧٨.." (٢)

"ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها. وذلك إما:

" ١ - في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة، نحو: (البخل) بأربعة و (يحب) بوجهين.

---

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٤/٣٧٣

(٢) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٥/٨٥

" ٢ – بتغير في المعنى فقط نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات) (وادكر بعد أمة) وإمة.

" ٣ – في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو: (تبلوا، وتتلوا. وننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك– وننجيك ببدنك).

" ٤ – عكس ذلك نحو: (بصطة وبسطة، والصراط والسراط).

" ٥ – بتغيرهما– أي: المعنى والصورة– نحو: (أشد منكم ومنهم. ويأتل ويتأل. و: فامضوا إلى ذكر الله).

" ٦ – في التقديم والتأخير نحو: (فيقتلون ويقتلون) (وجاءت سكرة الحق بالموت).

" ٧ – في الزيادة والنقصان نحو: (وأوصى– ووصى. والذكر والأنثى).

فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى**، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولئن فرض فيكون من الأول. ثم رأيت الإمام الرازي حاول ما ذكرته ... ثم وقفت على كلام ابن قتيبة «١» وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر. ثم لخص كلامهما واستدرك على ابن قتيبة.

٥ – هل هذه السبعة الأحرف متفرقة في القرآن؟

لا شك عندنا في أنها متفرقة فيه، وفي كل رواية وقراءة باعتبار ما قررناه

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ – ٣٨.." [1]

"بل قيل لهم: أي ذلك قرأتم أصبتم «١» فدل على صحة ما قلنا.

[اختلاف المعاني تبعا لاختلاف الألفاظ في الأحرف السبعة]

٨٤ – وأما على كم معنى يشتمل اختلاف هذه السبعة أحرف، فإنه يشتمل على ثلاثة معان يحيط بها كلها: أحدها: اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد، والثاني: اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه. والثالث:

اختلاف **اللفظ والمعنى** مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، ونحن نبين ذلك إن شاء الله.

٨٥ – فأما اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد فنحو قوله: السراط [الفاتحة: ٦] بالسين، والصراط بالصاد، والزراط بالزاي وعليهم «٢» [الفاتحة: ٧] وإليهم [آل عمران: ٧٧] ولديهم [آل عمران: ٤٤] بضم الهاء مع إسكان الميم، وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها، وفيه هدى [البقرة: ٢] وعليه كنز [هود: ١٢] ومنه ءايت [آل عمران: ٧] وعنه ماله [المسد: ٢] بصلة الهاء وبغير صلتها «٣»، ويؤده إليك [آل عمران: ٧٥] ونؤته منها [آل عمران: ١٤٥] وفألقه إليهم «٤» [النمل:

---

(١) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي المقدمة/٧

٢٨] بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها «٥». وأكلها [البقرة: ٢٦٥] وفى الأكل «٦» [الرعد: ٤] بإسكان الكاف وبضمها وإلى ميسرة «٧» [البقرة: ٢٨٠] بضم السين وبفتحها، ويعرشون «٨» [النحل: ٦٨] بكسر الراء وبضمها، وكذلك ما أشبهه ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه «٩» مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

---

(١) انظر الفقرة/ ٤٠.

(٢) انظر النشر ١/ ٢٧٢، السبعة/ ١٠٨.

(٣) انظر تفصيل خلاف القراء في صلة هاء الكناية، وعدم صلتها، في النشر ١/ ٣٠٤، السبعة/ ١٣٠. وسيأتي عند المؤلف باب خاص بهذا البحث.

(٤) انظر أحكام هذه الحروف في النشر ١/ ٣٠٥، السبعة/ ٢٠٧.

(٥) المراد بالاختلاس هنا، كسر الهاء دون صلة، انظر البدور الزاهرة للقاضي/ ٦٦.

(٦) انظر أحكام هذين الحرفين في النشر ٢/ ٢١٦، السبعة/ ١٩٠.

(٧) انظرها في النشر ٢/ ٢٣٦، السبعة/ ١٩٢.

(٨) تقدم هذا الحرف في الفقرة/ ٧٣.

(٩) انظر أمثلة ذلك في الأبواب الخاصة بهذه الأبحاث.." [1]

"٨٦ - وأما اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه، فنحو قوله تعالى: ملك يوم الدين [الفاتحة: ٤] بألف، وملك بغير ألف؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين. وملكه، فقد اجتمع له الوصفان جميعا، فأخبر الله تعالى بذلك في القراءتين «١».

٨٧ - وكذا: بما كانوا يكذبون «٢» [البقرة: ١٠] بتخفيف الذال وبتشديدها؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هم المنافقون، وذلك أنهم كانوا يكذبون في أخبارهم ويكذبون النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله تعالى، فالأمران جميعا مجتمعان لهم، فأخبر الله تعالى بذلك عنهم، وأعلمنا أنه معذبهم بهما «٣».

٨٨ - وكذا قوله تعالى: كيف ننشزها «٤» [البقرة: ٢٥٩] بالراء وبالزاي؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام، وذلك أن الله تعالى أنشرها أي: أحياها وأنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات، ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم، فضمن تعالى المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم قدرته «٥».

٨٩ - وكذا قوله تعالى: واتخذوا من مقام إبرهم مصلى «٦» [البقرة: ١٢٥] بكسر الخاء على الأمر وبفتحها على الخبر؛

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١٢٠/١

لأن المراد بالقراءتين جميعا هم المسلمون، وذلك أن الله تعالى أمرهم باتخاذهم مقام إبراهيم مصلى، فلما امتثلوا ذلك وفعلوه أخبر به عنهم فجاءت القراءة بالأمرين جميعا للدلالة على اجتماعهما لهم، فهما صحيحان غير متضادين ولا متنافيين «٧».

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/ ٢٥، وحجة القراءات لابن زنجلة الفقيه/ ٧٧.

(٢) تقدم هذا الحرف في الفقرة/ ٦٦.

(٣) انظر الكشف لمكي ١/ ٢٢٧ وحجة القراءات لابن زنجلة/ ٨٨.

(٤) تقدم هذا الحرف في الفقرة/ ٦٠.

(٥) انظر الكشف لمكي ١/ ٣١٠، حجة القراءات/ ١٤٤.

(٦) تقدم هذا الحرف في الفقرة/ ٧١.

(٧) انظر الكشف ١/ ٢٦٣.." [1]

"٩٠ - وكذا قوله: وما هو على الغيب بضنين «١» [التكوير: ٢٤] بالظاء وبضنين وبالضاد؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب، أي: غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى، وغير ضنين به، أي: غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه، فقد انتفى عنه الأمران جميعا، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين «٢»، وكذا ما أشبهه.

٩١ - وأما اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما «٣» في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، فكقراءة من قرأ: وظنوا أنهم قد كذبوا «٤» [يوسف: ١١٠] بالتشديد؛ لأن المعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، وقراءة من قرأ قد كذبوا بالتخفيف؛ لأن المعنى: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم، فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول [للرسل، والثاني] «٥» للمرسل إليهم، والظن في القراءة الثانية شك، والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل «٦».

٩٢ - وكذا قراءة من قرأ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموت والأرض بصائر «٧» [الإسراء: ١٠٢] بضم التاء، وذلك أنه أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون [الشعراء:

٢٧]، فقال له موسى عليه السلام عند ذلك: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموت والأرض بصائر [الإسراء: ١٠٢] فأخبر عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك [أي] «٨» ليس بمجنون، وقراءة من قرأ لقد علمت بفتح التاء، وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ له على شدة

---

[1] جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١/١٢١

(١) تقدم هذا الحرف في الفقرة/ ٦٠.

(٢) انظر الكشف ٢/ ٣٦٤، وحجة القراءات/ ٧٥٢.

(٣) في ت، م: (امتناعهما): وهو خطأ لا يستقيم به السياق.

(٤) انظرها في النشر ٢/ ٢٩٦، السبعة/ ٣٥١.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) في ت، م: (للمرسل): وهو خطأ، وانظر حجة القراءات/ ٣٦٦، والكشف لمكي ٢/ ١٥.

(٧) انظرها في النشر ٢/ ٣٠٩، السبعة/ ٣٨٥.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.." [١]

"يشمون الإمالة بالكسر مجازا وعلى هذا ذكر الْخَبَّازِيّ وابن مهران رحمهما الله يس والراء بالكسر وغيرها، وقال الْخُزَاعِيّ وغيره بالإمالة على حقيقة **المعنى واللفظ** وهو الاختيار والمجاز شائع في كلام العرب والاستعارة، كذلك وقد نطق به القرآن، وقوله: (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ)، (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) وغير ذلك فقد استعار واو صورة الياء الألف الممالة حفظًا وسموا ضدها بالفتح، والإمالة ضد الفتح للتفخيم فجميع ما أميل جاز تفخيمه وليس كل ما فخم جازت إمالته وهذا كالمهموز كل مهموز جاز تليينه كما فعلوا (أَنَّى)، و (بِئْرٍ)، و (بِئسَ)، وإن كان أصله " بار " و " بوس " حتى قيل للكسائي لم يهمز للذئب القصة وليس كل ملين يجوز همزه حكى الغليل عن أبي الجراح العقيلي أنهمز الفأرة قال: السنور يهمزها، ودواعي الإمالة قد يكون في نفس الفتحة أو ألف وقد تكون فيما قبلها وفيما بعدها فما في نفس الفتحة هو أن يميل الفتحة لحق الكسرة في نحو عمرو ولم يقرأ بذلك وما في نفس الحرف هو أن تميل الألف نحو الياء إبانة غير أن الألف منقلبة منها في نحو: (قَضَى)، و (رَمَى) وكذلك ألف التأنيث في نحو: (سُكَارَى) و " حبلى " خصوصًا في المقصور والداعي الذي تكون فيها قبلها أو بعدها هو الكسرة أو الياء فربما يليان الفتحة الممالة وربما حال بين الفتح المالة وبين الكسرة التي أمليت لها الفتحة حائل ممن يتيح الإمالة للفتحة ومما يمنع وقد يكون ممالا وقد يميلون كلمة لكثرة دورها في الكلام، وقد يتبعون الإمالة في غيرها مما يتيح الإمالة.

وأما موانعها فحروف الاستعلاء وهي سبعة الصاد، والطاء، والظاء، والقاف، والعين، والخاء وقد تنضاف إليها الغين والخاء وكذلك الهمزة إذا انفتح ما قبلها والكاف والراء والهاء على ما نبين وقد يلتقي الدواعي والموانع والحكم لمن غلب نحو: " غالب "، و " ناصر "، و " ظالم " التقت الظاء والصاد والعين مع الألف فمع ذلك جازة الإمالة والاختيار تركها، وكذلك فى جميع الموانع وقد أجازوها في (عالِمُ)، و (عَابِد)، و (جَبَّارين) و " حاكم " وإن كانت هذه من بقية حروف الحلق على ما نبين في أمر قُتَيْبَة وأصحابه، وأما ضروب الإمالة فعلى ما يتدرج الأبواب عليه، وأما مراتبها باللغات والطباع فهي إمالة مضجعة وإلى الكسر أقرب ومعتدلة بالسورة بين الفتح والكسر وبين بين وهو ما كان إلى الفتح أقرب،." [٢]

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١/١٢٢

(٢) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي، أبو القاسم ص/٣١٣

"والإنطاكي عن أبي جعفر، ويَعْقُوب، وأيوب، وسهل، وقُنْبُل غير الربعي، والزَّيْنَبِيّ، والبزي طريق اللهبيين، وابن مُحَيْصِن، وَحُمَيْد، وأبو السَّمَّال وافق بن عتبة في المجادلة، الباقون بكسرة خفيفة من غير همز ولا ياء قال ابْن سَعْدَانَ عن الْيَزِيدِيّ: بالياء وترك الهمزة.

قال العراقي: والْخَبَّازِيّ والرَّازِيّ والْأَصْفَهَانِيّ عن ورش كقَالُون وهو الصواب كذلك قرأت على عبد الملك بن شابور والاختيار ما عليه دمشقي؛ لأنه إنما في **اللفظ والمعنى** (سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) بضم السين من غير همز ولا مد عمرو بن عبيد عن الحسن وروى عن مجاهد (سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) من المسألة (لَآتَوْهَا) بقصر الهمز حجازي، والوليدان، وعبد الرزاق وابْن ذَكْوَانَ إلا الْبَلْخِيّ وأبا الفضل عن الْأَخْفَش قال الرَّازِيّ عن ابن عامر: بالقصر فقط وليس بصحيح، والعراقي الْخُزَاعِيّ عن ابْن فُلَيْحٍ كأَبِي عَمْرٍو وهو خطأ قال ابن مهران: بالقصر حجازي فقط، وهو خطأ لخلاف الإجماع، الباقون بالمد، وهو الاختيار من الإيتاء في (أُسْوَةٌ) وفي (الْمَوْءُودَةُ) بضم الهمزة عَاصِم غير البحتري، زاد العراقي عباسًا ولم أجده لغيره، الباقون بكسرها، وهو الاختيار؛ لأنها أشهر، (إن وَهَبَت) بفتح الهمزة حمصي وسلام والحسن ومحبوب عن أَبِي عَمْرٍو وعباس في اختياره، الباقون بالكسر، وهو الاختيار على الشرط (بِمَا آتَيْتَهُنَّ) بقصر الهمزة أبو حنيفة، الباقون بمدها، وهو الاختيار من الإعطاء (أَفْتَرَى)، (أَتَّخذتمُ)، (أَطَّلَعَ)، (أَصْطَفَى)، (أَسْتَكْبَرْتَ)، (أَسْتَغْفَرْتَ) بكسر الهمزة فيها ثابت والإنطاكي عن أبي جعفر وافق شيبة وإسماعيل طريق النبر والْأَصْفَهَانِيّ عن ورش وأبناء أبي أويس والقورسيان وخارجة عن نافع وأبو جعفر إلا الْعُمَرِيّ في (أَصْطَفَى) وافق ابن مُحَيْصِن وَحُمَيْد في (أَسْتَكْبَرْتَ) أبو جعفر طريق الفضل بمد (أَسْتَغْفَرْتَ)، الباقون على الاستفهام، وهو الاختيار لوجود أم.

* * *

آخر الجزء السابع، ويتلوه في الثامن قوله:

(أَوِّبِي مَعَهُ) بضم الهمزة خفيف الحسن، وقَتَادَة، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة.." [(١)]

"كان الفاصل أسماء لم يضم قُتَيْبَة كقوله: (جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ)، و (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)، و (هُمْ وَالْغَاوُونَ)، ولا رابع لها، والصحيح عندي الضم سواء كانت الفاصلة اسمًا أو فعلًا خلاف ما قال أبو يَعْقُوب عن قُتَيْبَة وافق ابن صالح عن قَالُون عند الفاصلة، ولا يعتبر طول الكلمة وقصرها وانكسار ما قبلها وانضمامها كأبي عتبة طريق الْكَارَزِينِيّ، الباقون لا يضمون ميم الجمع إذا لم تلقها ساكن، وهو الاختيار؛ لأنه أجزل في **اللفظ والمعنى**، وإن كان الميم لام الفعل لم يختلف فيها.

يتلوه كتاب التعوذ والتسمية والتهليل والتكبير.

* * *." [(٢)]

"الراء: الْأَعْمَش، حيث وقع، الباقون بضمها، وهو الاختيار؛ لأنه أشهر اللغتين (سُكِرَتْ) خفيف الزَّعْفَرَانِيّ، ومكي غير ابْن مِقْسَمٍ، والحسن، وقَتَادَة، وأبو حيوة، هارون، وابن حاتم عن أبي بكر وعبد الوارث، واللؤلؤي، ويونس، والجعفي،

---

(١) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي، أبو القاسم ص/٣٩٨

(٢) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي، أبو القاسم ص/٤٧٠

ومحبوب عن أَبِي عَمْرٍو، الباقون مشدد، وهو الاختيار؛ لأنه أبلغ (سَكِرَت) بفتح السين وكسر الكاف خفيف ابن أبي عبلة، (صِرَاطٌ عَلَيَّ) من العلو حميد، والمري، والشافعي عن ابْن كَثِيرٍ، ومحبوب، وعبد الوارث عن أبي بكر، والزَّعْفَرَانِيّ عن ابن مُحَيْصِن، وابْن مِقْسَمٍ، ومجاهد، وقَتَادَة، وأبو حيوة، ويَعْقُوب، وأبو بشر، وحمصي، ويحيى بن عتيق عن الحسن، وهو الاختيار من العلو، الباقون على أنها أداة (تُبَشِّرُونَ) بكسر النون طَلْحَة، والحسن، ومكي، ونافع، وحمصي، والضَّرِير عن يَعْقُوب غير أن الحسن ومكيًّا شددوها، والضَّرِير، زاد الضَّرِير ياء في آخرها، أما (تُشَاقُّونَ) بكسر النون خفيف نافع، الباقون بفتحها، وهو الاختيار؛ لأنها نون الجماعة، (أَبَشَّرْتُمُونِي) بتشديد النون أبو بشر والضَّرِير، الباقون بفتحها وهو الاختيار لموافقة الجماعة (الْقَانِطِينَ) بغير ألف طَلْحَة، والْأَعْمَش، والجعفي، وعصمة عن أَبِي عَمْرٍو، الباقون بألف وهو الاختيار؛ لأنه أفخم من **المعنى واللفظ**، (يَقْنِطُ) بكسر النون بصري غير أيوب، وخارجة، وعصمة عن أَبِي عَمْرٍو، والكسائي، وخلف وجرير عن الْأَعْمَش، وابْن مِقْسَمٍ، ومسعود بن صالح، وبضم النون خارجة، وعصمة عن أَبِي عَمْرٍو وطَلْحَة وزائدة عن الْأَعْمَش، والزَّعْفَرَانِيّ، وهو الاختيار؛ لأن حركة الضم أقوى، الباقون بفتح النود حيث وقع، (قَدَّرْنَا) خفيف، وهكذا في النمل أبو بكر، وأبان، والمفضل، وعصمة، الباقون مشدد وهو الاختيار للتكثير وخفف في الواقعة مكي غير ابْن مِقْسَمٍ، وخفف علي، ومحمد في الأعلى وشدد مدني غير خارجة وعلي غير قاسم، والزَّعْفَرَانِيّ وأبو بشر، وأيوب، وابْن مِقْسَمٍ، والحسن، وطَلْحَة في المرسلات، وشدد أبو جعفر، وشيبة، ودمشقي في الفجر، وفي قوله: (وَيَقْدِرُ لَهُ) حيث وقع ابْن مِقْسَمٍ، الباقون إلا في المرسلات والفجر مشدد، (إِنَّ دَابِرَ) مكسور سليمان بن منصور عن حَمْزَة، الباقون بفتحها، وهو الاختيار بدل من ذلك (سَكْرَتِهِمْ) على الجمع ابْن مِقْسَمٍ، وابن أبي عبلة، الباقون على التوحيد، وهو الاختيار؛ لموافقة المصحف والجماعة، " إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ." (١)

"كانت لكون اللّفظ دالّا، استحال أن يوصف بها المعنى، كما يستحيل أن يوصف المعنى بأنه «دالّ» مثلا، فاعرفه.

فإن قيل: فماذا دعا القدماء إلى أن قسّموا الفضيلة بين **المعنى واللفظ** فقالوا:

«معنى لطيف، ولفظ شريف»، وفخّموا شأن اللّفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النّظر: «إنّ المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ»، فأطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من يسمعه أن المزية في حاق «١» اللفظ؟.

قيل له: لما كانت المعاني إنما تتبيّن بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتّب لها والجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، إلّا بترتيب الألفاظ في نطقه، تجوّزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ بحذف «الترتيب»، ثم أتبعوا ذلك من الوصف والنّعت ما أبان الغرض وكشف عن المراد، كقولهم: «لفظ متمكّن»، يريدون أنه بموافقة معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه.

«ولفظ قلق ناب»، يريدون أنه من أجل أن معناه غير موافق لما يليه، كالحاصل في مكان لا يصلح له، فهو لا يستطيع الطّمأنينة فيه إلى سائر ما يجيء في صفة اللفظ، مما يعلم أنه مستعار له من معناه، وأنهم نحلوه إيّاه، بسبب مضمونه ومؤدّاه. هذا، ومن تعلّق بهذا وشبهه واعترضه الشك فيه، بعد الذي مضى من الحجج، فهو رجل قد أنس بالتقليد، فهو يدعو

---

(١) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي، أبو القاسم ص/٥٨٢

الشبهة إلى نفسه من هاهنا وثمّ. ومن كان هذا سبيله،

فليس له دواء سوى السكوت عنه، وتركه وما يختاره لنفسه من سوء النظر وقلّة التدبّر.

قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزيّة، وأنها من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رويّتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك، وبلغ القول في ذلك أقصاه، وانتهى إلى مداه، وينبغي أن نأخذ الآن في تفصيل أمر المزيّة، وبيان الجهات التي منها تعرض. وإنه لمرام صعب ومطلب عسير، ولولا أنه على ذلك، لما

---

(١) الوسط: تقول سقط عن حقّ رأسه أي وسطه. اه القاموس/ حقق/ (١١٢٩).." [١]

"بسم الله الرّحمن الرّحيم

فصل [في كشف شبهة جعل الفصاحة للألفاظ]

اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث «اللفظ» كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن، وجب أن يتوخّى دائبا فيهم ما يتوخّاه الطبيب في النّاقة، من تعهّده بما يزيد في منّته، ويبقيه على صحّته، ويؤمنه النّكس في علّته.

وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة، هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصّور، وتحدث فيها خواصّ ومزايا من بعد أن لا تكون.

وإنّك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصّانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحليّ. فإنّ جهلهم بذلك من حالها، هو الذي أغواهم واستهواهم، وورّطهم فيما تورّطوا فيه من الجهالات، وأدّاهم إلى التّعلّق بالمحالات. وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصّورة، وضعوا لأنفسهم أساسا، وبنوا على قاعدة فقالوا: إنه ليس إلا **المعنى واللفظ**، ولا ثالث- وإنه إذا كان كذلك، وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصّة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى، من حيث أنّ ذلك، زعموا، يؤدّي إلى التناقض، وأن يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا.

ولّما أقرّوا هذا في نفوسهم، حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى «اللّفظ» على ظاهره، وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى «اللّفظ»، مثل قولهم: «لفظ متمكّن غير قلق ولا ناب به موضعه»، إلى سائر ما ذكرناه قبل، فيعلموا أنّهم لم يوجبوا للّفظ ما أوجبوه من الفضيلة، وهم يعنون نطق اللّسان وأجراس الحروف، ولكن جعلوا

---

(١) دلائل الإعجاز ت هنداوي، الجرجاني، عبد القاهر ص/٥٠

كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا «اللفظ»، وهم يريدون الصّورة التي تحدث في المعنى، والخاصّة التي حدثت فيه، ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال.." (١)

"فصل تحقيق القول في البلاغة والفصاحة في **المعنى واللفظ**

وهذه شُبْهة أُخرى ضعيفةٌ، عسى أن مُتعلِّقَ بها مُتعلِّقٌ ممن يُقْدم على القول من غير روية؛ وهي أنْ يَدَّعي أنْ لا معنى للفصاحة سوى التلاؤمِ اللفظي، وتعديلِ مِزَاجِ الحروف، حتى لا يتلاقى في النطق حروفٌ تَثْقلُ على اللسَان، كالذي أنشَدَه الجاحظ من قول الشاعر [من الزجر]:

وقَبْرَ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ ... وليس قُرْبَ قبرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وقولِ ابن يسير [من الخفيف]:

لا أُذِيلِ الآمالَ بَعدك إنِّي ... بَعْدَها بالآمالِ جِدُّ بَخيلِ

كم لها موقفٌ ببابِ صديقٍ ... رجَعتْ مِنْ نَداه بالتعطيلِ

لم يَضِرْها والحمدُ لله شيءٌ ... وانثنتْ نحو عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُول

قال الجاحظ: فَتَفَقّدِ النِّصْفَ الأخيرَ من هذا البيت، فإنك ستجدُ بعضَ ألفاظه تَتبرَّأ من بعض. ويُزعمُ أن الكلامَ في ذلك على طبقات: فمنه المتناهي في الثِّقَل المفرط فيه، كالذي مَضَى، ومنه ما هو أَخَفُّ منه كقول أبي تمام [من الطويل]:

كريمٌ متى أمدحْه أمدَحْهُ والوَرى ... معي، وإذا ما لُمْتُهُ وَحْدي

ومنه ما يكون فيه بعضُ الكُلْفة على اللسان، إلاَّ أنه لا يَبلغُ أن يُعابَ به صاحبُه، ويُشْهرَ أمرُه في ذلك، ويُحْفَظَ عليه. ويزعمُ أن الكلامَ إذا سَلمَ من ذلك، وصفَا من شَوْبِه كان الفصيح المشادَ به والمُشارَ إليه. وأنَّ الصفاءَ أيضاً يكون على مراتبَ يعلو بعضُها بعْضاً، وأنَّ له غايةً إذا انتهى إليها، كان الإعجاز.." (٢)

"فإنْ قيل: فماذا دَعا القدماءَ إلى أن قَسَموا الفضيلةَ بين **المعنى واللفظِ** فقالوا: معنى لطيفٌ ولفظ شريفٌ وفَخَّموا شأنَ اللفظ وعظَّموه، حتى تَبِعَهم في ذلك مَن بَعْدَهم، وحتى قال أهلُ النظر: إنَّ المعاني لا تَتزايد، وإنما تتزايدُ الألفاظُ، فأَطلقوا كما ترى، كلاماً يُوهِمُ كلَّ مَنْ يَسمعهُ أنَّ المزيَّةَ في حاق اللفظ؟ قيلَ له: لَّما كان المعاني إنما تَتبيَّنُ بالألفاظِ، وكان لا سبيلَ للمرتِّب لها، والجامعِ شَمْلَها، إلى أن يُعْلمكَ ما صنَعَ في ترتيبها بفِكْره، إلا بترتيب الألفاظِ في نُطْقه، تجوَّزوا فكنُّوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالأَلفاظ بحذْفِ الترتيب، ثم أَتْبَعوا ذلك من الوصفِ والنعْت ما أبانَ الغرضَ، وكشفَ عن المراد، كقولهم: "لفظٌ متمكّن"، يُريدون أنه بموافقة معناهُ لمعنى ما يليهِ، كالشيء الحاصلِ في مكانٍ صالح يطمئنُّ فيه، "ولفظٌ قَلِقٌ نابٍ"، يُريدون أنه مِنْ أجْل أنَّ معناهُ غيرُ موافقٍ لِما يَليه، كالحاصل في مكانٍ لا يَصْلُح له، فهو لا يستطيعُ الطمأنينةَ فيه – إلى سائر ما يَجيء صفةً في صفة اللفظ، مما يُعْلَم أنه مستعارٌ له مِنْ معناه، وأنهم نَحَلوه إياه بسبب مضمونهِ ومؤدَّاه، هذا – ومَنْ تَعلَّق بهذا وَشَبهِه، واعترضَهُ الشكُّ فيه بعد الذي مضَى من الحِجَج، فهو رجلٌ قد أَنِسَ بالتقليد، فهو يَدْعو

---

(١) دلائل الإعجاز ت هنداوي، الجرجاني، عبد القاهر ص/٣٠٣

(٢) دلائل الإعجاز ت الأيوبي، الجرجاني، عبد القاهر ص/١٠١

الشبهةَ إلى نفسه مِنْ هاهنا وثَمَّ؛ ومَنْ كان هذا سبيلَه، فليس له دواءٌ سوى السكوتِ عنه، وتَرْكِهِ وما يَختارُه لنفسه من سوء النظر وقِلَّةِ التدبُّرْ.

قد فرَغْنا الآن من الكلام على جنسِ المزية، وأنها من حيِّز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليستْ لك حيثُ تَسْمَعُ بأُذنك، بل حيث تَنْظُرُ بقلبك، وتَستعينُ بفكرك، وتُعْمل رَوِيَّتَك وتَراجع عقْلَك، وتَسْتنجِدُ في الجملة فَهْمَك، وبلغَ القولُ في ذلك أقصاه، وانتهى إلى مَدَاه.." (١)

"الفصل الأخير في كشف شبهة جعل الفصاحة للألفاظ

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلمْ أنه لَمّا كان الغلَطُ الذي دخَل على الناسِ في حديثِ اللفظِ، كالداءِ الذي يَسْري في العروقِ، ويُفْسِد مِزاجَ البدنِ، وجَبَ أن يُتوخَّى دائباً فيهم ما يَتواخّاه الطبيبُ في الناقة من تعهُّدِهِ بما يزَيد في مُنَّته، ويُبَقِّيه على صحَّتِه، ويؤمِّنُهُ النُّكْسَ في علَّتِهِ؛ وقد علِمْنا أنَّ أصْلَ الفسادِ وسببَ الآفةِ هو ذَهابُهُم عن أنَّ مِن شأنِ المعاني أن تَختلِفَ عليها الصورُ، وتَحدُثَ فيها خواصُّ ومَزايا بَعْد أنْ لا تكونَ؛ فإنك ترَى الشاعرَ قد عَمدَ إلى معنىً مبتذَلٍ، فصنَعَ فيه ما يَصْنَعُ الصانِعُ الحاذِقُ إذا هو أَغْرَبَ في صَنْعة خاتمٍ وعَمَلِ شَنْفٍ وغيرِهما من أصناف الحِلى. فإنَّ جهْلَهم بذلك من حالِها هو الذي أَغواهُم واسْتَهواهم، وورَّطهم فيما توَرَّطوا فيه من الجهَالات، وأَدَّاهُم إلى التعلق بالمُحالات. وذلك أَنهم لَمَّا جَهلوا شأنَ الصورةِ وضَعُوا لأَنفُسِهم أساساً وبنَوْا على قاعدة؛ فقالوا إنه ليسَ إلا **المعنى واللفظُ** ولا ثالثَ، وإنه إذا كان كذلكَ وجَبَ إذا كان لأحدِ الكلامَيْنِ فضيلةٌ لا تَكون للآخَر، ثم كان الغرَضُ مِنْ أحدِهما هو الغَرَضَ من صاحبِهِ أنْ يكونَ مَرْجِعُ تلك – زَعموا – يُؤَدِّي إلى التناقض، وأنْ يكونَ معناهُما مُتَغايِراً وغيرَ متغايرٍ معاً. ولَمَّا أَقَرُّوا هذا في نُفوسِهم، حَمَلوا كلامَ العلماءِ في كل ما نَسَبوا فيه الفضيلةَ إلى اللفظِ على ظاهرِهِ وأَبَوْا أن ينظُروا في الأوصاف التي أَتْبعوها نسبتَهم الفضيلةَ إلى اللفظِ مثلَ قولهم: "لفظٌ متمكِّنٌ غيرُ قَلِقٍ ولا نابٍ به موضِعُه).." (٢)

"مقصورةً على المعنى، فكيف كانتِ "الفصاحةُ" من صفاتِ اللفظِ البتَّةَ؟ وكيف امْتَنَع أن يَوصفَ بها المعنى فيقالُ: "معنًى فَصِيحٌ، وكلامٌ فصيحُ المعنى"؟

قيل: إنَّما اختُصَّت الفصاحةُ باللفظِ وكانت مِنْ صِفته، من حيثُ كانت عبارةً عن كونِ اللفظِ على وَصْفٍ إذا كان عليه، دلَّ على المزيّةِ التي نحنُ في حديثها، وإذا كانت لِكَوْن اللفظ دالآً، استحالَ أنْ يُوصفَ بها المعنى، كما يَسْتحيلُ أن يوصَف المعنى بأنه "دال" مثلًا، فاعرفه.

الرد على المعتزلي القاضي عبد الجبار في مسألة "اللفظ":

٥٥ – فإنْ قيل: فماذا دَعا القدماءَ إلى أن قَسَموا الفضيلة بينَ **المعنى واللفظِ** فقالوا: "معنى لطيفٌ، ولفظٌ شريفٌ"، وفخَّموا

---

(١) دلائل الإعجاز ت الأيوبي، الجرجاني، عبد القاهر ص/١٠٦

(٢) دلائل الإعجاز ت الأيوبي، الجرجاني، عبد القاهر ص/٣٩٦

شأنَ اللَّفظِ وعظَّموه حتى تَبِعَهم في ذلك مَن بَعْدَهم١، وحتى قالَ أهلُ النَّظر: "إنَّ المعاني لا تَتزايد، وإنما تتزايدُ الألفاظُ"٢، فأَطلقوا كما ترى كلاماً يُوهِمُ كلَّ مَنْ يَسمعهُ أنَّ المزيَّةَ في حاق اللفظ؟ ٣.

١ في "ج" أسقط: "فقالوا معنى لطيفٌ ولفظٌ شريفٌ، وفَخَّموا شأنَ اللفظ"، سهوًا.

٢ "أهل النظر"، هو المتكلمون، ويعني بهم هنا المعتزلة. وقولهم هذا هو نص كلام القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني في الجزء ١٦: ١٩٩، بعنوان: "فصل في الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام"، ونص كلام القاضي هو: " .... علي أن نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر، التزايد عند الألفاظ التي يعبر بها عنها، كما ذكرنا".

هذا، واعلم أن أكثر ردود عبد القاهر في كتاب دلائل الإعجاز، هو ردود على مقالة المعتزلة، وعلى عبد الجبار خاصة، فاعرفه، وسأذكر إشارة عبد القاهر إلى ذلك في مواضعه.

٣ في هامش "ج" حاشية نصها: "يعني في اللفظ حقيقة، فذلك قوله: في حاقِّ اللفظ".." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ:

بيان مهم في مسألة "اللفظ" و"المعنى":

٥٦١ - إعلمْ أَنه لَّما كان الغلَطُ الذي دخَل على الناس في حديثِ "اللفظِ" كالداءِ الذي يَسْري في العروقِ، ويُفْسِد مِزاجَ البدنِ، وجَبَ أن يُتوخَّى دائباً فيهم ما يتوخَّاه الطبيبُ في النَّاقِه، من تعهُّدِهِ بما يزَيد في مُنَّته١، ويُبَقِّيه على صحَّتِه، ويؤمِّنُهُ النُّكْسَ في علَّتِهِ٢.

وقد علِمْنا أنَّ أصْلَ الفسادِ وسببَ الآفةِ، هو ذَهابُهم عن أنَّ مِن شأنِ المعاني أن تَختلِفَ عليها الصورُ، وتَحدُثَ فيها خواص وموايا من بعد أن لا تكون. وإنك ترَى الشاعرَ قد عَمدَ إلى معنىً مبتذَلٍ، فصنَعَ فيه ما يَصْنَعُ الصانِعُ الحاذِقُ إذا هو أغرب ي صَنْعة خاتمٍ وعَمَلِ شَنْفٍ وغيرِها من أصناف الحِلى. فإنَّ جهْلَهم بذلك من حالِها، هو الذي أغواهم واستهواهم، وورطهم بما تَوَرَّطوا فيه من الجهَالات، وأَدَّاهُم إلى التعلُّق بالُمحالات. وذلك أَنهم لَّما جَهِلوا شأنَ الصورةِ، وضَعُوا لأَنفُسِهم أساساً، وبنَوْا على قاعدة فقالوا: إنه ليسَ إلاّ **المعنى واللفظُ**، ولا ثالثَ وإنه إذا كان كذلكَ، وجَبَ إذا كان لأَحدِ الكلامَيْنِ فضيلةٌ لا تَكون للآخَر، ثم كان الغرَضُ مِنْ أحدِهما هوَ الغَرَضَ من صاحبه٣ أن يكون مرجع

١ "المنة" بضم الميم، القوة.

(١) دلائل الإعجاز ت شاكر، الجرجاني، عبد القاهر ص/٦٣

٢ "النكس" بضم النون وفتحها، العود في المرضى بعد قرب الشفاء.

٣ السياق: "وجب ..... أن يكون".." [(١)]

"[مسألة قوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم]

المسألة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤]: هذه مسألة بكر. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما سمي الفعل الثاني اعتداء، وهو مفعول بحق، حملا للثاني على الأول على عادة العرب.

قالوا: وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠]. والذي أقول فيه: إن الثاني كالأول في **المعنى واللفظ**؛ لأن معنى الاعتداء في اللغة مجاوزة الحد، وكلا المعنيين موجود في الأول والثاني؛ وإنما اختلف المتعلق من الأمر والنهي؛ فالأول منهي عنه، والثاني مأمور به، وتعلق الأمر والنهي لا يغير الحقائق ولا يقلب المعاني؛ بل إنه يكسب ما تعلق به الأمر وصف الطاعة والحسن، ويكسب ما تعلق به النهي وصف المعصية والقبح؛ وكلا الفعلين مجاوزة الحد، وكلا الفعلين يسوء الواقع به: وأحدهما حق والآخر باطل.

[مسألة المماثلة في القصاص]

المسألة الرابعة: تعلق علماؤنا بهذه الآية في مسألة من مسائل الخلاف؛ وهي المماثلة في القصاص، وهو متعلق صحيح وعموم صريح؛ وقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال: الأول: أنه لا قود إلا بحديدة؛ قاله أبو حنيفة وغيره، واحتجوا بالحديث: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا قود إلا بحديدة ولا قود إلا بالسيف».

الثاني: أنه يقتص منه بكل ما قتل، إلا الخمر وآلة اللواط قاله الشافعي.

الثالث: قال علماؤنا: يقتل بكل ما قتل إلا في وجهين وصفتين: أما الوجه الأول: فالمعصية كالخمر واللواط.." [(٢)]

"السابع: عال: غلب، ومنه عيل صبره، أي غلب. هذه معانيه السبعة ليس لها ثامن، ويقال: أعال الرجل كثر عياله، وبناء " عال " يتعدى ويلزم، ويدخل بعضه على بعض، وقد بينا تفصيل ذلك في " ملجئة المتفقهين "، كما قدمنا في مسألة مثنى وثلاث ورباع مفصلا بجميع وجوهه.

فإذا ثبت هذا فقد شهد لك **اللفظ والمعنى** بما قاله مالك؛ أما اللفظ فلأن قوله تعالى: ﴿تعولوا﴾ [النساء: ٣] فعل ثلاثي يستعمل في الميل الذي ترجع إليه معاني " عول " كلها، والفعل في كثرة العيال رباعي لا مدخل له في الآية، فقد ذهبت الفصاحة ولم تنفع الضاد المنطوق بها على الاختصاص.

وأما المعنى فلأن الله تعالى قال: ذلك أدنى، أقرب إلى أن ينتفي العول يعني الميل، فإنه إذا كانت واحدة عدم الميل، وإذا كانت ثلاثا فالميل أقل، وهكذا في اثنتين؛ فأرشد الله الخلق إذا خافوا عدم القسط والعدل بالوقوع في الميل مع اليتامى أن

---

(١) دلائل الإعجاز ت شاكر، الجرجاني، عبد القاهر ص/٤٨١

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ١٦١/١

يأخذوا من الأجانب أربعا إلى واحدة؛ فذلك أقرب إلى أن يقل الميل في اليتامى وفي الأعداد المأذون فيها، أو ينتفي؛ وذلك هو المراد، فأما كثرة العيال فلا يصح أن يقال: ذلك أقرب إلى ألا يكثر عيالكم.

[الآية الرابعة قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة]

فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ [النساء: ٤]." (١)

"عليه أن ينوي ذلك، بل يجوز أن يجب لأجله ويحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة وبنيتها لأجله " إلى تخليط زيد عليه لا أرضى ذكره. قلنا: قوله: " ظن ظان أن الوضوء لما وجد عند القيام إلى الصلاة أنه وجب لأجله ". لم يظن أحد ذلك، إنما قطع الاعتقاد به، لقيام الدليل عليه. وقوله: " إنه أوجب له النية ".

قلنا له: هذا تلبيس، وجوبه لأجله هو الذي يقتضي النية ضرورة فيه، فإنه يلزمه أن يأتي بما أمر لمأمور به له. وقوله: " هذا لا يصح ". قلنا: لا يصح إلا هو. قوله: " فإن إيجاب الله الوضوء لأجل الحدث ". قلنا: هذا هوس، لم يجب الوضوء لأجل الحدث. وقوله: " إنه لا يجب عليه أن ينوي ذلك ". قلنا: لا يجب عليه أن ينوي ماذا؟ إن أردت الحدث، فمن ذا الذي يقول به؟ وإن أردت الصلاة فلا يعطي **اللفظ والمعنى** إلا وجوب النية لها. وقوله: " يجوز أن يجب لأجله ويحصل دون قصد ". قلنا: هذا لا نسلمه مطلقا إن أردت في العبادات فلا، وإن أردت في غيرها فلا نبالي به. وقوله: " دون قصد ". إلى هنا انتهى كلامه المعقول لفظا المختل معنى. وأما قوله بعد ذلك تعليق الطهارة بالصلاة فكلام لا يعقل معناه لفظا، فكيف معنى؟." (٢)

"المسألة الثالثة: لما لم يجعل الله بين العفة والنكاح درجة دل على أن ما عداهما محرم، ولا يدخل فيه ملك اليمين؛ لأنه بنص آخر مباح، وهو قوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ [النساء: ٣]، فجاءت فيه زيادة هذه الإباحة بآية في آية، ويبقى على التحريم الاستمناء ردا على أحمد بن حنبل، كما تقدم بيانه، وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة لنسخه، كما تقدم.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿لا يجدون نكاحا﴾ [النور: ٣٣]

يعني يقدرون، وعبر عن القدرة بالوجود، وعن عدمها بعدمه، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماء﴾ [النساء: ٤٣] حرفا بحرف فخذه منه. المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ [النور: ٣٣]

فيها قولان: أحدهما: بالقدرة على النكاح.

الثاني: بالرغبة عنه.

وقال بعض علمائنا: إنه يستعف بالصوم، لحديث عبد الله بن مسعود قال: «كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – شبابا لا نجد شيئا. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ٤١٢/١

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ٥٥/٢

للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء». وهو أصح الأقوال لانتظام القرآن فيه والحديث، **واللفظ والمعنى**، والله أعلم.." [1]

"الرابع: أنه قيام الليل؛ قاله مجاهد، والأوزاعي، ومالك.

قال ابن وهب: هو قيام الليل بعد النوم، وذلك أثقله على الناس، ومتى كان النوم حينئذ أحب فالصلاة حينئذ أحب وأولى.

والقول في صلاة الليل مضى، وسيأتي في سورة الزمر إن شاء الله تعالى.

[الآية الثانية قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [السجدة: ١١].

قال القاضي: هذه الآية لم يذكرها من طالعت كلامه في جميع الأحكام القرآنية، وذكرها القرطبي في كتب الفقه خاصة منتزعا بها لجواز الوكالة من قوله: ﴿الذي وكل بكم﴾ [السجدة: ١١] وهذا أخذ من لفظه، لا من معناه؛ فإن كل فاعل غير الله إنما يفعل بما خلق الله فيه من الفعل، لا بما جعل إليه، حسبما بيناه في أصول الدين. ولو اطرد ذلك لقلنا في قوله: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [الأعراف: ١٥٨] أنها نيابة عن الله تعالى، ووكالة في تبليغ رسالته، ولقلنا أيضا في قوله: ﴿وآتوا الزكاة﴾ [الحج: ٧٨] إنه وكالة في أن الله ضمن الرزق لكل دابة، وخص الأغنياء بالأغذية، وأوعز إليهم بأن رزق الفقراء عندهم، وأمرهم بتسليمه إليهم، مقدرا معلوما في وقت معلوم، ودبره بعلمه، وأنفذه من حكمه، وقدره بحكمته، حسبما بيناه في موضعه.

ولا تتعلق الأحكام بالألفاظ، إلا أن ترد على موضوعاتها الأصلية في مقاصدها المطلوبة، فإن ظهرت في غير مقصدها لم تعلق عليها مقاصدها. ألا ترى أن البيع والشراء معلوم **اللفظ والمعنى**، وقد قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة: ١١١].

ولا يقال: هذه الآية دليل على جواز مبايعة السيد لعبده؛ لأن المقصودين مختلفان.." [2]

"الثاني: أنه خطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمراد به أمته، وغاير بين اللفظين من حاضر وغائب [وذلك] لغة فصيحة. كما قال: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة﴾ [يونس: ٢٢]:

تقديره يأيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن. وهذا هو قولهم: إن الخطاب له وحده لفظا، والمعنى له وللمؤمنين. وإذا أراد الله الخطاب للمؤمنين لاطفه بقوله: يأيها النبي. وإذا كان الخطاب **باللفظ والمعنى** جميعا له قال: يأيها الرسول.

وقيل: المراد به نداء النبي – صلى الله عليه وسلم – تعظيما، ثم ابتدأ فقال: ﴿إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١] كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾ [المائدة: ٩٠]؛ فذكر المؤمنين على معنى تقدمتهم وتكرمتهم،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ٣/٣٩٦

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ٣/٥٣٣

ثم افتتح فقال: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾ [المائدة: ٩٠] الآية.
قال القاضي: الصحيح أن معناها: يأيها النبي إذا طلقت أنت والمخبرون الذين أخبرتهم بذلك النساء فليكن طلاقهن كذا؛ وساغ هذا لما كان النبي يقضي منبأ. وهذا كثير في اللغة صحيح فيها.

[مسألة قوله تعالى لعدتهن]

المسألة الثالثة قوله تعالى: ﴿لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] يقتضي أنهن اللاتي دخل بهن من الأزواج؛ لأن غير المدخول بهن خرجن بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ [الأحزاب: ٤٩].
المسألة الرابعة قوله: ﴿لعدتهن﴾ [الطلاق: ١]. قيل: المعنى في عدتهن، واللام تأتي بمعنى في؛ قال الله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ [الفجر: ٢٤] أي في حياتي. وهذا فاسد حسبما بيناه في رسالة الملجئة. وإنما المعنى فيه: فطلقوهن لعدتهن التي تعتبر. واللام على أصلها، كما تقول: افعل كذا لكذا، ويكون مقصود الطلاق والاعتداد مآله الذي ينتهي إليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ [الفجر: ٢٤] يعني حياة القيامة التي هي الحياة الحقيقية الدائمة.." [١]
"التذكير، وهما بتاء التأنيث (١).
ووجههما: تقدير جماعة، واعتبار **اللفظ والمعنى**.
وقرأ (مدا) (٢) نافع وأبو جعفر وأنهم مفرطون [النحل: ٦٢] بكسر الراء (٣): اسم فاعل «أفرط» فى المعية بالغ فيها وأعجل.
والباقون بفتحها اسم مفعول «أفرطه»: قدمه لطلب الماء، أو من «أفرطه» تركه (٤) خلفه، أى: مقدمون إلى العذاب والنار ومنسيون من [رحمة] (٥) الله.
[و] شدد ذو ثاء (ثرا) أبو جعفر الراء فقرأ [بتشديدها وكسرها] (٦) اسم فاعل «فرطنا» (٧) بالتشديد.
ص:
ونون نسقيكم معا أنث (ث) نا ... وضم (صحب) (حبر) يجحدوا (غ) نا
ش: أى: قرأ ذو ثاء (ثنا) أبو جعفر لعبرة تسقيكم هنا [النحل: ٦٦] وتسقيكم مما فى بطونها فى المؤمنين [الآية: ٢١]- بتاء التأنيث (٨)؛ على إسناد الفعل للأنعام.
والباقون بالنون على إسناده للمعظم.
وضم النون [ذو] (٩) (صحب) حمزة، والكسائى، وحفص، وخلف، و (حبر) ابن كثير وأبو عمرو.
وفتحها الباقون على جعله [مضارع] (١٠) «أسقى» أو «سقى».
واتفقوا على ضم ونسقيه مما خلقنا بالفرقان [الآية: ٤٩]؛ مناسبة للرباعى قبله وهو لنحى به [الفرقان: ٤٩].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية، ابن العربي ٤/٢٧٠

تتمة:

تقدم للشاربين [النحل: ٦٦] فى الإمالة ويعرشون [النحل: ٦٨] بالأعراف [الآية: ١٣٧].

ثم كمل فقال:

ص:

(ص) با الخطاب ظعنكم حرك (سما) ... ليجزين النون (ك) م خلف (ن) ما

---

(١) ينظر: الحجة لأبى زرعة (٣٩٠)، السبعة لابن مجاهد (٣٧٣)، الغيث للصفاقسى (٢٧٠).

(٢) فى م، ص: وقرأ ذو مد المدنيان.

(٣) ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٧٩)، الإعراب للنحاس (٢/ ٢١٤)، الإملاء للعكبرى (٢/ ٤٥).

(٤) فى ز: تركهم.

(٥) سقط فى م.

(٦) فى ز: بتشديدهما وكسرهما.

(٧) فى م، ص: فرط.

(٨) ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٧٩)، البحر المحيط (٥/ ٥٠٨)، تفسير القرطبى (١٠/ ١٢٣).

(٩) زيادة من م، ص.

(١٠) سقط فى م، ص.." [(١)]

"على قوله: فاختلط، وزعم يعقوب الأزرق أنه هنا وفي الكهف تامّ على استئناف ما بعده جملة مستأنفة من مبتدإ وخبر، وفي هذا لوقف شيء من جهة **اللفظ والمعنى**، فاللفظ أن نبات فاعل بقوله فاختلط، أي: فنبت بذلك المطر أنواع من النبات يختلط بعضها ببعض. وفي المعنى تفكيك الكلام المتصل الصحيح والمعنى الفصيح وذهاب إلى اللغو والتعقيد وَالْأَنْعامُ حسن، لأن حتى ابتدائية تقع بعدها الجمل كقوله: [الطويل]

فما زالت القتلى تمجّ دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والغاية معنى لا يفارقها كما تقدم في قوله: حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ قادِرُونَ عَلَيْها ليس بوقف، لأن أتاها جواب إذا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ حسن، والكاف في كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصله في المستقبل لقوم يتفكرون ويَتَفَكَّرُونَ تامّ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ جائز مُسْتَقِيمٍ تامّ وَزِيادَةٌ حسن. وقيل: كاف، وقيل: تامّ. قال الحسن: الحسنى العمل الصالح، والزيادة الجنة. وقيل النظر إلى وجه الله الكريم كما روى عن صهيب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا أريد أن أنجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم تبيض وجوهنا؟ أم تزحزحنا عن النار؟ ألم تدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم شيئا

---

(١) شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ٤١٤/٢

هو أحب إليهم منه». وقيل واحدة من الحسنات بواحدة وزيادة تضعف عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وَلا ذِلَّةٌ كاف أَصْحابُ الْجَنَّةِ جائز لأن قوله: هُمْ فِيها يصلح أن يكون جملة مستقلة مبتدأ

. . . .

أنه خبر بغيكم، أو بالنصب ببغيكم تَعْمَلُونَ تامّ وَالْأَنْعامُ صالح كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ حسن. وقال أبو عمرو فيهما: كاف يَتَفَكَّرُونَ تامّ، وكذا:

مستقيم وَزِيادَةٌ كاف، وكذا: ولا ذلة أَصْحابُ الْجَنَّةِ صالح أو مفهوم." [1]

"(٣) إنما قال: "الذكر" عوض القرآن ليدل على أن الحفاظة (١) تتعلق **بالمعنى واللفظ** معاً. فإن تغيّر المعنى لم يكن "ذكرا" بل كان "قرآناً" يتلونه كما يتلو اليهود والفرق المبتدعة منا، وليسوا منا.

(٤) إذا اشتبه المعنى فطريق التوضيح تتبع (١) استعمال لفظه كما فعلنا بلفظ "عصر" (٢) و "آلاء" (٣)، والنظر (٢) في أصله، واستعماله في أخوات العربية كالعبرانية والسريانية (٤).

---

(١) كذا في الأصل. وأهل الفارسية والأردية يستعملون المصدر "الحِفظ" بمعنى ضدّ النسيان و "الحِفَاظَة" بمعنى الصيانة والتعهد. ومن هنا جرت الكلمة على قلم المؤلف.

(٢) انظر ص ٢٢٢.

(٣) انظر ص ١٢٥.

(٤) كما فعل بلفظ (أبّ) انظر ص ٢٤٥.." [2]

"بسم الله الرّحمن الرّحيم وبه نستعين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأميّ الذى يؤمن بالله وكلماته.

وبعد: فإن دراسة النص الأدبي دراسة كاملة تتطلب الوقوف عند لبناته الأولى التي هى المفردات، لتبين مدى الإصابة في اختيارها، ومدى تمكنها في موضعها من جملتها، وقوة ربطها بأخواتها، وقديما قال القدماء وأصابوا: إن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما.

فإذا ما درست المفردات هذه الدراسة الفنية، درست الجملة في النص، لإدراك سر قوتها وجمالها، وهنا المجال فسيح أمام

---

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٥٧

(٢) مفردات القرآن للفراهي، عبد الحميد الفراهي ص/١١٤

علوم البلاغة الاصطلاحية، التي تدرس أسباب الجمال في تكوين الجملة العربية، فتبحث لم قدّم هذا الجزء من الجملة، ولم أخر ذاك، ولماذا حذف هنا، وأثبت هناك، ولم جاء هنا التعريف، وهناك التنكير، ولم استخدم الخبر في موضع الإنشاء، ولم عبر هنا بالمجاز، وكيف جمل هنا التشبيه، وراق في هذا الموضع الجناس، إلى غير ذلك من أبحاث تتصل بالجملة والجملتين.

ونمضى بعدئذ إلى دراسة النص برمته، ننظر إليه وحدة متصلة الأجزاء، فنرى مدى ارتباط بعضه ببعض، ومدى تضافر أجزائه على رسم الصورة التى يريد النص توضيحها، ومدى الإصابة في ترتيب هذه الأجزاء، كى يؤدى سابقها إلى لاحقها، حتى إذا تم النص صارت فكرته واضحة في النفس، جلية مؤثرة.

ولا بدّ من دراسة المعانى التى حواها النص، لمعرفة القوى منها والضعيف، وما له دخل في تكوين الصورة وما هو دخيل، وكيف نضّدت هذه المعانى ونسقت، حتى التأمت وحدة تنبض بالحياة.

لا نقف إذا من دراسة النص عند حد التأمل فيما أودعه من تناسق لفظى، أو جمال في الأسلوب، ولكن لا بدّ من دراسة ما بين **اللفظ والمعنى** من تآخ وتناسب، ودراسة ما اختير من المعانى، لمعرفة مدى تأثيرها في الفكر، وإثارتها للوجدان، فإن النفس الإنسانية تنقاد بهما، وتخضع لهما.." (١)

"وتخيل كذلك ما يثيره عندك «يروع» والصورة التى تركتها. وكلمة «العذارى» وموضع الفاء، التى تدل على هذه الحركة السريعة، الناشئة من الروعة، وهكذا استطاع الأديب بهذه الألفاظ الموحية، السيطرة على خيالنا، وأن ينقل إلينا إحساسه وشعوره.

ولعل هذا هو السبب، فى أن علماء البلاغة، قد كرهوا استعمال الكلمات الغريبة؛ لأنها تعجز عن أن تثير في النفس معنى قبل البحث عنها، فضلا عن أن تثير هذه الخواطر، التى تحيط بالكلمة إذا استعملت.

على أنه قد يشفع في بعض الأحيان، لاستخدام الكلمة الغريبة، أنها وضعت فى موضع، سهّل الأسلوب فهمها، وكانت هى بجرسها موحية بمعناها، ولعل من ذلك قول شوقى:

خلوا الأكاليل للتاريخ، إن له ... يدا تؤلفها درا ومخشلبا (١)

فهذا الجمع بين الدر والمخشلب، يوحى بما بينهما من البون الشاسع، وفي حروف الكلمة الغريبة، ما يوحى بأنها تعنى شيئا حقيرا.

والإحساس اللغوى عند الأديب هو الذى يختار اللفظ اختيارا دقيقا، بحيث يؤدى المعنى، على وجه لا لبس فيه ولا اضطراب، وهو لذلك يلحظ الفروق الدقيقة بين الكلمات، ويأخذ من بينها أمسها بمعناه، حتى تقوم بواجبها من التوصيل الصادق.

سمع ابن هرمة أديبا ينشد قوله:

بالله ربك، إن دخلت، فقل لها: ... هذا ابن هرمة، قائما بالباب

فقال له: لم أقل: «قائما»، أكنت أتصدق؟. فقال: «قاعدا»، فقال: أكنت أبول؟

قال: فماذا؟ قال: «واقفا» وليتك علمت ما بين هذين، من قدر **اللفظ والمعنى** (٢).

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ص/٥

بل إن الإحساس اللغوى، قد يرهف ويدق، فيختار من الكلمات ما يكون بين أصواتها وبين الموضوع ملاءمة، بحيث يكون فيها تقليد للشيء الموصوف، حتى كأنه يوحى به إلى الخاطر، كما تحس بذلك في كلمة «أرشف» من الشعر السابق، وكما اختار المتنبى كلمة «تفاوح» فى قوله:

---

(١) الوارد في المعاجم مخشلبة كلمة عراقية معناها خرز بيض يشاكل اللؤلؤ والحلى يتخذ من الليف والخرز.

(٢) الوقوف لا يقتضى الدوام والثبوت، أما القيام فيقتضيهما.." [(١)]

"«كبائر» من قوله تعالى: والذين يجتنبون كبائر الإثم (١)

ومن قوله تعالى: الذين يجتنبون كبائر الإثم (٢) قرأ «حمزة، والكسائي، وخلف العاشر» «كبير» بكسر الباء، وياء بعدها، ولا الف ولا همزة، على وزن «فعيل» في الموضعين على التوحيد، مرادا بها الجنس، فيصدق على القليل والكثير، ووزن «فعيل» يقع بمعنى الجمع، مثل قوله تعالى: وحسن أولئك رفيقا (٣) اي رفقاء، فهذه القراءة ترجع الى القراءة بالجمع في المعنى.

وقرأ الباقون «كبائر» في الموضعين ايضا، بفتح الباء، والف بعدها، ثم همزة مكسورة، جمع «كبيرة» وذلك لان بعده «الفواحش» بالجمع، فحسن ان تكون «الكبائر» بالجمع، ليتفق اللفظان (٤).

«سقفا» من قوله تعالى: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة (٥) قرأ «ابن كثير، وابو عمرو، وابو جعفر» «سقفا» بفتح السين، واسكان القاف، على الافراد، لارادة الجنس، وعلى معنى ان لكل بيت سقفا.

وقرأ الباقون «سقفا» بضم السين، والقاف، بالجمع على لفظ «البيوت» لان لكل بيت سقفا، فجمع **اللفظ والمعنى** (٦).

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٧

(٢) سورة النجم الآية ٣٢

(٣) سورة النساء الآية ٦٩

(٤) قال ابن الجزري: وكبائر معا كبير دم فتى انظر: النشر في القراءات العشر ج ٣ ص ٢٩١.

والمهذب في القراءات العشر ج ٢ ص ٢١٤.

والكشف عن وجوه القراءات ج ٢ ص ٢٥٣.

(٥) سورة الزخرف الآية ٣٣

(٦) قال ابن الجزري: وسقفا وحد ثبا حبر انظر: النشر في القراءات العشر ج ٣ ص ٢٩٤.

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ص/١٣

والمهذب في القراءات العشر ج ٢ ص ٢١٩.

والكشف عن وجوه القراءات ج ٢ ص ٢٥٨.." [١]

"الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

س: ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي؟

ج: هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي نذكر أهمها فيما يلي:

أولا: أن القرآن الكريم كلام الله تعالى أوحى الله به إلى رسوله محمد صلّى الله عليه وسلم بلفظه وتحدى به- أي بالقرآن- العرب جميعا فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله، ولا يزال التحدي به قائما إلى يوم القيامة، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين. وهذا بخلاف الحديث القدسي فلا يتحدى بتلاوته.

ثانيا: القرآن الكريم لا ينسب إلّا إلى الله تعالى فيقال: قال الله تعالى. والحديث القدسي- كما سبق- قد يروى مضافا إلى الله تعالى وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء. فيقال: قال الله أو يقول الله تعالى. وقد يروى مضافا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه صلّى الله عليه وسلم هو المخبر به عن الله عز وجل فيقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل.

ثالثا: القرآن الكريم كله منقول بطريق التواتر، فهو قطعي الثبوت. والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد يكون الحديث القدسي صحيحا وقد يكون حسنا، وقد يكون ضعيفا.

أما القرآن فلا تعتريه هذه الأحوال، لأنه كله صحيح من عند الله.

رابعا: القرآن الكريم من عند الله تعالى لفظه ومعناه. فهو وحي **باللفظ والمعنى**.

والحديث القدسي معناه من عند الله تعالى ولفظه من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم على القول الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين (١).

خامسا: القرآن الكريم متعبد بتلاوته فهو الذي تتعين القراءة به في الصلوات لقوله تعالى: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ (٢). فقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة

---

(١) هكذا بتصرف من كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان.

(٢) سورة المزمل آية ٢٠.." [٢]

"الأمثال في القرآن الكريم

س: ما هي الأمثال؟

ج: الأمثال: جمع مثل. والمثل والمثال كالشبه والشبيه في **اللفظ والمعنى**، ويطلق كذلك على الحال والقصة العجيبة نحو قوله

---

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن ٣١٠/١

(٢) نفحات من علوم القرآن، محمد معبد ص/١٥

تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ (١) أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

أنواع الأمثال

س: ما أنواع الأمثال في القرآن؟

ج: للأمثال أنواع ثلاثة وهي: ١ - الأمثال المصرحة. ٢ - الأمثال الكامنة.

٣ - الأمثال المرسلة. وإليك بيانها مفصلة:

أولا- الأمثال المصرحة: وهي ما كان اللفظ فيها صريحا بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه مثل قوله تعالى: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ (٢) وكقوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ إلى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣) شبه الله تعالى حال المنافقين في هذه الآيات الكريمات حين انتفعوا بالدخول في دين الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم بحال الذي استوقد نارا للإضاءة والنفع، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وأبقى لهم ما فيها من الإحراق، فانتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم فذهب الضوء عنهم وبقي لهم الإحراق. هذا المثل تشبيها بالنار، أما مثلهم المشبه بالماء، فشبههم بحال من أصابهم مطر غزير وفيه ظلمة ورعد وبرق فخافوا وخارت قواهم ووضعوا أصابعهم في آذانهم وأغمضوا عيونهم خوفا من صاعقة واقعة بهم. وهذا المثل يؤخذ من الآية الكريمة أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ (٤) لأن القرآن

---

(١) سورة محمد صلّى الله عليه وسلم آية رقم ١٥.

(٢) سورة يونس عليه السلام آية رقم ٢٤.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧ - ٢٠.

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٩.." (١)

"ما فيه. وان الله فتح عليه من أبوابه ويسر عليه من اسبابه ورفع له من حجابه ما لم يسهل لمن سواه، ولم يأت لمن عداه فكان على ما اخبر الله تعالى عن ذى القرنين فى قوله: آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً.

(سورة الكهف الآية ٨٤) ولما رأينا الأمر كذلك اردت أن اصنف فى احكام القرآن كتابا اشرح فيه ما انتزعه الشافعى رضى الله عنه من أخذ الدلائل فى غوامض المسائل

وضممت إليه ما نسجته على منواله، واحتذيت فيه على مثاله على قدر طاقتى وجهدى ومبلغ وسعى وجدى ..

ثم يقول:- ولن يعرف قدر هذا الكتاب وما فيه من العجب العجاب إلا من وفر حظه من علوم المعقول والمنقول. ومتبحر فى الفروع والأصول ثم اكب على مطالعة هذه الفصول بمسكة صحيحة وقريحة نقية غير قريحة ..

---

(١) نفحات من علوم القرآن، محمد معبد ص/١١٠

وأعوذ بالله من الاعجاب بالابداع والميل بالهوى إلى بعض الآراء فى مظان النزاع، وأسأله أن يجعل مجامع مساعينا وجل متابعنا فى طلب مرضاته إنه ولى قدير وبالاجابة جدير فأقول:

لما رأيت أقاويل المفسرين فى أحكام القرآن متجاوزة حد البيان آخذة بطرفى الزيادة والنقصان، جررت فى سرجها هذه الفصول المتضمنة من **اللفظ والمعنى** شفاء كل عليل مع انتخابى فيها قصد السبيل، وتوقى التعليل والتطويل ...

وقد انتفع بهذا الكتاب الكثيرون من العلماء واثنوا عليه الثناء المستطاب واعتمدوا عليه فى تأليفهم بعده حتى قال عنه ابن العربى الذى جاء بعده فى مقدمة كتابه أحكام القرآن.

«إن مؤلفه أتى فيه بالعجب، ونثر فيه لباب الألباب وفتح فيه لكل من جاء بعده إلى معارفة الباب، فكل أحد غرف منه على قدر انائه ..." (١)

"قال في النشر: "قيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التأنيث؟ فقال: هذا طباع العربية"(١).

نحو: (جنة، نعمة، مرية)، وذلك لشبه هاء التأنيث بألف التأنيث في نحو: (سكرى، حبلى) لسكونها عند الوقف.

قال ابن الباذش: "أما إمالة هاء التأنيث فأقوى، لأنها تشبه ألف (حبلى) لفظا ومعنى.

أما اللفظ فإنها آخر كما أنها آخر، ولاجتماعهما في المخرج والخفاء وانفتاح ما قبلها.

وأما المعني فما ذكرناه من التأنيث فجرت في إمالة ما قبلها مجرى ألف التأنيث لمشابهتها إياها من طريق **اللفظ والمعنى**، فكان الكسائي يميل ما قبل هاء التأنيث في الوقف"(٢).

وذكر في الإمالة أسبابا أخرى للإمالة منها:

أ- الإمالة لأجل كثرة الاستعمال، كإمالتهم (الحجاج) لكثرته في كلامهم.

ب- ومن ذلك إمالة (الناس) في الأحوال الثلاثة، يعني: الفتح، والضم، والكسر. رواه صاحب المبهج، وهو موجود في لغتهم لكثرة وروده(٣).

قلت: على أن المعول عليه عند القراء هو ثبوت الرواية وصحة السند فيما يوردونه من إمالات، بخلاف علماء اللغة، فإنهم أوردوا كثيرا من الأسباب الجالبة للإمالة لاعتمادهم على ما شاع عند العرب في لهجاتهم.

فائدة الإمالة:

قال في النشر: "وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ. وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة. والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال"(٤).

الفصل الرابع اهتمام العلماء بمبحث الإمالة

اهتمام العلماء بمبحث الإمالة

اهتم علماء القراءات وعلماء اللغة في مصنفاتهم بموضوع الإمالة.

فعلماء القراءات يعتبرون الإمالة من الأصول التي لابد من معرفة بيان مذاهب القراء فيها حتى يكون القارئ عالما بما يمال

---

(١) مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود ص/٩٦

وكيف يمال.

ولهذا لا يخلو مصنف في علم القراءات سواء كان نثرا أو نظما من مبحثها.

---

(١) النشر: ٨٢/٢.

(٢) الإقناع لابن الباذش: ٣١٥/١.

(٣) النشر: ٣٤/٢.

(٤) النشر: ٣٥/٢.." [(١)]

" الفصل الرابع

ذكر نزول القرآن الكريم

ذهب جمهور العلماء إلى أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وكان النازل به جبريل فوضعه في بيت العزة وأملاه على السفرة ثم نزل بعد ذلك نجوما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين

والسر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا التفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وإعلاما لسكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل

ونزوله بعد ذلك منجما لحكمة إلهية اقتضت ذلك بحسب الوقائع واختلفوا في المنزل به فقيل **اللفظ والمعنى** وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به

وقيل المعنى خاصة وأنه عليه السلام علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب بدليل نزل به الروح الامين على قلبك

وقيل أن جبريل ألقى عليه المعنى وأنه عبر عنه بلغة العرب وأهل السماء يقرأونه بالعربية ثم أنزل به كذلك وذكر بعضهم أن اللغات التي نزل بها كلام الله ثلاث

العربية والعبرانية والسريانية

فالقرآن بالعربية والتوراه بالعبرانيه والإنجيل بالسريانية

فهذه العبارات جميعها كلام الله من غير خلاف بين العلماء لأنه يفهم منها كلام الله القائم بالنفس

واجمعوا على أن المحفوظ في الصدور والمقروء بالألسن والمكتوب في المصاحف يقال له كلام ." [(٢)]

"دون الثانية اذا وجب حذف صورة احداهما والثالث ان من العرب من اذا سهل الهمزة في ذلك اسقطها والواو التي بعدها طلبا للتخفيف فيقول المودة على لفظ الجوزة و الموزة وهي قراءة الاعمش في ذلك قرات على عبد العزيز بن محمد عن ابي طاهر بن ابي هاشم قال نا قاسم المطرز والخثعمي قالا حدثنا ابو كريب قال نا ابو بكر قال قرا الاعمش واذا المودة بغير همز مخففا فإذا نقطت هذه الكلمة على المذهب الاول المختار جعلت الهمزة نقطة بالصفراء وحركتها امامها نقطة

---

(١) بيان القراءات الشاذة في باب الإمالة، ٨/٢

(٢) الناسخ والمنسوخ للكرمي، ص/٢٣٤

بالحمراء بعد الواو السوداء ورسمت واو بالحمراء بعد الهمزة فتحصل الهمزة بذلك بين واوين سوداء وحمراء وان شاء الناقط لم يرسم تلك الواو من حيث كانت ضمة الهمزة دالة عليها وصورة نقط ذلك كما ترى الموءدة واذا نقطت على المذهب الثاني جعلت الهمزة وحركتها قبل الواو السوداء ورسمت واو بالحمراء بعد الميم وقبل الهمزة فتحصل الهمزة ايضا بين واوين واو حمراء وواو سوداء ولا بد من تصوير الواو في هذا الوجه ضرورة لان **اللفظ والمعنى** يختلان بحذفها وصورة نقط ذلك كما ترى المئودة فصل وكل همزة مضمومة جاءت قبل واو مرسومة سواء كانت للجمع او للبناء وسواء تحرك ما قبل الهمزة او سكن فإن المصاحف اتفق رسمها على حذف صورة الهمزة لما تقدم من كراهة توالي صورتين متفقتين في الرسم وجائز ان تحذف واو الجمع وواو البناء وان تثبت صورة الهمزة والاول اقيس لما قدمناه من استغناء الهمزة عن الصورة ومن اختلال **اللفظ والمعنى** جميعا بحذف ما يدل على الجمع او على البناء فالتي للجمع نحو قوله فادرءوا و يدرءون و لا يطئون و تطئوهم و مستهزءون و متكئون و فما لئون و ليواطئوا و ليطفئوا و أنبئوني و يستنبئونك وشبهه والتي للبناء نحو قوله يئوسا و مذءوما و مسئولا وشبهه فإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء وحركتها أمامها نقطة بالحمراء قبل الواو السوداء في بياض السطر على ما تراه في الحروف المتقدمة وكل واو مضمومة جاء بعدها واو." (١)

"شهداء فيكون عاملا في الثانية، ويجوز أن تكون الثانية ظرفا لحضر فلا يكون على هذا بدلا، و (ما) استفهام في موضع نصب ب (تعبدون) و " ما " هنا بمعنى من ولهذا جاء في الجواب إلهك، ويجوز أن تكون " ما " على بابها، ويكون ذلك امتحانا لهم من يعقوب، و (من بعدى) أي من بعد موتى فحذف المضاف (وإله آبائك) أعاد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، والجمهور على آبائك على جمع التكسير، و (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) بدل منهم، ويقرأ " وإله أبيك " وفيه وجهان: أحدهما هو جمع تصحيح حذفت منه النون للإضافة، وقد قالوا: أب وأبون وأبين، فعلى هذه القراءة تكون الأسماء بعدها بدلا أيضا.

والوجه الثاني أن يكون منفردا، وفيه على هذا وجهان: أحدهما أن يكون مفردا في اللفظ مرادا به الجمع.

والثاني أن يكون مفردا في **اللفظ والمعنى**، فعلى هذا يكون إبراهيم بدلا منه، وإسماعيل وإسحاق عطفا على أبيك، تقديره: وإله إسماعيل وإسحاق (إلها واحدا) بدل من إله الأول، ويجوز أن يكون حالا موطئة كقولك: رأيت زيدا رجلا صالحا.

وإسماعيل يجمع على سماعلة وسماعيل وأساميع.

قوله تعالى (تلك أمة) الاسم منها " تى " وهى من أسماء الإشارة للمؤنث، والياء من جملة الاسم، وقال الكوفيون: التاء وحدها الاسم، والياء زائدة، وحذفت الياء مع اللام لسكونها وسكون اللام بعدها.

فإن قيل: لم لم تكسر اللام وتقرأ الياء كما فعل في ذلك ؟ قيل ذلك يؤدى إلى الثقل لوقوع الياء بين كسرتين، وموضعها رفع بالابتداء، وأمة خبرها، و (قد خلت) صفة لأمة، و (لها ما كسبت) في موضع الصفة أيضا، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في خلت، ويجوز أن يكون مستأنفا (ولا تسئلون) مستأنف لاغير، وفى الكلام حذف تقديره: ولايسئلون عما كنتم

---

(١) المحكم في نقط المصاحف، ص/٩٢

تعملون، ودل على المحذوف قوله " لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ".

قوله تعالى (أو نصارى) الكلام في " أو " هاهنا كالكلام فيها في قوله " وقالوا لن يدخل الجنة " لأن التقدير: قالت اليهود كونوا هودا، وقالت النصارى كونوا نصارى (ملة إبراهيم) تقديره: بل نتبع ملة إبراهيم، أو قل اتبعوا ملة، و (حنيفا) حال من إبراهيم، والحال من المضاف إليه ضعيف في القياس قليل في الاستعمال، وسبب ذلك أن الحال لابد لها من عامل فيها، والعامل فيها هو العامل في صاحبها، ولا يصح أن يعمل المضاف في مثل هذا في الحال، ووجه قول من." (١)

"كائنا منهم، ويضعف أن يكون حالا من بنان إذ فيه تقديم حال المضاف إليه على المضاف (ذلك) أي الأمر، وقيل ذلك مبتدأ، و (بأنهم) الخبر: أي ذلك مستحق بشقاقهم (ومن يشاقق الله) إنما لم يدغم لأن القاف الثانية ساكنة في الأصل وحركتها هنا لالتقاء الساكنين فهى غير معتد بها.

قوله تعالى (ذلكم فذوقوه) أي الأمر ذلكم، أو ذلكم واقع أو مستحق، ويجوز أن يكون في موضع نصب: أي ذوقوا ذلكم، وجعل الفعل الذى بعده مفسرا له، والأحسن أن يكون التقدير: باشروا ذلكم فذوقوه، لتكون الفاء عاطفة (وأن للكافرين) أي والأمر أن للكافرين.

قوله تعالى (زحفا) مصدر في موضع الحال، وقيل هو مصدر للحال المحذوفة: أي تزحفون زحفا، و (الأدبار) مفعول ثان لتولوهم.

قوله تعالى (متحرفا أو متحيزا) حالان من ضمير الفاعل في يولهم.

قوله تعالى (ذلكم) أي الامر ذلكم (و) الأمر (أن الله موهن) بتشديد الهاء وتخفيفها، وبالإضافة والتنوين وهو ظاهر.

قوله تعالى (وأن الله مع المؤمنين) يقرأ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على تقدير: والأمر أن الله مع المؤمنين.

قوله تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم) إنما جمع الصم وهو خبر شر، لأن شرا هنا يراد به الكثرة، فجمع الخبر على المعنى، ولو قال الأصم لكان الإفراد على اللفظ والمعنى على الجمع.

قوله تعالى (لا تصيبن) فيها ثلاثة أوجه: أحدها أنه مستأنف، وهو جواب قسم محذوف: أي والله لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعم.

والثانى أنه نهى، والكلام محمول على المعنى كما تقول: لا أرينك هاهنا: أي لا تكن هاهنا، فإن من يكون هاهنا أراه، وكذلك المعنى هنا، إذ المعنى لا تدخلوا في الفتنة فإن من يدخل فيها تنزل به عقوبة عامة.

والثالث أنه جواب الأمر، وأكد بالنون مبالغة، وهو ضعيف لأن جواب الشرط متردد فلا يليق به التوكيد، وقرئ في الشاذ " لتصيبن " بغير ألف.

قال ابن جنى: الأشبه أن تكون الألف محذوفة كما حذفت في أم والله.

وقيل في قراءة الجماعة: إن الجملة صفة لفتنة، ودخلت النون على المنفى في غير القسم على الشذوذ.." (٢)

---

(١) املاء ما من به الرحمن، ١/٦٥

(٢) املاء ما من به الرحمن، ٢/٥

"وقول علقمة :

حانية حوم[1]

منسوب إلى حانية فاعلة من هذا **اللفظ والمعنى**، ألا ترى إلى قول عمارة :

وكيف لنا بالشرب فيها وما لنا دوانيق عند الحانوي ولا نقد

فأما الحانة فمحذوفة من الحانية، ومثالها فاعة، ومثلها البالة من قولهم : ما باليت بهم بالة، أصلها : بالية فاعلة من هذا الموضع، ثم حذفت اللام تخفيفا، وإلى مثل ذلك ذهب الكسائي في "آية" أنها محذوفة من فاعلة : آيية.

ومن ذلك قراءة ابن السميفع[2] : "فبهت الذي كفر"[3] بفتح الباء والهاء والتاء، وكذلك قرأ أيضا نعيم بن ميسرة[4]، وقرأنة أبو حيوة شريح بن يزيد : "فبهت" بفتح الباء وضم الهاء، والقراءة العامة : "فبهت".

قال أبو الفتح : زاد أبو الحسن الأخفش قراءة أخرى لا يحضرني الآن ذكر قارئها، لم يسندها[5] أبو الحسن : "فبهت" بوزن علم، فتلك أربع قراءات.

فأما "بهت" قراءة الجماعة، فلا نظر فيها.

وأما "بهت" فبمنزلة خرق وفرق وبرق.

وأما "بهت" فأقوى "٢٩و" معنى من بهت؛ وذلك أن فعل تأتي للمبالغة كقولهم : قضو الرجل إذا جاد قضاؤه، وفقه إذا قوي في فقهه، وشعر إذا جاد شعره. وروينا عن أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى : أن العرب تقول :

---

١ البيت بتمامه :

كأس عزيز من الأعناب عتقها لبعض أربابها حانية حوم

الكأس : الخمر في إنائها، ولا تسمى الخمر كأسا ولا الظرف كأسا حتى يجتمعا، وأراد بالعزيز ملكا من ملوك الأعاجم، والحوم السود يريد أنها من أعناب سود، وهو على هذا من نعت الكأس؛ أي : خمر سوداء العنب، وصفها بالجمع على معنى ذات أعناب سود، ويقال الحوم : جمع حائم؛ وهو الذي يقوم عليها ويحوم حولها وهو على هذا من وصف الحانية، وهي جماعة الخمارين. وانظر : الكتاب : ٢/ ٧٢، والمفضليات : ٤٠٢، وفيها : "أحيانها" مكان "أربابها"؛ أي : أعدها لفصح أو عيد أو نحو ذلك.

٢ هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد، وقيل : إنه قرأ على نافع. طبقات القراء لابن الجزري : ٢/ ١٦١.

٣ سورة البقرة : ٢٥٨.

٤ هو نعيم بن ميسرة أو عمرو الكوفي النحوي، نزل الري وكان ثقة، روى القراءة عرضا عن عبد الله بن عيسى بن علي، وروى الحروف عن أبي عمرو بن العلاء، وروى الحروف عنه علي بن حمزة الكسائي، توفي سنة ١٧٤. طبقات ابن الجزري : ٢/ ٣٤٢.

٥ أوردها كذلك في البحر ٢/ ٢٨٩ مسندة إلى الأخفش، ولم يذكر قارئها.
". (١)

"قال أبو الفتح : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن وكيع عن الدمشقي عن ابن قطرب عن قطرب١ في كتابه الكبير : أن قراءة أبي زرعة الشامي : "وترى الناس سكرى وما هم بسكرى".

وسألت أبا علي عن "سكرى" فردد القول فيها، ثم استقر الأمر فيها بيننا على أنها صفة من هذا **اللفظ والمعنى**، بمنزلة حبلى مفردة كما ترى.

فأما "سكرى" بفتح السين فيمن قرأ كذلك فيحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون جمع سكران؛ إلا أنه كسر على فعلى؛ إذ كان السكر علة تلحق العقل، فجرى ذلك مجرى قوله :

فأما تميم تميم بن مر فألفاهم القوم روبى نياما٢

فهذا جمع رائب؛ أي : نومى خثراء الأنفس٣؛ فيكون ذلك كقولهم : هالك وهلكى ومائد وميدى٤، فيجري مجرى صريع وصرعى وجريح وجرحى؛ إذ كان ذلك علة بلوا بها، وإن كان هالك ومائد ورائب فعلا منسوبا إليهم، لا موقعا في اللفظ بهم.

والآخر : أن يكون "سكرى" هنا صفة مفردة، مذكرها سكران، كامرأة سكرى. ويشهد لهذا الأمر قراءة من قرأ : "سكرى" بالضم، وهذا لا يكون إلا واحدا. ويشهد للقول الأول قراءة العامة : ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾. وجاز أن يوقع على الناس كلهم صفة مفردة تصورا لمعنى الجملة والجماعة وهي بلفظ الواحد، كما جاز للبيد أن يشير أيضا إلى الناس بلفظ الواحد في قوله :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيده٥

ومن معكوسه في إيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾٦ والمراد به الواحد٧، كل من كلام العرب.

---

١ هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي المعروف بقطرب، لازم سيبويه، وأخذ عن عيسى بن عمر، ومات سنة ٢٠٦. بغية الوعاة : ١٠٤.

٢ روبى : اثخنهم السفر والوجع، فاستثقلوا نياما، ويقال : شربوا من الرائب فسكروا. اللسان : "روب".

٣ قوم خثراء : مختلطون.

٤ ماد الجرل : اصابه غثيان ودوار من سكر أو ركوب بحر.

٥ انظر : الديوان : ٢٥.

٦ سورة آل عمران : ١٧٣.

---

(١) المحتسب لابن جني موافقا للمطبوع، ١/ ١٣٣

٧ يعني : نعيم بن مسعود الأشجعي. وانظر : الكشاف في تفسير الآية.
". (١)

"وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ [المؤمنون: ٩١]. وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١].

تبين من الآيات المحكمة أن المراد بقوله: ﴿إنا نحن﴾ هو الله الواحد المعظم نفسه.

د- حكمة ورود المحكم والمتشابه.

١- إن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان، والإيجاز والإطناب، والمجاز والكناية والإشارة والتلويح، وهكذا فقد اشتمل القرآن على هذه الفنون جميعها تحديا وإعجازا لهم.

٢- أنزل الله سبحانه الآيات المتشابهات اختبارا ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم به ثوابه، ويرتاب بها المنافق، فيستحق العقوبة.

ولقد أشار الله تعالى في كتابه إلى وجه الحكمة في ذلك بقوله: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم قال: جوابا لهم: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ . فأما أهل السعادة فيعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، فيستوجبون الرحمة والفضل، وأما أهل الشقاوة فيجحدونها،فيستوجبون الملامة.

٣- أراد الله عز وجل أن يشغل أهل العلم برده إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويظهر بالبحث اهتمامهم، ولو أنزله محكما لاستوى فيه العالم والجاهل، فشغل العلماء به ليعظم ثوابهم وتعلو منزلتهم، ويكرم عند الله مآبهم.

٤- أنزل المتشابه لتشغل به قلوب المؤمنين ، وتتعب فيه جوارحهم وتنعدم في البحث عنه أوقاتهم، ومدد أعمارهم، فيجوزوا من الثواب حسبما كابدوا من المشقة.

وهكذا كانت المتشابهات ميدان سباق تنقدح فيه الأفكار والعلوم.

هـ- منشأ التشابه

نشأ التشابه من خفاء مراد الشارع في كلامه، فمرة يرجع إلى اللفظ، ومرة يرجع إلى المعنى، ومرة يرجع إلى **اللفظ والمعنى**.." (٢)

"١- اللفظ: قوله تعالى: ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ [الصافات: ٩٣].

فلفظة: اليمين تحتمل استعمال يده اليمنى غير الشمال، وتحتمل أيضا أن الضرب كان بقوة، لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم، وفي قوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

٢- المعنى: مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة، وعلامات الساعة، والجنة والنار.

٣- **اللفظ والمعنى**: قوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩] فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معا إذ لا يمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها، فقد كان

---

(١) المحتسب لابن جنى موافقا للمطبوع، ١٨٨/١

(٢) بحوث متنوعة في علوم القرآن، ٣/٧

أهل الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا أحرم بالحج لم يدخل من باب البيت بل يخرق خرقا أو يدخل من وراء البيت، فرد عليهم القرآن وبين أن ليس شيء من ذلك من أبواب البر ولكن البر هو التقوى.

و- آيات الصفات

إنها محكمة لكونها صفات الله تعالى، متشابهة بالنسبة لنا من حيث كيفيتها مثل صفة: الاستواء على العرش، فهي معلومة في معناها، ولكن الكيف مرفوع كما قال الإمام مالك: الإستواء معلوم، والكيف مرفوع، والسؤال عنه بدعة. أي معنى الاستواء معلوم، ونثبت له كيفية، فصفات الله منزهة عن الكيف، والسؤال عن الآيات المتشابهات.." (١)

"والمسلمات، والرّخصة بالتَّكلم بكلمة الكفر عند الإِكراه والضَّرورات، وبيان التحريم والتحليل فى بعض الحالات، وذكر إِبراهيم الخليل وما مُنح من الدّرجات، وذكر السّبْتِ والدّعاءِ إِلى سبيل الله بالحكمة والعظات الحسنات، والأَمر بالتسوية فى المكافآت بالعقوبات، والأَمر بالصّبر على البليّات، ووعد المتَّقين والمحسنين بأَعظم المثوبات، بقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

النَّاسخ والمنسوخ فى هذه السّورة ثلاث آيات منسوخة م ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ ن ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ م آية السّيف ن ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ م آية السّيف ن.

المتشابهات:

فيها فى موضعين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ بالجمع. وفى خمسة مواضع: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ على الوحدة. أَما الجمع فلموافقة قوله: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ فى الآيتين؛ لتقع المطابقة فى **اللفظ والمعنى**. وأَمّا التوحيد فلتوحيد المدلول عليه.

من الخمس قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ وليس له نظير. وخصّ بالذِّكر لاتّصاله بقوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾؛ فإِن اختلاف أَلوان الشيء وتغيّر أَحواله يدلّ على صانع حكيم لا يشبهها ولا تشبهه، فمن تأَمل فيها اذَّكَّر.

ومن الخمس: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى موضعين، وليس لهما نظير. وخُصّتا بالفكر؛ لأَن الأُولى متصلة بقوله: ﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وأَكثرها للأَكل، وبه قوام البدن، فيستدعى تفكيرا وتأَمّلاً، ليعرف به المنعِم عليه فيشكره. والثانية متَّصلة بذكر النحل، وفيها أُعجوبة: من انقيادها لأَميرها، واتِّخاذها البيوت على أَشكال يعجز عنها الحاذق منَّا، ثم تتبُّعها

". (٢)

"قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وختم بقوله ﴿لِلْعَالَمِيْنَ﴾ لأَن الكل تظلّهم السّماء، وتُقِلهم الأَرض، فكل واحد منفردٌ بلطيفة فى صورته يمتاز بها عن غيره؛ حتى لا ترى اثنين فى أَلف يتشابه صورتاهما ويلتبس كلاهما؛ وكذلك ينفرد كلّ واحد بدقيقة فى صورته، يتميّز بها من بين الأَنام، فلا ترى اثنين يشتبهان. وهذا يشترك فى معرفته النَّاس جميعاً. فلهذا قال ﴿لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِيْنَ﴾. ومن حمل اختلاف الأَلسن على اللغات، واختلاف الأَلوان على السّواد والبياض، والشُّقْرة،

---

(١) بحوث متنوعة في علوم القرآن، ٤/٧

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/١٩٧

والسّمرة، فالاشتراك فى معرفتها أَيضاً ظاهر. ومن قرأَ (للعالِمين) بالكسر فقد أَحسن، لأَنَّ بالعلم يمكن الوصول إِلى معرفة ما سبق ذكره.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وختم بقوله ﴿يَسْمَعُوْنَ﴾ فإِن مَن سمع أَنَّ النوم مِن صنع الله الحكيم لا يقدر أَحد على اجتلابه إِذا امتنع، ولا على دفعه إِذا ورد، تيقَّن أَنَّ له صانعاً مدبِّرًا. قال الإِمام: معنى (يسمعون) ههنا: يستجيبون إِلى ما يدعوهم إِليه الكتابُ. وختم الآية الرّابعة بقوله ﴿يَعْقِلُوْنَ﴾ لأَن العقل مِلاك الأَمر فى هذه الأَبواب، وهو المؤدِّى إِلى العلم، فختم بذكره.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أَى أَنَّه يريكم. وقيل: تقديره: ويريكم من آياته البرق. وقيل: أَن يُرِيكم، فلمَّا حُذِفَ (أَنْ) سكن الياءُ وقيل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ كلام كافٍ؛ كما تقول: منها كذا، ومنها كذا ومنها .... وتسكت، تريد بذلك الكثرة.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وفى الزمر ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ لأَن بسط الرزق ممَّا يشاهَد ويرى، فجاءَ فى هذه السّورة على ما يقتضيه **اللَّفظ والمعنى**. وفى الزمر اتَّصل بقوله ﴿أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ وبعده: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾ (فحسن "أَو لم يعلموا".." (١)

"(بصيرة فى الحب والمحبة)

ولا يُحدّ المحبّة بحدّ أَوضح منها، والحدود لا تزيدها إِلاَّ خفاءً وجفاءً فحدّها وجودها. ولا توصف المحبّة بوصف أَظهر من المحبّة، وإِنَّما يتكلَّم النَّاس فى أَسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأَحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستّة.

وهذه المادّة تدور فى اللُّغة على خمسة أَشياءَ: أَحدها الصّفاء والبياض ومنه قيل حَبَب الأَسنان لبياضها ونضارتها. الثانى: العُلُوّ والظُّهور ومنه حَبَب الماءِ وحَبَابه وهو ما يعلوه من النفاخات عن المطر، وحَبب الكأْس منه. الثالث: اللُّزوم والثبات ومنه حَبَّ البعير وأَحبّ إِذا برك فلم يقُم. الرَّابع: اللُّباب والخلوص. ومنه حَبّة القلب لِلبّه وداخله. ومنه الحَبّة لواحدة الحبوب إِذا هى أَصل الشئ ومادَّته وقوامه. الخامس: الحفظ والإِمساك ومنه حُبّ الماءِ للوعاءِ الَّذى يُحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثُّبوت أَيضاً.

ولا ريب أَنَّ هذه الخمسة من لوازم المحبّة، فإِنَّها صفاءُ المودّة وهَيَجان إِرادة القلب وعلوّها وظهورها منه لتعلُّقها بالمحبوب المراد وثبوت إِرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوم لا تفارق، ولإِعطاءِ المحبّ محبوبه لبّه وأَشرف ما عنده وهو قلبه، ولاجتماع عَزَماته وإِرادته وهُمومه على محبوبه. فاجتمعت فيها المعانى الخمسةُ. ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للشَّئ غاية المناسبة: الحاء الَّتى من أَقصى الحَلق والباء للشفة الَّتى هى نهايته، فللحاءِ الابتداء وللباء الانتهاء، وهذا شَأْن المحبّة وتعلُّقها بالمحبوب، فإِنَّ ابتداءَها منه وانتهاءَها إِليه.

ويقال فى فعله: حبَبت فلاناً بمعنى أَصبت حَبَّة قلبه، نحو شَغَفته وكَبَدته وفأَدته، وأَحببت فلاناً جعلت قلبى مُعَرَّضاً لأَن يُحِبّه.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/٢٥٨

لكن وضع فى التعارف محبوب موضعَ مُحَبّ واستعمل حبَبت أيضاً فى معنى أَحببت، ولم يقولوا مُحَبّ إلاَّ قليلاً قال:
*ولقد نزلتِ فلا تظنى غيره * منى بمنزلة الْمُحَبّ المكرم*
وأَعطَوْا الحُبّ حركة الضمّ الَّتى هى أَشدّ الحركات وأَقواها، مطابَقة لشِدّة حركة مسمَّاة وقوّتها، وأَعطَوُا الحِبّ وهو المحبوب حركة الكسر لخفَّتها عن الضمَّة، وذلك لخفَّة ذكر المحبوب على قلوبهم وأَلسنتهم مع إِعطائه حكم نظائره كنِهْد وذِبْح للمنهود والمذبوح وحِمْل للمحمول، فتأَمّل هذا اللُّطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين **اللَّفظ والمعنى** يُطلعْك على قَدْر هذه اللغة الشريفة وإِنَّ لها لشأْنا ليس كسائر اللغات.." (١)

"وأَمّا الرّهبة فهى الإِمعان فى الهرب من المكروه، وهى ضدّ الرَّغبة الَّتى هى سَفَر القلب فى طلب المرغوب فيه. وبين الرّهب والهَرَب تناسب فى **اللفظ والمعنى** يجمعهما الاشتقاق الأَوسط الَّذى هو عَقْد تقاليب الكلمة على معنى جامع.
وأَمّا الوَجَلُ فَرَجَفَانُ القلب وانصداعُه لذكْر مَنْ يُخَافُ سلطانُه وعقوبته أَو لرؤيته.
وأَمّا الهيبةُ فخوفٌ مقارِنٌ للتعظيم والإِجلال. وأَكثر ما يكون مع المحبة والإِجلال.
فالخوف لعامّة المؤمنين، والخشية للعلماءِ العارفين، والهيبةُ للمحبّين، والوَجَل للمقرَّبين. وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخشية، كما قال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم "إِنى لأَعلمكم بالله وأَشدّكم له خشية" وقال: "لو تعلمون ما أَعلم لضحكتم قليلاً ولَبَكَيْتُم كثيراً، ولَمَا تلذَّذتم بالنِّساءِ على الفُرُش، ولخرجتم إِلى الصّعدات تجأَرون إِلى الله تعالى" فصاحب الخوف يلتجئ إِلى الهَرَب والإِمساك، وصاحب الخشية إِلى الاعتصام بالعلم، ومَثَلهما كَمَثل مَن لا علم له بالطِّب ومثل الطَّبيب الحاذق. فالأَوّل يلتجئ إِلى الحِمْية والهرب، والطَّبيب يلتجئ إِلى معرفته بالأَدْوية والأَدواءِ. وكلّ واحد إِذا خفته هَرَبت منه، إِلا الله، فإِنك إِذا خفته هربت إِليه. فالخائف هاربٌ من ربّه إِلى ربه.
(بصيرة فى الخصوص والخصف والخصم)
الخصوص: التفرّد ببعض الشئ ممّا لا يشاركه فيه الجملةُ، وذلك خلاف العموم. خصّه بالشَّئ خَصًّا وخُصوصاً وخُصوصِيَّة وخِصِّيصَى وخِصِّيصاءَ وخَصِيَّةً وتَخِصَّة: فضَّله به وميّزه. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ أَى بل تعمّكم.." (٢)
"(بصيرة فى كيس وكيف وكيل)

الكَيْس: خلاف الحُمْق لأَنَّه مجتمَع الرأْى والعقل. ومنه الحديث: "كلُّ شىء بقَدَر حتَّى العجز والكَيْس". أَو الكيس [ضدُّ] العجز. ورجل كَيّس ظريف.
والكأْس - بالهمز وتركه -: الإِناء الذى يُشرب فيه قال: الله تعالى ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ﴾. والكأْس مؤنَّثة قال عمرو بن كلثوم.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/٦٣٣
(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/٧٢٥

*من لم يمت عَبْطة يمت هَرَمًا * للموت كأْس والمرءُ ذائقها*

والجمع أكؤُسٌ وكُؤوس وكاسات وكِئَاس، قال الأَخطل يصف نديمهُ:

*خضِل الكِئاس إذا تنشَّى لم تكن * خُلْفا مواعده كبرق الخُلَّب*

كيف: اسم مبهم غير متمكِّن، وإنما حُرّك آخره لالتقاءِ الساكنين، وبنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء. وهو للاستفهام عن الأَحوال.

وقد يقع بمعنى التعجُّب والتوبيخ. قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾.

ويكون حالا لا سؤال معه، كقولك: لأَكرمنَّك كيف أَنت، أَى على أَىّ حال كنت.

ويكون بمعنى النفى؛ كقول أَبى كاهل اليَشْكُرِىّ:

*كيف ترجُون سِقاطى بعدما * جَلَّل الرأْسَ مَشِيبٌ وصلعْ*

وقيل: كيف يستعمل على وجهين:

أَحدهما: أَن يكون شرطا فيقتضى فعلين متفقى اللفظ والمعنى غير مجزومين؛ نحو كيف تصنعُ أَصنع: ولا يجوز كيف تجلس أَذهبُ باتِّفاق

والثانى: - وهو الغالب - أَن يكون استفهاما، إمَّا حقيقيًّا؛ نحو كيف زيدٌ، أَو غير حقيقىّ نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ فإِنه أُخرج مُخْرَج التَّعجب.

وعن سيبويه أَنَّ (كيف) ظرف؛. وعن السيرافىّ والأَخفش أَنها اسم غير ظرف. ورتَّبوا على هذا الخلاف أُموراً.

أَحدها: أَن موضعها عند سيبويه نصب دائما، وعندهما رفع مع المبتدأ، نصب مع غيره.

الثانى: أَن تقديرها عند سيبويه: فى أَىّ حال، أَو على أَىّ حال؛

وعندهما، تقديرها فى نحو كيف زيد: أَصحيح ونحوه، وفى نحو كيف جاءَ زيد: راكبا جاءَ زيد ونحوه.

الثالث: أَن الجواب المطابق عند سيبويه: على خير ونحوه، وعندهما صحيح أَو سقيم، ونحوه.

وقال ابن مالك ما معناه: لم يقل أَحد إن كيف ظرف، إذ ليست زماناً ولا مكانا، ولكنها لَمَّا كانت تفسَّر بقولك على أَىّ حال سؤالا عن الأَحوال العامة سميت ظرفا لأَنها فى تأْويل الجارّ والمجرور، واسم الظرف يطلق عليهما مجازا.

ومن زعم أَنها تأْتى عاطفة محتجًّا بقول القائل:

*إذا قلَّ مال المرءِ لانَت قناتُه * وهان على الأَدنَى فكيف الأَباعدِ*." (١)

"(بصيرة فى نهى ونوب)

نَهَاهُ يَنْهاه نَهْياً: ضدّ أَمَرَه، فانْتَهَى وتَناهَى، وهو نَهُوٌّ عن المُنْكَرِ أَمُورٌ بالمَعْروف. والنُّهْيَة بالضمّ الاسمُ منه، والنُّهْيَة أَيضاً والنّهايَةُ والنِّهاءِ مكسورتين: غايةُ الشيء. وانْتَهى الشيءُ وتَناهَى، ونَهَّى تَنْهِيَةً بَلَغ نِهايَتَه.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/١٣٥١

والنَّهْيُ عن الشيءِ من حيثُ المَعْنَى قد يكون بالقَوْل، وقد يكون بغيره، وما كان بالقول لا فَرْق بين أَن يكون بلَفْظة افْعَلْ كاجْتَنِبْ، أَو بلفظِة لا تَفْعَلْ، ومن حيث اللفظُ هو قولهم: لا تَفْعَلْ كذا، فَنَهْىٌ من حيثُ **اللفظُ والمعنى** جميعاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ﴾. وأَمَّا قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ فلم يُرِدْ أَن يقولَ لنفسه لا تَفْعَل كذا، بل أَراد ظَلْفَها عن هواها وقَمْعَها عن مُشْتَهاها. وكذا النَّهْيُ عن المُنْكر يكون تارةً باليد وتارة باللِّسان وتارة بالقَلْب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، أَى يحثُ على فعْل الخير ويَزْجُر عن فعل الشرّ، وذلك بعضُه بالعَقْل الذى ركَّبه فينا، وبعضُه بالشرع الذى شَرَعه لنا.

والانْتِهاءُ. الانْزِجارُ عن ما نُهِى عنه – قال الله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

والإِنْهاءُ فى الأَصل إِبلاغُ النَّهْى، ثم صار مُتعارفاً فى كلّ إِبْلاغ. قالوا: أَنْهَيْتُ إِلى فلان خَبَرَ كذا، أَى [بَلَّغت إِليه] النهاية.." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٤٩

المسألة الثانية : فى كيفية الإنزال والوحى : اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام اللّه منزل ، واختلفوا فى معنى الإنزال.

فمنهم من قال : إظهار القراءة.

ومنهم من قال : إن اللّه تعالى ألهم كلامه جبريل ، وهو فى السماء ، وهو عال المكان ، وعلمه قراءته ، ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان.

وفى التنزيل طريقان.

أحدهما : أن النبى ، صلّى اللّه عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل.

والثانى : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه.

وقيل : لعل نزول القرآن على النبى ، صلّى اللّه عليه وسلم ، أن يتلقفه الملك من اللّه تعالى تلقفا روحانيا ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه.

و الإنزال : لغة بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من العلو إلى أسفل ، وكلاهما يتحققان فى الكلام ، فهو مستعمل فيه فى معنى مجازى.

فمن قال : القرآن معنى قائم بذات اللّه تعالى ، فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ، ويثبتها فى اللوح المحفوظ.

ومن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزاله مجرد إثباته فى اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين.

ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من اللّه تلقفا روحانيا ، أو يحفظها من اللوح المحفوظ ، وينزل بها فيلقيها عليهم.

وفى المنزل على النبى ، صلّى اللّه عليه وسلم ، ثلاثة أقوال :

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/١٥١٨

أعرفها : أنه **اللفظ والمعنى**. وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

(م ٤ – الموسوعة القرآنية – ج ٢)." [١]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٥٧

و أما الصراط المستقيم ، فلأنه طريق إلى الجنة قويم لا عوج فيه.

وأما الثانى ، فلأنه فيه بيان قصص الأمم الماضية ، فهو ثان لما تقدمه ، وقيل : لتكرار القصص والمواعظ فيه ، وقيل : لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة **باللفظ والمعنى** ، لقوله : إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى .

وأما المتشابه ، فلأنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق.

وأما الروح ، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس.

وأما المجيد ، فلشرفه.

وأما العزيز ، فلأنه يعزّ على من يروم معارضته.

وأما البلاغ ، فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه ، أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره.." [٢]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ١٧٠

لو لا : على أوجه :

أحدها : أن تكون حرف امتناع لوجود ، فتدخل على الجملة الاسمية ، ويكون جوابها فعلا مقرونا باللام ، إن كان مثبتا ، ومجردا منها ، إن كان منفيّا.

وإن وليها ضمير فحقه أن يكون ضمير رفع.

الثانى : أن تكون بمعنى : هلا ، فهى للتخصيص والعرض فى المضارع أو ما فى تأويله ، وللتوبيخ والتنديم فى المضارع.

الثالث : أن تكون للاستفهام.

الرابع : أن تكون للنفى.

لو ما : بمنزلة (لو لا) ، ولم ترد إلا للتحضيض.

ليت : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ومعناه التمنى ، وقيل : إنها تفيد تأكيده.

ليس : فعل جامد ، ومن ثم ادعى قوم حرفيته ، ومعناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة.

وقيل : هى لنفى الحال وغيره.

و قيل : وترد للنفى العام المستغرق ، المراد به الجنس ، ك «لا» التبرئة ، وهو مما يفعل عنها.

ما : اسمية ، وحرفية.

فالاسمية ، ترد :

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٤٤٦

(٢) الموسوعة القرآنية، ص/٤٥٤

موصولة بمعنى : الذى ، ويستوى فيها المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، والغالب استعمالها فيما لا يعلم ، وقد تستعمل فى العالم ، ويجوز فى ضميرها مراعاة **اللفظ والمعنى** ، بخلاف الباقى.

واستفهامية بمعنى : أى شىء ، ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته ، وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم ، ولا يسأل بها عن أعيان أولى العلم ، خلافا لمن أجازه.

ويجب حذف ألفها إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، فرقا بينها وبين الموصولة.." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٣٢٤

و قيل : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف ، بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة ، وعلة مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى **اللفظ والمعنى.**

و قيل : الصحيح والذى عليه الجمهور والحذّاق فى وجه إعجازه ، أنه بنظمه وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه ، وذلك أن اللّه أحاط بكل شىء علما ، وأحاط بالكلام كله ، فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول. ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان فى قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك. والصحيح أنه لم يكن فى قدرة أحد قط ، ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا ، ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرّا ، وكتاب اللّه تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ، ونحن يتبين لنا البراعة فى أكثر ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة ، وقامت الحجة على العالم بالعرب إذا كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسحرة ، وفى معجزة عيسى بالأطباء ، فإن اللّه إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون فى زمن النبى الذى أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى فى مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب فى زمن عيسى ، والفصاحة فى زمن محمد صلّى اللّه عليه وسلم.

وقيل : وجه الإعجاز فى القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها فى جميعه استمرارا لا يوجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر ، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميع أنحائها فى العالى منه إلا فى الشىء اليسير المعدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة فى جميعه ، بل توجد فى تفاريق وأجزاء منه.

و قيل : الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان ، وهو كما اختاره جماعة فى تعريفه : ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى وعن تعقيده ،." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٥٦٧

(٢) الموسوعة القرآنية، ص/٧٢١

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٣٢٥

و يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليس مفردات ألفاظه ، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ولا مجرد تأليفها ، وإلا لكان كل تأليف معجزا ، ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزا ، ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا. والأسلوب : الطريق ، ولكان هذيان مسيلمة معجزا ، ولأن الإعجاز يوجد دونه ، أى الأسلوب فى نحو : فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ، فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ، ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعرى وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ، ويضحك منه فى أحوال تركيبه ، وبها ، أى بتلك الأحوال ، أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء ، فعلى إعجازه دليل إجمالى ، وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ، ودليل تفصيلى مقدمته التفكر فى خواصّ تركيبه ، ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علما.

وقيل : إن إعجاز القرآن ذكر من وجهين :

أحدهما إعجاز متعلق بنفسه.

والثانى بصرف الناس عن معارضته.

فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه.

أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو **اللفظ والمعنى** ، فإن ألفاظه ألفاظهم ، قال تعالى : قُرْآناً عَرَبِيًّا ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة ، قال تعالى : وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ.

وما هو فى القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب.

فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن ، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ، ويكون الإخبار بالغيب إخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره ، مؤدىّ بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة ، فإذن النظم المخصوص صورة القرآن ، **واللفظ والمعنى** عنصره ، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره ، كالخاتم والقرط والسوار ، فإنه باختلاف صورها." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٣٦٥

١٠ وجوه من البلاغة

البلاغة على عشرة أقسام :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان.

فأما الإيجاز فإنما يحسن مع ترك الإخلال **باللفظ والمعنى** ، فيأتى باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة ، وذلك ينقسم إلى : حذف ، وقصر.

فالحذف : الإسقاط للتخفيف كقوله : وإسال القرية.

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٧٢٢

وحذف الجواب كقوله : وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى كأنه قيل ، لكان هذا القرآن.

والحذف أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب كل مذهب فى القصد من الجواب.

والإيجاز بالقصد كقوله : وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ.

والإطناب فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عيّ.

وأما التشبيه بالعقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسد الآخر فى حسن أو عقل كقوله : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ومن ذلك باب الاستعارة ، وهو بيان التشبيه ، لقوله تعالى :

وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً.

و أما التلاؤم ، فهو تعديل الحروف فى التأليف وهو نقيض التنافر.

والتلاؤم على ضربين :." [1]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٣ ، ص : ١٩١

المخففة ، و(السين) ، و(سوف) على التهدد ، (نعم) ، و(بئس) ، و(كيلا).

وغالبهن كاف ، ما لم يتقدمهن قول أو قسم.

و قيل : «أن» المفتوحة المخفضة فى خمسة لا غير : وَأَنْ تَصُومُوا البقرة : ١٨٤ ، وَأَنْ تَعْفُوا البقرة : ٢٣٧ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا البقرة : ٢٨٠ ، وَأَنْ تَصْبِرُوا النساء : ٢٥ ، وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ النور : ٦٠.

٣ - والحسن : هو الذى يحسن الوقوف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى **اللفظ والمعنى** ، نحو : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الحمد : ٢ ، والرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمد : ٣ ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : رَبِّ الْعالَمِينَ ، والرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، ومالِكِ يَوْمِ الدِّينِ لا يحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح ، لأنه تابع.

٤ - والقبيح : هو الذى لا يفهم منه المراد ، نحو (الحمد) فلا يوقف عليه ، ولا على الموصوف دون الصفة ، ولا على البدل دون المبدل منه ، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف ، ولا على المجرور دون الجار ، ولا على النفى دون جرف الإيجاب.

وقيل : إن تعلقت الآية بما قبلها متعلقا لفظيّا كان الوقف كافيا ، نحو :

اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِراطَ الَّذِينَ ... الفاتحة ٦ ، ٧ ، وإن كان معنويّا فالوقف على ما قبلها حسن كاف ، نحو : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الفاتحة : ٢ ، وإن لم يكن لا لفظيّا ولا معنويّا فتام ، كقوله تعالى : وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ البقرة ٢٧٤ ، وبعده الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا البقرة : ٢٧٥.

(٩٤) الوقف على : الذى ، الذين :

جميع ما فى القرآن الكريم من (الذين) ، و(الذى) يجوز فيه الوصل بما قبله." [2]

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٧٦٢

(٢) الموسوعة القرآنية، ص/١١٣٦

"الموسوعة القرآنية ، ج ٤ ، ص : ١٤٥

و قد قيل : إن من نصب «بينكم» جعله مرفوعا فى المعنى ب «تقطع» ، لكنه لما جرى فى أكثر الكلام منصوبا تركه على حاله وهو مذهب الأخفش ، فالقراءتان على هذا بمعنى واحد.

٩٦ - فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «و الشّمس والقمر» : انتصب على العطف على موضع «الليل» ، لأنه فى موضع نصب.

وقيل : بل على تقدير : «و جعل».

فأما من قرأ «و جعل الشمس» ، فهو عطف على **اللفظ والمعنى**.

«حسبانا» : قال الأخفش : معناه : «بحسبان» ، فلما حذف الحرف نصب.

وقيل : إن «حسبانا» : مصدر : حسب الشيء حسبانا والحساب ، هو الاسم.

٩٨ - وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ «فمستقرّ ومستودع» : رفع بالابتداء ، والخبر محذوف أي : فمنكم مستقر ومنكم مستودع.

ومن فتح القاف ، كان تقديره : فلكم مستقر أي : مستقر فى الرحم ومستودع فى الأرض.

وقيل : المستودع : ما كان فى الصلب.

وقيل : «مستقر» ، معناه : فى القبر.

وعلى قراءة من كسر القاف ، فممكن هذه المعاني.

٩٩ - وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «و جنّات من أعناب» : من نصب «جنات» عطفها على «نبات» ، وقد روى الرفع عن عاصم ، على معنى : ولهم جنات ، على الابتداء ولا يجوز عطفه على «قنوان» ، لأن «الجنات» لا تكون من النخل.." [1]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٥ ، ص : ٣٠٩

ثم اقضوا :

قرىء :

ثم أفضوا ، بالفاء وقطع الألف ، من : أفضى بكذا : انتهى إليه ، وهى قراءة السرى بن ينعم.

٧٤ - (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) نطبع :

١ - بالنون ، وهى قراءة الجمهور.

وقرىء :

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/١٤٦٢

٢ – بالياء ، وهى قراءة العباس بن الفضل.

٧٦ – (فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) لسحر :

و قرىء :

لساحر ، وهى قراءة مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش.

٧٨ – (قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ) وتكون :

١ – بالتاء ، لمجاز تأنيث «الكبرياء» ، وهى قراءة ابن مسعود ، والحسن – فيما زعم خارجة – وأبى عمرو ، وعاصم ، بخلاف عنهما.

وقرىء :

٢ – بالياء ، لمراعاة **اللفظ والمعنى** ، وهى قراءة الجمهور.

٧٩ – (وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ) ساحر :

قرىء :

سحار ، وهى قراءة ابن مصرف ، وابن وثاب ، وعيسى ، وحمزة ، والكسائي.." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٨ ، ص : ٢٨٦

الشين

(شبه) : الشبه والشبه والشبيه حقيقتها فى المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعدالة والظلم ، والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى ، قال : وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً أي يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة ، وقيل متماثلا فى الكمال والجودة ، وقرىء قوله : مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ وقرىء : مُتَشابِهاً جميعا ومعناهما متقاربان. وقال : إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا على لفظ الماضي فجعل لفظه مذكرا وتشابه أي تتشابه علينا على الإدغام ، وقوله : تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ أي فى الغي والجهالة ، قال : وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى ، فقال : الفقهاء المتشابه مالا ينبىء ظاهره عن مراده ، وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه. فالمتشابه فى الجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومتشابه من جهة المعنى فقط ، ومتشابه من جهتهما ، والمتشابه من جهة اللفظ ضربان :

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ، وذلك إما من جهة غرابته نحو الأب ويزفون ، وإما من جهة مشاركة فى اللفظ كاليد والعين. والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب ، وذلك ثلاثة أضرب ، ضرب لاختصار الكلام نحو : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ وضرب لبسط الكلام نحو : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٢١٢٧

و ضرب لنظم الكلام نحو : أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً تقديره الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وقوله : وَلَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ إلى قوله : لَوْ تَزَيَّلُوا. والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحسه أو لم يكن من جنس ما نحسه. والمتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعا خمسة أضرب ، الأول : من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو : فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ والثاني : من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو : فَانْكِحُوا." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٨ ، ص : ٥٧٤

(نهج) : النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وأنهج وضح ومنهج الطريق ومنهاجه ، قال تعالى : لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ومنه قولهم : نهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى ، وقد أنهجه البلى.

(نهر) : النهر مجرى الماء الفائض وجمعه أنهار ، قال تعالى : وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً - وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلًا وجعل الله تعالى ذلك مثلا لما يدر من فيضه وفضله فى الجنة على الناس ، قال : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ - وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً - جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ والنهر السعة تشبيها بنهر الماء ، ومنه أنهرت الدم أي أسلته إسالة ، وأنهر الماء جرى ، ونهر نهر كثير الماء ، قال أبو ذؤيب :

أقامت به فابتنت خيمة على قصب وفرات نهر

و النهار الوقت الذي ينتشر فيه الضوء ، وهو فى الشرع ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس ، وفى الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها ، وقال تعالى : وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً وقال : أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً وقابل به البيات فى قوله : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ورجل نهر صاحب نهار ، والنهار فرخ الحبارى ، والمنهرة فضاء بين البيوت كالموضع الذي تلقى فيه الكناسة ، والنهر والانتهار الزجر بمغالظة ، يقال نهره وانتهره ، قال تعالى : فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما - وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ.

(نهى) : النهى الزجر عن الشيء ، قال تعالى : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره ، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة افعل نحو اجتنب كذا ، أو بلفظة لا تفعل ، ومن حيث اللفظ هو قولهم : لا تفعل كذا ، فإذا قيل لا تفعل كذا فنهى من حيث **اللفظ والمعنى** جميعا نحو قوله تعالى : وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ ولهذا قال :

ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ وقوله : وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فإن لم يعن أن يقول لنفسه لا تفعل كذا ، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت إليه وهمت به ، وكذا المنهي عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب ، قال تعالى : أَتَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وقوله : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ - إلى قوله - وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ أي يحث على فعل." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٣٣٩٣

(٢) الموسوعة القرآنية، ص/٣٦٧٣

"الموسوعة القرآنية ، ج ٩ ، ص : ٧٣

فَأَزَلَّهُمَا من الزلة ، وهى الخطيئة ، أي استنزلهما وأوقعهما فيها.

وقرأ حمزة (فأزالهما) أي نحاهما ، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية.

فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ من رغد.

وَ قُلْنَا اهْبِطُوا الهبوط : النزول من فوق الى أسفل.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بعضكم ، مبتدأ. وعدو ، خبره ، والجملة فى موضع نصب على الحال ، والتقدير : وهذا حالكم ، وحذفت الواو من بَعْضُكُمْ لأن فى الكلام عائدا. والعدو خلاف الصديق ، وهو من عدا ، إذا ظلم. وقال عَدُوٌّ ولم يقل : أعداء ، لأن بعضا وكلا يخبر عنهما بالواحد على **اللفظ والمعنى**.

وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ابتداء وخبر ، أي موضع استقرار.

وَ مَتاعٌ المتاع : ما يستمتع به من أكل ولبس وحياة.

إِلى حِينٍ ، أي الى أجل ، والحين : الوقت البعيد ، والمدة.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

٣٧ - فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ :

فَتَلَقَّى أي فهم وفطن. وقيل : قبل وأخذ.

كَلِماتٍ أي أدعية واستغفار واستغاثة.

فَتابَ عَلَيْهِ أي قبل توبته ، أو وفقه للتوبة.

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وصف نفسه تعالى بأنه التواب ، يعنى كثرة قبوله توبة عباده ، لكثرة من يتوب عليهم.

٣٨ - قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ :

قُلْنَا اهْبِطُوا كرر الأمر على جهة التغليظ و تأكيده. وقيل :." [(١)]

"تفسير الوقف الحسن باب ذكر تفسير الوقف الحسن

واعلم أن الوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة **اللفظ والمعنى** جميعاً، وذلك نحو قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ و﴿الرحمن الرحيم﴾ الوقف على ذلك وشبهه حسن، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله: ﴿رب العالمين﴾ و: ﴿الرحمن الرحيم﴾ و: ﴿مالك يوم الدين﴾ لا يحسن، لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح [لأنه] تابع لما قبله. ويسمى هذا الضرب صالحاً إذ لا يتمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام، ولا كاف، لأن نفسه ينقطع دون ذلك. ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي، لأنهن في أنفسهن مقاطع. وأكثر ما يوجد التام فيهن

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٣٧٩٤

لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص، وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض، لما ذكرناه من كونهن مقاطع، ولسن بمشبهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهاياتهن.

(٩) حدثنا فارس بن أحمد المقرئ قال: حدثنا جعفر بن محمد الدقاق قال: حدثنا عمر بن يوسف قال: حدثنا الحسين بن شريك قال: حدثنا أبو حمدون قال: حدثنا اليزيدي عن أبي عمرو أنه كان يسكت عند رأس كل آية، وكان يقول: إنه أحب إلي أنه إذا كان [رأس] آية أن يسكت عندها.

وقد وردت السنة أيضاً بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند استعمال التقطيع، كما حدثنا خلف بن إبراهيم بن محمد المقرئ قال: حدثنا أحمد بن محمد المكي قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا أبو عبيد قال: وحدثني يحي بن." (١)

"١- العلم بالنحو : حتى لا يفصل -بالوقف - بين المبتدأ وخبره أو بين المتضايفين - أى المضاف والمضاف إليه - أو بين المستثنى والمستثنى منه اللهم إلا إذا كان هذا الاستثناء منقطعاً ، فإن العلماء قد اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

أ- قال بعضهم: يجوز الفصل مطلقاً ، لأنه فى معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه.

ب- وقيل: هو ممتنع مطلقاً لأن المستثنى فى حاجة إلى المستثنى منه - فى هذه الحالة - من جهة **اللفظ والمعنى** حيث لم يعهد استعمال إلا الاستثنائية وما فى معناها إلا متصلة بما قبلها لفظاً ، ومعنى كذلك لأن ما قبلها مشعر بتمام الكلام فى المعنى ، إذ قولك: ما فى الدار أحد هو الذى صحح: إلا الحمار. فلو قلت: إلا الحمار وحده لكان خطأ.

ج- وقيل: الأمر يحتاج إلى تفصيل ، فإن صرح بالخبر جاز لاستقلال الجملة واستغنائها عما قبلها ، وإن لم يصرح به - أى الخبر - فلا يجوز لافتقارها. (١)

وبالجملة ، فإن معرفته بعلم النحو تجعله لا يقف على العامل دون المعمول ، ولا على المعمول دون العامل ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على المتبوع دون تابعه ، ولا على الحكاية دون المحكى ، ولا على القسم دون المقسم به ، أو غير ذلك مما لا يتم به المعنى. يضاف إلى ذلك أن الوقف قد يكون تاماً على إعراب غير تام على إعراب آخر ، فظهر بذلك ضرورة العلم بالنحو لمن يقوم بتحديد مواضع الوقف والابتداء.

٢- العلم بالقراءات: لأن الوقف قد يكون تاماً على قراءة ، غير تام على قراءة أخرى.

٣- العلم بالتفسير: لأن الوقف قد يكون تاماً على تفسير معين ، غير تام على تفسير آخر.

٤- العلم بالقصص: حتى لا يقطع قبل تمام قصة.

٥- العلم باللغة: التى نزل عليها القرآن.

هذه الشروط اشترطها ابن مجاهد ، ونقلها عنه السيوطى موجزة. (٢) واشترط غير ابن مجاهد العلم بالفقه كذلك.

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني، ص/١١

(١) الإتقان – ١/٩٠.

(٢) الإتقان – ١/٨٨، ٨٩.." [١]

"قال أبو عمرو وكذلك رسموا كل ما كان على وزن فَعال وفِعال بفتح الفاء وبكسرها وعلى وزن فاعِل نحو " ظالم ، وكتاب، وشاهد، ومارد، وشارب، وطارد " وعلى وزن فعَّال نحو " خوان، وختار، صبار، وكفار " وعلى وزن فُعلان نحو " بنيان، وطغيان، وكفران، وقربان، وخسران، وعدوان " وفِعلان نحو " صنوان، وقنوان، وكذلك الميعاد، والميزان، والميقات، وميراث " وكذلك م أشبهه مما ألفه زائدة للبناء وكذلك إن كانت منقلبة من ياء أو من واو حيث وقع.

وحدثنا فارس بن احمد قال حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا عمر بن يوسف قال حدثنا الحسين بن شيرك قال حدثنا أبو حمدون قال حدثنا اليزيدي قال كُتِبَتْ " تترا " بالألف وكذلك رأيتها انا من نون أو على لفظ التفخيم وكذلك وجدت فيها "كلتا الجنتين " في الكهف بالألف وذلك على إن الألف للتثنية أو على مراد إن كانت للتأنيث وروى محمد ابن يحي القطعي عن سليمان بن داود عن بشر بن عمر عن هارون عن عاصم الجحدري قال في الإمام " ولا اوضعوا " في التوبة و " أولا اذبحنه " في النمل بألف وقال نصير اختلفت المصاحف في الذي في التوبة واتفقت على الذي في النمل وُحدثتُ عن قاسم بن اصبغ قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال كتبوا في المصحف " ولا اوضعوا " و " أولا اذبحنه " بزيادة ألف وبالله التوفيق.

باب ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل

اعلم إن الياء التي هي لام الفعل والزائدة التي للإضافة أثبتت في الرسم في كل المصاحف في أربعين موضعا فأول ذلك في البقرة " واخشوني ولأُتمُ " و " فانّ الله يأتى بالشمس " وفي آل عمران " فاتّبعوني يحببكم الله " وفي الانعام " لئن لم يهدني " و " اتحاجوني في الله " و " يومَ باتي بعض ءايات ربك " و " قل انني هداني ربي " وفي الاعراف " يوم يأتى تأويله " و " إن تراني " و " فسوف تراني " و " استضعفوني وكادوا يقتلونني " و " فهو المهتدي من " وفي هود " فكيدوني جميعاً " وفي يوسف " ما نبغي هذه " و " انا ومم اتبعني " وفي إبراهيم " فمن تبعني " وفي الحجر " قال أبشّر تموني " و " سعباً من المثاني " وفي النحل " يوم تأتى كل نفس وفي سبحان " وقل لعبادي " وفي الكهف " فان اتبعتني فلا تسئلني " وفي مريم " فاتبعتني أهدك " وفي طه " إن اسر بعبادي " و " فاتبعوني " وفي النور " الزانية والزاني " و " أَمنا يعبدونني " وفي القصص " إن يهدبني سواء السبيل " وفي يس " واَن اعبدوني " وفي ص " اولي الأيدى والابصار " وفي الزمر " افمن يتّقي " و " لو انا الله هداني " وفي الدخان " فأسر بعبادي " وفي الرحمن " فيؤخد بالنوصي " وفي الصف " لِمَ تؤذونني " و " برسول يأتى " وفي المنافقون " لولا اخرتني " وفي الفجر " فادخلي جنتي " .

قال أبو عمرو فهذا جميع ما وجدته من هذا الباب مرسوما في الخط وثابتا في التلاوة بإجماع من القراءة مما يشاكل في **اللفظ والمعنى** مما حذفت منه الياء مما قد تقدم ذكرنا له وبالله التوفيق.

---

(١) المعنى القرآنى فى ضوء اختلاف القراءات، ص/٩٤

فصل

وكل ياء سقطت من اللفظ لساكن لقيها في كلمة أخرى فهي ثابتة في الرسم نحو قوله " يؤتي الحكمة " و " وما تغنى الأيات والنذر " في يونس وفي يوسف " اَني أُوفي الكيل " وفي الرعد:انا نأتي الارض " وفي مريم " اِلاّ ءاتي الرحمن " و " بهادي العمي " وفي النمل و " لا نبتغي الجهلين " في القصص " ايدي الناس " إن الله لا يهدي القوم " و " يلقي الروح " وما كان مثله حاشي خمسة عشر موضعا من ذلك فان المصاحف اتفقت على حذف الياء فيها وقد تقدم ذكرها في جملة الياءات المحذوفات فاغنى ذلك عن إعادتها هاهنا وبالله التوفيق.." [(١)]

"٥٧- الآلوسي : روح المعاني(مرجع سابق): ج٢٤/ ص ٧٠ ، ٧١ . وانظر : عبد العزيز ، سمير: الإيضاح والتبيين (مرجع سابق) ص ١١٠ .

٥٨- سورة المعارج : الآيات : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

٥٩- انظر : الجمل، سليمان بن عمر(ت ١٢٠٤هـ) : الفتوحات الالهية (حاشية الجمل على الجلالين) دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ج٤ / ص ٤٠٦ .

٦٠- سورة غافر : الآيتان : ٤١ ، ٤٢ .

٦١- انظر : الآلوسي : روح المعاني (مرجع سابق) : ج٢٤ / ص ٧١ .

٦٢- سورة الفاتحة : الآيتان : ٦، ٧ .

٦٣- سورة الشورى : الآيتان ، ٥٢، ٥٣ .

٦٤- انظر : عبد العزيز ، سمير : الإيضاح والتبيين (مرجع سلبق) ص ١١١.

٦٥- سورة الواقعة : الآيات : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

٦٦- انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ص ٩٥.

٦٧- سورة البقرة : آية / ٢٤٥ .

٦٨- الطباق : - هو الجمع بين الشيئ وضده في جزء من أجزاء الرسالة أ الخطبة أو البيت من بيوت القصيد انظر : العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : الصناعتين، الكتابة والشعر ، ط١، الآستانة ، ١٣١٩هـ. ص٢٣٨ ، والزركشي : البرهان (مرجع سابق) ج٣/ ص٥١٢ .

٦٩- المقابلة : إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في **المعنى واللفظ** على جهة الموافقة أو المخالفة . انظر العسكري ، أبو هلال : الصناعتين (مرجع سابق) : ص ٢٦٤ . والزركشي : البرهان (مرجع سابق) ، ج٣/ ص٥١٥.

٧٠- سورة التوبة: آية / ٨٢ .

٧١- سورة آل عمران : آية / ٢٦ .

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص/١٤

٧٢- سورة يس : الآيتان : ١٥، ١٦ .

٧٣- انظر : عبد العزيز ، سمير : الإيضاح والتبيين (مرجع سابق) ، ص ١١٣ .

٧٤- سورة القيامة : الآيتان : ٣١، ٣٢ .

٧٥- انظر : الزركشي : البرهان (مرجع سابق) ، ج٣/ ص ٥١٥ - ٥١٦.

٧٦- سورة الأ نفال : آية / ١ .

٧٧- سورة الأنفال : آية / ٤.

٧٨- سورة الأنفال : آية / ٤." (١)

"يوصله إلى مَن أراد أن يصل إليه الكتاب من غير تدخل من الأمين في الكتاب.

أما الأحاديث القدسية ، ففيها وحي المعنى.. والتعبير عنها بألفاظ يختارها الرسول ، وينسبها إلى الله الذي أوحى بها.

أما الحديث النبوي ، فالوحي فيه بالمعنى ، واللفظ من عند النبي ، وهو منسوب في الجملة إلى مَن أوحى به ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

وقول بعض العلماء : إن له -صلى الله عليه وسلم- أحاديث توفيقية ، فإن أرادوا توفيقه إلى اختيار اللفظ المناسب للمعنى فمسلم ، وإن أرادوا قبولها للخطأ فمردود ومردود؛ لأن الفعل كالنكرة ، وقد وقع في سياق النفي ، فنعم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.. ثم أكد ذلك بصيغة الحصر فقال : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾.. وبين تجدده له وعدم انقطاعه عنه بقوله : ﴿يُوحَى﴾ ، ثم أوضح دور المَلَك وهو التعليم فقط فقال : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾.

ودعوى أن جبريل كان يوحي **بالمعنى واللفظ** من عند النبي ، وذلك في القرآن دعوى باطلة. وما نظن أن أحدًا من المسلمين أراد بها أن يخلط بين القرآن وغيره؛ وإنما أراد تفسيرًا لمعنى النزول لغة ، ويقول للذين جعلوا كلام الله فقط للصفة القائمة به : إن إنزال ذلك ممتنع.. وللذين يجعلون الكلام شاملًا للفظ والمعنى يقول لهم : الإنزال للجواهر ، والألفاظ والمعاني من الأعراض.

ولست أدرى لماذا لم يكن إنزال جبريل بالقرآن كما يلقن أحدنا شخصًا آخر ألفاظًا لها مدلولها ومعانيها ، وتبليغ ذلك لشخص ثالث.

وللوحي كيفيات؛ منها وهي أشده عليه : أن يأتيه مثل صلصلة

٣٨ | ٣٩٦." (٢)

"والذي أختاره هو ما ذهب إليه الراغب في مفرداته؛ حيث قال : الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه .. فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب : متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومن جهة المعنى فقط ، ومن جهة **اللفظ والمعنى** معًا.. فالمتشابه في اللفظ ضربان :

---

(١) المناسبات، ص/٤٢

(٢) الأصلان في علوم القرآن، ص/٣٩

أحدهما : يرجع إلى الألفاظ المفردة ، إما من جهة الغرابة نحو : أبًّا ، أو الاشتراك : كاليد ، تطلق على الكف وعلى الذراع وتمتد إلى المنكب.

وثانيهما : يرجع إلى الكلام المركب ، وذلك ثلاثة أضرب : ضرب لاختصار الكلام نحو : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ مختصر عن قوله : "غفرت خطاياه وبدلت سيئاته حسنات" ، وضرب لبسطه؛ نحو : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.. لأنه لو قيل : ليس مثله شيء ، كان أظهر للسامع..

وضرب ثالث لنظم الكلام؛ نحو : ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا﴾ وتقديره : أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا.

أما المتشابه من جهة المعنى؛ فكأوصاف الله سبحانه ، والأمور الغيبية ، فإننا لا نتصورها على الحقيقة ما لم نشاهدها؛ إذ العقل لا يتصور الشيء إلا بعد أن تنقله الحواس له ، وإلا كان التصور خيالًا.

وأما المتشابه من جهة **اللفظ والمعنى** فخمسة أقسام :

١- ما كان التشابه فيه من جهة الكم كالعموم؛ نحو : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾.

٢- ما كان التشابه من جهة الكيفية؛ كالوجوب ، والندب ، والإباحة؛ نحو : ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

٥٣ | ٣٩٦." [1]

"وجوه الإعجاز :

زعم قوم أن المتحدى به هو الكلام الأزلي القديم ، وهذا قول سخيف ، فما لا يدرك كنهه كيف يتحدى به؟..

ومَن له أدنى تعقل يدرك أن الإعجاز للقرآن ، والقرآن كلام الله ، يشمل **اللفظ والمعنى** ، وهو بلسان عربي مبين..

وزعم النظام أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن وهو في إمكانهم ، وروى أنهم سُلبوا القدرة على المعارضة ، كذا قال النظام.

ولو كان كما زعم لم يكن الإعجاز للقرآن؛ بل هو لله.. وقد قال سبحانه : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ ولو كان الاجتماع مع سلب قدرة المجتمعين لم تكن للدعوة إليه فائدة.. وهذا باطل..

وزعم قوم أنهم كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن ، والذي عجزوا عنه هو ترتيب ما يأتون به ، وهذا في غاية السخف ، فمن يقدر على الاختراع لا يعجز عن الترتيب..

وزعم حسالة من الناس أن الأولين وإن عجزوا لا يستلزم ذلك عجز المتأخرين المتعلمين..

ونقول لهم : ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾..

وقد عد فريق من الناس من بين وجوه إعجاز القرآن : إخباره عن حوادث وقعت في الماضي ، أو ستقع في المستقبل وقد

---

(١) الأصلان في علوم القرآن، ص/٥٤

وقعت بالفعل ، وإخباره عن بعض ما في الصدور ، واعتراف أصحابها بذلك..

١٧٥ | ٣٩٦." (١)

"ومنها : نظمه العجيب الذي يخالف الكلام المعهود من شعر ونظم ونثر ، وليس له مثال سابق ، وسلامته من العيوب ، وفصاحة ألفاظه ، وصحة معانيه ، واستمرار ذلك في كل آياته..

ومما يمتاز به القرآن : الرباط القائم بين **اللفظ والمعنى**؛ من حيث : اللفظ ومدلوله لغة ، وجرس اللفظ ، ومعناه..

ففي الإكراه على الشيء يستخدم ألفاظًا تدل على النفرة : ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾..

وهكذا يستعمل في كل معنى ما يناسبه من الألفاظ : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾..

وعلى حسب علمنا يظهر الإعجاز في موضع ، ويدق إدراكه في آخر..

ومن وجوه إعجازه : تأثيره في القلوب والأسماع ، وعدم الملل من تلاوته مهما ترددت تلاوته ، وإيجاز لفظه ، وكثرة ما تضمنه من العلوم والمعاني والمعارف..

وأقل ما يقع به الإعجاز مقدار أصغر سورة منه ، وكلام الله في غيره من الكتب السماوية لا يعد معجزًا إلا من حيث ما تضمنه... وما حكاه الله عن البشر.. ترجمة لمعنى ما قالوا ، وليس بنقل لألفاظهم..

والحق أن وجوه الإعجاز في القرآن تُوصف ولا تحدد ، فمن حيث نظر الناظر إليه رأى وجوهًا من الإعجاز واضحة فيما يتوقع النظر إليه وفيه :

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نورًا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا

١٧٦ | ٣٩٦." (٢)

"وتحققت قبل عصور التدوين ، وتهيب به أن يجوب في الأرض ليستنطق آثارها ، ويستقرئ أخبارها..

والمحدِّث يرى فيه أصول الخبر المقبول والمردود والمتوقف فيه من نحو قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقوله : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ وقوله : ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾..

وعالم القراءات يرى فيه كيفية الأداء ، والوقف والابتداء ، ومخارج الحروف ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ وقال : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾..

والنحوي يستنبط منه قواعد الإعراب وتطبيقها..

والبلاغي يرى فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال أفصح الألفاظ ، وأبلغ العبارات..

---

(١) الأصلان في علوم القرآن، ص/١٧٦

(٢) الأصلان في علوم القرآن، ص/١٧٧

واللغوي يرى فيه الارتباط الوثيق بين **اللفظ والمعنى** جامعًا بين الجزالة والعذوبة..

والصوفي يلمح منه الإشارة إلى مقامات السالكين ومنازل المتوجهين؛ من نحو قوله : ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ وقوله : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ وقوله : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾..

والداعية إلى الحق يرى فيه كيفية عرض الدعوة ، مستخدمًا أعظم وسائل الإقناع تأثيرًا ، وذلك واضح فيما استخدمه من ضرب الأمثال والقسم وطرق الجدل المؤسسة على المنطق الفطري بلا تكلف أو تلاعب بالألفاظ ، مما يضيع الحقيقة تحت الغبار المتناثر من عناد وجمود المتحاورين ، والقصص القرآني خير شاهد على ذلك..

١٧٨ | ٣٩٦." [(١)]

"وللقرب : ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

وإذا وردت خبرًا أفردت.. وإن وردت استفهامًا جمعت ، ومعناها أخبرتم : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

قيل : كل "عسى" في القرآن واجبة الوقوع.

ولها جانبان : ما يتعلق بالله ، وسبيله القطع ، وما يتعلق بالعباد ، وسبيله الظن.

من أجل ذلك هي من الله للقطع ، ومن العباد للرجاء حتى لا يفارقهم الخوف.

وهل "عسى" فعل ماضٍ في **اللفظ والمعنى** ، أو هي ماضٍ في اللفظ ، مستقبل في المعنى؟ وقيل : بكل.

- "عند" :

ظرف مكان ، تستعمل في الحضور والقرب حسيين : ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ ، ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾.. أو معنويين : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

ويساويها في الحضور والقرب "لدى" و"لدن"؛ قال تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وتختص "لدن" بأنها لا تقع إلا في ابتداء الغاية ، ولا تكون فضلة يُستغنى عنها ، ولم تقع في القرآن إلا مجرورة بـ"من".

و"لدن" أخص من "عند" وأبلغ؛ لأنها تدل على ابتداء نهاية الفعل.

وتختص "عند" بأنها تكون ظرفًا للأعيان والمعاني ، وتستعمل للحاضر والغائب.

٢٧٤ | ٣٩٦." [(٢)]

"(٩٧) وفي حديثه قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله قال الشيخ رحمه الله يحتمل موضع لا حول الجر بدلا من كنز والنصب على تقدير أعني والرفع على تقدير هو ما إعراب هو مني مسيرة شهر

(٩٨) وفي حديثه ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو مني مسيرة شهر

قال الشيخ رحمه الله مسيرة بالرفع على أنه مبتدأ ومني خبره والتقدير بيني وبينه مسيرة شهر ويجوز نصبه ومثله قول العرب

---

(١) الأصلان في علوم القرآن، ص/١٧٩

(٢) الأصلان في علوم القرآن، ص/٢٧٥

هو مني فرسخان ويحتمل النصب على تقدير هو مني على مسيرة شهر فلما حذف حرف الجر نصب

ما الإشكال في حديث السؤال عن الحوض وما جوابه

(٩٩) وفي حديث أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وذكر الحديث (أ) الإشكال فيه أنه سأل بما عن الآنية فأجابه بالعدد وحقيقة السؤال ب ما أن يتعرف بها حقيقة الشيء لا عدده وفيه جوابان أحدهما أن يكون تقديره ما عدد آنية الحوض فحذف المضاف وجاء الجواب على ذلك وأن عددها غير محصور بل أكثر من نجوم السماء والجواب الثاني أن يكون الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لم يعلم الآنية من أي شيء هي فعدل عن سؤاله إلى بيان كثرتها وفي ذلك تفخيم لأمرها وتنبيه على تعظيم شأنها ومثل ذلك قوله تعالى (وما رب العالمين) فقال (رب السموات والأرض) فعدل عن حقيقة جواب السؤال إلى ما هو معلوم يحصل به الغرض

نصب آخر على الظرفية

(ب) وفي آخر هذا الحديث آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه قوله آخر ما عليه منصوب على الظرف والتقدير لم يظمأ أبداً وقد جاء في حديث آخر بهذا **اللفظ والمعنى** لم يظمأ ذلك الشارب إلى آخر مدة بقائه ومعلوم أنه يبقى أبدا فيكون معناه لم يظمأ أبدا

توجيه قوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ واحدة أو دع." (١)

"الثاني : أن تضيف القراءة معنى جديدا لا يتعارض مع المعنى الأول ولا يناقضه فكلا المعنيين صحيح ، وذلك كما في قوله تعالى ٹ ٹ ڑ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟ ژ البقرة: ٢٥٩ قرئ (ننشزها ، و (ننشرها) لأن المراد في القراءتين العظام فقوله تعالى (ننشرها) بمعنى نحييها ، وقوله تعالى(ننشزها) أي نضم بعضها إلي بعض حتى تلتئم ، " ولا تناقض بين المعنيين لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض ثم يحييها للجزاء " (١) .

الثالث : اختلافهما في **اللفظ والمعنى** مع امتناع جواز اجتماعهما في شئ واحد ، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

ومثاله قوله تعالى ژ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ژ يوسف: ١١٠ قرئ بالتشديد والتخفيف في "كُذِّبوا "، و"كذَبوا" فالتشديد :يعني: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذّبوهم ، و التخفيف يعني : وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذَبوهم – أي كذبوا عليهم – فيما أخبروهم به ، فلا تعارض بين المعنيين . (٢)

ومن هنا فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين قراءتين متواترتين لأن كلاهما وحي من الله تعالى وكلام الله عز وجل منزه عن التناقض والاضطراب .

١. الاختلاف في القول بالنسخ

---

(١) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، ص/٢٥

فقد يقول بعض المفسرين بالنسخ لمجرد التعارض ، ولو أمعنوا النظر وأعملوا الفكر لما وجدوا تعارضا بين النصوص يدعو إلى القول بالنسخ ، فإعمال النص خير من إهماله .

ولقد توسع المتقدمون في النسخ حتى أدخلوا فيه ما ليس منه فاعتبروا التخصيص والبيان والتقييد من قبيل النسخ .

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٥،ويراجع القراءات أحكامها ومصادرها للشيخ الدكتور شعبان محمد إسماعيل ص ١٣١ .

(٢) يراجع لطائف الإشارات للقسطلاني ١ / ٣٧ ، ٣٨." [1]

"١- الوقف التام: هو وقف لا يتعلق بما بعده لفظاً (النواحي الإعرابية) ولا معنى (الترابط في الموضوع الواحد) كانتهاء الكلام على قصة واستأنف الكلام بموضوع أو قصة جديدة.

ومثاله: في سورة النازعات انتهى الكلام عند قوله تعالى: ﴿فإذا هُمْ بِالسَّاهِرَة﴾ لفظاً ومعنى، ثم استأنف الحديث في قصة موسوسى مع فرعون بقوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾.

٢- الوقف الكافي: هو وقف لاكتفاء الكلام بالمعنى (الترابط في الموضوع الواحد) دون اللفظ (النواحي الإعرابية) بالكلام الذي بعده.

ومثاله: في سورة فصلت قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ فعند الوقوف على كلمة (ربهم) فإن المعنى قد تم دون اللفظ، وأما بقية الآية القرآنية ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾.فصلت ٥٤

٣- الوقف الحسن: هو وقف حسن في الكلام لفظاً (النواحي الإعرابية) دون المعنى (الترابط في الموضوع الواحد).

ومثاله: كالوقف في سورة الفاتحة على قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فعند الوقوف هنا فقد تم الكلام لفظاً (النواحي الإعرابية: فقد أتى المبتدأ والخبر وتم الكلام لفظاً) ولم يتم المعنى.

٤- الوقف الجائز: جواز الوقف أو عدمه ويعرف مثل هذا النوع في المصحف الشريف بوضع إشارة (صلى) عليه.

ومثاله: كالوقف في سورة الفجر على قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾وجواز تتمة بقية الآية ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ الفجر ٢١.

٥- الوقف القبيح: وقف مستهجن على الكلام المتعلق بما بعده في **اللفظ والمعنى**، فبالوقوف لم يتم المعنى ولا اللفظ.

ومثاله: كالوقف بداية سورة الإنسان على قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى﴾ فقد أتى الفعل ولم يأت الفاعل من الناحية اللفظية، أما من الناحية المعنوية فلم يتم المعنى دون متابعة الآية ﴿عَلَى الْأِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾.." [2]

"- وقد يقلب الوقف على بعض الكلمات المعنى من خير إلى شر، ومن ذلك وقوفنا في قوله تعالى في سورة الماعون ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ فهنا لم يتم **المعنى واللفظ** والحكم ما لم نتمم السورة

---

(١) اختلاف المفسرين نسخة نهائية، ص/١٩

(٢) الإتقان في تعليم أحكام القرآن الكريم، ص/٣١

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

ويعرف مثل هذا النوع في المصحف الشريف بوضع إشارة (لا) عليه.

ثالثاً: مراتب القراءة الصحيحة:

-١ التحقيق لغة: هو المبالغة في الإتيان بالشيء على حقيقته من غير زيادة فيه ولا نقص عنه، فهو بلوغ حقيقة الشيء والوقوف على كنهه، والوصول إلى نهاية شأنه.

التحقيق اصطلاحا: إعطاء الحروف حقها من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات وتوفية الغنات وتفكيك الحروف وهو بيانها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والتؤدة، والوقف على الجائزة والإتيان بالإظهار والإدغام على وجهه.

-٢ الحدر لغة: مصدر من حَدَرَ يُحدر إذا أسرع، أو هو من الحدر الذي هو الهبوط، لأن الإسراع من لازمه.

الحدر اصطلاحا: إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد، ومخارج وصفات.

-٣ التدوير: فهو عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر

-٤ الترتيل لغة: مصدر من رتل فلان كلامه، إذا أتبع بعضه بعضا على مكث وتفهم من غير عجله.

الترتيل اصطلاحا: هو قراءة القرآن بتمهل وتؤدة واطمئنان وإعطاء كل حرف حقه من المخارج والصفات والمدود.

رابعاً: السكتات في القرآن الكريم:

السكت هو قطع الصوت عند القراءة بدون تنفس مقدار حركتين، ويجب السكت في أربعة مواضع في القرآن الكريم على قراءة حفص.

١= في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ ثم نسكت دون تنفس بمقدار حركتين ونتابع ﴿قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا ... ﴾ الكهف: ١-٢.

٢= في سورة يس قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ثم نسكت دون تنفس بمقدار حركتين ونتابع ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ ... ﴾ يس: ٥٢.." (١)

"وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه.

وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: الإنزال لغة بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي فمن قال القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال: القرآن هو الألفاظ فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى الثاني والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحيا أو يحفظها

---

(١) الإتقان في تعليم أحكام القرآن الكريم، ص/٣٢

من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم. انتهى.

وقال غيره: في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه **اللفظ والمعنى** وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾." [١]

"وأما المثاني،فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية فهو ثان لما تقدمه. وقيل: لتكرر القصص والمواعظ فيه وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة **باللفظ والمعنى** كقوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ حكاه الرماني في عجائبه.

وأما المتشابه، فلأنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق.

وأما الروح، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس.

وأما المجيد، فلشرفه.

وأما العزيز، فلأنه يعز على من يروم معارضته.

وأما البلاغ، فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره.

قال السلفي في بعض أجزائه: سمعت أبا الكرم النحوي يقول: سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: سمعت أبا الحسن الرماني وسئل: كل كتاب له ترجمة فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾ .

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ أنه القرآن.

فائدة

حكى المظفري في تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلا فكرهوه وقال بعضهم: سموه سفرا فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به.." [٢]

"حال إرسالهما. ما يفضي إليه حال فرعون لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع. ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض.

وقال ابن الدهان: عسى فعل ماضي **اللفظ والمعنى** لأنه طمع قد حصل في شيء مستقبل.

وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع.

تنبيه

وردت في القرآن على وجهين:

أحدهما: رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماض ناقص عامل عمل كان

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ١/١٥٧

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ١/١٨٤

فالمرفوع اسمها وما بعده الخبر. وقيل: متعد بمنزلة قارب معنى وعملا أو قاصر بمنزلة قرب من أن يفعل وحذف الجار توسعا وهو رأي سيبويه والمبرد. وقيل قاصر بمنزلة قرب وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها.

الثاني: أن يقع بعدها أن والفعل فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة.

وقال ابن مالك: عندي أنها ناقصة أبدا وأن وصلتها سدت مسد الجزأين كما في: ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾." (١)

"﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ فإنه نفي للمستقبل.

قال ابن مالك: وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ .

ما

اسمية وحرفية:

فالاسمية ترد موصولة بمعنى الذي نحو: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع والغالب استعمالها فيما لا يعلم وقد تستعمل في العالم نحو: ﴿والسماء وما بناها﴾ ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي الله ويجوز في ضميرها مراعاة **اللفظ والمعنى** واجتمعا في قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾ وهذه معرفة بخلاف الباقي.

واستفهامية بمعنى أي شيء ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم نحو: ﴿ما هي﴾ ﴿ما لونها﴾ ﴿ما ولاهم﴾ ﴿وما تلك بيمينك﴾ ﴿وما الرحمن﴾." (٢)

"اجتمعا في قوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ إلى أن قال: ﴿منها أربعة حرم﴾ فأعاد منها بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة ثم قال: ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ فأعاده جمعا على " أربعة حرم " وهي للقلة.

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرا لطيفا وهو أن المميز مع جمع الكثرة هو ما زاد على العشرة لما كان واحدا وحد الضمير ومع القلة وهو العشرة فما دونها لما كان جمعا جمع الضمير.

قاعدة:

إذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى** بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن قال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول﴾ ثم قال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ أفرد أولا باعتبار اللفظ ثم جمع باعتبار المعنى وكذا: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم﴾ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾ .

قال الشيخ علم الدين العراقي ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ فأنث " خالصا " حملا على معنى " ما " ثم راعى اللفظ فذكر

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٢/٢٤٣

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٢/٢٨٧

فقال: ﴿محرم﴾ . انتهى.

قال ابن الحاجب في أماليه: إذا حمل على اللفظ الحمل بعده على." (١)

"وقال القاضي أبو بكر وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته

قال ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن إستدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة وله طريق تسلك فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذي ولا إمام يقتدي به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعضه أدق وأغمض

وقال الإمام فخر الدين وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب

وقال الزملكاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوضع كل فن في مرتبته العليا في **اللفظ والمعنى**.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية." (٢)

"الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزا ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزا ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا والأسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا ولأن الإعجاز يوجد دونه أي الأسلوب في نحو: ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه وبها أي بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علما.

وقال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين:

أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه

والثاني: بصرف الناس عن معارضته فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى** فإن ألفاظه ألفاظهم قال تعالى: ﴿قرآنا عربيا﴾ ﴿بلسان عربي﴾ ولا بمعانيه فإن

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣٤٢/٢

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٩/٤

كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم؛." (١)

"أو بغيره موردا بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو بإشارة فإذن النظم؛ المخصوص صورة القرآن **واللفظ والمعنى** عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتما وإن كان العنصر مختلفا وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحدا

قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الإسم والفعل والحروف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله. الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج،

ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع

والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج." (٢)

" اختلاف **اللفظ والمعنى** مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد

والثالث : اختلاف **اللفظ والمعنى** مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه ونحن نبين ذلك إن شاء الله

فأما اختلاف **اللفظ والمعنى** / واحد فنحو قوله : (السراط) بالسين و ﴿ الصراط ﴾ بالصاد و (الزراط) بالزاي و ﴿ عليهم ﴾ و ﴿ إليهم ﴾ و ﴿ لديهم ﴾ بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها و ﴿ فيه هدى ﴾ و ﴿ عليه كنز ﴾ و ﴿ منه آيات ﴾ و ﴿ عنه ماله ﴾ بصلة الهاء وبغير صلتها و ﴿ يؤده إليك ﴾ و ﴿ نؤته منها ﴾ و ﴿ فألقه إليهم ﴾ بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها و ﴿ أكلها ﴾ و ﴿ في الأكل ﴾ بإسكان الكاف وبضمها و ﴿ إلى ميسرة ﴾ بضم السين وبفتحها و ﴿ يعرشون ﴾ بكسر الراء وبضمها وكذلك ما أشبهه ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٤/١١

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٤/١٢

وأما اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه فنحو قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ بألف و (مالك) بغير ألف لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعا فأخبر تعالى بذلك في القراءتين

وكذا ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ بتخفيف الذال وبتشديدها لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هم المنافقون وذلك أنهم كانوا يكذبون في إخبارهم ويكذبون النبي صلى الله عليه و سلم فيما جاء به من عند الله تعالى فالأمران جميعا مجتمعان لهم فأخبر الله تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما

وكذا قوله تعالى : (كيف ننشرها) بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم فضمن تعالى المعنيين في القراءتين بنبيها على عظيم قدرته

وكذا قوله ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ بكسر الخاء على الأمر وبفتحها على الخبر لأن المراد بالقراءتين جميعا هم المسلمون وذلك أن الله تعالى أمرهم باتخاذهم مقام إبراهيم مصلى فلما امتثلوا ذلك وفعلوه أخبر به عنهم فجاءت القراءة بالأمرين جميعا للدلالة على اجتماعهما لهم فهما صحيحان غير متضادين ولا متنافيين

وكذا قوله : (وما هو على الغيب بظنين) بالظاء و ﴿ بضنين ﴾ بالضاد لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي صلى الله عليه و سلم وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفى عنه الأمران جميعا فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين وكذا ما أشبهه

وأما اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه فكقراءة من قرأ (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم وقراءة من قرأ (قد كذبوا) بالتخفيف لأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول (للرسل والثاني) للمرسل إليهم والظن في القراءة الثانية شك والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل

وكذا قراءة من قرأ (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرش بضائر) بضم التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ فقال له موسى عليه السلام عند ذلك : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر) فأخبر عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك (أي) ليس بمجنون وقراءة من قرأ ﴿ لقد علمت ﴾ بفتح التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ له على شدة معاندته للحق وجحوده له بعد علمه ولذلك أخبر تبارك وتعالى عنه وعن قومه فقال : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾

وكذلك ما ورد من هذا النوع من اختلاف القراءتين التي لا يصح أن يجتمعا في شيء واحد هذا سبيله لأن كل قراءة منهما بمنزل آية قائمة بنفسها لا يصح أن تجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد لتضادهما وتنافيهما ." [1]

" اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد

أحدها : اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد ." [2]

" اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد

والثاني : اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه ." [3]

"أولاً سلمنا أنه حقيقة في الفعل لكنه يكون مشتركاً وعند ذلك إن قيل بأن اللفظ المشترك يمتنع حمله على جميع مدلولاته فليس حمله على التحذير من مخالفة الأمر بمعنى الفعل أولى من القول وإن قيل بحمل اللفظ المشترك على جميع محامله فالتحذير عن مخالفة الأمر يتوقف على كون المحذر منه واجباً لاستحالة التحذير من ترك ما ليس واجباً وعند ذلك فالقول بالتحذير من مخالفة الفعل يستدعي وجوب ذلك الفعل ووجوبه إذا كان لا يعرف إلا من التحذير كان دوراً كيف وإنه قد تقدم في الآية ذكر دعاء الرسول بقوله: " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً " " النور ٦٣ " والمراد بالدعاء إنما هو القول فكان الأمر المذكور بعده عائداً إلى قوله ثم قد أمكن عود الضمير في أمره إلى الله تعالى إذ هو أقرب مذكور حيث قال بعد ذكر الرسول: " قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا " " النور ٦٣ " فكان عوده إليه أولى.

وعن الآية الثالثة بمنع دلالة الأمر على الوجوب وإن سلمنا ذلك ولكن إنما يكون أخذ ما أتانا به واجباً إذا كان ما أتى به واجباً وأما إذا لم يكن واجباً فأخذه لا يكون واجباً فإن القول بوجوب فعل لا يكون واجباً تناقض في **اللفظ والمعنى** وعند ذلك فيتوقف دلالة الآية على الوجوب على كون الفعل المأتي به واجباً ووجوبه إذا توقف على دلالة الآية على وجوبه كان دوراً كيف وإن في الآية ما يدل على أن المراد بوجوب أخذه إنما هو الأمر بمعنى القول حيث إنه قابله بالنهي بقوله " وما نهاكم عنه فانتهوا " " الحشر ٧ " والنهي لا يكون إلا بالقول وكذلك الأمر المقابل له.

وعن الآية الرابعة من وجهين: الأول: إنا نقول المراد بالتأسي به في فعله أن نستخير لأنفسنا ما استخاره لنفسه وأن لا نعترض عليه فيما يفعله أو معنى آخر الأول مسلم ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ما استخاره لنفسه واجباً حتى يكون ما نستخيره نحن لأنفسنا واجباً والثاني ممنوع.

الوجه الثاني: أن المراد بالتأسي به في فعله أن نوقع الفعل على الوجه الذي أوقعه هو عليه السلام حتى أنه لو صلى واجباً وصلينا متنفلين أو بالعكس فإن ذلك لا يكون تأسياً به ولم يثبت كون ما فعله واجباً حتى يكون ما نفعله نحن واجباً.

وعلى هذين الجوابين يخرج الجواب عن الآية الخامسة وعن الآية السادسة أن المراد من الطاعة إنما هو امتثال أمره ومتابعته في فعله على الوجه الذي فعله إن كان واجباً فواجباً وإن كان ندباً فندباً ونحن نقول به ولم يثبت أن ما فعله واجب حتى

---

(١) الأحرف السبعة للداني، ص/٤٧

(٢) الأحرف السبعة للداني، ص/٤٧

(٣) الأحرف السبعة للداني، ص/٤٧

تكون متابعتنا له فيه واجبة.

وعن الآية السابعة إن غايتها الدلالة على أن حكم أمته مساو لحكمه في الوجوب والندب والإباحة ولا يلزم من ذلك أن يكون كل ما فعله واجباً ليكون فعلنا له واجباً.

وعن الخبر الأول من السنة من وجهين: الأول أن ذلك لا يدل على أنهم فعلوا ذلك بجهة الوجوب بل لعلهم رأوا متابعته في خلع النعل مبالغة في موافقته والذي يدل على أن الخلع بطريق المتابعة له لم يكن واجباً إنكاره عليهم ذلك وقوله لم خلعتم نعالكم ولو كانت متابعته في فعله واجبة على الإطلاق لما أنكر ذلك الوجه الثاني أنه وإن ظنوا وجوب المتابعة لكن لا من الفعل بل لقيام دليل أوجب عليهم ذلك وبيانه من وجهين الأول أنه عليه السلام كان قد قال لهم: " صلوا كما رأيتموني أصلي " ففهموا أن صلاته بيان لصلاتهم فلما رأوه قد خلع نعله تابعوه فيه لظنهم أن ذلك من هيئات الصلاة الثاني أنهم كانوا مأمورين بأخذ زينتهم عند كل مسجد بقوله تعالى: " خذوا زينتكم عند كل مسجد " " الأعراف ٣١ " فلما رأوه قد خلع نعله ظنوا وجوبه وأنه لا يترك الأمر المسنون المأمور إلا لواجب ونحن لا ننكر وجوب المتابعة عند قيام الدليل.

وعن الخبر الثاني أن فهمهم لوجوب متابعته في أفعال الحج إنما كان مستنداً إلى قوله عليه السلام " خذوا عني مناسككم " لا إلى فعله.

وعن الخبر الثالث أن الوصال للنبي عليه السلام لم يكن واجباً عليه بل غايته أنه كان مباحاً له ووجوب المتابعة فيما أصله غير واجب ممتنع كما سبق بل ظنهم إنما كان مشاركته في إباحة الوصال ونحن نقول به وهذا هو الجواب عن الخبر الرابع.

وعن الخبر الخامس أنه لا دلالة له على وجوب بل الشعر في حقه عليه السلام ولا حق غيره." (١)

"فإن قيل: ما المانع أن يكون حقيقة فيهما باعتبار اشتراكهما في الجنسية على وجه لا يكون مشتركاً ولا مجازاً في أحدهما والذي يدل على كونه حقيقة في البعض المستبقي أن اللفظ كان متناولاً له حقيقة قبل التخصيص فخروج غيره عن عموم اللفظ لا يكون مؤثراً فيه سلمنا أنه ليس حقيقة في الجنس المشترك ولكن ما المانع من كون اللفظ بمطلقه حقيقة في الاستغراق ومع القرينة يكون حقيقة في البعض سلمنا امتناع بقائه حقيقة فيه ولكن متى إذا كان دليل التخصيص لفظياً متصلاً أو منفصلاً الأول ممنوع والثاني مسلم وذلك لأنه إذا كان الدليل المخصص لفظياً متصلاً وسواء كان شرطاً أو تقييداً بصفة أو استثناء فإن الكلام يصير بسبب الزيادة المتصلة به كلاماً آخر مستقلاً موضوعاً للبعض فإنه إذا قال من دخل داري أكرمته كان له معنى فإذا زاد شرطاً أو صفة أو استثناء كقوله من دخل داري وأكرمني أكرمته ومن دخل داري عالماً أكرمته أو من دخل داري أكرمته إلا بني تميم تغير ذلك المعنى الأول وصار معنى الشرط الداخل المكرم ومعنى الصفة الداخل العالم ومعنى الاستثناء الداخل ممن ليس من بني تميم فكان **اللفظ والمعنى** مختلفاً وكل واحد من اللفظين حقيقة في معناه وصار هذا بمنزلة قول القائل: مسلم فإنه له معنى فإذا زاد فيه الألف واللام فقال: المسلم أو زاد فيه الواو والنون فقال: مسلمون فإن اللفظ بإلحاق الزيادة فيه صار دالاً على معنى زائد بجهة الحقيقة لا بجهة التجوز فكذلك فيما نحن فيه.

وعلى هذا نقول: إن قوله تعالى: " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً " " العنكبوت ١٤ " إن مجموع هذا القول دل

---

(١) الإحكام في أصول القرآن، ص/٦٨

على المستبقي بجهة الحقيقة وهو قائم مقام قوله: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً.

هذا كله فيما إذا كان الاستثناء والمستثنى في كلام متكلم واحد وأما لو قال الله تعالى: " اقتلوا المشركين " " التوبة ٥ " فقال الرسول عقيبه: إلا زيداً فهذا مما اختلف فيه أنه كالمتصل الذي لا يجعل لفظ المشركين مجازاً أم لا فمن قال بكونه متصلاً نظر إلى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون في تشريع الأحكام يغير الوحي فكان في البيان كما لو كان ذلك بكلام الله تعالى ومنهم من أجراه مجرى الدليل المنفصل دون المتصل ولهذا فإنه لو قال الباري تعالى: زيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قام " لا يكون خبراً صادراً من الله تعالى لأن نظم الكلام إنما يكون من متكلم واحد ولعل هذا هو الأظهر.

سلمنا أنه يكون مجازاً في جميع الصور إلا في الشرط وذلك لأنه إذا قال أكرم بني تميم إن دخلوا داري فإن الشرط لم يخرج شيئاً مما تناوله اللفظ من أعيان الأشخاص بل هو باق بحاله وإنما أخرج حالاً من الأحوال وهي حالة عدم دخول الدار بخلاف الاستثناء وغيره فلا يكون مجازاً.

سلمنا التجوز مطلقاً لكن متى إذا كان المستبقي جمعاً غير منحصر أو إذا لم يكن؟ الأول ممنوع والثاني مسلم.

والجواب عن السؤال الأول أن البعض وإن كان من جنس الكل إلا أن اللفظ العام حقيقة في استغراق الجنس من حيث هو كذلك لا في الجنس مطلقاً ولهذا تعذر حمله على البعض وإن كان من الجنس إلا بقرينة باتفاق القائلين بالعموم ومعنى الاستغراق غير متحقق في المستبقى فلا يكون حقيقة فيه.

قولهم إن اللفظ كان متناولاً له حقيقة قبل التخصيص قلنا بانفراده أو مع المخصص الخارج؟ الأول ممنوع والثاني مسلم وعلى هذا فلا يلزم مع التخصيص أن يبقى حقيقة فيه كيف ويلزم عليه الواحد فإن اللفظ كان متناولاً له حقيقة قبل التخصيص وبعد التخصيص فهو مجاز فيه بالاتفاق.

وعن السؤال الثاني جوابان: الأول أن ذلك مما يرفع جميع المجازات عن الكلام فإنه ما من مجاز إلا ويمكن أن يقال أنه مع القرينة حقيقة في مدلوله وبدون القرينة حقيقة في غيره.

الثاني: أنه لو كان كما ذكروه لكان استعمال ذلك اللفظ في الاستغراق مع اقترانه بالقرينة المخصصة له بالبعض استعمالاً له في غير الحقيقة وصارفاً له عن الحقيقة وهو خلاف إجماع القائلين بالعموم.." (١)

"أحدهما أن يكون مفعولاً فيه ظرفاً والآخر أن يكون وصفاً فإن جعلته ظرفاً احتمل أن يكون ظرفاً ل أصاب واحتمل أن يكون ل مصيبة ولا ذكر فيه على شئ من هذين التأويلين كما أن قولك بزيد، من مررت بزيد كذلك يؤكد ذلك ويحسنه دخول لا في قوله ولا في أنفسكم فصار ذلك مثل ما ضربت من رجل ولا امرأة والضرب الآخر أن يكون صفة للنكرة، ويكون متعلقاً بمحذوف وفيه ذكر يعود إلى الموصوف وقوله ولا في أنفسكم صفة معطوفة على صفة، لأنه صفة منفى، فيكون كالبدل في قوله

في ليلة لا ترى بها أحداً ... يحكى علينا إلا كواكبها

(١) الإحكام في أصول القرآن، ص/١٩٩

من الضمير في يحكى لما جرى على المنفى وزيادة الحروف في التنزيل كثير، فأقرب من ذلك إلى ما نحن فيه قوله " فبما رحمة من الله " وقوله " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم " وقوله تعالى " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم " وكقوله " عما قليل ليصبحن " أي عن قليل وكقوله " جند ما هنالك " أي جند هنالك وقيل في قوله تعالى "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون " ما صلة وكذلك قوله " إنه لحق مثل ما أنكم " أي مثل أنكم وقيل في قوله " في أي صورة ما شاء " فكقوله فهي ترثى بأبي وابنيما وكقولهم أفعله آثرا ما فهذه حروف جاءت للتأكيد عند سيبويه وعند قوم، هو اسم ولا خلاف في زيادتها فمن قال هو اسم، قال قد جاء من الأسماء مثله مزيداً، كقولهم كان زيد هو العاقل قال الله تعالى " إن كان هذا هو الحق " فهو فصل وقال " تجدوه عند الله هو خيراً " وقال " إنك أنت العزيز الحكيم " وقال " إن ترن أنا أقل منك " وسأعد لك الفصل فيما بعد والصحيح قول سيبويه، إذ لا معنى لها سوى التوكيد، ولا تكاد الأسماء تزاد فأما هو فإنما جئ به ليفصل الخبر عن الوصف، فهو لمعنى فثبت أن ما حرف زيدت كزيادة من في النفي، وزيادة الباء في ألقى بيده وساعده لك وزيادة أن وإن في قوله تعالى " فلما أن جاء البشير " وقوله

فما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

وأما قوله تعالى " ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه " فإن الكسائي يقول إن " إْن " زائدة، والتقدير في الذي مكناكم فيه والفراء يقول في الذي تمكنكم فيه وإياه اختار أبو علي، وزعم أنه من جهة **المعنى واللفظ** أقرب فأما المعنى، فلأن قوله " فيما إن مكناكم فيه " في المعنى في قوله " مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم " وكما أن لم نفى بلا إشكال، وكذلك إن، ويبين ذلك قوله " أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها " فهذا كله يدل على أن تمكين من تقدمهم يزيد على تمكينهم، فهذا بمنزلة ما لم نمكن لكم وأما اللفظ فلأن ما موصولة، وأن يزاد بعد ما الموصولة وإنما يزاد بعد النفي في نحو ما إن طبنا جبن والذي جاء من ذلك في الشعر فيما أنشده سيبويه وأبو زيد من قوله

ورج الفتى للخير ما إن رأيته

إنما هو لتشبيه اللفظ فثبت بهذا كله وتحقق أن من تكلم في الجوهر والعرض والجزء الذي يتجزأ أو لا يتجزأ لا يعرف معنى قوله حين لا حين لأن ذاك عقلى وهذا سماعي، وبين ما يكون مبيناً على السماع، وبين ما يكون مبنياً على العقل تفاوت وبون ولولا أني خفت أن تقول بعدي ما لا يحل لك في هذا الكتاب؛ لسقت جميع ما اختلفوا في زيادته في التنزيل في هذا الباب، لكني ذكرتها في مواضع ليكون أحفظ عندك

السادس ما جاء في التنزيل من الأسماء التي سميت بها الأفعال

وهي أبواب ذكرها سيبويه، نحو صه، ومه، ورويد، والنجاء، وإياك، وعليك، وهاك، وهلم كما تراه في الكتاب فهذه كلها أسماء سميت بها الأفعال وقد أبطلنا قول من قال هي قسم رابع، في غير كتاب من كتبنا فمما جاء في التنزيل من ذلك قولهم في الدعاء بعد الفاتحة آمين وفيه لغتان أمين، وآمين، بالقصر والمد؛ وكلاهما اسم ل استجب؛ كما أن صه اسم ل اسكت ومه كذلك وفي آمين ضمير المخاطب وروى عن الأخفش أنه اسم أعجمي، مثل هابيل وقابيل؛ فإن سميت به رجلاً لم

ينصرف قال أبو علي في التذكرة لو قال قائل إنه ليس بأعجمي، لأنه لا يخلو لو كان أعجمياً من أن يكون اسم جنس، أو منقولاً من معرفة، وليس باسم جنس ولا منقولاً من معرفة، فإذا لم يخل من هذين الوجهين في العجمة، وليس واحداً منهما، ثبت أنه ليس بأعجمي، فهو وجه." (١)

"وإنما عاد عليه على لفظ الجمع كما قال " ولا يستطيعون " فحمل على المعنى، والضمير في يجعلون للكفار، والذي في يعملون، يعود إلى ما كما قال " وما يشعرون " فهذا كقوله " ما لا يملك لهم من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون " فالضمير في لا يستطيعون وقال في موضع آخر التقدير ويجعلون لما لا يعلمونه إلهاً فحذف المفعولين ومن ذلك قوله " وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا " يحتمل قوله تلقف أمرين يجوز أن يكون في تلقف ضمير قوله ما في يمينك وأنت على المعنى، لأنه في المعنى عصا ويؤكد ذلك قوله " فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون " وكذلك يكون الضمير في قوله " وألق ما في يمينك تلقف " ويجوز أن تكون تلقف للمخاطب وجعله هو المتلقف، وإن كان المتلقف في الحقيقة العصا لأنه بإلقائه كان، فأسند التلقف إليه، وإن كان للعصا في الحقيقة، كما قال " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " ومما حمل على المعنى قوله " وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما " فالضمير في يتعلمون يعود إلى أحد وقال " لا نفرق بين أحد منهم " ، وبين لا تضاف إلى المفرد، قال في ثلاثة مواضع هذا اللفظ وقال " أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم " فجمع الضمير في يحاجوكم حملا على المعنى وقال " فما منكم من أحد عنه حاجزين " فهذا على الحجازية أحد اسمها، وحاجزين خبر له ولم يبطل الفصل هنا عمل ما لأن الفصل بالظرف كلا فصل وعلى التميمية حاجزين نعت ل أحد على المعنى ومنكم خبره ومن الحمل مرة على اللفظ وأخرى على المعنى قوله " إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً " وقال " وكلهم آتيه " ولم يقل آتوه ولا آتوا الرحمن كما قال " وكل أتوه داخرين " " وكل في فلك يسبحون " وقال "كل شيء هالك إلا وجهه "

التاسع عشر ما جاء في التنزيل من ازدواج الكلام والمطابقة والمشاكلة وغير ذلك

وهو باب واسع مرة يشاكل اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وباللفظ دون المعنى، وبالمعنى دون اللفظ فمما جاء من ذلك قراءة من قرأ وما يخادعون إلا أنفسهم بالألف طابق به قوله " يخادعون الله " وأراد أن يكون اللفظ المثبت هو المعنى ومثله " إنما نحن مستهزئون " " الله يستهزيء بهم " والثاني جزاء الاستهزاء ومثله " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " والثاني جزاء وليس بعدوان ومثله " ومكروا ومكر الله " أي جازاهم وقوله " فيسخرون منهم سخر الله منهم " ومثله " وجزاء سيئة سيئة مثلها " فهذا كله طباق على المعنى وروعى في ما يخادعون طباق **اللفظ والمعنى** ومن ذلك قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " أبدلوا من السين صادا لتوافق الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة ولهذا أبدلها من أبدلها، لتوافق الطاء في الجهر ومثله قوله " أنبئهم " " فانبجست " " وإن يك " أبدلوا من النون ميماً، لأن الميم يوافق الباء في المخرج، وتوافق النون في الغنة فلما لم يستتب إدغام النون في الباء لبعدها منها وأرادوا تقريب الصوت أبدلوها ميماً وهذه الميم مخفاة، غيري مدغمة في الباء بتة، وليست بمظهرة كإظهارها في قولهم شاة زنماء وأنملة لأن إدغامها هناك يتوهم معه أنه من المضاعف

---

(١) إعراب القرآن للزجاج، ص/٣٠

بخلاف قولهم أمحي وأدخل لأن المثال انفعل وليس في الكلام إفعل ومن المشاكلة أيضاً قوله " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها " فنصبوا رهبانية في الاختيار وسعة الكلام، بفعل مضمر، ليطابق الفعل المصدر به الكلام ومثله لو وقع ابتداء اختير فيه الرفع دون النصب، نحو زيد ضربته ومثل الآية " يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم " فجاء والظالمين منصوباً بفعل مضمر، ليطابق يدخل على تقدير يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين ومثله " وكلا ضربنا له الأمثال " فنصبوا كلا بمضمر لأنه قد تقدم " فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً " وقد جاء " والقمر قدرناه " بالرفع والنصب فمن نصب نظر إلى قوله " نسلخ منه النهار " ومن رفع نظر إلى قوله " وآية لهم الأرض " " وآية لهم الليل " فأما قوله تعالى " والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها " فإن الاختيار كان النصب وإن كان الصدر قوله والنجم والشجر، لأن قوله يسجدان فعل وفاعل." (١)

"وأنا النذير بحرة مسودة

تصل الجيوش إليكم أقوادها﴾ أبناؤها متكنفون أباهم

حنقوا الصدور وما هم أولادها

ولا تختص زيادة الباء باللغة الحجازية، بل تزاد في لغة تميم خلافا لمن منع ذلك، وإنما ادعينا أن قوله: ﴿بمؤمنين﴾ في موضع نصب لأن القرآن نزل بلغة الحجاز، لأنه حين حذفت الباء من الخبر ظهر النصب فيه، ولها أحكام كثيرة في باب معقود في النحو. وإنما زيدت الباء في الخبر للتأكيد، ولأجل التأكيد في مبالغة نفي إيمانهم، جاءت الجملة المنفية إسمية مصدرة بهم، وتسلط النفي على إسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الأزمان، إذ لو جاء اللفظ منسحبا على اللفظ المحكي الذي هو: آمنا، لكان: وما آمنوا، فكان يكون نفيا للإيمان الماضي، والمقصود أنهم ليسوا متلبسين بشيء من الإيمان في وقت ما من الأوقات، وهذا أحسن من أن يحمل على تقييد الإيمان المنفي، أي وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر، ولم يرد الله تعالى عليهم قولهم: آمنا، إنما رد عليهم متعلق القول وهو الإيمان، وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب. وهم في قوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ عائد على معنى من، إذ أعاد أولا على اللفظ فأفرد الضمير في يقول، ثم أعاد على المعنى فجمع. وهكذا جاء في القرآن أنه إذا اجتمع **اللفظ والمعنى** بدىء باللفظ ثم أتبع بالحمل على المعنى. قال تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾(التوبة: ٤٩)، ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾(التوبة: ٧٥) الآية، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا﴾(الأحزاب: ٣١). ". (٢)

"عائدين على الضمير في ننسأها. انتهى كلامه. وذهل عن القاعدة النحوية، وهي أن اسم الشرط لا بد في جوابه من عائد عليه. وما في قوله: ﴿ما ننسخ﴾ شرطية، وقوله: أو ﴿ننسها﴾، عائد على الآية، وإن كان المعنى ليس عائدا عليها نفسها من حيث **اللفظ والمعنى**، إنما يعود عليها لفظا لا معنى، فهو نظير قولهم: عندي درهم ونصفه، فهو في الحقيقة على

(١) إعراب القرآن للزجاج، ص/٨٢

(٢) إعراب القرآن لابن سيده، ٣٧/١

إضمار ما الشرطية. التقدير: أو ما ننسأ من آية، ضرورة أن المنسوخ هو غير المنسوء، لكن يبقى قوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾ مفلتا من الجواب، إذ لا رابط فيه منه له، وذلك لا يجوز، فبطل هذا المعنى.

﴿من آية﴾، من: هنا للتبعيض، وآية مفرد وقع موقع الجمع، ونظيره فارس في قولك: هذا أول فارس، التقدير: أول الفوارس. ويتضح بهذا المجرور ما كان معمولا لفعل الشرط، لأنه مخصص له، إذ في اسم الشرط عموم، إذ لو لم يأت بالمجرور لحمل على العموم. لو قلت: من يضرب أضرب، كان عاما في مدلول من. فإذا قلت: من رجل، اختص جنس الرجال بذلك، ولم يدخل فيه النساء، وإن كان مدلول من عاما للنوعين جائز، تقول: ما تضرب زيدا أضرب مثله، التقدير: أي ضرب تضرب زيدا أضرب مثله، وقال الشاعر:

نعب الغراب فقلت بين عاجل

ما شئت إذ ظعنوا لبين فانعب

وهذا فاسد، لأن ما إذا جعلتها للنسخ، عري الجواب من ضمير يعود عليها، ولا بد من ضمير يعود على اسم الشرط. ألا ترى أنك لو قلت: أي ضرب يضرب هندا أضرب أحسن منها، لم يجز لعرو جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط، لأن الضمير في منها عائد على المفعول الذي هو هند، لا على أي ضرب الذي هو اسم الشرط، ولأن المفعول به لا تدخل عليه من الزائدة إلا بشرط أن يتقدمه غير موجب، وأن يكون ما دخلت عليه نكرة، وهذا على الجادة من مشهور مذهب البصريين. والشرط ليس من قبيل غير الموجب، فلا يجوز: إن قام من رجل أقم معه، وفي هذا خلاف ضعيف لبعض البصريين.." (١)

"﴿مما في الأرض﴾، من: تبعيضية، وما: موصولة، ومن: في موضع المفعول، نحو: أكلت من الرغيف، و﴿حلالا﴾: حال من الضمير المستقر في الصلة المنتقل من العامل فيها إليه. وقال مكي بن أبي طالب: حلالا: نعت لمفعول محذوف تقديره شيئا حلالا، قال ابن عطية: وهذا بعيد ولم يبين وجه بعده، وبعده أنه مما حذف الموصوف، وصفته غير خاصة، لأن الحلال يتصف به المأكول وغير المأكول. وإذا كانت الصفة هكذا، لم يجز حذف الموصوف وإقامتها مقامه. وأجاز قوم أن ينتصب ﴿حلالا﴾ على أنه مفعول بكلوا، وبه ابتدأ الزمخشري. ويكون على هذا الوجه من لابتداء الغاية متعلقة بكلوا، أو متعلقة بمحذوف، فيكون حالا، والتقدير: كلوا حلالا مما في الأرض. فلما قدمت الصفة صارت حالا، فتعلقت بمحذوف، كما كانت صفة تتعلق بمحذوف. وقال ابن عطية: مقصد الكلام لا يعطي أن تكون حلالا مفعولا بكلوا، تأمل. انتهى.

﴿طيبا﴾: انتصب صفة لقوله: ﴿حلالا﴾، إما مؤكدة لأن معناه ومعنى حلالا واحد، وهو قول مالك وغيره، وإما مخصصة لأن معناه مغاير لمعنى الحلال وهو المستلذ، وهو قول الشافعي وغيره. ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث. وقيل: انتصب ﴿طيبا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف، أي أكلا طيبا، وهو خلاف الظاهر. وقال ابن عطية: ويصح أن

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ٢٥٨/١

يكون طيبا حالا من الضمير في كلوا تقديره: مستطيبين، وهذا فاسد في **اللفظ والمعنى**. أما اللفظ فلأن طيبا اسم فاعل وليس بمطابق للضمير، لأن الضمير جمع، وطيب مفرد، وليس طيب بمصدر، فيقال: لا يلزم المطابقة.." [1]

"وقال أبو عبيدة: قتال فيه، خفض على الجوار، قال ابن عطية: هذا خطأ. إنتهى. فإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار الذي اصطلح عليه النحاة، فهو كما قال ابن عطية: وجه الخطا فيه هو أن يكون تابعا لما قبله في رفع أو نصب من حيث **اللفظ والمعنى**، فيعدل به عن ذلك الإعراب إلى إعراب الخفض لمجاورته لمخفوض لا يكون له تابعا من حيث المعنى، وهنا لم يتقدم لا مرفوع، ولا منصوب، فيكون: قتال، تابعا له، فيعدل به عن إعرابه إلى الخفض على الجوار، وإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار أنه تابع لمخفوض، فخفضه بكونه جاور مخفوضا أي: صار تابعا له، ولا نعني به المصطلح عليه، جاز ذلك ولم يكن خطأ، وكان موافقا لقول الجمهور، إلا أنه أغمض في العبارة، وألبس في المصطلح.

وقرأ ابن عباس، والربيع، والأعمش: عن قتال فيه، بإظهار: عن، وهكذا هو في مصحف عبد الله.

وقرىء شاذا: قتال فيه، بالرفع، وقرأ عكرمة: قتل فيه قل قتل فيه، بغير ألف فيهما.

ووجه الرفع في قراءة: قتال فيه، أنه على تقدير الهمزة فهو مبتدأ، وسوغ جواز الإبتداء فيه، وهو نكرة، لنية همزة الاستفهام، وهذه الجملة المستفهم عنها هي في موضع البدل من: الشهر الحرام، لأن: سأل، قد أخذ مفعوليه، فلا يكون في موضع المفعول، وإن كانت هي محط السؤال، وزعم بعضهم أنه مرفوع على إضمار اسم فاعل تقديره: أجائز قتال فيه؟ قيل: ونظير هذا، لأن السائلين لم يسألوا عن كينونة القتال في الشهر الحرام، إنما سألوا: أيجوز القتال في الشهر الحرام؟ فهم سألوا عن مشروعيته لا عن كينونته فيه.

". [2]

"﴿فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ هذا جواب الشرط، والفعل الماضي المصحوب: بقد، الواقع جوابا للشرط في الظاهر قد يكون ماضي اللفظ، مستقبل المعنى. كهذا. فهو الجواب حقيقة، وقد يكون ماضي **اللفظ والمعنى**، كقوله تعالى ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾(فاطر: ٤) فتكذيب الرسل واقع فيما مضى من الزمان، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون جواب الشرط، لأن الشرط مستقبل، وما ترتب على المستقبل مستقبل، فالجواب في الحقيقة إنما هو محذوف، ودل هذا عليه، التقدير: وإن يكذبوك فتسل، فقد كذبت رسل من قبلك، فحالك مع قومك كحالهم مع قومهم.

وأيضا ففي تقديره: خيرا كثيرا أي كثير، حذف أي الصفة وإقامة المضاف إليه مقامها، وقد حذف الموصوف به، أي: فاجتمع حذف الموصوف به وحذف الصفة، وهذا كله يحتاج في إثباته إلى دليل.

﴿إن تبدوا الصدقت﴾ وقيل الألف واللام للعهد، فتصرف إلى المفروضة.." [3]

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ٣٥٧/١

(٢) إعراب القرآن لابن سيده، ٤٥٤/١

(٣) إعراب القرآن لابن سيده، ٦٠/٢

"وفي إعراب من خلاف، ذهب الأكثرون إلى أنه بدل بعض من كل، فتكون من موصولة في موضع جر، وبدل بعض من كل لا بد فيه من الضمير، فهو محذوف تقديره، من استطاع إليه سبيلا منهم. وقال الكسائي وغيره: من شرطية، فتكون في موضع رفع بالابتداء. ويلزم حذف الضمير الرابط لهذه الجملة بما قبلها، وحذف جواب الشرط، إذ التقدير من استطاع إليه سبيلا منهم فعليه الحج، أو فعلية ذلك. والوجه الأول أولى لقلة الحذف فيه وكثرته في هذا. ويناسب الشرط مجيء الشرط بعده في قوله: ﴿ومن كفر﴾ وقيل: من موصولة في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم من استطاع إليه سبيلا. وقال بعض البصريين: من موصولة في موضع رفع على أنه فاعل بالمصدر الذي هو حج، فيكون المصدر قد أضيف إلى المفعول ورفع به الفاعل نحو: عجبت من شرب العسل زيد، وهذا القول ضعيف من حيث **اللفظ والمعنى**. أما من حيث اللفظ فإن إضافة المصدر للمفعول ورفع الفاعل به قليل في الكلام، ولا يكاد يحفظ في كلام العرب إلا في الشعر، حتى زعم بعضهم أنه لا يجوز إلا في الشعر. وأما من حيث المعنى فإنه لا يصح، لأنه يكون المعنى: إن الله أوجب على الناس مستطيعهم وغير مستطيعهم أن يحج البيت المستطيع. ومتعلق الوجوب إنما هو المستطيع لا الناس على العموم، والضمير في إليه يعود على البيت، وقيل: على الحج. وإليه متعلق باستطاع، وسبيلا مفعول بقوله استطاع لأنه فعل متعد. قال تعالى: ﴿لا يستطيعون نصركم﴾ وكل موصل إلى شيء، فهو سبيل إليه.

﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العلمين﴾ ومن شرطية وجواب الشرط الجملة المصدرة بالفاء، والرابط لها بجملة الشرط هو العموم الذي في قوله: ﴿عن العالمين﴾ إذ من كفر فهو مندرج تحت هذا العموم.." (١)

"وقيل في هذا الوجه: الخبر محذوف، والتقدير: وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء لكم أو يفتيكم، وحذف لدلالة ما قبله عليه. وعلى هذا التقدير في الكتاب بقوله: يتلى عليكم، أو تكون في موضع الحال من الضمير في يتلى، وفي يتامى بدل من في الكتاب. وقال أبو البقاء في الثانية: تتعلق بما تعلقت به الأولى، لأن معناها يختلف، فالأولى ظرف، والثانية بمعنى الباء أي: بسبب اليتامى، كما تقول: جئتك في يوم الجمعة في أمر زيد. ويجوز أن تتعلق الثانية بالكتاب أي: فيما كتب بحكم اليتامى. ويجوز أن تكون الثانية حالا، فتتعلق بمحذوف. وأما النصب فعلى التقدير: ويبين لكم ما يتلى، لأن بفتيكم معناها يبين فدلت عليها. وأما الجر فمن وجهين: أحدهما: أن تكون الواو للقسم كأنه قال: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم بمعنى التعظيم، قاله الزمخشري: والثاني: أن يكون معطوفا على الضميرالمجرور في فيهن، قاله محمد بن أبي موسى. وقال: أفتاهم الله فيما سألوا عنه، وفي ما لم يسألوا عنه. قال ابن عطية: ويضعف هذا التأويل ما فيه من العطف على الضمير المخفوض بغير إعادة حرف الخفض. قال الزمخشري: ليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن، لاختلاله من حيث **اللفظ والمعنى** انتهى.

والذي ختاره هذا الوجه، وإن كان مشهور مذهب جمهور البصريين أن ذلك لا يجوز إلا في الشعر، لكن قد ذكرت دلائل جواز ذلك في الكلام. وأمعنت في ذكر الدلائل على ذلك في تفسير قوله: ﴿وكفر به﴾ و﴿المسجد الحرام﴾ وليس مختلا

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ١٠٨/٣

من حيث اللفظ، لأنا قد استدللنا علي جواز ذلك، ولا من حيث المعنى كما زعم الزمخشري، بل المعنى عليه ويكون على تقدير حذف أي: يفتيكم في مثلوهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب، من إضافة متلو إلى ضميرهن سائغة، إذ الإضافة تكون لأدنى ملابسة لما كان متلوا فيهن صحت الإضافة إليهما. ومن ذلك قول الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة." (١)

"وأما قول الزمخشري: لاختلاله في **اللفظ والمعنى** فهو قول الزجاج بعينه. قال الزجاج: وهذا بعيد، لأنه بالنسبة إلى اللفظ وإلى المعنى، أما للفظ فإنه يقتضي عطف المظهر على المضمر، وذلك غير جائز. كما لم يجز قوله: ﴿تساءلون به والأرحام﴾ وأما المعنى فإنه تعالى أفتى في تلك المسائل، وتقدير العطف على الضمير يقتضي أنه أفتى فيما يتلى عليكم في الكتاب. ومعلوم أنه ليس المراد ذلك، وإنما المراد أنه تعالى مفتي فيما سألوه من المسائل انتهى كلامه. وقد بينا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف، والرفع على العطف على الله، أو على ضمير يخرجه عن التأسيس. وعلى الجملة تخرج الجملة بأسرها عن التأسيس، وكذلك الجر على القسم. فالنصب بإضمار فعل، والعطف على الضمير يجعله تأسيسا. وإذا أراد الأمرين: التأسيس والتأكيد، كان حمله على التأسيس هو الأولى، ولا يذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس. وتقدم الكلام في تعلق قوله: «في يتامى النساء». وقال الزمخشري: (فإن قلت): بم تعلق قوله: في يتامى النساء؟ (قلت): في الوجه الأول هو صلة يتلى أي: يتلى عليكم في معناهن: ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن. وأما في الوجهين الأخيرين فبدل لا غير انتهى كلامه. ويعني بقوله في الوجه الأول: أن يكون وما يتلى في موضع رفع، فأما ما أجازه في هذا الوجه من أنه يكون صلة يتلى فلا يتصور إلا إن كان في يتامى بدلا من في الكتاب، أو تكون في للسبب، لئلا يتعلق حرف جر بمعنى واحد بفعل واحد، فهو لا يجوز إلا إن كان على طريقة البدل أو بالعطف. وأما ما أجازه في هذا الوجه أيضا من أن في يتامى بدل من فيهن، فالظاهر أنه لا يجوز للفصل بين البدل والمبدل منه بالعطف. ونظير هذا التركيب: زيد يقيم في الدار وعمرو في كسر منها، ففصلت بين في الدار وبين في كسر منها بالعطف، والتركيب المعهود: زيد يقيم في الدار في كسر منها. وعمرو واتفق من وقفنا على كلامه في التفسير على أن." (٢)

"﴿قال الله هذا يوم ينفع الصدقين صدقهم﴾ قرأ الجمهور هذا يوم بالرفع على أن هذا مبتدأ ويوم خبره والجملة محكية بقال وهي في موضع المفعول به، لقال: أي هذا الوقت وقت نفع الصادقين وفيه إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام. وقرأ نافع ﴿هذا يوم﴾ بفتح الميم وخرجه الكوفيون على أنه مبني خبر لهذا وبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهم لا يشترطون كون الفعل مبنيا في بناء الظرف المضاف إلى الجملة، فعلى قولهم تتحد القراءتان في المعنى. وقال البصريون: شرط هذا البناء إذا أضيف الظرف إلى الجملة الفعلية أن يكون مصدرا بفعل مبني، لأنه لا يسري إليه البناء لا من المبني الذي أضيف إليه، والمسألة مقررة في علم النحو فعلى قول البصريين: هو معرب لا مبني وخرج نصبه على وجهين ذكرهما الزمخشري وغيره

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ٣/٣٣٤

(٢) إعراب القرآن لابن سيده، ٣/٣٣٥

أحدهما: أن يكون ظرفا لقال وهذا إشارة إلى المصدر فيكون منصوبا على المصدرية، أي: قال الله هذا القول أو إشارة إلى الخبر أو القصص، كقولك: قال زيد شعرا أو قال زيد: خطبة فيكون إشارة إلى مضمون الجملة، واختلف في نصبه أهو على المصدرية أو ينتصب مفعولا به؟ فعلى هذا الخلاف ينتصب إذا كان إشارة إلى الخبر أو القصص نصب المصدر أو نصب المفعول به. قال ابن عطية: وانتصابه على الظرف وتقدير ﴿قال الله هذا﴾ القصص أو الخبر ﴿يوم ينفع﴾ معنى يزيل وصف الآية وبهاء **اللفظ والمعنى**، والوجه الثاني أن يكون ظرفا خبر هذا وهذا مرفوع على الابتداء والتقدير، هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع ويكون هذا يوم ينفع جملة محكية بقال. قال الزمخشري: وقرأ الأعمش يوما ينفع بالتنوين كقوله ﴿واتقوا يوما لا تجزى﴾. وقال ابن عطية: وقرأ الحسن بن عياش الشامي ﴿هذا يوم﴾ بالرفع والتنوين. وقرأ الجمهور ﴿صدقهم﴾ بالرفع فاعل ينفع وقرىء بالنصب، وخرج على أنه مفعول له أي لصدقهم أو على إسقاط حرف الجر أي بصدقهم أو مصدر مؤكد، أي الذين يصدقون صدقهم أو مفعول به." (١)

"وما في قوله: ﴿وما آفاء الله على رسوله﴾ شرطية أو موصولة، وأفاء بمعنى: يفيء، ولا يكون ماضيا في **اللفظ والمعنى**، ولذلك صلة ما الموصولة إذا كانت الباء في خبرها، لأنها إذ ذاك شبهت باسم الشرط.

ومن في: ﴿من خيل﴾ زائدة في المفعول يدل عليه الاستغراق.

والضمير في تكون بالتأنيث عائد على معنى ما، إذ المراد به الأموال والمغانم، وذلك الضمير هو اسم يكون﴿السبيل كى لا يكون﴾. وكذلك من قرأ بالياء، أعاد الضمير على لفظ ما، أي يكون الفيء، وانتصب دولة على الخبر. ومن رفع دولة فتكون تامة، ودولة فاعل.

﴿للفقراء﴾، قال الزمخشري: بدل من قوله: ﴿ولذي القربى﴾، والمعطوف عليه والذي منع الإبدال من ﴿لله وللرسول﴾، والمعطوف عليهما، وإن كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله: ﴿وينصرون الله ورسوله﴾، وأنه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلمعن التسمية بالفقير، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا. انتهى. وإنما جعله الزمخشري بدلا من قوله: ﴿ولذي القربى﴾، لأنه مذهب أبي حنيفة.

والإيمان معطوف على الدار، وهي المدينة، والإيمان ليس مكانا فيتبوأ. فقيل: هو من عطف الجمل، أي واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه، قاله أبو علي، فيكون كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا

أو يكون ضمن تبوؤا﴿الصدقون * والذين تبوءوا الدار والإيمن من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة ممآ أوتوا ويؤثرون﴾ معنى لزموا، واللزوم قدر مشترك في الدار والإيمان، فيصح العطف.

﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾: الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين.." (٢)

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ٤٧٦/٣

(٢) إعراب القرآن لابن سيده، ١١٤/٨

"فلا يألون ، فكأنهم إليه – صلى الله عليه وسلم – مجتمعون ، ولما يتلوه منه مستمعون ، فلأبصارهم خشوع وغض ، ولهم على النواجذ عض ، ودمعهم بما عرفوا من الحق مرفض ، وإن اختلفوا في الأفهام ، وتباينوا في الخواطر والأوهام ، وكلا وعد الله الحسنى ، وبوأه الله المحل الأسنى ، وما ظنك بشيء للماهر به حظ من حظين ، ولمن يشتد عليه تمام أجرين ، لكن ليس من أينعت له أيكة العلم فهو يهدب ، كمن اقتصر على رواية إليها ينتدب ، ذلك تمتع بالجنى ، وتصرف بين **اللفظ والمعنى** ، ودنا فتدلى ، وكشف له عن أسراره فاجتلى ، وهذا خازن أمين أدى ، وظرف باطنه عرف نضح بما فيه وأندى ، فحسبك منه ما بدا ، وأن تجد على النار هدى ، أما إن دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سبقت بنضرته ، وحدتك إلى حضرته.

وإني تأملت كتابي الشيخين الإمامين : أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي – رضي الله عنهما – "التبصرة" و"التيسير"١ ، فألفيت معناهما للاسمية موافقا ، وباطنهما للعنوان مصاحبا مرافقا؛ لأنهما قرباها للمبتدئ الصغير ، وقصدا قصد التبصير والتيسير ، وطولا مدى الكلام القصير ، ولا درك عليهما ، بل لهما الدرك والسبق الذي لا يدانى ولا يدرك ، لكن في كتابيهما مجال للتهذيب ، ومكان للترتيب ، فكم هناك من منفرد حِيل بينه وبين أخيه ، ونازح عن أمه وأبيه ، ومنفصل عن فصيلته التي تؤويه.

ولما طالت بهما الغصة ، ولاحت لي فيهما الفرصة ، ورجوت أن أفوز باهتبالها ، وأحرز ما يبقى من صيتهما وجمالها ، واستخرت الله تعالى في ضم الشكل إلى شكله ، وجمع ما تشتت من شمله ، ورد النازح إلى أهله ، في كتاب يسري في الآفاق نجما ، ويكون كأحدهما حجما ، وإن عجمه الباهر الماهر أربى وأقنع ، أو سامه الشادي القاصر أعطى ومنع ، بيد أنه لا يعتاص عليه منه إلا ما لا حظ له الآن فيه ، وما دونه يحسبه ويكفيه ، إلى أن يمتد محياه ، وتشتد الحياه ، فإني في مواضع صلحت فيها الزيادة ، وتمت بها الإفادة ، رفعت العنق إلى النص ، وملت عن الأعم

---

١ صدرا عن الدار، بتحقيق وتعليق.

٨ | ٤١٥." (١)

"بالمشبه إلا أن ألف "طلبنا" أبعد من الإمالة؛ لأنه لا تأنيث فيها ، ولذلك جعل سيبويه إمالتها شذوذا. فأما إمالة هاء التأنيث فأقوى؛ لأنها تشبه ألف "حبلى" لفظا ومعنى ، أما اللفظ فإنها آخر كما أنها آخر١ ، ولاجتماعهما في المخرج والخفاء وانفتاح ما قبلهما.

وأما المعنى فما ذكرناه من التأنيث ، فجرت في إمالة ما قبلها مجرى ألف التأنيث؛ لمشابهتها إياها من طريق **اللفظ والمعنى**.
فكان الكسائي يميل ما قبل هاء التأنيث في الوقف. وذكر الأهوازي أن ذلك مرويّ عنه نصا في خمس كلم لا غير.

حدثنا أبي – رضي الله عنه – حدثنا أبو علي الحسين بن عبد الله، حدثنا عبد الوهاب بن محمد ، حدثنا الأهوازي ، حدثنا أبو إسحاق الطبري٢ ، حدثنا أحمد بن عثمان الأدمي ، حدثنا إدريس بن عبد الكريم ، حدثنا خلف بن هشام قال :

---

(١) الإقناع في القراءات السبع، ص/٧

سمعت الكسائي يقف على قوله تعالى : ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ وعلى "نعمة ، ومعصية ، ومرية ، والقيّمة" ، ونحو ذلك بكسر الراء في ﴿الْآخِرَةِ﴾ ، والميم في ﴿نِعْمَةَ﴾ ، والياء في "مَعْصِيَة" وكذلك بقيتها وما أشبهها.

وحدثنا أبو داود ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا ابن الأنباري ، حدثنا إدريس ، حدثنا خلف قال : سمعت الكسائي يسكت٣ على قوله ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ وعلى ﴿نِعْمَةَ﴾ و﴿مِرْيَةٍ﴾ و"معصية" وكذلك بقيتها وما أشبهها ، يعني بالإمالة.

قال أبو جعفر : وهذه الحكاية عن خلف عنه تقتضي العموم وإطلاق القياس ، لا ما ذكره الأهوازي.

---

١ أي : كل من ألف التأنيث، والألف المشبهة آخر الكلمة.

٢ هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري المالكي ، بغدادي مشهور ، ولد سنة "٣٢٤"هـ،وصنف في القراءات وتوفي سنة "٣٩٣"هـ "الذهبي : ٢٠١".

٣ المراد منه الوقف، وهو الذي معه تنفس.

١٤٢ | ٤١٥." (١)

"فإذا استعان بالله – سبحانه وتعالى – وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل ، وإظهار العجز والوثوق بأنَّه في الذروة من أحكام الربط ، كما كان في الأوج من حسن **المعنى واللفظ** ، لكونه كلام من جلَّ عن شوائب النقص ، وحاز صفات الكمال إيمانا بالغيب ، وتصديقًا للربّ قائلا ما قال الراسخون في العلم : ﴿ رَبَّنَا لاتُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهبْ لَنا مِن لَدُنْكَ رحمةإِنّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ﴾ (آل عمران:٨) ، فانفتح له ذلك الباب ، ولاحتْ له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار رقصَ الفكر منه طربًا وشكروا لله استغرابًا وعجبا وشاط لعظمة ذلك جنانه ، فرسخ من غير مرية إيمانه "(١)

إذا ما نظرنا في سورة "النحل" مثلا فإنَّا نراها من مقدمة وخاتمة وأربعة معاقد :

المقدمة من الأولى

والمعقد الأول من الآية الثانية إلى الحادية والعشرين (٢-٢١)

والثاني من الثانية والعشرين إلى الرابعة والستين (٢٢-٦٤)

والثالث من الخامسة والستين إلىالتاسعة والثمانين (٦٥-٨٩)

والرابع من الآية التسعين إلى الآية الرابعة والعشرين بعد المئة(٩٠- ١٢٤)

والخاتمة الآيات الأربع الأخيرة (١٢٥-١٢٨)

حين نتأمل نجد أنَّ "البقاعي قدجعل المعقد الثالث معطوفًا مطلعه على مقطع المعقد الأول أي الآية (٦٥) على الآية(١٩) ووجه ذلك أنَّ المعقد الأول من سورة النحل معقود للتدليل بأنعم الله تعالى على وحدانيته وقدرته وعلمه وكماله والمعقد الثالث معقود أيضًا لتأسيس ضرب جديد من التدليل بالنعم على وحدانيته .... استدلالاً يظهر فيه معنى الامتنان

---

(١) الإقناع في القراءات السبع، ص/١٥٤

بينما آيات المعقد الأول كان التدليل أظهر من الامتنان

أمَّا آيات المعقد الثاني فهي كالجملة الاعتراضية بين المعقدين الأول والثالث ، وآيات هذا المعقد الثالث قائمة ببيان ونقض اعتراضات المشركين ، فهنالك تشاكلٌ بين موقع هذا المعقد الثالث ومضمونه ،وهو ضرب من المشاكلة بين الوقع المضمون بديع .

---

(١) – نظم الدرر:١/١١." (١)

"قال ابن القيم – رحمه الله –:

"ولكن الذين قالوا بالاشتقاق ... أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع والبصير ... لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة عنها تولد الفرع عن اسمه. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله بهذا المعنى"(١).

أما معنى اسمه تعالى (الله) فهو كما فسره ابن عباس – رضي الله عنهما – ورجحه ابن جرير وغيره: ذو الألوهية والمعبوديه على خلقه أجمعين(٢).

[(١/٢٠٧)]

ثانيا: دلالة أسلوبها:

تقدم أن أسلوب شهادة أن لا إله إلا الله أسلوب حصر قائم على النفي والإثبات.

ومن المناسب قبل الكلام على دلالة ذلك أن أشير إلى إعرابها.

قال صاحب كتاب:"الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل" عند إعرابه لقوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ من قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾(٣).

"لا: نافية للجنس، تعمل عمل "إن".

إله: اسمها مبني على الفتح، في محل نصب.

إلا: أداة حصر واستثناء.

هو: المستثنى في موضع رفع بدلا من موضع "لا إله" لأن وضع (لا) وما عملت فيه الرفع بالابتداء. وخبر لا النافية للجنس: محذوف تقديره موجود"(٤).

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، ت: بشير محمد عيون، (١/٢٥)، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

(٢) جامع البيان، (١/٨٢)، وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (١/٧٢).

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص/٢٤٣

(٣) سورة البقرة الآية رقم (١٦٣).

(٤) بهجت عبد الواحد صالح، (١/٢٠٦)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.." [(١)]

"وهذه الفائدة مستفادة من قوله تعالى: ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآء﴾.

وذلك أن الممثل به – صاحب السراب – لاح له لمعان يشبه الماء وليس بماء، فجرى نحوه، ولم يجده شيئا.

وكذلك الممثل لهم – الذين كفروا – لاحت لهم شبهات ظنوها بينات، فانساقوا نحوها، فأوقعتهم في الضلال والخسران.

والشبهات اصطلاح، من معانيه: ما يكون بينه وبين الحق تشابه من وجه من الوجوه غير مؤثر في إلحاقه به حكما.

والشبهات أنواع كثيرة، وهي تنقسم في الجملة إلى قسمين.

القسم الأول: ما بينه وبين الحق تشابه في أصل الخلقة أو الوضع.

وهذا القسم اعتبر من المتشابه في أصل الخلق أو الوضع باعتبار أن الله سبحانه خلقها كذلك، أو جعل المتشابه من آيات كتابه، فتنة واختبارا، "ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق"١.

١ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(١/٣٤٥).

[(٢/٥٢٢)]

وهذا القسم أنواع:

أ – ما يكون التشابه فيه ظاهريا مع الاختلاف التام في الحقيقة. ومن هذا النوع التشابه في الشكل والصورة بين الحيوان مثلا وصورته وتمثاله.

ومنه التشابه الحاصل بين صورة الماء وصورة السراب في عين الرائي.

ب – التشابه في الألفاظ والمعاني العامة المشتركة دون الحقائق والكيفيات. ومن هذا النوع التشابه في **اللفظ والمعنى** المشترك بين أسماء الله عز وجل والأسماء التي تطلق على بعض خلقه.١

ومن ذلك: التشابه في المسميات بين ثمرات الدنيا وثمرات الجنة ونحو ذلك.٢

جـ – المتشابه من الألفاظ التي يخفى علمها على كثير من الناس، ويعلمها الراسخون في العلم، وكثيرا ما يقع في المراد بها خلاف بين الناس بسبب أنها: "تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد"٣.

وهذه الأنواع المتشابهة في الألفاظ والمعاني داخلة في مدلول قول." [(٢)]

"يقول في تقريره : الإعجاز متعلق بنفسه ، إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو يتعلق بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى** ؛ فإن ألفاظه ألفاظهم،قال تعالى : ؟ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ؟ (٣)، وقال تعالى أيضاً :؟ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ؟ (٤)، وقال جل في علاه : ؟ نَزَلَ

---

(١) الأمثال القرآنية القياسية –الجربوع، ١/١١٥

(٢) الأمثال القرآنية القياسية –الجربوع، ٢/١٤٤

بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ؟(٥)،وقال أيضاً:؟ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ؟ (٦)، وقال سبحانه:؟ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا

١- الإعجاز في دراسات السابقين : عبد الكريم الخطيب ، ص٣٨٦

٢- هو أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني توفي سنة ٣٩٦ للهجرة

٣-يوسف ٢

٤-فصلت ٣

٥- الشعراء ١٩٣-١٩٥

٦- طه ١١٣

عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ؟(١)ولا بمعانيه ؛ فإن كثيراً منها موجودٌ في الكتب السماوية السابقة للقرآن، ؟ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ؟ (٢) .

وملخص القول أن الأصفهاني يجعل الإعجاز في نظمه على تلك الصورة التي جاء بها، والتي تبدو أكثر ما تكون في بنائه على آيات مختتمة بفواصل ذات نظمٍ خاص تختتم بها الآيات ، وتترابط وتتوازن (٣).

٤- الباقلاني . (٤)

لخص جملة وجوه الإعجاز القرآني في ثلاثة نقاط :

* ما في القرآن من أخبارٍ عن الغيب مما لا يقدرعليه البشر،ولا سبيل لهم إليه.

* وما فيه من أخبار الأمم القديمة ، مع أمية الرسول الكريم .." (١)

"أمراض التلفظ بصوت الضاد أقصد بها الأخطاء التي تقع للقارئ حال تلاوته وكل خطئ داء والداء يوصف عند الأطباء بالمرض ولكل داء علاج وكل عيب من عيوب التلفظ علاج وسوف أذكر تتمة للبحث الأخطاء التي تقع للقارئ حال تلفظه بصوت الضاد اللسانية وعلاجها لتصحب الصحة والكمال لأصوات الحروف القرآنية وهي كالآتي :

١. إبدالها بصوت الظاء المشالة وهذا هو الكثير الغالب على الظواهر الصوتية في الخليج العربي وبعض بلاد المغرب العربي وأهل المغرب الأدنى كلهم عليه لأنهما تقاربا في المخرج وتشاركا في جميع الصفات إلا الاستطالة فلولا الاختلاف في المخرج وهذه الاستطالة لكانا حرفا واحدا وكون القارئ يلفظ الضاد التي نزل بها القرآن بصوت الظاء فلحن فاحش ظاهر يغير **اللفظ والمعنى** ويغير مراد الله لمعنى الآية وقرر ذلك ابن الجزري بقوله (وإذا قلنا (الضَّالِّينَ)(الفاتحة: من الآية٧) بالظاء كان معناه الدائمين وهذا خلاف مراد الله وهو مبطل للصلاة لأن الضلال بالضاد ضد الهدى) اهـ وقال عبد الوهاب القرطبي في الموضح ص ١٨٢ / ١٨٣ عن الضاد (وكذلك إذا لقيتها ظاء أو قاربتها في مثل قوله تعالى)الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)

---

(١) الاعجاز البلاغي في قصة يوسف عليه السلام، ص/٢٥

(الشرح:٣)) يَعَضُّ الظَّالِمُ)(الفرقان: من الآية٢٧) وما أشبه ذلك وجب إفراد كل منهما بتحقيق مخرجه لأنهما تشتركان في الأطباق وتنفرد الضاد بالتفشي والاستطالة ومتى لم يضبط المخرج ويحفظ التفشي انقلبت ظاء بانجذابها إلى إطباقها) اهـ وقال الصفاقسي في تنبيه الغافلين (أن من أبدل الضاد ظاء في الفاتحة سهوا فلا شك أن صلاته لا تبطل إذ غاية ما فيه أنت تكلم بكلمة من غير القراءة والذكر في الصلاة سهوا وذلك لا يبطلها ، .... ورجح بعض العلماء في إمامة اللحَّان وهو من يبدل حرف بحرف أن صلاته مكروهة ...... والمسألة خلافية وفيها تفاصيل في كتب الأصول الفقهية) اهـ .." (١)

" في اللفظ فضمت كما يضم المنادى المفرد وهي لغة عربية حكاها الكسائي والفراء

قال الفراء هي لغة بني أسد يقولون أيه الرجل أقبل وذلك أنهم شبهوا هذه الهاء بهاء الضمير فضموها وكذلك حركوا هاء السكت تشبيها لها بهاء الضمير وأسكنوا هاء الضمير تشبيها بهاء السكت وفي قراءة ابن عامر تحريك هاء السكت يعني في الأنعام ﴿ فبهداهم اقتده ﴾

وقول الناظم على الإتباع بيان لمأخذ هذه اللغة وحركتها وهي أنهم ضموا الهاء إتباعا لضمة الياء قبلها والوجه فتح الهاء وهي قراءة الجماعة لأنها ها التي للتنبيه حذفت ألفها للساكن الذي بعدها ويعلم من قوله إن ابن عامر ضم الهاء على الإتباع أنه رسم بغير ألف وأن من عدا الكسائي وأبا عمرو وقفوا على الهاء لأن الألف لا يمكن ضم ما قبلها وكأن هذا من باب الإثبات والحذف فكأنه قال أثبت الألف في الوقف أبو عمرو والكسائي فالباقون على حذفها وقفا وزاد ابن عامر فضم الهاء في الوصل إتباعا والإتباع في اللغة وجه مقصود في مواضع كثيرة

قال الشيخ وأجاز صاحب القصيدة ضم ابن عامر بالرفع على الابتداء وضم ابن عامر على أنه فعل وفاعل

قلت فعلى هذا تقدير الكلام أوقع الضم في الهاء فهو من باب

يجرح في عراقيبها نصلى

ثم قال الشيخ والمرسوم مبتدأ وفيهن الخبر وأخيلا منصوب على الحال والتقدير والمرسوم استقر فيهن أخيلا أي مشبها ذلك والأخيل الحبرة اليمانية شبه الرسم بها

قلت وتبع الشارحون الشيخ في هذا **المعنى واللفظ** وهو مشكل لفظا ومعنى فإن الأخيل طائر والرجل المتكبر وما رأيت أحدا من أهل اللغة ذكر أنه الحبرة وقد كشفت الكتب المشهورة في ذلك فلم أجده ثم لا طائل للمعنى المفهوم من هذا اللفظ على تقدير صحته وقد طال فكري في معنى صحيح أحمل اللفظ عليه فوقع لي أن قوله أخيلا فعل ماض هو خبر والمرسوم بمعنى الرسم مصدر على وزن مفعول كالمجلود والمفتون أي والرسم أخيل فيهن ذلك من قولهم أخالت السماء وأخيلت إذا كانت ترجى المطر حكاه الجوهري وابن سيده فاستعارة الناظم هنا أي أن الرسم أخيل ضم الهاء الذي قرأ به ابن عامر في هذه المواضع الثلاثة لأنها لما رسمت على هذه الصورة بلا ألف أوقع ذلك في ذهن من رآه ظنا أنه رسم على لغة بني أسد المذكورة

---

(١) إبدال صوت الضاد اللسانية بصوت اللام المغلظة، ص/٣٧

قال الجوهري وقد أخلت السحابة وأخيلتها إذا رأيتها مخيلة للمطر ثم إني رأيت بعد ما وقع لي هذا المعنى الصحيح في شرح هذا اللفظ نسخة صحيحة من القصيدة في طرة هذا الموضع منها حاشية منقولة من حواشي نسخة الشيخ أبي عبد الله القرطبي رحمة الله عليه يقال سحاب

مخيل أي حقيق بالمطر ورأيت هذا أيضا في طرة نسخة أخرى مقروءة على المصنف ولا شك أن ما كان فيها من الحواشي هو من كلامه وزاد فكأن الرسم حقيق بضم الهاء إذا جاء بغير ألف ورأيت في حاشية نسخة أخرى قرئت على الناظم غير مرة وهو من قولهم أخال السحاب وأخيل إذا كان حقيقا بالمطر ولما رسمت هذه المواضع بغير ألف إجماعا كان فيه حجة لابن عامر قلت فدل ذلك على أنه مراد الناظم وأن أبا عبد الله وغيره سمعوه منه والله أعلم

ورسمت يا أيها في جميع القرآن بالألف آخرها إلا في هذه المواضع الثلاثة وكأنهم أشاروا بذلك إلى جواز

---

(١) ".

" سورة الإسراء

٨١٦ [ويتخذوا غيب (ح) لا ليسوء نون ٪ (ر) او وضم الهمز والمد (ع) دلا] (١) أراد كتابه يلقاه – أي يستقبل به وقرأ الباقون يلقاه بفتح الياء والتخفيف وذلك ظاهر المعنى والهاء للكتاب أو للإنسان لأن ما لقيك فقد لقيته – وإما يبلغن عندك الكبر – فمد بعد الغين أي زد ألفا واكسر النون المشددة فيصير يبلغان والضمير للوالدين وأحدهما بدل منه وهو فاعل على قراءة القصر والنون للتأكيد فيها والله أعلم

٨١٨ [وعن كلهم شدد وفا أف كلها ٪ بفتح (د) نا (ك) فؤا ونون (ع) لى (ا) عتلا] + يعني أجمعوا على تشديد النون وهذا منه زيادة في البيان وإلا فهو معلوم مما تقدم لأنه لفظ بقوله يبلغن مشدد النون وأمر بكسرها ولم يتعرض للتشديد بنفي ولا إثبات فدل على أنه لا خلاف فيه وأما أف ففيها لغات كثيرة لم يقرأ فيها إلا بثلاث الفتح والكسر والتنوين مع الكسر وهي قراءة نافع وحفص وهو معنى قوله على اعتلا أي معتمدا على اعتلا قوله كلها بالجر تأكيد لأف يعني حيث جاء وهو هنا وفي الأنبياء والأحقاف والله أعلم

٨١٩ [وبالفتح والتحريك خطأ (م) صوب ٪ وحركه المكي ومد وجملا] + يريد – إن قتلهم كان خطأ – فلفظ بقراءة الجماعة وذكر أن ابن ذكوان فتح الخاء والطاء وعبر عنه

١– أي ذو غيب حلو لأن قبله – لبني إسرائيل – والخطاب حكاية ما في الكتاب وهما مثل ما في البقرة – لا تعبدون إلا الله – كلاهما في بني إسرائيل والمعنى واحد ولو دخلت أن في الذي في البقرة لكانت – أن لا تعبدوا – مثل – أن لا تتخذوا سواء فاتحد اللفظ والمعنى وأما – ليسوءوا وجوهكم – فقراءة الكسائي بالنون ظاهرة لكثرة ما قبله من نونات العظمة وقرأ غيره بالياء فمن فتح الهمزة وقصره كما فعل الكسائي فالفاعل هو الله تعالى كما قال – سبحان الذي أسرى

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، ٢٧٨/١

بعبده – وبعده – عسى ربكم – أو يكون الفاعل الوعد أو البعث وهذه قراءة ابن عامر وحمزة وأبي بكر وضم الهمز ومده حفص وهو المرموز في قوله عدلا والحرميان وأبو عمرو رمز لهم في البيت الآتي بقوله سما فالضمير المرفوع في – ليسوءوا – للعباد الذين هم – أولوا بأس شديد – واللام في – ليسوءوا – على القراءات الثلاث متعلقة بفعل مضمر أي بعثناهم ليقع ذلك وقول الناظم والمد بالرفع عطف على ضم الهمز

٨١٧ [(سما) ويلقاه يضم مشددا ٪ (ك) فى يبلغن امدده واكسر (ش) مردلا]

". (١)

"

٩٢٢ [ونزل زده النون وارفع وخف والملائكة ٪ المرفوع ينصب دخللا] (١) يريد (ويوم تشقق السماء بالغمام) وفي سورة ق

﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ﴾

الأصل فيها تتشقق فمن خفف حذف إحدى التاءين ومن شدد أدغم الثانية في الشين قال أبو علي قال أبو الحسن الخفيفة أكثر في الكلام لأنهم أرادوا الخفة فكان الحذف أخف عليهم من الإدغام فهذا معنى قوله غالب أي تخفيف الشين فيه مع حرف قاف أكثر من تشديدها في اللغة ثم قال ويأمر شاف أراد – أنسجد لما تأمرنا – أي بالغيب لإطلاقه والباقون بالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والياء إخبار عنه قال ذلك بعضهم لبعض وخاطبه بعضهم به وقيل – لما تأمرنا – المسمى بالرحمن وإن كنا لا نعرفه ثم قال وأجمعوا سرجا يعني (وجعل فيها سراجا) يقرؤه حمزة والكسائي بالجمع على إرادة الشمس والنجوم العظام وقال الزجاج أراد الشمس والقمر والكواكب العظام معهما

١– لفظ بقراءة ابن كثير وبين ما فعل فيها فقال زده النون أي زده النون الساكنة لأن النون المضمومة موجودة في قراءة الباقين وارفع يعني اللام لأنه صار فعلا مضارعا فوجب رفعه وخف يعني تخفيف الزاي لأن قراءة الباقين بتشديدها على أنه فعل ماض لما لم يسم فاعله وهو مطابق للمصدر الذي ختمت به الآية وهو تنزيلا ومصدر قراءة ابن كثير إنزالا إلا أن كل واحد منهما يوضع موضع الآخر أنشد أبو علي

(وقد تطويت انطواء الخصب ٪)

وقال حيث كان تطويت وانطويت يتقاربان حمل مصدر ذا على مصدر ذا ولا حاجة إلى أن يقال الناظم لم ينبه على إسكان النون ذهابا إلى أن المزيدة هي الأولى بل تجعل المزيدة هي الثانية وتخلص من الاعتراض ومن الجواب بأن خف ينبيء عن ذلك وبأن الزاي إذا خففت لم يكن بد من إسكان النون فهب أن الأمر كذلك فمن أين تعلم قراءة الباقين أنها بالضم وهو لم يلفظ بها

فإن قلت في التحقيق الزائدة هي الأولى لأنها حرف المضارعة والثانية هي أول الفعل الماضي

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، ٥٦١/٢

قلت صحيح إلا أن الناظم لا يعتبر في تعريفه إلا صورة اللفظ ألا تراه كيف قال في يوسف وثان ننج احذف فأورد الحذف على الثانية ليصير الفعل ماضيا وإنما المحذوف حرف المضارعة فكذا هنا ونصب ابن كثير الملائكة لأنه مفعول وننزل ورفعه الباقون لأنه مفعول ونزل ودخللا حال لأن قبله (لولا أنزل علينا الملائكة) فهو مداخله ومرافقه في **اللفظ والمعنى**

٩٢٣ [تشقق خف الشين مع قاف (غ) الب ٪ ويأمر (ش) اف واجمعوا سرجا ولا]

(١) ".

"كان صحيحا من حيث **المعنى واللفظ** فإنها بالياء أيضا ولكن امتنع ذلك خوفا من اختلال القراءة الأخرى فإنها ليست بالنون فلا يكون هذا إلى من باب التذكير والتأنيث فيكون قوله ويعطل مطلقا من غير تقييد ليدل إطلاقه له على أنه أراد به التذكير فيأخذ للباقين ضده وهو التأنيث وشمللا خبر عن يعمل ويؤت على حذف حرف العطف

٩٧٣ [وقرن افتح (ا) ذ نصوا يكون (ل) ه (ث) وى ٪ يحل سوى البصري وخاتم وكلا] (١)

١- يريد افتح القاف من – وقرن في بيوتكن – والباقون بكسرها وكلاهما فعل أمر لجماعة النساء فالمفتوح من قررت بالمكان أقر بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع في قول من أجاز ذلك ونظيره عض من عضضت وقيل من قار يقار إذا اجتمع فيكون مثل خفن الله أي اجتمعن في بيوتكن والمكسور من قررت بالمكان أقر بفتح الراء في الماضي وكسرها في المضارع وهي اللغة المعروفة في قررت بالمكان فيكون مثل جدن في الأمر من جددت فيه أو من وقر يقر فيكون مثل عدن من وعد فإن أخذنا ذلك من قررت بفتح فاء وكسرها فتكون عين الفعل حذفت لأنه ألقيت حركتها على الفاء فحذفت لالتقاء الساكنين هي ولام الفعل وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بتحريك الفاء والأصل أقررن بفتح الراء الأولى وكسرها وإن قلنا إن قرن بالكسر من وقر يقر فالمحذوف فاء الفعل وهي الواو وإن قلنا إن قرن بالفتح من قار يقار فالمحذوف عين الفعل وهي واو أيضا وهذا الوجه حكاه الزمخشري عن أبي الفتح الهمداني

وقال أبو علي الوجه في – وقرن – بالكسر لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه منهما وهما من القرار والوقار وفتح القاف على ما ذكرت من الخلاف زعم أبو عثمان أن قررت في المكان لا يجوز وقد حكى ذلك بعض البغداديين فيجوز الفتح في القاف على هذه اللغة إذا ثبتت وقال أبو عبيد والقراءة التي نختارها بكسر القاف فيكون مأخوذا من الوقار فأما الفتح فإن أشياخنا من أهل العربية كانوا ينكرونه ويقولون إن كان من الوقار فهو بالكسر على قراءتنا وإن كان من القرار فينبغي أن يكون من أقررنا أو أقررنا قال وقد وجدناها تخرج في العربية من وجه فيه بعد وهو شبيه بقوله ﴿ فظلتم تفكهون ﴾

وأصلها من المضاعف ظللت قال مكي وقيل إن هذه القراءة مشتقة من قررت به عينا أقر قال وليس المعنى على هذا لم يؤمرن أن تقر أعينهن في بيوتهن إنما أمرن بالقرار أو بالوقار في بيوتهن قال والاختيار كسر القاف لأن عليه المعنى الصحيح

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، ٦١٨/٢

وأما – أن يكون لهم الخيرة – ولا يحل لك النساء – فالتذكير فيهما والتأنيث ظاهران وأبو عبيد يختار التذكير في هذا ونحوه والثرى بالقصر التراب الندي وبالمد المال الكثير فيجوز أن يكون قصره ضرورة وقد تقدم أن الناظم يستعير هذه الأشياء ونحوها كناية عن وضوح القراءة وكثرة الحجج لها وردا لكلام م

". (١)

"لكن تابع الشافعي القعنبي عن مالك أخرجه عنه البخاري وهي متابعة تامة وله متابعة قاصرة في صحيح ابن خزيمة من رواية عاصم ابن محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد الله بن عمر بلفظ ثلاثين وفي صحيح مسلم من رواية عبيد الله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر بلفظ فاقدر وآله ثلاثين

ولا تختص المتابعة بقسيمها باللفظ بل ولو جاءت بالمعنى كفي نعم تختص بكونها من رواية ذلك الصحابي أو وافقه متن يشبهه في **اللفظ والمعنى** أو في المعنى فقط من رواية صحابي آخر فالشاهد مثاله في الحديث السابق ما رواه النسائي من رواية محمد بن حنين عن ابن عباس مرفوعا بمثل حديث ابن دينار عن ابن عمر سواء بلفظه وما رواه البخاري من رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ

فإن أغمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين وخص قوم المتابعة بما حصل في اللفظ سواء كان من رواية ذلك الصحابي أم لا والشاهد بما حصل بالمعنى كذلك وقد يطلق أحدهما على الآخر والأمر فيه سهل

وتتبع الطرق من المحدث من الجوامع والمسانيد وغيرها له أي للحديث الذي يظن أنه فرد ليعلم هل له متابع أو شاهد أو لا اعتبار أي يسمى بذلك والمردود إما أن يكون رده لسقط أي حذف بعض رجال الإسناد فإن كان السقط من أول السند فمعلق سواء كان الساقط واحدا أم أكثر ولو كل رجاله وقيل مثلا قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهذا النوع كثير في صحيح البخاري قال ابن الصلاح وحكمه أنه إن أتى بصيغة الجزم كقوله قال وروى دل على أنه ثبت إسناده عنده وإنما حذفه لغرض من الأغراض وإلا كيروى ويذكر ففيه مقال أما في غير صحيحه فمردود للجهل بحال الساقط ما لم يعرف من وجه آخر أو كان بعد التابعي فمرسل بأن يقول التابعي كبيرا كان أو صغيرا

قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كذا أو افعل كذا وإنما رد للجهل بحال الساقط إذ يحتمل أن يكون صحابيا وأن يكون تابعيا

". (٢)

"والأصل في حسن أنواع البديع اللفظية تبعية اللفظ للمعنى لا عكسه بأن يكون المعنى تابعا للفظ لأن المعاني إذا تركت على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها فيحسن **اللفظ والمعنى** جميعا وإذا أتى بالألفاظ متكلفة مصنوعة وجعل المعاني لها تابعة كان كظاهر مموه على باطن مشوه

وينبغي للمتكلم التأنق أي المبالغة في الحسن في ثلاثة مواضع الإبتداء بأن يأتي بما يناسب المقام كقوله في التهنئة

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، ٦٤٩/٢

(٢) إتمام الدراية لقراء النقاية، ص/٤٨

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا

وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقوله في دار

قصر عليه تحية وسلام

خلعت عليه جمالها الايام

وقوله في الدنيا

هي الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من بطشي وفتكي

ويجتنب في المدح ونحوه ما يتطير به كقوله

موعد أحبابك بالفرق غد

وثانيها التخلص بأن ينتقل مما افتتح به الكلام من تشبيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملائكة بينهما كقوله

تقول في قومس قومي وقد أخذت

منا السرى أو خطى المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا

فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وثالثها الإنتهاء بأن يأتي بما يؤذن بأنتهاء الكلام كقوله

بقبيت الدهر يا كهف أهله

وهذا دعاء للبرية شامل

علم التشريح

علم يبحث فيه عن أعضاء الإنسان وكيفية تركيبها وسيأتي تعريفها

الجمجمة أي الرأس مركبة من سبعة أعظم أربعة جدران أحدها عظم الجبهة ممتد من طرف القحف إلى آخر الحاجب والثاني مقابله مؤخرها وهو أصلب الجدران والآخران يمنة ويسرة وفيهما الأذنان وقاعدة عظم واحد صلب يحمل سائر العظام وقحف كالسقف للدماغ عظمان وشكله مستدير

اللحيان

اللحيان الأعلى منهما مركب من أربعة عشر عظما والأسفل مركب من أربعة عشر عظما والأسفل مركب من عظمين يجمع بينهما الذقن وفيهما اثنتان وثلاثون سنا في كل لحى ست عشرة ثنيتان ورباعيتان للقطع ونابان للكسر وضاحكان وستة أضراس للطحن وناخذان وليس لغيرها من العظام حس وأعينت هي بالحس بقوة من الدماغ للتمييز بين الحار والبارد

اليد

". [1]

"وعمدة فيما تقدم بيانه وفيما جانسه .

$ مستوى٤ مسألة قوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم

$ الجزء الأول [2] المسألة الثالثة : قوله تعالى : ﴿ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ : هذه مسألة بكر . قال علماؤنا رحمة الله عليهم : إنما سمي الفعل الثاني اعتداء ، وهو مفعول بحق ، حملا للثاني على الأول على عادة العرب . قالوا : وعلى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ . والذي أقول فيه : إن الثاني كالأول في **المعنى واللفظ** ؛ لأن معنى الاعتداء في اللغة مجاوزة الحد ، وكلا المعنيين موجود في الأول والثاني ؛ وإنما اختلف المتعلق من الأمر والنهي ؛ فالأول منهي عنه ، والثاني مأمور به ، وتعلق الأمر والنهي لا يغير الحقائق ولا يقلب المعاني ؛ بل إنه يكسب ما تعلق به الأمر وصف الطاعة والحسن ، ويكسب ما تعلق به النهي وصف المعصية والقبح ؛ وكلا الفعلين مجاوزة الحد ، وكلا الفعلين يسوء الواقع به : وأحدهما حق والآخر باطل .

$ مستوى٤ مسألة المماثلة في القصاص." [3]

"ويدخل بعضه على بعض ، وقد بينا تفصيل ذلك في " ملجئة المتفقهين " ، كما قدمنا في مسألة مثنى وثلاث ورباع مفصلا بجميع وجوهه . فإذا ثبت هذا فقد شهد لك **اللفظ والمعنى** بما قاله مالك ؛ أما اللفظ فلأن قوله تعالى : ﴿ تعولوا ﴾ فعل ثلاثي يستعمل في الميل الذي ترجع إليه معاني " عول " كلها ، والفعل في كثرة العيال رباعي لا مدخل له في الآية ، فقد ذهبت الفصاحة ولم تنفع الضاد المنطوق بها على الاختصاص . وأما المعنى فلأن الله تعالى قال : ذلك أدنى ، أقرب إلى أن ينتفي العول يعني الميل ، فإنه إذا كانت واحدة عدم الميل ، وإذا كانت ثلاثا فالميل أقل ، وهكذا في اثنتين ؛ فأرشد الله الخلق إذا خافوا عدم القسط والعدل بالوقوع في الميل مع اليتامى أن يأخذوا من الأجانب أربعا إلى واحدة ؛ فذلك أقرب إلى أن يقل الميل في اليتامى وفي الأعداد المأذون فيها ، أو ينتفي ؛ وذلك هو المراد ، فأما كثرة العيال فلا يصح أن يقال : ذلك أقرب إلى ألا يكثر عيالكم .

$ مستوى٣ الآية الرابعة قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة." [4]

"هو الذي يقتضي النية ضرورة فيه ، فإنه يلزمه أن يأتي بما أمر لمأمور به له . وقوله : " هذا لا يصح " . قلنا : لا يصح إلا هو . قوله : " فإن إيجاب الله الوضوء لأجل الحدث " . قلنا : هذا هوس ، لم يجب الوضوء لأجل الحدث . وقوله : " إنه لا يجب عليه أن ينوي ذلك " . قلنا : لا يجب عليه أن ينوي ماذا ؟ إن أردت الحدث ، فمن ذا الذي يقول به ؟

---

(١) إتمام الدراية لقراء النقاية، ص/١٣٦

(٢) ١٦١

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، ٢١٣/١

(٤) أحكام القرآن لابن العربي، ١١١/٢

وإن أردت الصلاة فلا يعطي **اللفظ والمعنى** إلا وجوب النية لها . وقوله : " يجوز أن يجب لأجله ويحصل دون قصد " . قلنا : هذا لا نسلمه مطلقا إن أردت في العبادات فلا ، وإن أردت في غيرها فلا نبالي به . وقوله : " دون قصد " . إلى هنا انتهى كلامه المعقول لفظا المختل معنى . وأما قوله بعد ذلك تعليق الطهارة بالصلاة فكلام لا يعقل معناه لفظا ، فكيف معنى ؟ (١) المسألة الثانية والعشرون : هذا الذي زمزم به أنا أعرفه . قوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ﴾ لا يخلو من ستة أقسام : الأول : أنه لا يربط غسل الوجه وما بعده بشيء مما تقدم . الثاني : أنه يربطه بالقيام إلى الصلاة أو الحدث وبالصلاة ، وهو : الثالث ، أو بالصلاة وهو : الرابع ، أو بالكل وهو : الخامس ، أو ببعضه وهو : السادس . فإن قيل : لم نربطه." (٢)

"ويبقى على التحريم الاستمناء ردا على أحمد بن حنبل ، كما تقدم بيانه ، وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة لنسخه ، كما تقدم . المسألة الرابعة : قوله تعالى : ﴿ لا يجدون نكاحا ﴾ يعني يقدرون ، وعبر عن القدرة بالوجود ، وعن عدمها بعدمه ، كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ حرفا بحرف فخذه منه . المسألة الخامسة : قوله تعالى : ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ فيها قولان : أحدهما : بالقدرة على النكاح . الثاني : بالرغبة عنه . وقال بعض علمائنا : إنه يستعف بالصوم ، لحديث عبد الله بن مسعود قال : ﴿كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء ﴾ . وهو أصح الأقوال لانتظام القرآن فيه والحديث ، **واللفظ والمعنى** ، والله أعلم .

$ مستوى٤ مسألة طلب العبد للمكاتبة." (٣)

"ألا ترى أن البيع والشراء معلوم **اللفظ والمعنى** ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ . ولا يقال : هذه الآية دليل على جواز مبايعة السيد لعبده ؛ لأن المقصودين مختلفان . (٤)وهذا غرض شب طوق أصحابنا عنه ، فإذا أرادوا لبسه لم يستطيعوا جوبه ، ولا وجد امرؤ منهم جيبه . وقد تكلمنا على هذه الآية في المشكلين ، وأحسن ما قيدنا فيها عن الإسفراييني ، من طريق الشهيد أبي سعيد المقدسي أن الله هو الخالق لكل شيء ، الفاعل حقيقة لكل فعل ، في أي محل كان ، ومتى ترتب المحال ، وتناسقت الأفعال فالكل إليه راجعون ، وعلى قدرته محالون ، ومن فعله محسوب ، وفي كتابه مكتوب ؛ وقد خلق ملك الموت ، وخلق على يديه قبض الأرواح ، واستلالها من الأجسام ، وإخراجها منها على كيفية بيناها في كتب الأصول ، وخلق جندا يكونون معه ، يعملون عمله بأمره مثنى وفرادى . والباري تعالى خالق الكل ، فأخبر عن الأحوال الثلاثة بثلاث عبارات ، فقال : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم

---

(١) ٥٦

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، ٧٤/٣

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، ٨٦/٦

(٤) ٥٣٤

تمت في منامها ﴾ ، إخبارا عن الفعل الأول ، وهو الحقيقة . وقال في الآية الأخرى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل." (١)

"$ الجزء الرابع المسألة الثانية قوله تعالى : ﴿ يأيها النبي ﴾ : فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للنبي عليه السلام بلفظ الإفراد على الحقيقة له ، وقوله : ﴿ طلقتم ﴾ خبر عنه على جهة التعظيم بلفظ الجمع . الثاني : أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ، وغاير بين اللفظين من حاضر وغائب [وذلك] لغة فصيحة . كما قال : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم (٢) بريح طيبة ﴾ : تقديره يأيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن . وهذا هو قولهم : إن الخطاب له وحده لفظا ، والمعنى له وللمؤمنين . وإذا أراد الله الخطاب للمؤمنين لاطفه بقوله : يأيها النبي . وإذا كان الخطاب **باللفظ والمعنى** جميعا له قال : يأيها الرسول . وقيل : المراد به نداء النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما ، ثم ابتدأ فقال : ﴿ إذا طلقتم النساء ﴾ كقوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ﴾ ؛ فذكر المؤمنين على معنى تقدمتهم وتكرمتهم ، ثم افتتح فقال : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ﴾ الآية . قال القاضي : الصحيح أن معناها : يأيها النبي إذا طلقت أنت والمخبرون الذين أخبرتهم بذلك النساء فليكن." (٣)

" الذين قيل لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يعني حط عنا ذنوبنا قال الحسن وقتادة قال ابن عباس أمروا أن يستغفروا روى عنه أيضا أنهم أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال عكرمة أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا بدل هذا حطنة حمراء تجاهلا واستهزاء وروى عن ابن عباس وغيره من الصحابة وعن الحسن إنما استحقوا الذم لتبديلهم القول إلى لفظ في ضد المعنى الذي أمروا به إذ كانوا مأمورين بالاستغفار والتوبة فصاروا إلى الإصرار والاستهزاء فأما من غير اللفظ مع اتفاق المعنى فلم تتناوله الآية إذ كانت الآية إنما تضمنت الحكاية عن فعل قوم غيروا **اللفظ والمعنى** جميعا فألحق بهم الذم بهذا الفعل وإنما يشاركهم في الذم من يشاركهم في الفعل مثلا بمثل فأما من غير اللفظ وأتى بالمعنى فلم تتضمنه الآية وإنما نظير فعل القوم إجازة من يجيز المتعة مع قوله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فقصر استباحة البضع على هذين الوجهين فمن استباحه بلفظ المتعة مع مخالفة النكاح وملك اليمين من جهة **اللفظ والمعنى** فهذا الذي يجوز أن يلحقه الذم بحكم الآية وقوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا إلى قوله وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها إلىآخر الآية قال أبو بكر في هذه الآيات وما اشتملت عليه من قصة المقتول وذبح البقرة ضروب من الأحكام والدلائل على المعاني الشريفة فأولها أن قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة لأن الأمر بذبح البقرة إنما كان سببه قتل النفس وقد قيل فيه وجهان أحدهما أن ذكر القتل وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في النزول والآخران ترتيب نزولها على حسب ترتيب تلاوتها ونظامها وإن كان مقدما في المعنى لأن الواو لا توجب الترتيب كقول القائل اذكر إذ أعطيت ألف درهم زيدا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، ٢٨٨/٦

(٢) ٢٣٢

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، ٣٩٣/٧

إذ بنى داري والبناء مقدم على العطية والدليل على أن ذكر البقرة مقدم في النزول قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها فدل على أن البقرة قد ذكرت قبل ذلك ولذلك أضمرت ونظير ذلك قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام بعد ذكر الطوفان وانقضائه فقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ومعلوم أن ذلك قبل هلاكهم لأن تقديم الكلام و تأخيره إذا ." (١)

" نهى عنه النبي ص – وذلك لأن بيع الملامسة هو وقوع العقد باللمس والمنابذة وقوع العقد بنبذه إليه وكذلك بيع الحصاة هو أن يضع عليه حصاة فتكون هذه الأفعال عندهم موجبة لوقوع البيع فهذه بيوع معقودة على المخاطرة ولا تعلق لهذه الأسباب التي علقوا وقوع البيع بها بعقد البيع واما ما جازه أصحابنا فهو أن يتساوما على ثمن يقف البيع ثم يزن له المشتري الثمن ويسلم البائع إليه المبيع وتسليم المبيع والثمن من حقوق البيع وأحكامه فلما فعلا موجب العقد من التسليم صار ذلك رضى منهما بما وقف عليه العقد من السوم ولمس الثوب ووضع الحصاة ونبذه ليس من موجبات العقد ولا من أحكامه فصار العقد معلقا على خطر فلا يجوز وصار ذلك أصلا في امتناع وقوع البياعات على الأخطار وذلك أن يقول بعتكه إذا قدم زيد وإذا جاء غد ونحو ذلك وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم عموم في إطلاق سائر التجارات وإباحتها وهو كقوله تعالى وأحل الله البيع في اقتضاء عمومه لإباحة سائر البيوع إلا ما خصه التحريم لأن اسم التجارة أعم من اسم البيع لأن اسم التجارة ينتظم عقود الإجارات والهبات الواقعة على الأعواض والبياعات فيضمن قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل معنيين أحدهما نهي معقود بشريطة محتاجة إلى بيان في إيجاب حكمه وهو قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل لأنه يحتاج إلى أن يثبت أنه أكل مال باطل حتى يتناوله حكم **اللفظ والمعنى** الثاني إطلاق سائر التجارات وهو عموم في جميعها لا إجمال فيه ولا شريطة فلو خلينا وظاهره لأجزنا سائر ما يسمى تجارة إلا أن الله تعالى قد خص منها أشياء بنص الكتاب وأشياء بسنة الرسول ص – فالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير وسائر المحرمات في الكتاب لا يجوز بيعها لأن إطلاق لفظ التحريم يقتضي سائر وجوه الانتفاع وقال النبي ص – لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وقال في الخمر إن الذي حرمها حرم بيعها وأكل ثمنها ولعن بائعها ومشتريها ونهى رسول الله ص – عن البيع الغرر وبيع العبد الآبق وبيع مالم يقبض وبيع ما ليس عند الإنسان ونحوها من البياعات المجهولة والمعقود على غرر جميع ذلك مخصوص من ظاهر قوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقد قرئ قوله إلا أن تكون تجارة عن تراض بالنصب والرفع فمن قرأها بالنصب كان تقديره إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض فتكون التجارة ." (٢)

"قوله تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم) إنما جمع الصم وهو خبر شر، لان شرا هنا يراد به الكثرة، فجمع الخبر على المعنى، ولو قال الاصم لكان الافراد على **اللفظ والمعنى** على الجمع.

قوله تعالى (لاتصيبن) فيها ثلاثة أوجه: أحدها أنه مستأنف، وهو جواب قسم محذوف: أى والله لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعم.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص، ١/٤٠

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ٣/١٣١

والثانى أنه نهى، والكلام محمول على المعنى كما تقول: لا أرينك هاهنا: أى لاتكن هاهنا، فإن من يكون هاهنا أراه، وكذلك المعنى هنا، إذ المعنى لاتدخلوا في الفتنة فإن من يدخل فيها تنزل به عقوبة عامة.

والثالث أنه جواب الامر، وأكد بالنون مبالغة، وهو ضعيف لان جواب الشرط متردد فلا يليق به التوكيد، وقرئ في الشاذ " لتصيبن " بغير ألف.

قال ابن جنى: الاشبه أن تكون الالف محذوفة كما حذفت في أم والله.

وقيل في قراء ة الجماعة: إن الجملة صفة لفتنة، ودخلت النون على المنفى في غير القسم على الشذوذ.

[٦]

قوله تعالى (تخافون) يجوز أن يكون في موضع رفع صفة كالذى قبله: أى خائفون، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في مستضعفون.

قوله تعالى (وتخونوا أماناتكم) يجوز أن يكون مجزوما عطفا على الفعل الاول وأن يكون نصبا على الجواب بالواو.

قوله تعالى (وإذ يمكر) هو معطوف على " واذكروا إذ أنتم ".

قوله تعالى (هو الحق) القراء ة المشهورة بالنصب، وهو هاهنا فصل، ويقرأ بالرفع على أن: هو مبتدأ، والحق خبره، والجملة خبر كان، و (من عندك) حال من معنى الحق: أى الثابت من عندك (من السماء) يجوز أن يتعلق بأمطر، وأن يكون صفة لحجارة.

قوله تعالى (أن لا يعذبهم) أى في أن لا يعذبهم، فهو في موضع نصب أو جر على الاختلاف، وقيل هو حال، وهو بعيد لان " أن " تخلص الفعل للاستقبال.." (١)

"قوله تعالى (فوق الاعناق) هو ظرف لاضربوا، وفوق العنق الرأس، وقيل هو مفعول به، وقيل فوق زائدة (منهم) حال من (كل بنان) أى كل بنان

[٥]

كائنا منهم، ويضعف أن يكون حالا من بنان إذ فيه تقديم حال المضاف إليه على المضاف (ذلك) أى الامر، وقيل ذلك مبتدأ، و (بأنهم) الخبر: أى ذلك مستحق بشقاقهم (ومن يشاقق الله) إنما لم يدغم لان القاف الثانية ساكنة في الاصل وحركتها هنا لالتقاء الساكنين فهى غير معتد بها.

قوله تعالى (ذلكم فذوقوه) أى الامر ذلكم، أو ذلكم واقع أو مستحق، ويجوز أن يكون في موضع نصب: أى ذوقوا ذلكم، وجعل الفعل الذى بعده مفسرا له، والاحسن أن يكون التقدير: باشروا ذلكم فذوقوه، لتكون الفاء عاطفة (وأن للكافرين) أى والامر أن للكافرين.

قوله تعالى (زحفا) مصدر في موضع الحال، وقيل هو مصدر للحال المحذوفة: أى تزحفون زحفا، و (الادبار) مفعول ثان لتولوهم.

---

(١) إعراب كامل لآيات القرآن مع التعرض لبعض وجوه القراءات، ٢/٤

قوله تعالى (متحرفا أو متحيزا) حالان من ضمير الفاعل في يولهم.

قوله تعالى (ذلكم) أى الامر ذلكم (و) الامر (أن الله موهن) بتشديد الهاء وتخفيفها، وبالاضافة والتنوين وهو ظاهر.

قوله تعالى (وأن الله مع المؤمنين) يقرأ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على تقدير: والامر أن الله مع المؤمنين.

قوله تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم) إنما جمع الصم وهو خبر شر، لان شرا هنا يراد به الكثرة، فجمع الخبر على المعنى، ولو قال الاصم لكان الافراد على اللفظ والمعنى على الجمع.

قوله تعالى (لاتصيبن) فيها ثلاثة أوجه: أحدها أنه مستأنف، وهو جواب قسم محذوف: أى والله لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعم.

والثانى أنه نهى، والكلام محمول على المعنى كما تقول: لا أرينك هاهنا: أى لاتكن هاهنا، فإن من يكون هاهنا أراه، وكذلك المعنى هنا، إذ المعنى لاتدخلوا في الفتنة فإن من يدخل فيها تنزل به عقوبة عامة.." (١)

" يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون

وقال كأن المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز و جل وإن كان ابتداء الكلام فى أمر خاص

انتهى وفيه نظر

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى فى سورة ص بعد ذكر الأنبياء هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الانبياء وهو نوع من التنزيل اراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة تقول أشير عليك بكذا ثم تقول بعده هذا الذى عندى والأمر إليك وقال وإن للمتقين لحسن مآب كما يقول المصنف هذا باب يشرع فى باب آخر ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال هذا وإن للطاغين لشر مآب

فصل

فى اتصال اللفظ والمعنى على خلاف

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة فقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة منظوم بقوله قال قد أنعم الله على لأنه موضع الشماتة وقوله كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون فإنه متصل بقوله وإن ." (٢)

---

(١) إعراب كامل لآيات القرآن مع التعرض لبعض وجوه القراءات، ٢/٤٠

(٢) البرهان في علوم القرآن، ١/٥٠

" وأخرج النسائى فى تفسير من جهة حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى صلى الله عليه و سلم وإسناده صحيح وحسان هو ابن أبى الأشرس وثقة النسائى وغيره

وبالثانى قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحليمى فى المنهاج والماوردى فى تفسيره

وبالثالث قال الشعبى وغيره

واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل واختلفوا فى معنى الإنزال فقيل معناه إظهار القرآن وقيل إن الله أفهم كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان

والتنزيل له طريقان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل والثانى أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه والأول أصعب الحالين

ونقل بعضهم عن السمرقندى حكاية ثلاثة أقوال فى المنزل على النبى صلى الله عليه و سلم ما هو

أحدها أنه **اللفظ والمعنى** وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به وذكر بعضهم أن أحرف القرآن فى اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله عز و جل وهذا معنى قول الغزالى إن هذه الأحرف سترة لمعانيه ." (١)

" بعده نحو حرمت عليكم أمهاتكم هنا الوقف ثم يبتدىء بما بعد ذلك وهكذا باقى المعطوفات وكل رأس آية بعدها لام كى وإلا بمعنى لكن وإن المكسورة المشددة والاستفهام وبل وألا المخففة والسين وسوف على التهدد و نعم وبئس وكيلا وغالبهن كاف ما لم يتقدمهن قول أو قسم وقيل أن المفتوحة المخففة خمسة لا غير البقرة وأن تصوموا وأن تعفوا وأن تصدقوا والنساء وأن تصبروا والنور وأن يستعففن

والحسن هو الذى يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به فى **اللفظ والمعنى** نحو الحمد لله رب العالمين و الرحمن الرحيم والوقف عليه حسن لأن المراد مفهوم والابتداء بقوله رب العالمين و الرحمن الرحيم و مالك يوم الدين لا يحسن لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع

والقبيح هو الذى لا يفهم منه المراد نحو الحمد فلا يوقف عليه ولا على الموصوف دون الصفة ولا على البدل دون المبدل منه ولا على المعطوف دون المعطوف عليه نحو كذبت ثمود وعاد ولا على المجرور دون الجار ." (٢)

" فريق منهم إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله في هذا الباب وإنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد ١

وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكما ٢

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢٢٩/١

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣٥٢/١

الثاني أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في **اللفظ والمعنى**

واختاره ابن الزملكاني ٣ في البرهان

الثالث ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب ٤ وقوله في أهل بدر سيهزم الجمع ." (١)

" الثاني باعتبار كيفية التركيب من جهة افادته معنى المعنى اعني لازم اصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنة علم المعاني

الثالث باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان

والرابع باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابلة وهو يتعلق بعلم البديع مسألة في ان الإعجاز يكون في **اللفظ والمعنى** والملائمة

وقد سبق لنا في باب الإعجاز ان اعجاز القرآن لاشتماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام مع ما تضمنه من المعاني مع ملائمته التي هي نظوم تأليفه

فأما الأول وهو معرفة الألفاظ فهو امر نقلي يؤخذ عن ارباب التفسير ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله تعالى فاكهة وأبا فلا يعرفه فيراجع نفسه ويقول ما الأب ويقول ان هذا منك تكلف وكان ابن عباس ." (٢)

" ومنها التغليب كقوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث ١ وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ٢ فاستعمل ان مع تحقق الارتياب منهم لان الكل لم يكونوا مرتابين فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين لان صدور الارتياب من غير الارتياب مشكوك في كونه فلذلك استعمل إن على حد قوله إن عدنا في ملتكم ٣

واعلم ان ان لاجل انها لاتستعمل الا في المعاني المحتملة كان جوابها معلقا على ما يحتمل ان يكون وألا يكون فيختار فيه ان يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه ليطابق **اللفظ والمعنى** فان عدل عن المضارع الى الماضي لم يعدل الا لنكتة كقوله تعالى إن يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ٤ فاتى الجواب مضارعا وهو يكونوا وما عطف عليه وهو يبسطوا مضارعا ايضا وانه قد عطف عليه ودوا بلفظ الماضي وكان قياسه المضارع لان المعطوف على الجواب جواب ولكنه لما لم يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشك فيها ما يحتمله انهم اذا ثقفوهم صاروا لهم اعداء وبسطوا ايديهم اليهم بالقتل والسنتهم بالشتم اتى فيه بلفظ الماضي لان ودادتهم في ذلك مقطوع بها وكونهم اعداء وباسطي الايدي والالسن بالسوء مشكوك لاحتمال ان يعرض ما يصدهم عنه فلم يتحقق وقوعه

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/٩٥

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٢/١٧٤

وأما اذا فلما كانت في المعاني المحققه غلب لفظ الماضي معها لكونه ادل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع قال تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ١ ." (١)

" والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم الغرابيب هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوي التركيب وذلك انه لما تقدم البيض والحمر دون إتباع كان الآليق بحسن النسق وترتيب النظام أني يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق في المعنى أن يتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرابيب فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفى الخطاب وكمل الغرضان جميعا ولم يطرح أحدهما الآخر فيقع النقص من جهة الطرح وذلك بتقديم الغرابيب على السود فوقع في لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف وفي ذكر السود مفردا من الإتباع حظ اللفظ إذا جاء مجردا عن صورة البيض والحمر فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب ولم يخل بواحدة من الوجهين ولم يقتصر على الغرابيب وإن كانت متضمنه لمعنى السود لئلا تتنافر الآلفاظ فان ضم الغريبب إلى البيض والحمر ولزها في قرن واحد كابن اللبون إذا مالز في قرن غير مناسب لتلاؤم الألفاظ وتشاكلها وبذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول وتعيا بها الآلسن لا تدري ما تقول والحمد لله ." (٢)

" البالغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بألسنتهم فنزلت كل كلمة منزلتها

وقوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ١ ولم يذكر الكعبة لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب ولما خص الرسول بالخطاب تعظيما وأيجابا لشرعته عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة

قاعدة

إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى بدىء باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا ٢ أفرد أولا باعتبار اللفظ ثم جمع ثانيا باعتبار المعنى فقال وما هم بمؤمنين ٢ فعاد الضمير مجموعا كقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها النهار ٣ فعاد الضمير من يدخله مفردا على لفظ من ثم قال خالدين وهو حال من الضمير

وقوله ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم ٤

وقوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني إل في الفتنة سقطوا ٥

وقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله. . . ٦ إلا قوله فلما آتاهم من فضله بخلوا به ٦

وقد يجرى الكلام على أوله في الإفراد كقوله تعالى ومن الناس من يعجبك ." (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/٣٦٢

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٢/٤٤٥

(٣) البرهان في علوم القرآن، ٣/٣٨٢

" قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام۰۰۰ ١ الايتين فكرر فيها ثمانية ضمائر كلها عائد على لفظ من ولم يرجع منها شيء على معناها مع أن المعنى على الكثرة

وقد يقتصر على معناها في الجميع كقوله تعالى في سورة يونس ومنهم من يستمعون إليك ٢ وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير قال الشيخ علم الدين العراقي ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ٣ فأنث خالصة حملا على معنى ما ثم راعى اللفظ فذكر وقال ومحرم على أزواجنا

واعترض بعض الفضلاء وقال إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على المعنى في ذلك إذا كان ان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الانعام يقدر مؤنثا أما إذا قدر مذكرا فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ

وأجيب بأن اعتبار **اللفظ والمعنى** أمر يرجع إلى الأمور التقديرية لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما أنما يظهر في اللفظ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدىء في الآية بالحمل على المعنى فيتم كلام العراقي

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور أن الكوفيين لا يجيزون الجمع بين الجملتين إلا بفاصل بينهما ولم يعتبر البصريون الفاصل قال ولم يرد السماع إلا بالفاصل كما ذهب إليه الكوفيون ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى وقالوا لن يدخل ." (١)

" ونص ابن الدهان في لعل جواز استعماله في المستحيل محتجا بقوله لعل زمانا تولى يعود

وقال أيضا كل ما وقع في القرآن من عسى فاعلها الله تعالى فهي واجبة

وقال قوم إلا في موضعين قال تعالى عسى ربه إن طلقكن ١ ولم يطلقهن ولم يبدل بهن

وقوله عسى ربكم أن يرحمكم ٢ وهذه في بنى النضير وقد سباهم النبي صلى الله عليه و سلم وقتلهم وابادهم

وقال أيضا وهذا عندي متأول لأن الأول تقديره إن طلقكن يبدله وما فعل فهذا شرط يقع فيه الجزاء ولم يفعله والثاني تقديره إن عدتم رحمكم وهم أصروا وعسى على بابها

قال وعسى ماضى **اللفظ والمعنى** لأنه طمع وذلك حصل في شيء مستقبل

وقال قوم ماضي اللفظ مستقبل في المعنى لأنه أخبر عن طمع يريد إن يقع

واعلم أن عسى تستعمل في القرآن على وجهين

أحدهما ترفع اسما صريحا ويؤتى بعده بخبر ويلزم كونه فعلا مضارعا نحو عسى زيد أن يقوم فلا يجوز قائما لأن اسم الفاعل لا يدل على الزمان الماضي قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح ٣ فيكون أن والفعل في موضع نصب ب عسى ". (٢)

" أو معنى نحو فكلا أخذنا بذنبه ١ فراعى لفظها وقال كل أتوه داخرين ٢ فراعى المعنى

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣/٣٨٣

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٤/١٦٠

وقد اجتمع مراعاة **اللفظ والمعنى** في قوله تعالى إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا ٣ هذا إذا جعلنا من موصولة فإن جعلناها نكرة موصوفة خرجت من هذا القسم إلى الأول

الثالث إن تقطع عن الإضافة لفظا فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها

فمن الأول كل آمن بالله ٤ قل كل يعمل على شاكلته ٥ إن كل إلا كذب الرسل ٦ ولم يقل كذبوا فكلا أخذنا بذنبه ٧

ومن الثاني وكل كانوا ظالمين ٨ كل في فلك يسبحون ٩ كل له قانتون ١٠ وكل أتوه داخرين ١١

قال أبو الفتح وعلته إن أحد الجمعين عندهم كان عن صاحبه فإن لفظ كل للأفراد ومعناها الجمع وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين جمعا فتارة روعى كما إذا صرح به وتارة روعى لفظ كل وتكون حالة الحذف مخالفة لحال الإثبات ." (١)

" فجاءت التثنية بهذا الاعتبار فالإفراد فيه مراعاة **المعنى واللفظ** والتثنية مراعاة المعنى من بعض الوجوه فائدة

وقع في شعر أبي تمام كلا الآفاق وخطأه المعرى لأن كلا يستعمل في الاثنين لا الجمع

قال ولم يأت في المسموع كلا القوم ولا كلا الأصحاب وإنما يقال كلا الرجلين ونحوه فإن أخذ من الكلأ من قولك كلأت الشيء إذا رعيته وحفظته فالمعنى يصح إلا إن المتكلم يقصر وهي ممدودة ." (٢)

" فائدة

قيل إنما كان من لمن يعقل وما لما لا يعقل لأن مواضع ما في الكلام أكثر من مواضع من وما لا يعقل أكثر ممن يعقل فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير واعطوا ما قلت مواضعه للقليل وهو من يعقل للمشاكلة والمجانسة

تنبيه

ذكر الإبياري في شرح البرهان إن اختصاص من بالعاقل وما بغيره مخصوص بالموصولتين اما الشرطية فليست من هذا القبيل لأن الشرط يستدعى الفعل ولا يدخل على الأسماء

تنبيه

وقد سبق في قاعدة مراعاة **اللفظ والمعنى** بيان حكم من في ذلك وقوله تعالى إلا من كان هودا أو نصارى ١ فجعل اسم كان مفردا حملا على لفظ من وخبرها جمعا حملا على معناها ولو حمل الاسم والخبر على اللفظ معا لقال إلا من كان يهوديا أو نصرانيا ولو حملهما على معناها لقال إلا من كانوا هودا أو نصارى فصارت الآية الشريفة بمنزلة قولك لا يدخل

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣٢٢/٤

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣٢٧/٤

الدار إلا من كان عاقلين وهذه المسالة منعها ابن السراج وغيره وقالوا لا يجوز إن يحمل الاسم والخبر معا على اللفظ فيقال إلا من كان عاقلا أو يحملا معا على المعنى فيقال إلا من كانوا عاقلين وقد جاء القرآن بخلاف قولهم ." (١)

"كما أن قولك : بزيد من : مررت بزيد .

كذلك يؤكد ذلك .

ويحسنه دخول لا في قوله : ولا في أنفسكم .

فصار ذلك مثل : ما ضربت من رجل ولا امرأة .

والضرب الآخر أن يكون صفة للنكرة ويكون متعلقاً بمحذوف .

وفيه ذكر يعود إلى الموصوف .

وقوله : ولا في أنفسكم صفة معطوفة على صفة لأنه صفة منفى فيكون كالبدل في قوله : في ليلة لا ترى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبها من الضمير في يحكى لما جرى على المنفى .

وزيادة الحروف في التنزيل كثير فأقرب من ذلك إلى ما نحن فيه قوله : " فبما رحمة من الله " وقوله : " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم " وقوله تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم " وكقوله : " عما وقيل في قوله تعالى : "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون " ما صلة .

وكذلك قوله : " إنه لحق مثل ما أنكم " أي : مثل أنكم .

وقيل في قوله : " في أي صورة ما شاء " فكقوله : فهي ترثى بأبي وابنيما وكقولهم : أفعله آثرا ما .

فهذه حروف جاءت للتأكيد عند سيبويه .

وعند قوم هو اسم ولا خلاف في زيادتها .

فمن قال : هو اسم قال : قد جاء من الأسماء مثله مزيداً كقولهم : كان زيد هو العاقل .

قال الله تعالى : " إن كان هذا هو الحق " فهو فصل .

وقال " تجدوه عند الله هو خيراً " وقال : " إنك أنت العزيز الحكيم " وقال : " إن ترن أنا أقل منك " .

وسأعد لك الفصل فيما بعد .

والصحيح قول سيبويه إذ لا معنى لها سوى التوكيد ولا تكاد الأسماء تزاد .

فأما هو فإنما جئ به ليفصل الخبر عن الوصف فهو لمعنى .

فثبت أن ما حرف زيدت كزيادة من في النفي وزيادة الباء في : ألقى بيده وساعده لك .

فما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا وأما قوله تعالى : " ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه " فإن الكسائي يقول : إن " إن " زائدة والتقدير : في الذي مكناكم فيه .

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٤١٤/٤

والفراء يقول : في الذي نمكنكم فيه .

وإياه اختار أبو علي وزعم أنه من جهة **المعنى واللفظ** أقرب .." (١)

"والمطابقة والمشاكلة وغير ذلك وهو باب واسع : مرة يشاكل اللفظ **باللفظ والمعنى** بالمعنى وباللفظ دون المعنى وبالمعنى دون اللفظ .

فمما جاء من ذلك : قراءة من قرأ : وما يخادعون إلا أنفسهم بالألف طابق به قوله : " يخادعون الله " .

وأراد أن يكون اللفظ المثبت هو المعنى .

ومثله : " إنما نحن مستهزئون " " الله يستهزئ بهم " والثاني جزاء الاستهزاء .

ومثله : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " والثاني جزاء وليس بعدوان .

ومثله : " ومكروا ومكر الله " أي جازاهم .

وقوله : " فيسخرون منهم سخر الله منهم " .

فهذا كله طباق على المعنى .

وروعى في ما يخادعون طباق **اللفظ والمعنى** .

ومن ذلك قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " أبدلوا من السين صادا لتوافق الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة .

ولهذا أبدلها من أبدلها لتوافق الطاء في الجهر .

ومثله : قوله : " أنبئهم " " فانجبست " " وإن يك " أبدلوا من النون ميماً لأن الميم يوافق الباء في المخرج وتوافق النون في الغنة .

فلما لم يستتب إدغام النون في الباء لبعدها منها وأرادوا تقريب الصوت أبدلوها ميماً .

وهذه الميم مخفاة غيري مدغمة في الباء بتة وليست بمظهرة كإظهارها في قولهم : شاة زنماء وأنملة .

لأن إدغامها هناك يتوهم معه أنه من المضاعف بخلاف قولهم : أمحي وأدخل .

لأن المثال : انفعل .

وليس في الكلام إفعل .

ومن المشاكلة أيضاً : قوله : " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها " فنصبوا رهبانية في الاختيار وسعة الكلام بفعل مضمر ليطابق الفعل المصدر به الكلام .

ومثل الآية : " يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم " .

فجاء والظالمين منصوباً بفعل مضمر ليطابق يدخل .

على تقدير : يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين .

---

(١) إعراب القرآن، ص/٦٥

ومثله : " وكلا ضربنا له الأمثال " .

فنصبوا كلا بمضمر .." (١)

"فإذا لم تعوض من حذف صلتها شيء وإن قال قائل : فإذٍ ليس بمتمكن وقد عوض إضافتها لما حذفت منها يومئذ وحينئذ وقوله : ومن خزي يومئذ ومن فزع يومئذ وعذاب يومئذ فما تنكر أن تعوض أي في النداء .

إذا حذف المضاف إليه فإن لم يعوض من بعض وكل .

قيل له : أي أشبه ببعض وكل في **اللفظ والمعنى** بحمله عليهما أولى من حملها على إذ على انه لا يلزم إذا عوض إذ أن يعوض أي لما ذكرنا من دلالتها على المضاف إليه بمعناها ولفظها ولأنها في موضع حذف وليست إذ كذلك ألا تراها أنها لا تدل على إضافة كما تدل أي عليه وإنما تدل على وقت ماض ولا تتمكن تمكن أي لأنها تتصرف في وجوه الإعراب وإذ إنما تمكنت في موضعين هذا أحدهما وكأنه كره أن يسلب ذلك ولا يعوض منه وأي أمكن منها وأشد تصرفاً فلم يلزم العوض منها من حيث لزم في إذ ولأنهم قالوا : اضرب أي أفضل فحذفوا الصلة منه والإضافة ولم يعوضوا مع حذف شيئين فلأن لا يعوض في النداء أولى وقد استقصينا هذا في الخلاف

الرابع والثلاثون ما جاء في التنزيل من حروف الشرط

دخلت عليه اللام الموطئة للقسم فمن ذلك قوله تعالى : ولئن اتبعت أهواءهم ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وإن أطعتموهم إنكم لمشركون .

وقوله : ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس .

وقوله تعالى : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله .

وقوله : ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك .

وقوله : لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار .

وقوله : لمن تبعك منهم لأملأن جهنم .

هذا ونحوه من الآي دخلت اللام على حرف الشرط فيه مؤذنة بأن ما بعدها جواب قسم مضمر على تقدير : والله لئن اتبعت أهواءهم يدل على صحة هذا وأن الجواب جواب قسم مضمر دون جواب الشرط ثبات النون في قوله : لا يأتون بمثله .." (٢)

"وأما قوله تعالى "ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه" فإن الكسائي يقول إن "إن" زائدة، والتقدير في الذي مكناكم فيه والفراء يقول في الذي نمكنكم فيه وإياه اختار أبو علي، وزعم أنه من جهة **المعنى واللفظ** أقرب فأما المعنى، فلأن قوله "فيما إن مكناكم فيه" في المعنى في قوله "مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم" وكما أن لم نفى بلا إشكال، وكذلك إن، ويبين ذلك قوله "أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض

---

(١) إعراب القرآن، ص/١٨١

(٢) إعراب القرآن، ص/٣١٧

وعمروها أكثر مما عمروها" فهذا كله يدل على أن تمكين من تقدمهم يزيد على تمكينهم، فهذا بمنزلة ما لم نمكن لكم وأما اللفظ فلأن ما موصولة، وأن يزاد بعد ما الموصولة وإنما يزاد بعد النفي في نحو ما إن طبنا جبن والذي جاء من ذلك في الشعر فيما أنشده سيبويه وأبو زيد من قوله

ورج الفتى للخير ما إن رأيته

إنما هو لتشبيه اللفظ فثبت بهذا كله وتحقق أن من تكلم في الجوهر والعرض والجزء الذي يتجزأ أو لا يتجزأ لا يعرف معنى قوله حين لا حين لأن ذاك عقلي وهذا سماعي، وبين ما يكون مبينا على السماع، وبين ما يكون مبنيا على العقل تفاوت وبون ولولا أني خفت أن تقول بعدي ما لا يحل لك في هذا الكتاب؛ لسقت جميع ما اختلفوا في زيادته في التنزيل في هذا الباب، لكني ذكرتها في مواضع ليكون أحفظ عندك

السادس

ما جاء في التنزيل من الأسماء التي سميت بها الأفعال." (١)

"وهو باب واسع مرة يشاكل اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وباللفظ دون المعنى، وبالمعنى دون اللفظ فمما جاء من ذلك قراءة من قرأ وما يخادعون إلا أنفسهم بالألف طابق به قوله "يخادعون الله" وأراد أن يكون اللفظ المثبت هو المعنى ومثله "إنما نحن مستهزئون" "الله يستهزيء بهم" والثاني جزاء الاستهزاء ومثله "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه" والثاني جزاء وليس بعدوان ومثله "ومكروا ومكر الله" أي جازاهم وقوله "فيسخرون منهم سخر الله منهم" ومثله "وجزاء سيئة سيئة مثلها" فهذا كله طباق على المعنى وروعى في ما يخادعون طباق **اللفظ والمعنى** ومن ذلك قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" أبدلوا من السين صادا لتوافق الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة ولهذا أبدلها من أبدلها، لتوافق الطاء في الجهر ومثله قوله "أنبئهم" "فانجبست" "وإن يك" أبدلوا من النون ميما، لأن الميم يوافق الباء في المخرج، وتوافق النون في الغنة فلما لم يستتب إدغام النون في الباء لبعدها منها وأرادوا تقريب الصوت أبدلوها ميما وهذه الميم مخفاة، غيري مدغمة في الباء بتة، وليست بمظهرة كإظهارها في قولهم شاة زنماء وأنملة لأن إدغامها هناك يتوهم معه أنه من المضاعف بخلاف قولهم أمحي وأدخل لأن المثال انفعل وليس في الكلام إفعل ومن المشاكلة أيضا قوله "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها" فنصبوا رهبانية في الاختيار وسعة الكلام، بفعل مضمر، ليطابق الفعل المصدر به الكلام ومثله لو وقع ابتداء اختير فيه الرفع دون النصب، نحو زيد ضربته ومثل الآية "يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم" فجاء والظالمين منصوبا بفعل مضمر، ليطابق يدخل على تقدير يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين ومثله "وكلا ضربنا له الأمثال" فنصبوا كلا بمضمر لأنه قد تقدم "فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا" وقد جاء "والقمر قدرناه" بالرفع والنصب." (٢)

---

(١) إعراب القرآن - الباقولي، ١/٧٤

(٢) إعراب القرآن - الباقولي، ١/٢٠٨

"وقد أحسن الأصوليون قيمة هذه المبادئ؛ لأنّها تساعدهم على فهم النص بشعب المعنى الثلاث: المعنى الحقيقي أمّا وضع اللفظ بازائه أصالة وهو ما يتكفل به علم المعجم، والمعنى الاستعمالي، وهو الذي تجاوزه فيه اللفظ اللغة العربية وذلك المعنى الأصلي، فاستعمل اللفظ في غيره على سبيل المجاز، أو الكناية وهذا ما يتكفل به علم البيان، والمعنى الوظيفي وهو ما تؤديه الكلمة بما لها من معنى حقيقي أو استعمالي في أثناء تركيبها مع غيرها (١) .

بيد أنّ البحث الأصولي بشكله العام يتناول البحث عن العلاقة بين **اللفظ والمعنى** من جانبين: نظري وتطبيقي (٢) .

أما الجانب النظري فيعالج النقاش فيه حول ثلاث مسائل رئيسة: أصل اللغة أتوقيف هو أم اصطلاح، وجواز القياس، أو عدمه في اللغة، والاختلاف في دلالة الأسماء الشرعية، كالصيام والصلاة والحج والزكاة.

إمّا الجانب التطبيقي: فيعني الخطاب الشرعي بأنواع دلالة اللفظ على المعنى كما استخلصوها من كلام العرب.

وقد كان هناك اختلاف في تقويم الدلالة وأنواعها بين الأحناف والمتكلمين من الأصوليين، وقبل البدء بذلك تجدر بنا الإشارة إلى أنّ لعلماء المنطق تقيسماً اصطلاحياً للدلالة وقد افاد منه الأصوليون فهي عندهم على قسمين (٣)

١- الدلالة اللفظية: وهي التي يكون فيها الدال لفظاً أو صوتاً.

٢- الدلالة غير اللفظية: وهي الدلالة التي لا دخل للفظ فيها، إنّما يكون الدال فيها إشارة أو تعبيراً.

وتنقسم كلتا الدلالتين على دلالة طبيعية ودلالة وضعية ودلالة عقلية على النحو الآتي (٤) :

---

(١) . ينظر: الأحكام للآمدي: ٩/١، والبحث النحوي عند الأصوليين: ٩، والبحث الدلالي عند سيف الدين الآمدي: ١٦.

(٢) . ينظر: بنية العقل العربي: ٥٨.٥٦، والبحث الدلالي عند ابن سينا:٢٥.

(٣) . مفاهيم الألفاظ ودلالتها عند الأصوليين: ١٠.

(٤) . أسباب اختلاف الفقهاء: ١٥٦، وينظر مفاهيم الألفاظ ودلالتها عند الأصوليين: ١٠.." [١]

"وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾ (١) ويشير البقاعي إلى نوعين من الدلالة، هما دلالة العبارة ودلالة الإشارة، إذ يقول البقاعي: ((كما دلّ عليه صريح العبارة وما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة)) (٢) فالمعنى: صريح العبارة وهي الحقيقة التي تعرفونها من نبات وأشجار اما بطريق الإشارة وهو تعبير عن الحيوانات مع ظهور الحقول. (٣)

٢. المنطوق غير الصريح .

بينت سابقا إن المنطوق غير الصريح هو ما أقرّه المتكلمون يقابله عند الأحناف دلالة ((إشارة النص واقتضاء النص)). فهو دلالة الالتزام عند المناطقة والأصوليين، لأن دلالة الالتزام تمثل ((إشارة النص واقتضاءه)) فضلا عن دلالة الإيماء عند المتكلمين.

---

(١) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ص/٨٤

أما ما أجده عند البقاعي، فإني أرى أن البقاعي يشير تارة إلى دلالة الالتزام وتارة أخرى يشير إلى دلالة الإشارة والاقتضاء والإيماء، أي أنه يجمع بين التقسيمات التي أشار إليها المناطقة والأصوليون((الأحناف والمتكلمون))

ومن الدلالات التي تكلم عنها هي :

أ: دلالة الالتزام .

دلالة الالتزام: هي التي يعدل اللفظ فيها على أمر خارج عن الموضوع له من اللفظ (٤) .ويشترط في هذه الدلالة أن يكون التلازم بين معنى **اللفظ والمعنى** الخارج اللازم تلازما ذهنيا، فلا يكفي التلازم في الخارج فقط من دون رسوخه في الذهن وإلا لما حصل انتقال الذهن هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن يكون التلازم واضحا بيّنا، بمعنى أن الذهن إذا تصور معنى اللفظ ينتقل إلى لازمه بدون حاجة إلى توسط شيء آخر (٥)

---

(١) . الأنعام:٩٩.

(٢) . نظم الدرر:٢٠٨/٧.

(٣) . للمزيد ينظر:نظم الدرر:٦٥/٥-٤٤٨، ٢٦٥/٧، ٤٤/٨-١٠٢، ٢٠٦/٩، ٢٧٩/١٢، ٣٧٤/١٦، ١٢/١٧ .

(٤) . ينظر: الأحكام للآمدي: ١٧/١

(٥) ينظر: المنطق:٣٤." [1]

"ومن هذا المنطلق ظهر نوع جديد من الألفاظ التي تنتقل من مسمياتها وتبقى على جهة الحقيقة لا المجاز وهو ما اصطلح عليه بـ ((الحقيقة الشرعية))، فالحقيقة الشرعية: ((هي اللفظ الذي استفيد من الشرع وضعه للمعنى سواء أكان اللفظ.والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أم كانا معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى إذا كان أحدهما مجهولاً والآخر معلوماً)) (١) أمّا البلاغيون والأصوليون، فقد عرّفوها بقولهم: ((هي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي)) (٢) .

وقد ذهب البقاعي إلى ما ذهب إليه جمهور الأصوليين في إثبات الحقائق الشرعية، ولكن لم أجد البقاعي يتطرق إلى تعريف لهذا المصطلح، إنّما أشار إليه في طريقه عند بيان دلالة بعض الألفاظ شرعاً، وأحياناً يتطرق إلى المعنى اللغوي والشرعي معاً.

ومن الألفاظ التي أشار إليها البقاعي في تفسير كلمة ((الغنيمة)) من قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ...﴾ (٣) أشار البقاعي إلى دلالة الكلمة إذ قال: ((والغنيمة لغة: الفوز بالشيء وشرعاً ما دخل في أيدي المسلمين من مال الكفار قهراً بالخيل والركاب)) (٤) فالمعنى: إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة، فما أخذوه من مال ظهروا عليه فهو غنيمة (٥) .

---

(١) . إرشاد الفحول: ٩٥/١، وينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ١٣٤.

---

(١) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ص/٩٦

(٢) . الطراز: ١/٥٥.

(٣) . الأنفال: ٤١.

(٤) . نظم الدرر: ٨/٢٨٣، وينظر: ٨/٢١٧.

(٥) . جامع البيان: ١٠/٢٠.." [1]

"وخرَّج ابنُ عطية القراءةَ على كَوْنِ الهمزةِ للتعديةِ مِنْ وجهٍ آخرَ، وهو مِنْ نَسْخ الكتابِ، وهو نَقْلُه من غير إزالةٍ له، قال: "ويكونُ المعنى: ما نَكْتُبْ ونُنَزِّلْ من اللوح المحفوظ أو ما نؤخِّرْ فيه ونَتْرُكْهُ فلا نُنُزِّلْه، أيَّ ذلك فَعَلْنا فإنما نأتي بخيرٍ من المؤخَّر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في "منها" و "بمثلها" عائِدَيْنِ على الضمير في "نَنْسَأْها" قال الشيخ: "وذَهَلَ عن القاعدة وهي أنه لا بُدَّ من ضيرٍ يعودُ من الجزاء على اسم الشرطِ، و "ما" في قوله: "ما نَنْسَخْ" شرطيةٌ، وقولُه "أو نَنْسَأْها" عائدٌ على الآية، وإن كان المعنى ليس عائداً عليها من حيث **اللفظُ والمعنى**، بل إنما يعودُ عليها من حيث اللفظُ فقط نحو: عندي درهمٌ ونصفُه، فهو في الحقيقة على إضمار "ما" الشرطيةِ، التقدير: أو ما نَنْسَأْ من آيةٍ ضرورةَ أنَّ المنسوخِ غيرُ المَنْسُوء، ولكن يبقى قولُه: مَا نَنْسَخْ من آيةٍ مُفْلَتاً من الجوابِ، إذ لا رابطَ يعودُ منه إليه فَبَطَلَ هذا المعنى الذي قاله".

قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ "مِنْ" للتبعيضِ، فهي متعلِّقةٌ بمحذوف لأنها صفةٌ لاسمِ الشرط، ويَضْعُفُ جَعْلُها حالاً، والمعنى: أيَّ شيءٍ نَنْسَخْ من الآيات فـ"آية" مفرد وقع موقِعَ الجمعِ، وكذلك تخريجُ كلّ ما جاءَ من هذا التركيب: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، وهذا المجرورُ هو المخصِّصُ والمبِّينُ لاسم الشرطِ؛ وذلك أَنَّ فيه إبهاماً من جهةِ عمومِهِ، ألا ترى أنَّك لو قلت: "مَنْ يُكْرِمْ أُكْرِمْ" تناوَلَ النساءَ والرجالَ، فإذا قلت: "مِن الرجالِ" بَيَّنْتَ وخصَّصْتَ ما تناوَله اسمُ الشرط.

(٢/٤٢)

___." [2]

"قوله تعالى: ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: قراءةُ الجمهور: "قتالٍ" بالجر، وفيه ثلاثةُ أوجهٍ أحدها: أنه خفضٌ على البدلِ من "الشهر" بدلِ الاشتمال؛ إذ القتالُ واقعٌ فيه فهو مشتملٌ عليه. والثاني: أنه خفضٌ على التكرير، قال أبو البقاء: "يريد أنَّ التقديرَ: "عن قتالٍ فيه". وهو معنى قول الفراء، لأنه قال: "وهو مخفوضٌ بـ"عَنْ" مضمرةً. وهذا ضعيفٌ جداً، لأنَّ حرفَ الجر لا يبقى عملُه بعد حذفِهِ في الاختيار". وهذا لا ينبغي أن يُعَدَّ خلافاً بين البصريين والكسائي والفراء، لأنَّ البدلَ عند جمهور البصريين على نِيَّةِ تكرار العامل، وهذا هو بعينه قولُ الكسائي. وقوله: لأنَّ حرفَ الجرّ لا يَبْقَى علمُه بعد حَذْفِهِ" إن أراد في غيرِ البدل فَمُسَلَّم، وإن أرادَ في البدلِ فممنوعٌ، وهذا هو الذي عناه الكسائي. الثالث: قاله أبو عبيدة: "أنه خفضٌ على الجوار". قال أبو البقاء: "وهو أَبْعَدُ من قولِهما – يعني الكسائيَّ والفراء – لأن الجِوار من مواضعِ الضرورةِ أو الشذوذِ فلا

---

(١) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ص/١٢٦

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٦٣

يُحْمَلُ عليه ما وُجِدَتْ عنه مَنْدُوحة". وقال ابن عطية: "هو خطأ". قال الشيخ: "إن كان أبو عبيدة عَنَى بالجِوار المصطلحَ عليه فهو خطأ. وجهةُ الخطأِ أنَّ الخفض على الجوار عبارةٌ عن أن يكونَ الشيءُ تباعاً لمرفوعٍ أو منصوبٍ من حيثُ **اللفظُ والمعنى** فَيُعْدَلَ به عن تَبَعِيَّتِه لمتبوعِه لفظاً، ويُخْفَضَ لمجاوَرَتِه لمخفوضٍ. كقولِهم: "هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ" بجرِّ "خرب"، وكان من حقِّه الرفعُ؛ لأنه من صفاتِ الجحر لا من صفاتِ الضبِّ، ولهذه المسألةِ مزيدُ بيانٍ يأتي في موضِعه إن شاء الله تعالى، و "قتالٍ" هنا ليس تابعاً لمرفوعٍ أو منصوب وجاور مخفوضاً فَخُفِض. وإن كان عَنَى أنه تابعٌ لمخفوضٍ فَخَفْضُه بكونه جاور مخفوضاً، أي صار تابعاً له، لم يكنْ خطأً، إلا أنه غْمَضَ في عبارته فالتبس بالمصطلحِ عليه.

(٣٦٦/٢)

---."(١)

"* ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾: الجمهورُ على "يُؤْتِي" "ومَنْ يُؤْتَ" بالياءَ فيهما، وقرأ الربيع بن خيثم بالتاءِ على الخطاب فيهما. وهو خطابٌ للباري على الالتفاتِ. وقرأ الجمهور: "ومن يُؤْتَ" مبنياً للمفعول، والقائمُ مقامَ الفاعلِ ضميرُ "مَنْ" الشرطيةِ، وهو المفعولُ الأولُ، و "الحكمةَ" مفعولٌ ثانٍ. وقرأ يعقوب: "يُؤْتِ" مبنياً للفاعل، والفاعلُ ضميرُ الله تعالى، و "مَنْ" مفعولٌ مقدمٌ، و "الحكمة" مفعولٌ ثان كقولِك؛ "يَّاً يُعْطِ زيدٌ درهماً أُعْطِه درهماً".

وقال الزمخشري: بمعنى "ومَنْ يُؤْتِهِ اللهُ". قال الشيخ: "إن أراد تفسيرَ المعنى فهو صحيحٌ، وإن أرادَ الإِعرابَ فليس كذلك، إذ ليس ثَمَّ ضميرُ نصبٍ محذوفٌ، بل مفعولُ "يُؤْتِ" مَنْ الشرطيةُ المتقدمةُ. قلت: ويؤيِّدُ تقديرَ الزمشخري قراءةُ الأعمش: ﴿ومَنْ يُؤْتِه الحكمةَ﴾ بإثباتِ هاءِ الضمير، و "مَنْ" في قراءتِه مبتدأٌ لاشتغالِ الفعلِ بمعمولِه، وعند مَنْ يجوِّزُ الاشتغالَ في أسماء الشرطِ والاستفهامِ يجُوز في "مَنْ" النصبَ بإضمارِ فعلٍ، ويقدِّرُه متأخراً، والرفعُ على الابتداءِ، وقد تقدَّم تحقيق هذهِ في غضونِ هذا الإِعراب.

وقوله: ﴿أُوتِيَ﴾ جوابُ الشرطِ، والماضي المقترنُ بقد الواقعُ جواباً للشرطِ تارةً يكونُ ماضيَ اللفظِ مستقبلَ المعنى كهذه الآية، فهو الجوابُ حقيقةً، وتارةً يكونُ ماضيَ **اللفظِ والمعنى** نحو: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ﴾ فهذا ليسَ جواباً، بل الجوابُ محذوفٌ أي: فَتَسَلَّ فقد كُذِّبَتْ رسلٌ، وسيأتي له مزيدُ بيانٍ.

(١٣٧/٣)

---."(٢)

"وعالَ الرجل عيالَه يَعُولهم أي: مانَهم من المَؤُونة، ومنه: "ابدَأْ بنفسك ثم بمن تعول"، وحكى ابن الأعرابي: عال الرجل يعول: كثر عياله، وعالَ يَعِيل افتقر وصار له عائلةٌ. والحاصل: أن "عال" يكونُ لازماً ومتعدياً، فاللازمُ يكون بمعنى

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٧٨٧

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٩٩٢

مالَ وجارَ، ومنه "عال الميزانُ"، وبمعنى كَثُر عيالُه، وبمعنى تفاقم الأمرُ، والمضارعُ من هذا كلِّه يعولُ، وعالَ الرجل، افتقر، وعلاً في الأرض ذهب فيها، والمضارع من هذين يَعِيل، والمتعدي يكون بمعنى أثقل وبمعنى مان من المؤونة وبمعنى غَلَب، ومنه "عيل صبري"/، ومضارع هذا كله: يَعُول، وبمعنى أعجز، تقول: أعالني الأمر أي: أعجزني، ومضارع هذا يَعيل، والمصدر عَيْل ومَعِيل. فقد تلخص من هذا أن "عال" اللازم يكون تارة من ذوات الواو وتارة من ذوات الياء باختلاف المعنى، وكذلك "عال" المتعدي أيضاً.

وفَسَّر الشافعي "تَعُولوا" بمعنى: يكثرُ عيالُكم، وردَّ هذا القولَ جماعة كأبي بكر بن داود الرازي والزجاج وصاحب "النظم". قال الرازي: "هذا غلطٌ من جهة **المعنى واللفظ**: أما الأول فالإِباحة السراري مع أنه مَظَنَّة كثرة العيال كالتزوج، وأما اللفظ فلأن مادة "عال" بمعنى كَثُر عياله من ذوات الياء لأنه من العَيْلَة، وأما "عالِ" بمعنى جار فمِنْ ذواتِ الواو فاختلفت المادتان، وأيضاً فقد خالَفَ المفسرين". وقال صاحب النظم: "قال أولاً "ألاَّ تعدلوا" فوجَبَ أن يكونَ ضدُّه الجورَ".

(٣٢٦/٤)

___". (١)

"قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ﴾: حَمَلَ على لفظ "مَنْ" فَأَفْرَدَ الضميرَ في قوله: "يُطِعْ" و"يُدْخِلْه"، وعلى معناها فجمع في قوله "خالدين". وهذا أحسنُ الحَمْلين، أعني الحملَ على اللفظ ثم المعنى، ويجوزُ العكس وإن كان ابن عطية قد منعه، وليس بشيء لثبوتِه عن العرب، وقد تقدَّم ذلك غيرَ مرةٍ وفيه تفصيلٌ، وله شروط مذكورةٌ في كتب النحو.

وفي نصبِ "خالدين" وجهان، أظهرهما: أنه حال من الضمير المنصوبِ في "يُدْخِلُه"، ولا يَضُرُّ تغايُرُ الحالِ وصاحِبها من حيث كانت جمعاً وصاحبُها مفرداً لِما تقدَّم من اعتبار **اللفظ والمعنى**، وهي مُقَدَّرة لأنَّ الخلود بعد الدخولِ.

والثاني: أن يكونَ نعتاً لـ"جنات" من باب ما جَرَى على موصوفِه لفظاً وهو لغيرِه معنىً نحو: مررت برجلٍ قائمةٍ أمه، وبأمرأة حسنٍ غلامُها، فـ"قائمة" و"حسنٍ" وإن كانا جارِيَيْنِ على ما قبلهما لفظاً فهما لِما بعدَهما معنىً، أجاز ذلك في الآية الكريمة الزجاج وتبعه التبريزي، إلاَّ أنّ الصفة غذا جَرَتْ على غير مَنْ هي له وجب/ إبرازُ الضمير مطلقاً على مذهب البصريين: أَلْبس أو لم يُلْبِس. وأما الكوفيون فيفصِّلون فيقولون: إذا جرت الصفة على غير مَنْ هي له: فإن أَلْبس وجب إبراز الضمير كما هو مذهب البصريين نحو: "زيدٌ عمروٌ ضاربُه هو" إذا كان الضرب واقعاً من زيد على عمرو وإن لم يُلْبِس لم يَجِبِ الإبرازُ نحو: "زيدٌ هندٌ ضاربُها"، إذا تقرَّر هذا فمذهب الزجاج في الآية إنما يتمشَّى على رأي الكوفيين، وهو مذهب حسن. واستدلَّ مَنْ نَصَر مذهبَ الكوفيين بالسماع، فمنه قراءةُ مَنْ قرأ: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ بجر "غير" مع عدمِ بروزِ الضمير، ولو أَبْرزه لقال: "غير ناظرين إناه أنتم" ومنه قولُ الآخَر:

١٥٥٦. قَوْمي ذُرا المجدِ بانُوها وقد عَلِمَتْ * بكُنْهِ ذلك عدنانٌ وقَحْطانُ

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/١٦٠٦

(٣٧٠/٤)

---." (١)

"(١٢٢/٥)

الجلالةُ للمعنى المشار [إليه]، وقد تقدَّم تحقيق التجريد في أول البقرة عند قوله ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ

﴾. والجر من وجهين، إحدهما: أن تكون الواو للقسم، وأقسمَ اللهُ بالمتلوِّ في أن النساء تعظيماً له كأنه قيل: وأُقْسم بما يُتْلى عليكم في الكتاب، ذكره الزمخشري والثاني: أنه عطفٌ على الضمير المجرور ب"في" أي: يُفْتيكم فيهنَّ وفيما يتلى، وهذا منقولٌ عن محمد بن أبي موسى قال: "أفتاهما لله فيما سألوا عنه وفيما لم يَسْألوا" إلا أنَّ هذا ضعيف من حيث الصناعةُ، لأنه عطفٌ على الضميرِ المجرور من غير إعادة الجار وهو رأي الكوفيين، وقد قَدَّمْتُ ما في ذلك من مذاهب الناس ودلائلهم مستوفى عند قوله: ﴿وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فعليك بالالتفات إليه. قال الزمخشري: "ليس بسديدٍ أن يُعْطَف على المجرور في "فيهنَّ" لاختلاله من حيث **اللفظ والمعنى**" وهذا سبَقَه إليه أبو إسحاق قال: "وهذا بعيدٌ بالنسبةِ إلى اللفظ وإلى المعنى: أمَّا اللفظُ فإنه يقتضي عطفَ المُظْهَر على المضمرِ، وأما المعنى فلأنه ليس المرادُ أنَّ اللهَ يفتيكم في شأنِ ما يُتْلى عليكم في الكتاب، وذلك غيرُ جائزٍ كما لم يَجُزْ في قوله ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ يعني من غير إعادة الجار. وقتد أجاب الشيخ عما ردَّ به الزمخشري والزجاج بأن التقدير: يُفْتيكم في متلوِّهنَّ وفيما يُتْلى عليكم في الكتابِ في يتامى النساء، وحُذِفت لدلالة قوله ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ وإضافةُ "متلوّ" إلى ضمير "هُنَّ" سائغةٌ، إذ الإضافةُ تكون بأدنى ملابسةٍ لَمَّا كان متلواً فيهن صَحَّتِ الإضافةُ إليهن، كقوله: ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ لَمَّا كان المكرُ يقع فيهما صَحَّتْ إضافتُه إليهما، ومثله قول الآخر:

١٦٥٩- إذا كوكبُ الخَرْقاءِ لاحَ بِسُحْرَةٍ * سهيلٌ أذاعَتْ غَزْلَها في الغرائب

وفي هذا الجواب نظرٌ.

(١٢٣/٥)

---." (٢)

"أي: واضحٌ،يُقال: طريق مَنْهَجٌ ونَهْجٌ. وقال ابن عطية: "مِنْهاج مثالُ مبالغةٍ من نَهَج" يعني نحو قولهم: "إنه لِمَنْحار بوائكَها" وهو حسن، وهل الشرعةُ والمنهاجُ بمعنى، كقوله:

١٧٣٧- .... * وهند أتى مِنْ دونِها النَّأْيُ والبُعْدُ

[وكقوله:]

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/١٦٥٠

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/١٨٣١

١٧٣٨- .... * وألْفى قولَها كَذِباً ومَيْنا

أو مختلفان؟ فالشِّرْعة ابتداءُ الطريق، والمِنْهاج الطريق المستمر، قاله المبرد، أو الشِرْعَةُ الطريقُ واضحاً كان أو غيرَ واضح، والمنهاج الطريق الواضح فقط، فالأول أعمُّ، قاله ابن الأنباري، أو الدين والدليل؟ خلاف مشهور.

قوله: ﴿وَلَاكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلقٌ بمحذوف فقدَّره أبو البقاء "ولكنْ فَرَّقكم ليبلوكَم" وقدَّره غيرُه: "ولكن لم يَشَأْ جَعْلَكم أمةً واحدة" وهذا أحسنُ لدلالة **اللفظ والمعنى** عليه. "جميعاً" حال من "كم" في "مرجعكم"، والعاملُ في هذه الحال: إمَّا المصدرُ المضافُ إلى "كم" فإنَّ "كم" يحتمل أَنْ يكونَ فاعلاً، والمصدرُ يَنْحَلُّ لحرف مصدري وفعل مبنيٍ للفاعل، والأصلُ: "تَرْجعون جميعاً" ويحتمل أن كيونَ معفولاً لم يُسَمَّ فاعله على أن المصدر ينحلُّ لفعل مني للمفعول أي: يُرْجِعُكم الله، وقد صُرِّح بالمعنيين في مواضع، وإمَّا أن يعملَ فيها الاستقرارُ المقدرفي الجار وهو "إليه"، و"إليه مَرْجِعُكم" يُحتمل أن يكونَ من باب الجمل الفعلية أو الجمل الاسمية، وهذا واضحٌ بما تقدَّم في نظائره، و"فَيُنَبِّئُكم" هنا من "نَبَّا" غيرَ متضمنةٍ معنى "أعلم" فلذلك تَعَدَّت لواحدٍ بنفسها وللآخر بحرف الجر.

(٥/٣٣٢)

___." (١)

"قوله تعالى: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ﴾: مبتدأ وخبر، وقد عَرَفْتَ مما مرَّ "أيَّاً" بعضُ ما تضاف إليه، فإذاكانت استفهاميةً اقتضى الظاهرُ أن تكون مسمَّى باسم ما أضيفت إليه. قال أبو البقاء: "وهذا يوجب أن يُسَمَّى الله تعالى "شيئاً" فعلى هذاتكون الجلالةُ خبرَ مبتدأ محذوف أي: ذلك الشيء هو الله تعالى. ويجوز أن تكون الجلالة مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: الله أكبر شهادة. و"شهيد" على هذين القولين خبرُ مبتدأ محذوف أي: هو شهيد بيني وبينكم. والجملة من قوله: ﴿قُلِ اللَّهِ﴾ على الوجهين المتقدمين جواب لـ "أيّ" من حيث **اللفظ والمعنى**. ويجوز أن تكون الجلالة مبتدأ، و"شهيد" خبرها، والجملة على هذا جوابٌ لـ "أيّ" من حيث المعنى أي: إنها دالة على الجواب وليست به.

قوله: ﴿شَهَادَةً﴾ نصبٌ على التمييز، وهذا هو الذي لا يَعْرِفُ النحاةُ غيرَه. وقال ابن عطية: "ويَصِحُّ على المفعول بأن يُحْمَلَ "أكثر" على التشبيه بالصفة المشبهة باسم الفاعل". وهذا ساقطٌ جداً. إذ نصَّ النحويون على أن معنى شبهها باسم الفاعل في كونها تؤنث وتثنَّى وتجمع، وأفعلُ مِنْ لا يؤنَّثُ ولا يُثَنَّى ولا يُجْمع فلم يُشْبِه اسم الفاعل، حتى إن الشيخ نسب هذا الخِباط إلى الناسخ دون أبي محمد.

قوله: ﴿بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ متعلِّقٌ بـ "شيهد" وكان الأصل: قل الله شهيد بيننا فكُرِّرَتْ "بين" توكيداً، وهو نظير قوله:

١٨٧٧- فأيِّي ما وأيُّك كان شراً * فَسِيقَ إلى المَقامةِ لا يراها

وقوله:

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٢٠٤٠

١٨٧٨- يا ربَّ موسَى أظلمي وأَظْلَمُهْ * فاصْبُبْ عليه مِلكاً لا يَرْحَمُهْ

وقوله:

١٨٧٩- فلئِنْ لَقِيْتُك خالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ * أيِّي وأيُّك فارسُ الأحزابِ

والجامع بينهما أنه لَمَّا أضاف إلى الياء وحدها احتاج إلى تكرير ذلك المضاف. وجَوَّز أبو البقاء أن يكون "بيني" متعلقاً بمحذوفٍ على أنه صفة لشيهيد فيكون في محل رفع، والظاهر خلافه.

(١٥٨/٦)

---". (١)

"قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: في هذه الكاف ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها للتشبيه، وهي في محل نصب نعتاً لمصدرٍ محذوفٍ، فقَدَّره الزمخشري: "ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرِّفُ إبراهيم ونبصره ملكوت" وقدَّره المهدوي: "وكما هديناك يا محمد أرينا إبراهيم". قال الشيخ: "وهذا بعيد من دلالة اللفظ" قلت: إنما كان بعيداً لأن المحذوف من غير الملفوظ به ولو قدَّره بقوله: "وكما أَرَيْناك يا محمد الهداية" لكان قريباً لدلالة **اللفظ والمعنى** معاً عليه. وقدَّره أبو البقاء بوجهين، أحدهما: قال "هو نصب على إضمار أريناه، تقديرُه: وكما رأى أباه وقومه في ضلال مبينٍ أريناه ذلك، أي: ما رآه صواباً بإطلاعنا إياه عليه. والثاني قال: "ويجوز أن يكون منصوباً بـ "نُري" التي بعده على أنه صفةٌ لمصدرٍ محذوف تقديره: نريه ملكوت السموات والأرض رؤية كرؤية ضلال أبيه" انتهى. قلت: فقوله "على إضمار أريناه" لا حاجةَ إليه البتة ولأنَّه يقتضي عدمَ ارتباط قوله "نُري إبراهيم ملكوت" بما قبله.

الثاني: أنها للتعليل بمعنى اللام أي: ولذلك الإنكارِ الصادرِ منه عليهم، والدعاءِ إلى الله في زمن كان يُدْعَى فيه غير الله آلهة نريه ملكوت. الثالث: أن الكاف في محل رفع على خبر ابتداء مضمر أي: والأمر كذلك أي: ما رآه من ضلالتهم، نقل الوجهين الأخيرين أبو البقاء وغيره.

(٢٨٥/٦)

---". (٢)

"وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾: الظاهر أن "جعل" بمعنى خلق فتكون متعديةً لواحد، و "لكم" متعلق بـ "جَعَلَ" وكذا "لتهتدوا". فإن قيل: كيف يتعلَّق حرفا جر متَّحدان في **اللفظ والمعنى؟** فالجواب أن الثاني بدلٌ من الأول بدلُ اشتمال بإعادة العامل، فإن "ليهتدوا" جا ر ومجرور، إذ اللام لام كي، والفعل بعدها منصوب بإضمار "أن" عند البصريين وقد تقدَّم تقريره. والتقدير: جعل لكم النجوم لاهتدائكم، ونظيره في القرآن ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَانِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ فـ "لبيوتهم" بدلٌ من "لمن يكفر" بإعادة العامل، وقال ابن عطية: "وقد يمكن أن يكون بمعنى "صيَّر" ويقدَّر المفعول الثاني من لتَهْتدوا، أي:

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٢٣٢١

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٢٤٤٨

جعل لكم النجوم هداية".

قال الشيخ: "وهو ضعيفٌ لندور حَذْفِ أحد مفعولي ظنَّ وأخواتها" قلت: لم يَدَّع ابنُ عطيَّة حذف المفعول الثاني حتى يجعله ضعيفاً إنما قال: إنه مِنْ "لتهتدوا" أي: فيُقَدَّر متعلق الجار الذي وقع مفعولاً ثانياً كما يُقدَّر في نظائره والتقدير: جعل لكم النجوم مستقرة أو كائنة لاهتدائكم. وأمَّا قوله: "أي جَعَل لكم النجومَ هدايةً" فلإيضاح المعنى وبيانه.
والنجوم معروفة وهي جمع نجم، والنجم في الأصل مصدر يقال: نَجَم الكوكبُ ينجُمُ نَجْماً ونُجوماً فهو ناجم، ثم أُطلق على الكوكب مجازاً، فالنجم يستعمل مرة اسماً للكوكب ومرة مصدراً، والنجوم تستعمل مرة للكواكب وتارة مصدراً ومنه: نَجَمَ النبت أي: طَلَع، ونَجَم قرن الشاة وغيرها، والنجم من النبات ما لا ساق له، والشجرُ ما له ساق، والتنجيم: التفريق، ومنه نجوم الكنانة تشبيهاً بتفرق الكواكب.

* ﴿ وَهُوَ الَّذِيا أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾
(٦/٣٤١)
___." (١)

"قوله: ﴿وَشَهِدُواْ﴾ يُحتمل أن يكونَ نَسَقاً على "قالوا" الذي وقع جواباً لسؤال الرسل فيكون داخلاً في الجواب أيضاً. ويحتمل أن يكون مستأنفاً مقتطعاً عَمَّا قبله ليس داخلاً في الجواب أيضاً. ويحتمل أن يكون مستأنفاً مقتطعاً عَمَّا قبله ليس داخلاً في حيز الجواب. كذا قال الشيخ وفيه نظر؛ من حيث إنه جَعَل هذه الجملة جواباً لعطفها على قالوا، وقالوا في الحقيقة ليس هو الجواب، إنما الجواب هو مقول هذا القول وهو "ضلُّوا عنا" ف "ضَلُّوا عنا" هو الجوابُ الحقيقي الذي يُسْتفاد منه الكلام. ونظيره أن يقول: سَأَلْتُ زيداً ما فعل؟ فقال: أطعمتُ وكسوتُ، فنفس أطعمتُ وكسوتُ هو الجوابُ. وإذا تقرَّر هذا فكان ينبغي أن يقول "فيكون" معطوفاً على "ضلوا عنا"، ثم لو قال كذلك لكان مُشْكلاً من جهة أخرى: وهو أنه كان يكون التركيبُ الكلامي: "ضلُّوا عنا وشهدنا على أنفسنا أنَّا كنَّا"، إلا أَنْ يُقال: حكى الجواب الثاني على المعنى، فهو محتملٌ على بُعْدٍ بعيد.

* ﴿ قَالَ ادْخُلُواْ فِيا أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَاؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَاكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى: ﴿فِيا أُمَمٍ﴾: يجوز أن يتعلَّق قولُه "في أمم" وقوله: "في النار" كلاهما بادخلوا فيجيء الاعتراضُ المشهور: وهو كيف يتعلَّق حرفا جر متحدا **اللفظ والمعنى** بعاملٍ واحد؟ فيُجاب بأحد وجهين إمَّا أنَّ "في" الأولى ليست للظرفية بل للمعيَّة، كأنه قيل: ادخلوا مع أممٍ أي: مصاحبين لهم في الدخول، وقد تأتي "في" بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٢٥٠٤

سَيِّئَاتِهِمْ فِيا أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾. وقول الشاعر:

(١٢٩/٧)

___." (١)

"وقرىء "أَثَّاقَلْتم" بالاستفهام الذي معناه الإنكار، وحينئذٍ لا يجوزُ أن يَعْمل في "إذا"؛ لأنَّ ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله، فيكون العاملَ في هذا الظرف: إمَّا الاستقرارُ المقدَّرَ في "لكم"، أو مضمرٌ مدلولٌ عليه باللفظ. والتقدير: ما تصنعون إذا قيل لكم. وإليه نحا الزمخشري. والظاهر أن يُقَدَّر: ما لكم تثاقلون إذا قيل، ليكون مدلولاً عليه من حيث **اللفظُ والمعنى**.

وقوله: ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ ضُمِّنَ معنى المَيْل والإِخلاد. وقوله: "من الآخرة" تظاهَرَتْ أقوالُ المُعْربين والمفسرين على أنَّ "مِنْ" بمعنى بدل كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلاَئِكَةً﴾ أي: بدلكم، ومثلُه قولُ الآخر:

٢٤٨٥ - جاريةٌ لم تأْكُلِ المُرَقَّقا * ولم تَذُقْ من البُقول الفُسْتُقا

وقول الآخر:

٢٤٨٦ - فليت لنا مِنْ ماءِ زمزمَ شَرْبةً * مُبَرَّدَةً باتَتْ على طَهَيانِ

/ إلا أنَّ أكثرَ النحويين لم يُثْبتوا لها هذا المعنى، ويتأوَّلون ما أوهم ذلك والتقديرُ هنا: اعتَصَمْتُمْ من الآخرة راضين بالحياة وكذلك باقيها. وقال أبو البقاء: "مِن الآخرة في موضع الحال أي: بدلاً من الآخرة"، فقدَّرالمتعلَّقَ خاصاً، ويجوز أن يكون أراد تفسير المعنى.

قوله: ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ من حيث المعنى تقديره: فما متاعُ الحياة الدنيا محسوباً في الآخرة. فـ"محسوباً" حالٌ مِنْ "متاع". وقال الحوفي: "إنه متعلق بـ"قليل وهو خبر المبتدأ". قال: "وجاز أن يتقدَّمَ الظرفُ على عامله المقرونِ بـ"إلا" لأنَّ الظروفَ تعمل فيها روائحُ الأفعال. ولو قلت: "ما زيدٌ عمراً إلا يَضْرب" لم يَجُزْ".

(٣٩/٨)

___." (٢)

"قوله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ﴾: فيه أوجه، أحدها: أن يكون معطوفاً على "الضعفاء"، أي: ليس على الضعفاء ولا على الذين إذا ما أَتَوْك، فيكونون داخلين في خبر ليس، مُخبراً بمتعلقهم عن اسمِها وهو "حَرَج". الثاني: أن يكون معطوفاً على "المحسنين" فيكونون داخلين فيما أَخْبره به عن قوله "من سبيل"، فإنَّ "مِنْ سبيل" يحتمل أن يكون مبتدأً، وأن يكون اسمَ "ما" الحجازية، و "مِنْ" مزيدةٌ في الوجهين. الثالث: أن يكون ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: ولا على الذين إذا ما أتوك إلى آخرِ الصلةِ حرجٌ أو سبيل، وحُذِفَ لدلالةِ الكلامِ عليه، قاله أبو البقاء، ولا حاجةَ إليه لأنه تقديرٌ مُسْتغنىً عنه، إذ قد قَدَّر شيئاً يقومُ مقامَه هذا الموجودُ في **اللفظ والمعنى**. وهذا الموصولُ يحتمل أن يكونَ مندرجاً في قوله

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٢٧٤٠

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٣٠٧٩

﴿وَلاَ عَلَى / الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ وذُكِروا على سبيل نفي الحرج عنهم وأن يكونوا مندرجين، بأن يكون هؤلاء وجدوا ما ينفقون، إلا أنهم لم يجدوا مَرْكوباً.

وقرأ معقل بن هرون "لنَحْملهم" بنونِ العظمة. وفيها إشكالٌ، إذ كان مقتضى التركيبِ: قلت لا أجدُ ما يَحْملكم عليه الله. (٨٣/٨)

___." (١)

"قوله: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ، أحدُها: أن يكونَ معطوفاً على "مُسْتَخْفٍ"، ويُرادُ بـ "مَنْ" حينئذٍ اثنان، وحضمَلَ المبتدأَ الذي هو لفظةُ "هو" على لفظِها فأفرده، والخبرَ على معناها فثنَّاه. الوجه الثاني: أن يكونَ عطفاً على "﴿مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على مُسْتَخْفٍ وحدَه. ويُرَجِّح هذين الوجهين ما قاله الزمخشري. قال رحمه الله: "فإنْ قلت: كان حقُّ العبارة أن يُقال: "ومَنْ هو مُسْتَخْفٍ بالليل ومَنْ هو ساربٌ بالنهار؛ حتى يتناولَ معنى الاستواء المستخفي والساربُ، وإلاَّ فقد تناول واحداً هو مُسْتَخْفٍ وساربٌ. قلت: فيه وجهان، أحدُهما: أنَّ قولَه "وساربٌ" عطفٌ على ﴿مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على "مُسْتَخْفٍ". والثاني: أنه عَطْفٌ على "مُسْتَخْفٍ"، إلا أنَّ "مَنْ" في معنى الاثنين، كقوله:

٢٨٤٣- .... * نَكُنْ مثلَ مَنْ يا ذئبُ يَصْطَحِبانِ

كأنه قيل: سواءٌ منكم اثنان: ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾. وقلت: وفي عبارتِه بقوله "كان حقُّ العبارةِ أدب.

وقوله: كقولِه "نضكُنْ مثلَ مَنْ" يشير إلى البيت المشهور في قصة بعضِهم مع ذئبٍ يخاطبه:

تَعَشَّ فإنْ عاهَدْتَني ولا تَخُونُني * نَكُنْ مِثْل مَنْ يا ذئبُ يَصْطَحِبان

وليس في البيت حَمْلٌ على **اللفظِ والمعنى**، إنما فيه حَمْلٌ على المعنى فقط، وهو مقصودُه. وقوله: "وإلا فقد تناول واحداً هو مُسْتَخْفٍ وسارِبٌ" لو قال بهذا قائلٌ لأصاب الصوابَ، وهو مذهبُ ابنِ عباس ومجاهدٍ، ذهبا إلى أن المتسخفي والسارب شخصٌ واحد، يَسْتخفي بالليل ويَسْرُب بالنهار ليرى تصرُّفَه في الناسِ.

الثالث: أن يكونَ على حذف "مَنْ" الموصولة، أي: ومَنْ هو سارِبٌ، وهذا إنما يَتَمَشَّى عند الكوفيين، فإنهم يُجيزون حَذْفَ الموصول، وقد تقدَّم استدلالُهم ذلك.

والسَّارِب: اسمُ فاعلٍ مِنْ سَرَبَ يَسْرُبُ، أي: تَصَرَّفَ كيف شاء. قال:

(١٠١/٩)

___." (٢)

"٣٥٠٦. .... *كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدمِ

الرابع: أنَّ الأعناقَ جمعُ عُنُق من الناس، وهم الجماعةُ، فليس المرادُ الجارحةَ البتة. ومن قولُه:

٣٥٠٧. أنَّ العراقَ وأهلَه * عُنُقٌ إليك فَهَيْتَ هَيْتا

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٣١٢٣

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٣٥٥٦

قلت: وهذا قريبٌ مِنْ معنى الأولِ. إلاَّ أنَّ هذا القائلَ يُطْلِقُ الأعناقَ على جماعةِ الناسِ مطلقاً، رؤساءَ كانوا أو غيرَهم.
الخامس: قال الزمخشري: "أصلُ الكلامِ: فظلُّوا لها خاضعين، فَأُقْحِمَتِ الأعناقُ لبيانِ موضع الخضوع، وتُرِكَ الكلامُ على أصله، كقوله: ذهبَتْ أهلُ اليمامة، فكأن الأهلَ غيرُ مذكور". قلت: وفي التنظير بقولِه: ذهبَتْ أهلُ اليمامةِ" نظرٌ؛ لأنَّ "اهل" ليس مقحماً البتة؛ لأن المقصودُ بالحكم، وأمَّا التأنيثُ فلاكتسابِه التأنيثَ. السادس: أنها عُوْمِلَتْ معاملةَ العقلاءِ لَمَّا أُسْند إليهم ما يكونُ فِعْلَ العقلاءِ كقوله ﴿ساجدِين﴾ و﴿طائِعِين﴾ في يوسف والسجدة.
والثاني: أنه منصوبٌ على الحالِ من الضميرِ في "أعناقُهم" قاله الكسائي، وضَعَّفه أبو البقاء قال: "لأنِّ "خاضعين" يكون جارياً على غايرِ فاعلِ "ظَلَّتْ" فيَفْتَقِرُ إلى إبرازِ ضميرِ الفاعل، فكان يجبُ أَنْ يكونَ "خاضعين هم". قلت: ولم يَجْرِ "خاضعين" في اللفظِ والمعنى إلاَّ على مَنْ هو له، وهو الضمير في "أعناقُهم"، والمسألة التي قالها: هي أَنْ يجريَ الوصفُ على غير مَنْ هو له في اللفظِ دونَ المعنى، فكيف يلزمُ ما أَلْزَمه به؟ على أنه لو كان كذلك لم يَلْزَمْ ما قاله؛ لأنَّ الكسائيَّ والكوفيين لا يُوْجِبون إبرازَ الضميرِ في هذه المسألةِ إذ أُمِنَ اللَّبْسُ، فهو يَلْتَزِمُ ما ألزمه به، ولو ضَعَّفه بمجيءِ الحالِ من المضاف إليه لكان أقربَ. على أنه لا يَضْعُفُ لأنَّ المضافَ جزءٌ من المضافِ إليه كقوله: ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً﴾.
(١٩١/١١)
___." (١)

"قوله: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُواْ﴾: قرأ الكسائيُّ بتخفيف "ألا"، والباقون بتشديدها. فأمَّا قراءةُ الكسائيِّ فـ"ألا" فيها تنبيهٌ واستفتحاحٌ، و"يا" بعدها حرفُ نداءٍ أو تنبيهٍ أيضاً على ما سيأتي و"اسْجُدوا" فعلُ أمرٍ. وكان حَقُّ الخَطِّ على هذه القراءةِ أن يكونَ "يا اسْجُدوا"، لكنَّ الصحابةَ اسقطُوا ألفَ "يا" وهمزةَ الوصلِ من "اسْجُدوا" خَطَّاً لَمَّا سَقَطا لفظاً، ووَصَلُوا الياءَ بسين "اسْجُدوا"، فصارَتْ صورتُه "يَسْجُدوا" كما ترى، فاتَّحدت القراءتان لفظاً وخَطَّاً واختلفتا تقديراً.
واختلف النحويون في "يا" هذه: هل هي حرفُ تنبيهٍ أو للنداءِ، والمنادَى محذوفٌ تقديرُه: يا هؤلاءِ اسْجُدوا؟ وقد تقدَّم ذلك عند قولِه: يا لَيْتَني" في سورة النساء. والمرجَّحُ أَنْ تكونَ للتنبيهِ؛ لئلا يُؤَدِّيَ إلى حَذْفٍ كثيرٍ مِنْ غيرِ بقاءٍ ما يَدُلُّ على المحذوفِ. ألا ترى أنَّ جملةَ النداءِ حُذِفَتْ، فلو ادَّعَيْتَ حَذْفَ المنادَى كَثُرَ الحذفُ ولم يَبْقَ معمولٌ يَدُلُّ على عامِلِهِ، بخلافِ ما أذا جَعَلْتَها للتبيهِ. ولكنْ عارَضَنَا هنا أنَّ قبلَها حرفَ تنبيهٍ آخرَ وهو "ألا". وقد اعْتُذِرَ عن ذلك: بأنه جُمِع بينهما تأكيداً. وإذا كانوا قد جَمَعُوا بين حرفين عامِلَيْن للتأكيدِ كقوله:
٣٥٥٩. فَأَصْبَحْنَ لا يَسْأَلْنَني عَنْ بما به * ....
فغيرُ العامِلَيْن أَوْلَى. وأيضاً فقد جَمَعُوا بين حَرْفَيْن عامِلَيْن مُتَّحِدَّيْ اللفظِ والمعنى، كقوله:
٣٥٦٠. فلا واللهِ لا يُلْفَى لِما بي * ولا لِلِما بهم أبداً دَواءُ
فهذا أَوْلَى. وقد كَثُرَ مباشرةُ "يا" لفعلِ الأمرِ وقبلَها "ألا" التي للاستفتاح كقوله:

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٤٤٨

٣٥٦١. ألا يا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلمي ثُمَّتَ اسْلَمي * ثلاثَ تحيّاتٍ وإنْ لَمْ تَكَلَّمي

وقوله:

٣٥٦٢. ألا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيَّ على البِلى * ولا زالَ مُنْهَلاً بجَرْ عائِكِ القَطْرُ

وقوله:." (١)

"٣٧٧٦- فَتىً ما ابنُ الأَغَرِّ إذا شَتَوْنا * وحُبَّ الزادُ في شَهْرَيْ قُماحِ

كذا رَواه بضمِّ القافِ، وابن السكيت بكسرِها. وهما لغتان في المصدرِ كما تقدَّمَ. وقال الليث: القُموح: رَفْعُ البعيرِ رَأْسَه إذا شَرِبَ الماءَ الكريهَ ثم يعودُ. وقال أبو عبيدة: "إذا رَفَعَ رأسَه عن الحوض، ولم يشرَبْ" والمشهورُ أنه رَفْعُ الرأسِ إلى السماء كما تقدَّمَ تحريرُه. وقال الحسن: "القامِحُ: الطامِحُ ببصرِه إلى مَوْضِعِ قَدَمِه" وهذا يَنْبُو عنه **اللفظُ والمعنى**. وزاد بعضُهم مَع رَفْعِ الرأس غَضَّ البصرِ مُسْتَدِلاً بالبيتِ المتقدم:

.... * نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِماحِ

وزاد مجاهدٌ مع ذلك وَضْعَ اليدِ على الفم. وسأل الناسُ أميرَ المؤمنين علياً كرَّم اللَّهُ وجهه عن هذه الآيةِ فجعل يديه تحت لِحْيَتِه ورَفَعَ رأسَه ولعَمْري إنَّ هذه الكيفيةَ تُرَجِّح قولَ الطبريِّ في عَوْدِ "فهي" على الأيدي.

* ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً﴾: تقدَّم خلافُ القُرَّاء في فتح السين وضمِّها والفرقُ بينهما، مستوفى في آخر الكهف.

قوله: "فأَغْشَيْناهم" العامَّةُ على الغين المعجمة أي: غَطَّيْنا أبصارَهم فهو على حَذْفِ مضافٍ. وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وأبو رجاء في آخرين بالعين المهملة، وهو ضَعْفُ البصَرِ. يُقال: عَشِي بَصَرُه وأَعْشَيْتُه أنا، وقوله تعالى هذا يحتمل الحقيقةَ والاستعارةَ كما تقدَّم.

* ﴿ وَسَوَآءُ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾

قوله: ﴿وَسَوَآءُ عَلَيْهِمْ﴾: تقدَّم تحريرُه أولَ البقرةِ.

(١٢/١٥٠)

___." (٢)

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٥١٨

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٨١١

"وقرأ العامَّةُ "صالِ الجحيم" بكسرِ اللامِ؛ لأنه منقوصٌ مضافٌ حُذِفَتْ لامُه لالتقاءِ الساكنين، وحُمِلَ على لفظ "مَنْ" فأَفْرَدَ كما أَفْرد هو. وقرأ الحسنُ وابن أبي عبلة بضمّ اللامِ مع واوٍ بعدَها، فيما نقله الهذلي عنهما، وابن عطية عن الحسن. وقرأ بضمِّها مع عَدَمِ واوٍ فيما نقل ابنُ خالويه عنهما وعن الحسن فقط، فيما نقله الزمخشريُّ وأبو الفضل. فأمَّا مع الواو فإنَّه جَمْعُ سَلامةٍ بالواو والنون، ويكون قد حُمِلَ على لفظ "مَنْ" أولاً فأفردَ في قوله "هو"، وعلى معناها ثانياً فجُمِعَ في قوله: "صالُو" وحُذِفَتْ النونُ للإضافة. ومِمَّا حُمِل فيه على **اللفظ والمعنى** في جملةٍ واحدةٍ وهي صلةٌ للموصولِ قولُه تعالى: ﴿إلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ فأفرد في "كان" وجُمِعَ في هوداً. ومثله قولُه:

٣٨٢٥- .... * وأَيْقَظَ مَنْ كان مِنْكُمْ نِياما

وأمَّا مع عَدَمِ الواو فيُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ جمعاً أيضاً، وإنما حُذِفَتْ الواوُ خطاً كما حُذِفَتْ لفظاً. وكثيراً ما يَفْعلون هذا: يُسْقِطون في الخطِّ ما يَسْقط في اللفظِ. ومنه "يَقُضُّ الْحَقَّ" في قراءةِ مَنْ قرأ بالضاد المعجمة، ورُسِمَ بغير ياءٍ، وكذلك ﴿وَاخْشَوْنِ، الْيَوْمَ﴾. ويُحْتمل أَنْ يكونَ مفرداً، وحقُّه على هذا كسرُ اللامِ فقط لأنه عينُ منقوصٍ، وعينُ المنقوصِ مكسورةٌ أبداً وحُذِفَتِ اللامُ وهي الياءُ لالتقاءِ الساكنين نحو: هذا قاضِ البلد.

(٢٢٤/١٢)

---." (١)

(١٦٢/١٣)"

---

* ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾: يجوزُ أَنْ تكونَ الباءُ للحال أي: ملتبسةً بالحقِّ، ويجوزُ أَنْ تكونَ للتعديةِ. وقرأ عبد الله "سَكَرَاتُ" وتَحيد: تميلُ، مِنْ حادَ عن الشيء يَحيد حُيُوداً وحُيُوْدَة وحَيْداً.

* ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾

قوله: ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ جملةٌ في موضعِ جرّ صفةً لـ"نَفْسٍ" أو رفعِ صفةً لـ"كل"، أو نصبٍ حالاً مِنْ "كلُّ". والعامَّةُ على عدمِ الإدغام في "معها"، وطلحة على الإدغام "مَحَّا" بحاءٍ مشددةٍ؛ وذلكَ أنه أدغم العينَ في الهاء، ولا يمكنُ ذلك، فقَلَبَ الهاءَ حاءً، ثم أدغم فيها العينَ فقلبها حاءً. وسُمِع النصبُ على الحال من "كلُّ" لتعرُّفِه الزمخشري: "ومحلُّ "معها سائقٌ" النصبُ على الحال من "كلُّ" لتعرُّفِه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة". وأنحى عليه الشيخ مُتَحَمِّلاً على عادته، وقال: "لا يقولُ هذا مبتدِئٌ في النحوِ، لأنه لو نُعِتَ "كلُّ نفسٍ" ما نُعِتَ إلاَّ بالنكرة". وهذا منه غيرُ مَرْضِيّ؛ إذ يَعْلم أنه لم يُرِدْ حقيقةَ ما قاله.

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٨٨٥

* ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَاذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾: أي: يٌال له: لقد كنتَ، والقولُ: إمَّا صفة أو حالٌ. والعامَّةُ على فتح التاءِ والكافِ في "كنتَ" و "غِطاءَكَ" و "فبصَرُكَ" حَمْلاً على لفظ "كلُّ" من التذكير. والجحدري "كنتِ" بالكسر مخاطبةً للنفس، وهو وطلحة بن مصرف "عنكِ"، "غطاءَكِ"، "فبصَرُكِ" بالكسر مراعاةً للنفس أيضاً. ولم ينقل صاحبُ "اللوامح" الكسرَ في الكاف عن الجحدريّ، وعلى الجملة فيكونُ قد راعى **اللفظَ والمعنى** أخرى.

* ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَاذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾

(١٦٣/١٣)

___." (١)

"قال الشيخ: "ولا تنافُرَ فيه بوجهٍ، ولا فرقَ بين أَنْ يؤكَّد الضميرُ أو لا يُؤَكَّد، والحديثُ واقعٌ في الفعل. غايةُ ما في هذا أنَّ متعلقَ الاستيفاء - وهو على الناس - مذكورٌ، وهو في ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ﴾ محذوفٌ للعلم به؛ لأنه من المعلوم أنهم لا يُخْسِرون ذلك لأنفسهم". قلت: الزمخشريُّ يريدُ أَنْ يُحافظَ على أنَّ المعنى مرتبطٌ بشيئَيْن: إذا أخذوا مِنْ غيرِهم، وإذا أَعْطَوْا غيرَهم، وهذا إنما يَتِمُّ على تقديرِ أَنْ يكونَ الضميرُ منصوباً عائداً على الناس، لا على كونِه ضميرَ رفعٍ عائداً على المطفِّفين، ولا شكَّ أن هذا المعنى الذي ذكَره الزمخشريُّ وأرادَه أَتَمُّ وأَحسنُ مِنْ المعنى الثاني. ورجَّح الأوّلَ سقوطُ الألفِ بعد الواوِ، ولأنه دالٌّ على اتصالِ الضمير، إلاَّ أنَّ الزمخشري استدركه فقال: "والتعلُّقُ في إبطالِه بخطِّ المصحفِ وأنَّ الألفَ التي تُكتب بعد واوِ الجمع غيرُ ثابتةٍ فيه، ركيكٌ لأنَّ خَطَّ المصحفِ لم يُراعِ في كثيرٍ منه حَدَّ المصطلح عليه في علمِ الخطِّ، على أني رأيْتُ في الكتب المخطوطةِ بأيدي الأئمة المُتْقِنين هذه الألَ مرفوضةً لكونِها غيرَ ثابتةٍ في **اللفظِ والمعنى** جميعاً؛ لأننَّ الواوَ وحدَها مُعْطِيَةٌ معنى الجَمْع، وإنما كُتِبت هذه الألفُ تَفْرِقَةً بين واوِ الجمعِ وغيرِشها في نحو قولِك: "هم [لم] يَدْعُوا"، و "هو يَدْعُو"، فمَنْ لم يُثْبِتْها قال: المعنى كافٍ في التفرقةِ بينهما، وعن عيسى بنِ عمرَ وحمزةَ أنَّها يرتكبان ذلك، أي: يجعلان الضميرَيْن للمطففين، ويقفان عند الواوَيْن وُقَيْفَةً يُبَيِّنان بها ما أرادا".

(٢٨٩/١٤)

___." (٢)

"قول المهلهل بن ربيعة :

لَيتَ السَماءَ عَلى مَن تَحتَها وَقَعَت وَحالَتِ الأَرضُ فَانجابَت بِمَن فيها(١).

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٥٢٣٨

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٥٧٨٠

وذلك كله يؤكد استعمال العربية لكلمة " تحت " بمعنى الظرف قبل نزول القرآن الكريم .

وإذا نظرنا إلى هذه الكلمة فى اللغات السامية الثلاثة، وجدناها كمايلى :

فى العربية تحت t ... ta

فى السريانية تَحة t ... ta

فى العبرية ؟؟؟؟ at ... ta

وبمقارنة اللفظ ومعناه فى اللغات الثلاث السابقة، نجد أنها تشير إلى اتفاق فى **اللفظ والمعنى**، الأمر الذى يؤكد لنا أن هذه الكلمة من المشترك السامى، دون أن تختص بها السريانية أو النبطية .

شَريًا ؟ary؟ وسَرِيًّا

نقل السيوطى عن ابن حاتم عن مجاهد أن كلمة " سريا " هى النهر بالسريانية (٢)، ويرى الدكتور جلاء إدريس أن مقارنة كلمة " سريا " فى القرآن الكريم بنظائرها فى السريانية وغيرها من اللغات السامية، تشير إلى عدم وجود مقابل اسمى لفظاً ومعنى، وأنه ربما كانت لفظة "السرى" بمعنى النهر الصغير فى العربية مأخوذة من الفعل "سرى" بمعنى : مضى، ومنه كذلك السارية وهى السحابة، ويرى بذلك أنها ليست مستعارة من السريانية أو غيرها، وأنها عربية ذات أصل سامى(٣) .

---

(١) – الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافى، أبو ظبى، ٢٠٠٣م ، CD .

(٢) – الاتقان فى علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ٢/ ١٣٤ .

(٣) – الاستدراك على السيوطى فيما نسبه من المعرب فى القرآن الكريم إلى العبرية والسريانية ، د/ محمد جلاء إدريس ، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٣٧ لسنة ٢٠٠٦م ، ص ٣١ – ٦٤ .." [١]

"فمثال ذلك: (أَوَّاهٌ) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، فإن معناه الموقن بلغة الحبشة. وكذلك (الكِفْلُ) من قوله تعالى: ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾، و قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، فإن معناه الضِعْف بكسر الضاد، بلغة الحبشة. وكذلك (القِسْطَاسُ) بمعنى العدل، وغير ذلك.

أما الغريب فهو هنا اللفظ الذى يطلق على معنى لا يعرف إلا بالتفتيش والبحث عنه فى معاجم اللغة ولا مدخل للرأي فيه، كـ (القَسْوَةِ) إسم للأسد، و (الأَبّ) من قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾، وغير ذلك مما لا يعرف معناه إلا العلماء المطلعون، والنقلة الباحثون. والله أعلم

(الدرس الرابع عشر): المشترك والمرادف

اعلم أن المشترك ينقسم إلى قسمين: (مشترك معنوي) وهو: ما اتحد فيه **اللفظ والمعنى**، ولكن يختلف باختلاف ما يصدق عليه، فينزل فى كلٍ بحسب ما يليق به من ذلك المعنى، و(مشترك لفظي) وهو المقصود هنا، وهو : ما اتحد لفظه وتعدد

---

(١) القرآن ولغة السريان، ص/٢٢

معناه بحسب الوضع، نحو (القُرْءِ)، فإنه مشترك بين الطهر والحيض. والأصح أنه هو والمرادف واقعان فى القرآن الكريم، نحو (القُرْءِ) فى قوله تعالى: ﴿فعدتهن ثلاثة قروء﴾، وتحو (وَيْل)، فإنه إسم لواد فى جهنم وكله عذاب، ونحو (المَوْلى)، فإنه إسم للسيد والعبد، و (تَوَّاب) فإنه إسم للتائب، ولقابل التوبة، وغير ذلك.

وأما المرادف فهو عكس المشترك اللفظي أي ما اتحد معناه وتعدد لفظه، نحو (الإنسان والبشر) و (اليَمّ والبحر) و (العذاب والرجس)، ونحو ذلك

(الدرس الخامس عشر): فى مباحث المعانى المتعلقة بأحكام القرآن الكريم

وهي كثيرة: (منها) العموم، وهو أنواع:

(أحدها) العموم المطلق أي الذى لم يخصص بشيء ولم يرد به خصوص بل هو باق على عمومه، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

.)"[1]

"ومن الثانى: نفى الخلة والشفاعة على جهة العموم فى قوله تعالى: ﴿ي؟أيها ؟لذين آمنو؟ا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة و؟لكافرون هم ؟لظالمون﴾.. وقد استثنى الله المتقين من نفى الخلة فى قوله: ﴿؟لأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا ؟لمتقين﴾.. واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله: ﴿وكم من ملك في ؟لسماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن ؟لله لمن يشآء ويرضى؟﴾.. ومثل قوله تعالى: ﴿من يعمل سو؟ءا يجز به﴾.. فإن ما فيها من عموم خصص بمثل قوله: ﴿ومآ أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾.. ومن تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب فى بعض الآيات، ومن طين فى غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التى مر بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها، فبعض القراءات تختلف مع غيرها فى اللفظ وتتفق فى المعنى، فقراءة ابن مسعود رضى الله عنه: "أو يكون لك بيبت من ذهب" تفسر لفظ الزخرف فى القراءة المشهورة: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾.. وبعض القراءات تختلف مع غيرها فى **اللفظ والمعنى**، وإحدى القراءتين تعين المراد من القراءة الأخرى، فمثلا قوله تعالى: ﴿ي؟أيها ؟لذين آمنو؟ا إذا نودي للصلاة من يوم ؟لجمعة ف؟سعوا إلى؟ ذكر ؟لله﴾.. وفسرتها القراءة الأخرى: "فامضوا إلى ذكر الله"، لأن السعى عبارة عن المشى السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.." [2]

"(٧) قرأ حفص كلمة (ضَعْفٍ ((٣٤٤) في سورة الروم في مواضعها الثلاثة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ((٣٤٥)، فقد قرأها حفص بفتح

---

(١) القول المنير في علم أصول التفسير للقرآن الكريم، ص/٢٠

(٢) التفسير والمفسرون، ٣٢/١

الضاد أو ضمها، والوجهان صحيحان مقروء بهما، ولكن الفتح مقدم في الأداء عن الضم.

(٨) قرأ حفص الكلمات الآتية بإثبات الألف فيها وقفًا وحذفها وصلاً:

أ. (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ((٣٤٦). ب. (الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُون (٣٤٧)(.

ج. (وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ((٣٤٨). د. (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ((٣٤٩). هـ. (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ((٣٥٠)

و. (قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا ((٣٥١).

(باب في بيان الأمور المحرم فعلها في القراءة (

اعلم أخي القارئ العزيز، أن هناك أمورًا قد ابتدعها قراء هذا الزمان، ولا بد لك أن تعلم هذه الأمور المبتدعة؛ حتى تتجنبها ولا تقع فيها، وتحافظ على قراءتك سليمةً محسنةً كما أرادها الله جل في علاه.

وإليك أخي القارئ بعض هذه الأمور:

١. عدم التحري في الابتداء والوقف.

٢. التعسف في الوقف وفي خروج الصوت.

٣. الميوعة في قراءة القرآن الكريم؛ مما يؤدي إلى خروج الحرف من غير مخرجه، وعدم اتصافه بالصفات اللازمة له.

٤. الاهتمام بالنغم والتطريب، دون الاهتمام **باللفظ والمعنى**.

٥. نقل بعض الأنغام الخليعة الموسيقية إلى كلمات القرآن الكريم، مما يتنافى مع جلال وهيبة القرآن؛ لأن القرآن هو كلام الله (().

٦. التظاهر بالخشوع أمام الناس بقصد الرياء أو مدح الناس له (أعاذنا الله وإياكم من الرياء والعجب).

٧. ترقيص حروف المد والغن، والتلاعب فيها، مما يؤدي إلى الزيادة المفرطة فيها، والتقصير في مقادير المدود والغن.." [(١)]

"الفرق بين القرآن والحديث القدسي

...

الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي أهمها:

١- أن القرآن الكريم كلام الله أَوْحَى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائمًا، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.

والحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

٢- والقرآن الكريم لا يُنْسَب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى.

(١) البسيط في علم التجويد، ص/٧١

والحديث القدسي -كما سبق- قد يُرْوَى مضافًا إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال: قال الله تعالى، أو: يقول الله تعالى، وقد يُرْوَى مضافًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه عليه الصلاة والسلام هو المُخْبِرُ به عن الله، فيقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل.

٣- والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد يكون الحديث القدسي صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا.

٤- والقرآن الكريم من عند الله لفظًا ومعنًى، فهو وحي **باللفظ والمعنى**.

والحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدِّثين.

٥- والقرآن الكريم مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ١، وقراءته عبادة يُثِيب الله عليها بما جاء في الحديث: "من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" ٢.

ـ

١ المزمل: ٢٠.

٢ رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح.." (١)

"شكل الكلمة أو كيفية الأداء مما لا يقع به التغاير في اللفظ، كاختلاف في الإعراب، أو التصريف، أو التفخيم والترقيق والفتح والإمالة والإظهار والإدغام والإشمام فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوَّع في **اللفظ والمعنى**، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا.

وأصحاب هذا الرأي يرون أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، بمعنى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من هذه الأحرف، فآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ١. التي تُقرأ بصيغة الجمع وتُقرأ بصيغة الإفراد جاءت في الرسم العثماني ﴿لأَمَنَتِهِمْ﴾ -موصولة وعليها ألف صغيرة- وآية: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ٢، جاءت في الرسم العثماني ﴿بَعِدْ﴾ - موصولة كذلك وعليها ألف صغيرة، وهكذا..

وهذا لا يسلم لهم في كل وجه من وجوه الاختلاف التي يذكرونها.

كالاختلاف بالزيادة والنقص، في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ ٣. وقُرِئ: "من تحتها الأنهار" بزيادة "من" وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٤، وقُرِئ: "والذكر والأنثى" بنقص "ما خلق".

والاختلاف بالتقديم والتأخير في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ٥، وقُرِئ: "وجاءت سكرت الحق بالموت".. والاختلاف بالإبدال في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ٦، وقُرِئ: "وتكون الجبال كالصوف المنفوش".

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص/٢٢

ولو كانت هذه الأحرف تشتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسمًا للنزاع في اختلاف القراءات، إنما كان حسم هذا النزاع بجمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ولولا هذا لظل

ـ

١ المؤمنون: ٨.

٢ سبأ: ١٩.

٣ التوبة: ١٠.

٤ الليل: ٣.

٥ سورة ق: ١٩.

٦ القارعة: ٥.." (١)

"٣- والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به في **اللفظ والمعنى** كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١.

٤- والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد، كالوقوف على قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ٢، والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ٣؛ لأن المعنى على الابتداء يكون كفرًا، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ ٤، فلا يقف على "قالوا" وهكذا..

ـ

١ الفاتحة: ٢، ٣.

٢ المائدة: ١٧، ٧٢.

٣ المائدة: ١٧، ٧٢.

٤ المائدة: ٧٣.." (٢)

"وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن". تعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ١.

فالذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ٢، ويجعلون: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ٢، استئنافًا، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله.

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص/١٦٦

(٢) مباحث في علوم القرآن، ص/١٨٩

والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني أي التفسير، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري فيه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، فإذا ذُكِر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به أنه يعرف تفسيره.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. ولهذا لما سُئِل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: ﴿لرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٣، قالوا: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وكذلك قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك قبله: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان".

فبيَّن أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا إلا أن الحقيقة غير الحقيقة. ففي الآخرة ميزان،

_

١ رواه البخاري ومسلم — [والآية من سورة النصر: ٣].

٢ آل عمران: ٧.

٣ طه: ٥.." (١)

"مباحث في علوم القرآن

الفصل الثالث: الأحرف السبعة

بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين"١، ومن الغريب أن ينسب مثل هذا الرأي إلى القاضي عياض٢ وهو الذي لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا، ولكن السيوطي رد على هذا لقول ردا قويا مؤيدا بالنصوص٣.

وإذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة، بل الحصر كما فهمه أكثر العلماء، وهو الذي كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين "فالأكثر -كما يقول ابن حبان٤- على أنه محصور في سبعة"٥. بيد أن كثيرا من تلك المحاولات لم يحالفها التوفيق، كما رأينا في قول من جنح إلى أن الأحرف السبعة هي القراءات. ويكاد يقارب هذا القول في الضعف رأي الذين حصروا هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات، مع ما بين المفهومين من تغاير دقيق. فأما

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص/٢٢٤

اللهجات فليست عند بعض العلماء٦ من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى، لأن الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتخفيف والتسهيل، والنقل، والإبدال، صفات متنوعة في أداء اللفظ الواحد، وتنوعها لا يخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولكننا -مع ذلك- لا نضعف هذا القول بهذا السبب، فإن تنوع صفات الأداء في اللفظ الواحد يوشك أن

---

١ الإتقان ١/ ٧٨ وانظر محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٢٨٧ والمستشرقون يحلو لهم الضرب على هذا الوتر كثيرا، فعدد "السبعة" له فعل سحري في نفوس الساميين. انظر:

Buhl, Encyclopedie de l'Islam. II, 1135 b. Noldede, Geschichte des Qorans, .p.50

٢ الإتقان ١/ ٨٧ والقاضي عياض هو عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، صاحب كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" توفي سنة ٥٤٤هـ "الأعلام ٢/ ٧٤٩".

٣ الإتقان ١/ ٧٨.

". (١)

بها ألسنتهم في يسر وسهولة"١: وذلك ما لاحظه ابن الجوزي حين قال: "وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق". ويفسر ذلك بقوله: "وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج٢".

وأهمية هذا الوجه الآخير -أعني اختلاف اللهجات- جعلت بعض العلماء يحصرون الأحرف السبعة في أنواع اللهجات، بينما أغفل آخرون ذكر هذا الوجه إغفالا تاما، لأنه -على حد قول ابن قتيبة: "ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى، لأنه هذه الصفات المتنوعة في أدائه، لا تخرجه عن أن يكون واحدا"٣. وفي كلا الرأيين مغالاة، فالأوجه الستة السابقة على جانب من الأهمية لا يسمح بإسقاطها والاكتفاء بالوجه السابع. كما أن اختلاف اللهجات في أداء بعض الأصوات أمر واقع بين الصحابة، بل لعله كان أشد أنواع الاختلاف دورانا على الألسنة. فلا يجوز إغفاله والاكتفاء بأوجه أخرى لا تستقرى بها مختلف ضروب الأداء. وهذا النقص في استقراء الأقدمين للأوجه السبعة قد حملنا على أن نسلك في طريقة استقرائنا لها سبيلا مخالفة لهم جميعا، فلم نختر مذهب أبي الفضل الرازي٤ الذي فضله الزرقاني في "مناهله" على

---

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح، /

---

١ دراسات في الفقه واللغة ٥٠.

(١) ".

"مباحث في علوم القرآن

الفصل الثاني: علم أسباب النزول

ظاهرة في الرواية الثانية، فكل ما فيها من **اللفظ والمعنى** يدعو إلى الدهشة والاستغراب، بينما الرواية الأولى صحيحة، فلا مسوغ لترددنا وتساؤلنا: أيهما تعمل وأيهما تهمل؟ إذ لا مكان للباطل إلى جانب الصحيح، قال ابن حجر: "قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول لآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيح"١.

وقد تكون حادثة واحدة سببا في نازلين أو أكثر من القرآن، وهوم ما يعبرون عنه بقولهم: "تعدد النازل والسبب واحد".

مثال الحادثة الواحدة تكون سببا في نازلين، ما أخرجه ابن جرير الطبري والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال: "إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه". فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق العينين، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "علام تشتمني أنت وأصحابك؟"، فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ من سورة التوبة.

(٢) ".

"مباحث في علوم القرآن

مدخل

الفصل الثالث: إعجاز القرآن

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته، وطاولهم في المعارضة، ولكنهم انهزموا أمام تحديه، وأعلنوا عجزهم عن تقليده؛ لأنه يعلو وما يعلى، وما هو بقول بشر.

ولقد كان الإعجاز القرآني خليقا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف على وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير. وبذل أولئك العلماء جهودا مشكورة،

---

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح، /

(٢) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح، /

وقاموا بمحاولات مضنية، لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال، ولكنهم وقفوا غالبا عند النص الواحد، فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى، ودرسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلافهم الذي لا يتناهى حول مشكلة **اللفظ والمعنى،** فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص، وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز.

ولعل الجاحظ "ت٢٥٥" أول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه "نظم القرآن"، ولم يصلنا هذا الكتاب، ولكن للجاحظ نفسه إشارات إلى هذا المصنف في كتابه "الحيوان" إذ يقول: "ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لا

٣١٣ ٣٨٢." (١)

"(٢٠٥) ... وفِي فَمَا ءاتانِيَ اللهُ قِفا ... لَهُ بياءٍ ساكنٍ أَوِ احذِفا

بابُ الوقوفِ

(٢٠٦) ... وبعَدَ أَنْ تَعْرِفَ أنْ تُجَوِّدا ... لابُدَّ أَنْ تَعْرِفَ وَقْفًا وابتِدا

(٢٠٧) ... إنَّ الوُقُوفَ أربعٌ تُرِيحُ ... تامٌ وكافٍ حَسَنٌ قبيحُ

(٢٠٨) ... تامٌ إذا لَمْ يتعلَّقْ مُطلَقا ... كافٍ إذا مَعنًى فَقَطْ تعلَّقا

(٢٠٩) ... وحَسَنٌ إذا تعلُّقٌ حَصَلْ ... في **اللفظِ والمَعْنَى** وتمَّتِ الجُمَلْ

(٢١٠) ... قِفْ وابتدِئْ إلا إذاكانَ الحَسَنْ ... في غَيْرِ رأسٍ قِفْ عَلَيهِ وصِلَنْ

(٢١١) ... أمَّا القَبيحُ فتعلُّقٌ وُجِدْ ... في **اللفظِ والمَعْنَى** ولَكِنْ لمْ يُفِدْ

(٢١٢) ... ولا يجُوزُ الوقفُ فيه إلاَّ ... إن كُنْتَ مُضْطَرًّا وصِلْهُ وَصْلاَ

(٢١٣) ... ولمْ يجِبْ وقفٌ ولَمْ يحرُمْ سِوى ... ما أوهَمَ المَعْنَى وقارِيهِ نَوَى

بابُ معرفةِ المقطوعِ والموصولِ

(٢١٤) ... وواجِبٌ على ذَوي العُقولِ ... معرفةُ المَقطوعِ والموصولِ

(٢١٥) ... أن لَّا بعشرِ كَلِمَاتٍ قُطِعَتْ ... أن لَّا أقولَ لا يقولُوا ثَبَتَتْ

(٢١٦) ... وتعبدوا ياسينَ ثاني هودَ لا ... يُشرِكْنَ تُشرِكْ يَدْخُلَنْ تَعلوا علَى

(٢١٧) ... ومَلجأٍ ولا إلَهَ إلَّا ... هُودَ وخُلْفُ الأنبياءِ حَلَّا

(٢١٨) ... أَم مَّنْ خَلَقْنا مَن يَكونُ أسَّسا ... يأتي ومِن مَّا مَلَكَتْ رُومِ النسا

(٢١٩) ... ومَوضِعُ المُنافِقون خُلْفُهُ ... عن مَّنْ توَلَّى مَن يَشا عَن مَّا نُهوا

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح، /

(٢٢٠) ... ويومَ هُمْ علَى وبارِزونا ... وحَيْثُ ما وأَنَّ ما يَدْعُونا

(٢٢١) ... معًا وفِي الأَنفالِ خُلْفٌ إِنَّما ... الأَنعامِ والخُلْفُ بِنَحْلٍ عُلِما

(٢٢٢) ... وَأَن لَّمِ المَفْتوحَ والمَكْسورا ... إِلَّا الذي في هُودِها مذْكُورا

(٢٢٣) ... وكُلُ أَن لَّوْ فيهِ الانِفِصامُ ... والخُلْفُ في وَأَن لَّوِ استقاموا." (١)

"حَمِيدٍ﴾١، والتناقص لا يجتمع مع الإبانة والوضوح، وقد وصف الله كتابه فقال : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾٢.

وهذا الاختلاف ينحصر في وجوه ثلاثة :

أولها : اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد.

مثالها : كلمة "الصراط" تقرأ بالصاد والسين٣، والإشمام، وكلمة "عليهم"٤ بكسر الهاء وضمها.

ثانيهما : اختلاف **اللفظ والمعنى** مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

مثالها : "مالك٥، ملك" في الفاتحة، فبرغم أن الملك يزيد عن المالك معنى السلطة إلا أن المراد بهما واحد وهو الله تعالى. ومثل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾، "ننشرها"٦ بالراء والزاي؛ لأن المراد بهما العظام؛ لأن الله تعالى أنشرها أي أحياها، وأنشزها؛ أي : رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيرًا في معنى واحد.

ثالثها : اختلافهما في **اللفظ والمعنى**، وامتناع اجتماعهما في شيء واحد جوازًا، بل يتفقان من وجه آخر يساير المعنى العام وينتفي معه التضاد.

---

١ فصلت : ٤٣.

٢ الشعراء : ١٩٥.

٣ قرأ بالسين قنبل عن ابن كثير –الكشف ج١ ص ٣٤.

٤ قرأ بضم الهاء حمزة ووافقه يعقوب –راجع الكشف ج ١ ص ٣٥.

٥ قرأ "ملك" بغير ألف جماعة من الصحابة وغيرهم، منهم أبو الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، ومروان بن الحكم ومجاهد، المرجع السابق ص٢٧.

٦ قرأها الكوفيون وابن عامر بالزاي، وقرأها الباقون بالراء –الكشف ج١ ص٣١.

٢٨ | ٣٢٠." (٢)

"* لا المخففة. مثل: (حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس)(يس: من الآية٣٩) .

* السين أو سوف. مثل: (أشهدوا خلقهم . ستكتب شهادتهم ...)(الزخرف: من الآية١٩).

ج) الوقف الحسن: هو ما تم في ذاته لكن تعلق ما بعده بما قبله لفظا ومعنى .

---

(١) متن السلسبيل الشافي في علم التجويد، ص/١٢

(٢) مدخل في علوم القراءات، ص/٢٣

مثال: (الحمد لله رب العالمين) (الفاتحة:٢) . فالوقوف على (الحمد لله) حسن لأنها جملة مفيدة إلا أن الابتداء بما بعدها (رب العالمين) لا يحسن لأن (رب) صفة والموصوف (الله) فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف. وعليه فإذا وقف القارئ على (الحمد لله) فعند الابتداء يعيد قراءتها مرة ثانية. لأن هذا الوقف وهو الوقف الحسن يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده.

د) الوقف القبيح: وهو الذي لم يتم في معناه وتعلق ما بعده بما قبله في **اللفظ والمعنى**. مثاله: (فويل للمصلين) (الماعون:٤) . (لا تقربوا الصلاة)(النساء: من الآية٤٣) . (فبهت الذي كفر والله)(البقرة: من الآية٢٥٨) . (إن الله لا يستحيي). وحكم هذا الوقف وهو الوقف القبيح أن لا يحسن الوقف عليه ولا الابتداء بما بعده .

ملاحظة هامة :

كما يكون الوقوف والابتداء قبيحين في بعض المواضع يكون أيضا الوصل أحيانا قبيحا فيلزم الوقف حينئذ لكيلا يختل المعنى. مثل: (إنما يستجيب الذين يسمعون . والموتى يبعثهم الله)(الأنعام: من الآية٣٦)٠فالوقوف على (يسمعون) لازم لأنك لو وصلت اشترك (الموتى) مع (الذين يسمعون) في صفة الاستجابة .

القطع

تعريفه: لغة هو: الإبانة والإزالة.

واصطلاحا هو: الانصراف عن القراءة والانتهاء منها ؛ أي قطعها أو الانشغال منها بأمر خارج لا علاقة له بها. ولا يكون القطع إلا على رأس الآية ويستعاد منه بعد الرجوع إلى القراءة.

السكت

تعريفه: لغة هو: المنع.

واصطلاحا هو: قطع الكلمة عما بعدها من غير تنفس بنية استئناف القراءة. ويشار إليه في المصحف بسين صغيرة (س). ولحفص أربعة مواضع سكت وجوبا وهي:

١) (عوجاس قيما)(الكهف: من الآية١)........٢) (مرقدناس هذا)(يس: من الآية٥٢).

٣) (وقيل منس راق) (القيامة:٢٧). ....٤) (كلا بلس ران)(المطففين: من الآية١٤).

ملاحظة:

يجوز لحفص السكت أو عدمه في موضعين من القرآن الكريم وهما:." [(١)]

"وفيها) إيجاز القصر فى موضعين لأن قوله يخرجهم من الظلمات إلى النورقائم مقام ويزيح عنهم الريب والشكوك والوساوس والخواطر الرديئة والجزع والقلق والسخط وحب الدنيا وغير ذلك من وجوه الضلالات والبدع وما أكثرها ويلقى فى قلوبهم اليقين والرضا والصبر والتوكل والتفويض والتسليم والورع إلى غير ذلك من وجوه الاهتداء على كثرتها وكذا فى الجملة الثانية

---

(١) مذكرة في أحكام التجويد، ٢٤/١

(وفيها) المساواة فى قوله تعالى أولئك أصحاب النار فإن لفظه طبق معناه

(وفيها) البسط (٢٢) وهو نكتة اللفظ للمعنى بلا حشو فهو كالإطناب فى موضعين

(وفيها) الانسجام وهو أن يكون الكلام كالماء المنسجم فى انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه يسيل رقة فالآية كذلك والقرآن كله

(وفيها) ائتلاف اللفظ والمعنى وهو أن يؤتى بألفاظ مقبولة إن فخما ففخمة وإن رقيقاً فرقيقة وألفاظ الآية كذلك فإن الجلالة منها مفخمة لعظم الذات المقدسة ولفظ الطاغوت فخم لغلظ مسماه وكذا لفظ الظلمات وخالدون ولفظ الذين وولى وآمنوا رقيق ولفظ النور أرق من لفظ الظلمات مع ما فى المفرد من الخفة التى ليست فى الجمع

(وفيها) الطرد والعكس وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس ولا شك أن منطوق الجملة الأولى مقرّر لمفهوم الثانية وبالعكس

(وفيها) التمكين وهو أن تكون الفاصلة متمكنة مستقرة فى محلها غير قلقة ولا مستدعاة ولا مستجلبة وفاصلة خالدون هنا كذلك

(وفيها) التسنيم وهو أن يكون ما قبل الفاصلة يدل عليها ولا شك أن لفظ الكفر يدل على أن الفاصلة للخلود فى النار

(وفيها) التشريع وهو أن يكون فى أثناء الآية ما يصلح أن يكون فاصلة وذلك هنا فى قوله فى الجملة الأولى إلى النور وفى الثانية إلى الظلمات

.)"[1]

"فضل علم الوقف والابتداء

و

حكم الوقف

على رؤوس الآي

جمعه

د/عبد الله علي الميموني المطيري

Abd2001@uqu.edu.sa

و

Mimoni01@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب مهيمنا على الكتب، ولم يجعل له عوجا، أحمده عدد كل شيء وملء كل شيء ، بكل حمد حمده به أولياؤه المقربون ، و عباده الصالحون حمدا لا ينقضي أبدا ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان

---

(١) فتح الجليل للعبد الذليل رسالة للسيوطى، ص/٧

أما بعد

فإن الاهتمام بعلوم الكتاب و السنة، وتعلمها ، والجد في تحصيلها ، والإنصاف فيها ، سبب خير كثير ، والأمور بعواقبها منوطة . ولن يخيب الله تعالى من صدّق، وصَدَقَ. وإن علم الوقف والابتداء من أجل علوم الكتاب الحكيم، لأنه يستعان به على فهم القرآن والغوص على دُرَرِه وكُنوزه، وتتضح به الوقوف التامة، والكافية، والحسان، فتظهر للسامع المتأمل، والقارئ المتدبر، المعاني على أكمل وجوهها وأصحها، وأقربها لمأثور التفسير، و معاني لغة العرب، فإن اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف وتفصيلها، وبيان وجوهها، مبني على النظر في معاني الآيات، وكلامهم في المعاني، وفي بيان وجوه الوقف، وتفضيل بعضها على بعض مأخوذ من المنقول والمعقول.

فلا ريب أن علم الوقف والابتداء من العلوم التي تسفر بها وجوه المعاني القرآنية، إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني ، فيقف ويبتدأ على حسب ما يقتضيه **المعنى واللفظ** ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني ؛ فالنظر في الوقوف معين على التدبر .." (١)

"وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي –على قدر حسنه– لغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمي إليه(١).

روعة معاني ألفاظ القرآن الكريم:

إذا ما انتقلنا من ألفاظ القرآن الدقيقة إلى معانيها، فإننا نجد هذه المعاني في غاية الروعة، وسمو البيان، وبذلك يتكامل **اللفظ والمعنى**.

ومعاني ألفاظ القرآن متناسقة مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب.

المناسب بحروفه وجرسه وإيقاعه.

والمناسب بمعناه المتفق مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة(٢).

جاذبية إيقاع القرآن الكريم:

للبيان القرآني المعجز "إيقاع" جذاب مؤثر، وهذا الإيقاع الأخاذ يدخل أذن السامع فيؤثر فيه(٣).

وعناصر الإيقاع في القرآن خمسة:

مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.

تناسق الإيقاعات بين كلمات الآية.

اتجاهات المد في الكلمات.

اتجاهات المد في نهاية الفاصلة في الآيات.

حرف الفاصلة القرآنية(٤).

---

(١) فضل علم الوقف والابتداء ومسائل تتعلق بالوقف، ص/١

جمال صور القرآن:

يستخدم البيان القرآني طريقة "التصوير" في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا يضفي على البيان القرآني جمالا وحيوية، وروعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة.

فعندما يقرأ القارئ الآية ترتسم في خياله صورة مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية، فكأن القارئ يرى أمام عينيه مشهدا "تلفزيونيا" معروضا على شاشة خياله فيتأثر ويتفاعل(٥).

سمو نظم القرآن:

نظم القرآن نظم سام حيوي مشرق بليغ، وهذا النظم يجمع العناصر الأربعة السابقة: الألفاظ، ومعانيها، وإيقاعها، وصورها(٦).

---

(١) صفاء الكلمة للدكتور لاشين ١٥، ١٦

(٢) إعجاز القرآن البياني ١٣٤

(٣) السابق ١٣٢

(٤) التصوير الفني في القرآن ٨٥

(٥) إعجاز القرآن البياني ١٣٨

(٦) السابق١٤١." [1]

"فالسوط ما يضرب به تشبيهاً بعذاب السوط.

وقيل إشارة إلى معنى المخالطة الذي يخرج إليه الفعل (ساط) أي خلط أنواع العذاب، أو مخالطة الدماء واللحوم جراء العذاب.

فليس من السهولة تمييز المعنى المراد على وجه التحقيق، والفصل بين ما توحي به اللفظة وتخرج إليه من دلالات وبين معناها المباشر ، فلقد أصبح النص وكأنه قد استغل كل هذه المعاني في لفظةٍ بقيت بين الحقيقة والمجاز تُفهم الأمرين من غير التباس أو غموض .

وبهذا نُدرك استخدام الأسلوب القرآني (ألم تَرَ) في مخاطبة المتلقي وهي كما قال المفسرون بمعنى (ألم تعلم) فلِمَ استخدم الفعل (ترى) دون (تعلم) مع أنه بمعناه؟

يبدو أن الزمخشري أوّل من تنبه لهذا فقال: ".... والمعنى : أنك رأيت آثار فعلِ الله بالحبشة، وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة"(١) .

غير أن الشيخ الشعراوي كان أدق من فصّل ذلك قائلاً: إن العلم قد تكون له وسيلة أخرى غير الرواية بأن يكون مخبراً به

---

(١) في بيان القرآن، ص/٣

من أحد ... ولكن الخبر من الحق سبحانه وتعالى خبر وصل في مرتبة اليقين إلى مرتبة أنك ترى .

وهذا مما ينصب في حسية التعبير.

الباب الثاني:

في مراعاة أحوال التأليف (النظم)

اختلف الأدباء في اللفظ والمعنى: في أيهما تكمن البلاغة وأيهما المقدم على الآخر، فمنهم من غالى في المعنى واعتبره الأساس، وألغى دور اللفظ في البلاغة وهم "الأسلوبيون" منهم: ابن رشيق القيرواني، وابن الأثير الجزري.

ومنهم من غالى في اللفظ واعتبره هو الأساس، وألغى دور المعنى في البلاغة، وهم "اللفظيون" منهم: الجاحظ وابن سنان الخفاجي وابن خلدون.

---

(١) الكشاف.." [1]

"وإذا قرأت على هذه الصورة فلاتكرار في هذه القراءات، لأن كل واحدة منها ممتازة على غيرها بما اختصت به مما ذكرنا، ولا محذور فيها أيضا مما ذكرنا . وبالله التوفيق . وسميته "ترتيب الأداء، وبيان الجمع في الإقراء" "وبالله أستعين على ماقصدت"".

وقد قسم أبو الحسن كتابه إلى بابين :

الأول : باب ترتيب الأداء وما يتعلق به من أحكام التلاوة.

والثاني : بيان الجمع بين القراءات وما يحذر فيه من الإخلال باللفظ والمعنى وتخليط الروايات.

وقد تناول في الأول الأحكام المتعلقة بالأداء المطلوب فبين أن القراء قد أجمعوا على التزام التجويد في التلاوة وحصروا مخارج الحروف وصفاتها، وبينوها بيانا شافيا، إلا أنهم اختلفوا في صفات التلاوة من حيث الترتيل والحدر والتوسط ... ثم ذكر قراءة كل فريق من القارئين بالأنماط الثلاثة، وأن لكل وجها من النظر ودليلا من الشرع . كما تقدم . مع ترجيحه الأخذ بالترتيل في التعليم، ثم يأتي بعده الحدر في المرتبة. ثم انتقل إلى ذكر طبقات المد عند أئمة القراءة من السبعة، فقسمها إلى خمس:

؟ الأولى طبقة الترتيل والتحقيق، وهي لحمزة ونافع في رواية ورش عنه.

؟ والثانية طبقة من مال إلى التحقيق والترتيل وهي لعاصم وحده.

؟ والثالثة طبقة من لم يمل إلى أحد الطرفين، وهي لابن عامر والكسائي.

؟ والرابعة طبقة من مال إلى الحدر، وهي لأبي عمرو في رواية الدوري عن اليزيدي عنه، ولقالون في رواية أبي نشيط عنه.

---

(١) في بيان القرآن، ص/٣٩

؟ والخامسة طبقة أهل الحدر والهذ، وهي لابن كثير، ولأبي عمرو في رواية السوسي عن اليزيدي عنه، ولقالون في رواية الحلواني".." (١)

""وأما التجويد فهو أن يضيف إلى ماذكرت في الحدر مراعاة تجويد الإعراب وإشباع الحركات وتبيين السواكن وهو على نحو قراءة ابن عامر والكسائي".

"وأما التمطيط فهو أن يضيف إلى ما ذكرت زيادة المد في حروف المد واللين، مع جري النفس في المد، ولا تدرك حقيقة التمطيط إلا مشافهة، وهو على نحو ما قرأت به عن ورش عن نافع من طريق المصريين عنه".

ثم قال في استيفاء باقي الأقسام:

"وأما اشتقاق التحقيق فهو أن يزيد على ما ذكرت من التجويد روم السكوت على كل ساكن ولا يسكت، فيقع للمستمع أنه يقرأ بالتحقيق".

"وأما التحقيق فهو حلية القراءة وزينة التلاوة(١) ومحل البيان، ورائد الامتحان، وهو إعطاء الحروف حقوقها وتنزيلها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، ولطف النطق به، ومتى ما غير ذلك زال الحرف عن مخرجه وحيزه"(٢).

ثم انتقل أبو الحسن بن سليمان إلى القسم الثاني من كتابه إي: إلى "باب بيان الجمع بين القراءات وما يحذر فيه من الإخلال **باللفظ والمعنى** وتخليط الروايات، فقال:

"اعلم أن ثمرة الجمع بين القراءات إنما هي الاختصار وعدم التكرار لغير موجب، وأما التكرار لموجب فلا بد منه لاختلاف الروايات....(٣).

---

(١) –من هذا اللفظ أخذ ابن الجزري قوله في "المقدمة" : "وهو أيضا حلية القراءة وزينة الأداء والتلاوة".

(٢) – النص بتمامه مع تفاصيل أخرى وتعليقات لابن الباذش في كتاب الإقناع ٥٥٤/١-٥٦٢.

(٣) – تقدم نقل أبي العلاء المنجرة لهذا النص في كتابه "نزهة الناظر والسامع".." (٢)

"إننا نجده ينهض على هذه الوتيرة الإيقاعية المتنوعة، وهي ـ في مجملها ـ تنتمي خارجياً وداخلياً إلى فئة:

أ). فئة(ون. ... ... تواترت سبع مرات. ويسمى (الصائت المديد النوني المرفوع).

ب). فئة (ين. ... تواترت خمس مرات. ويسمى (الصائد المديد النوني المكسور).

ج). فئة (يم. ... ... تواترت أربع مرات. ويسمى (المديد الميمي).

د). فئة (وم. ... تواتر مرة واحدة. ويسمى (المديد الميمي المرفوع).(١)

وعسى أن يكون الجميل في هذه الإيقاعات أنها تدرك من الخارج وبسهولة، بحيث يمكن الوقوف عليها بمجرد القراءة الواعية

---

(١) قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ص/٢٩

(٢) قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ص/٣١

الأولى. والأجمل أن هذه الإيقاعات الخارجية (الشكل) تنعكس عبرها. وداخلياً. إيقاعات أخرى (المضمون) تتكاتف معها، الأمر الذي يجعلهما متحدين بحيث يصعب الفصل بينهما. وهي سمة حداثية أصلها الجرجاني، لأنه: "لم يكن يفصل بين اللفظ والمعنى أو بين الصورة والمحتوى".(٢)

فالفئات الإيقاعية التي تميز هذه القصة هي:

١ . الفئة الأولى: "ون" تواترت سبع مرات. وهي حسب ورودها.

ن . يسطرون . بمجنون . ممنون . يبصرون . المفتون . فيدهنون.

فمباشرة نجد هذا النظام الإيقاعي محكوماً من فونيم واحد (ون). غير أننا ألفينا هذا الفونيم يتحكم أوله، فيما يلحق بعده بصورة تتناسب مع الشكل والمضمون. من ذلك الآية الأولى: ﴿ ن، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . نجدها تتحكم في الآيات الثلاث التي تليها.

---

(١) هذه الفئات يسميها د.عشراتي الصوائت كما هي موضحة في المتن.

(٢) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي . ص ٣٣٤.." [1]

" الثلاثة

فهو فضلا عن أنه أدمج وجوههم السبعة في وجوه ستة بطريقته الدقيقة نجده قد عقد الوجه السابع لاختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم ونحو ذلك

على حين أننا ما رأينا واحدا من أولئك الأعلام الثلاثة عرض لهذا النوع من الاختلاف

بل وجدنا في كلامهم ما جعلهم يهملون هذا الوجه عن قصد وعمد

فهذا ابن قتيبة يقول

وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام

والروم والإشمام والتخفيف والتسهيل ونحو ذلك فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ا هـ

ولكني أرى أن هذا العذر الذي قدمه ابن قتيبة لإهمال هذا الوجه لا يسوغ ذلك الإهمال

فإن المسألة ليست مسألة أسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات في اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحدا أو لا تخرجه بل المسألة مسألة رعاية أمر واقع تختلف به القراءات فعلا ويمكن أن يكون مثار النزاع السابق الذي دب بين الصحابة في اختلاف القراءات كما يكون أيضا مثارا للنزاع في كل عصر ومصر بين القراء إذا لم يعلموا أن الجميع من عداد الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن

---

(١) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، ص/٨٣

وذلك لأن تحريف القرآن يحرم بما يمس صورته وطريق أدائه وكيفية لهجاته كما يحرم بما يمس جوهره وتغيير حروفه وكلماته وحركاته وترتيبه

أمر آخر هو أن التيسير على الأمة وهي الحكمة البارزة في نزول القرآن على سبعة أحرف لا يتحقق على الوجه الأكمل إلا بحسبان هذا الوجه الذي نوه به الرازي وهو اختلاف اللهجات

بل هذا قد يكون أولى بالحسبان وأحرى بالرعاية في باب التخفيف والتيسير لأنه قد يسهل على المرء أن ينطق بكلمة من غير لغته في جوهرها ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من غير لغته نفسها بلهجة غير لهجته وطريقة في الأداء غير طريقته

ذلك لأن الترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحوها ما هي إلا أمور دقيقة وكيفيات مكتنفة بشيء من الغموض والعسر في النطق على من لم يتعودها ولم ينشأ عليها

واختلاف القبائل العربية فيما مضى كان يدور على اللهجات في كثير من الحالات وكذلك اختلاف الشعوب الإسلامية وأقاليم الشعب الواحد منها الآن يدور في كثير من الحالات أيضا على اختلاف اللهجات

وإذن فتخفيف الله على الأمة بنزول القرآن على سبعة أحرف لا يتحقق إلا بملاحظة ." (١)

" ثالثا أن كلام زيد فيما مضى من ختام التوبة وآية الأحزاب لا يدل على عدم تواترهما حتى على فرض أنه يريد انفراد أبي خزيمة وخزيمة بذكرهما من حفظهما

غاية ما يدل عليه كلامه أنهما انفردا بذكرهما ابتداء ثم تذكر الصحابة ما ذكراه وكان هؤلاء الصحابة جمعا يؤمن تواطؤهم على الكذب فدونت تلك الآيات في الصحف والمصحف بعد قيام هذا التواتر فيها

الشبهة السادسة

يقولون كانت الآيات تكتب على الحجارة وسعف النخل والعظام خوفا عليها من الضياع وبقي جانب كبير منها محفوظا في صدور الرجال

وقد نشأ عن ذلك عدة مشاكل يعتبرها الباحثون فيه كافية لإثبات كون القرآن الحالي لا يحتوي جميع الآيات التي نطق بها محمد وبعضها يختلف في القراءة **واللفظ والمعنى**

ويقولون بعبارة أخرى إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل إذ من المؤكد أنه ذهب منه جانب ليس بقليل وأنسي منه جانب آخر قال ابن عمر لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله

قد ذهب منه كثير

ولكن ليقل قد أخذت ما ظهر منه

فهذا يثبت ان القرآن الحالي لا يتضمن جميع ما كان مسطورا في اللوح المحفوظ

---

(١) مناهل العرفان، ١/١١٤

ولا هو طبق ما نطقت به شفتا محمد سيما أن في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ولا يعلم نصها الصحيح أحد ا هـ

ونقض هذه الشبهة بما يأتي

أولا أن كتابة القرآن على الحجارة والسعف والعظام وبقاء جانب كبير منه محفوظا في صدور الرجال لا يلزم منه مشكلة واحدة فضلا عن عدة مشاكل إنما هو وهم من الأوهام تخيلوه فخالوه وبدليل أنهم لم يذكروا سندهم فيما ذهبوا إليه من هذا الشطط

ثانيا أن الحجارة وسعف النخل والعظام التي كتب عليها بعض آيات القرآن لم تكن بحيث يمكن أن يتخيل أولئك الطاعنون أو يخيلوا إلى الناس أنها لا تصلح للكتابة عليها بل كانت العرب لبداوتها ولبعدها عن وسائل الحضارة والعمران تصطفي من أنواع الحجارة الموفورة عندها نوعا رقيقا يكون كالصحيفة يصلح للكتابة وللبقاء أشبه بما نراه اليوم من الكتابة الجميلة المنقوشة على صفحات مصنوعة مما نسميه الجبس

وكذلك سعف النخل يكشطون الخوص عنه ويكتبون في الجزء العريض منه بعد أن يصقلوه ويهذبوه فيكون أشبه بالصحيفة

وقل مثل هذا في العظام بدليل أن الروايات الواردة في ذلك نصت على نوع خاص منه وهو عظام الأكتاف وذلك لأنها عريضة رقيقة ومصقولة صالحة للكتابة عليها بسهولة ." (١)

" ثالثا أن استنتاجهم من هذا كون القرآن الحالي لا يحتوي جميع الآيات التي نطق بها محمد استنتاج معكوس وفهم منكوس لأن كتابة القرآن وحفظه في آن واحد في صدور آلاف مؤلفة من الخلق أدعى إلى بقاء ذلك القرآن وأدل على أنه لم تفلت منه كلمة ولا حرف

كيف وأحد الأمرين من الكتابة والحفظ كاف في هذه الثقة فما بالك إذا كان القرآن كله مكتوبا بخطوط أشخاص كثيرين ومحفوظا في صدور جماعات كثيرين

رابعا قولهم وبعضها يختلف في القراءة **واللفظ والمعنى** إن أرادوا به الطعن في تعدد القراءات واختلاف وجوه الأداء فقد سبق في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف ما يكفيك في الرد عليهم وسيأتيك في مبحث القراءات ما يزيدك تنورا في هذا الموضوع وإن أرادوا به شيئا آخر فعليهم البيان

وحسبك أن تعرف أن اختلاف حروف القرآن أمر تقتضيه الحكمة ويوجبه عموم الدعوة الإسلامية

خصوصا لمن شافههم الرسول عليه الصلاة و السلام وهم على اختلاف قبائلهم وتنوع لهجاتهم وتباين وجوه نطقهم عرب تؤلف بينهم العروبة الواحدة ويجمعهم اللسان العربي العام

---

(١) مناهل العرفان، ١/١٩٩

فأي عيب على القرآن إذا اختلفت حروف أدائه وكيفيات النطق بكلماته ليسع القبائل العربية جميعا وليتسنى لها تلاوة ألفاظه وتفهم معانيه ولئلا يقول أحد منها لو جاء القرآن بلغتنا لكان لنا معه شأن ولأتينا بمثله وعارضنا بلاغته والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ١٢ يوسف ٢١

خامسا قولهم إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل الخ كلام مجرد من السند والحجة لا يستحق الرد فإن استندوا فيه إلى ما سبق فقد استندوا إلى أوهن من بيت العنكبوت وقد عرفت وجوه الوهن التي فيه

وإن استندوا إلى ما ذكروه بعد مما نسبوه لابن عمر فقد زادوا الطين بلة لأن هذه النسبة إلى ابن عمر نسبة خاطئة كاذبة وعلى فرض صحتها فهي موقوفة وليست بمرفوعة إلى النبي وعلى فرض رفعها فهي معارضة للأدلة القاطعة المتوافرة في تواتر القرآن وسلامته من التغيير والزيادة والنقصان ومعارض القاطع ساقط مهما كانت قيمة سنده في خبر الواحد

سادسا أن نهايتهم التي ختموا بها هذه الشبهة أقبح من بدايتهم لأنهم رتبوها على تلك الأكاذيب والمهاترات ثم زادوا فيها اتهاما جديدا مجردا من السند والحجة أيضا وهو أن في آيات عديدة من القرآن اختلافات مدهشة ولا يعلم نصها الصحيح أحد وهكذا خرجوا من اتهام إلى اتهام واحتجوا بكذب على كذب وهانت عليهم كرامتهم وعقولهم فقالوا ما شاء لهم الهوى والتعصب إلى هذا الحد وأنت خبير بأن القرآن الحالي وصل إلينا محفوظا من كل عبث كما نطق به الرسول وكما خطه الله تعالى بقلمه في ." (١)

" لوحه وإنه لكتب عزيز لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٤١ فصلت ٤١ ٤٢

أما زعمهم أن فيه اختلافات مدهشة فقد علمت في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف مدى اختلاف وجوه القراءات وحكمته وأنه لا يؤدي إلى تخاذل وتناقض حتى يكون مدهشا

وأما نصوص القرآن الصحيحة فقد علمها وحفظها جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الأمة من لدن رسول الله إلى اليوم

فادعاء هؤلاء الجهلة الدجالين أنه لا يعلم نصوص القرآن الصحيحة أحد ادعاء مفضوح وكذب مكشوف

قال صاحب مسلم الثبوت وهو من أشهر الكتب في أصول الفقه الإسلامي ما نقل آحادا فليس بقرآن قطعا ولم يعرف في هذا خلاف لواحد من أهل المذاهب

والدليل على ذلك أن القرآن مما تتوافر الدواعي على نقله لتضمنه التحدي ولأنه أصل الأحكام باعتبار **المعنى واللفظ** جميعا ولذلك علم جهد الصحابة في حفظه بالتواتر القاطع وكل ما تتوافر الدواعي على نقله ينقل متواترا عادة فوجوده ملزوم التواتر عند الكل عادة فإذا انتفى اللازم وهو التواتر انتفى الملزوم قطعا

والمنقول آحادا ليس متواترا فليس قرآنا ا هـ بتصرف قليل

خط منيع من خطوط الدفاع عن الكتاب والسنة

أو الدواعي والعوامل التي توافرت في الصحابة حتى استظهروا القرآن والحديث النبوي وتثبتوا فيهما

(١) مناهل العرفان، ١/٢٠٠

إن الناظر في الشبهات السالفة وأمثالها يبدو له في وضوح أن القوم يحاولون الطعن في القرآن عن طريق النيل من الصحابة فطورا يقولون إن الصحابة حين جمع القرآن لم يكونوا يستظهرونه وإن الذين استظهروه منهم ماتوا قبل جمعه واستشهدوا وطورا يقولون إن الصحابة لم يتثبتوا في جمع القرآن بل حطبوا فيه بليل وزادوا فيه ونقصوا منه ما شاؤوا

وقد كثرت هجمات أعداء الإسلام من هذه الناحية كثرة فاحشة بحيث إذا استقصينا شبهاتهم كلها ضاق بنا نطاق هذا التأليف وخرجنا جملة من الجو العلمي الهادىء اللذيذ إلى ميدان صاخب بالقيل والقال والصيال والجدال والدفاع والنضال ." (١)

" بقرآنيتها يحكم بكفر منكرها ومن لا يقول بقرآنيتها يحكم بكفر مثبتها

وعلى ذلك يكفر المسلمون بعضهم بعضا

والجواب أن قرآنية البسملة في أوائل السور اجتهادية مختلف فيها

وكل ما كان من هذا القبيل لا يكفر منكره ولا مثبته شأن كل أمر اجتهادي

إنما يكفر من أنكر متواترا معلوما من الدين بالضرورة

وقرآنية البسملة في أوائل السور ليست متواترة معلومة من الدين بالضرورة

أما منكر البسملة التي في قصة كتاب سليمان من سورة النمل

فهو كافر قطعا لأن قرآنيتها متواترة معلومة من الدين بالضرورة ولا خلاف بين المسلمين في قرآنيتها حتى يكفر بعضهم بعضها كما يزعم أولئك المعترضون

الشبهة الرابعة

يقولون إن استدلالكم على تواتر القرآن بتوافر الدواعي على نقله منقوض بالسنة النبوية فإنها غير متواترة مع ذلك تتوافر الدواعي على نقلها فإنها أصل الأحكام كما أن القرآن أصل الأحكام

ونجيب أولا بأن توافر الدواعي على نقل القرآن متواترا لم يجئ من ناحية أصالة الأحكام فحسب

بل جاء منها ومن نواحي الإعجاز والتحدي والتعبد بتلاوته والتبرك به في كل عصر وقراءته في الصلاة ونحو ذلك

والسنة النبوية لا يجتمع فيها كل هذا

بل يوجد فيها بعضه فقط وذلك لا يكفي في توافر الدواعي على نقلها متواترة

ثانيا أن المراد بأصالة الأحكام الفرد الكامل الذي لا يوجد إلا في القرآن

ذلك لأن أصالة الأحكام فيه ترجع إلى **اللفظ والمعنى** جميعا

أما المعنى فواضح

وأما اللفظ فمن ناحية الحكم بإعجازه وبثواب من قرأه

(١) مناهل العرفان، ١/٢٠١

وبالوعود الكريمة والعطايا العظيمة لمن حفظه وبالوعيد الشديد لمن نسيه بعد حفظه ولمن مسه أو قرأه جنبا إلى غير ذلك والسنة النبوية ليس للفظها شيء من هذه الأحكام

ولهذا تجوز روايتها بالمعنى

أما معناها فإن كان مما تتوافر الدواعي على نقله وجب تواتره وإلا فلا

ولهذا يقطع بكذب نقل الروافض ما نسبوه إلى رسول الله من أنه نص على أن الإمامة العظمى من بعده محصورة في علي وولده

رضي الله عنهم

بيان ذلك أنه لو صح ما زعموه لنقل متواترا فإنه مما تتوافر الدواعي على نقله لتعلقه بأمر يتصل بمستقبل الحكم الأعلى والولاية العظمى في الإسلام لجميع بلاد الإسلام ." (١)

" منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته

نعلم مما سبق أن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه أما تفصيلا فنذكر أن منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى ومنه ما يرجع خفاؤه إلى **اللفظ والمعنى** معا

فالقسم الأول وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء في اللفظ وحده منه مفرد ومركب والمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة غرابته أو من جهة اشتراكه والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة اختصاره أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه وفاكهة وأبا وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك متاعا لكم ولأنعامكم

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة لفظ اليمين في قوله سبحانه فراغ عليهم ضربا باليمين أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضاربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينها

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طالب لكم من النساء فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه والأصل وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم وقيل إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فأنزل الله الآية ومعناه إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى أيضا وتبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربا ع

---

(١) مناهل العرفان، ٣٢٨/١

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه والإطناب فيه قوله جلت حكمته ليس كمثله شيء فإن حرف الكاف لو حذف وقيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل إلى ليس مثل مثله شيء وفيه من الدقة ما يعلو على كثير من الأفهام ." (١)

" ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه قوله جل ذكره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ قيما وما قبله ولو قيل أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان أظهر أيضا

واعلم أن مقدمة هذا القسم فواتح السور المشهورة لأن التشابه والخفاء في المراد منها جاء من ناحية ألفاظها لا محالة

والقسم الثاني هو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده مثاله كل ما جاء في القرآن الكريم وصفا لله تعالى أو لأهوال القيامة أو لنعيم الجنة وعذاب النار فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه وما يكن فينا مثله ولا جنسه

واعلم أن في مقدمة هذا القسم المشكلات المعروفة بمتشابهات الصفات فإن التشابه والخفاء لم يجيء ناحية غرابة في اللفظ أو اشتراك فيه بين عدة معان أو إيجاز أو إطناب مثلا فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده

القسم الثالث وهو ما كان التشابه فيه راجعا في **اللفظ والمعنى** معا له أمثلة كثيرة منها قوله عز اسمه وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه ورد أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته يدخل ويخرج منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل قول الله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لأن هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لا بد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا لتعذر فهمه

قال الراغب في مفردات القرآن المتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالأول ضربان أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو الأب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين ." (٢)

"استدلوا بما ذكره الغزالي في »إلجام العوام عن علم الكلام« أن ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة، واستدل لذلك بأن من الألفاظ العربية ما ليس لها فارسية تطابقها، ومنها ما لها فارسية تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت العرب باستعارتها منها، ومنها ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك" (١) وبين أن

---

(١) مناهل العرفان، ٢/٢٠٠

(٢) مناهل العرفان، ٢/٢٠١

الخطأ في ذلك مدرجة للكفر.

أن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة وإذا فات يفوت بفوته خير كثير طالما كان جاذباً للإسلام.

أن القرآن هو الآية الكبرى للرسول – صلى الله عليه وسلم – بل هو الآية الباقية من آيات الأنبياء، وإنما يكون ذلك بالمحافظة عليه من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عمن جاء به من عند الله، والترجمة ليست كذلك.

كما استدلوا بنصوص بعض الفقهاء (٢).

منها ما قاله المرغيناني الحنفي في »التجنيس«: "ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع لأنه يؤدي إلى الإخلال بحفظ القرآن؛ لأنا أمرنا بحفظ **اللفظ والمعنى...**". وقال قوام الدين الخجندي في معراج الدراية: "من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق، والمجنون يداوى والزنديق يقتل".

قالوا: ومذهب الحنابلة أن الصلاة تفسد بالقراءة بالفارسية ونحوها عند العجز وعدمه،ومذهب المالكية أنه لا تجوز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية . وقال الإمام الزركشي وهو من الشافعية: "تحرم قراءته بغير لغة العرب".

الترجيح:

عند التأمل نجد أن في أصحاب كل قول معتدلين ومغالين، وأنه لا خلاف بين المعتدلين من الفريقين، وإنما الخلاف الشديد بين المغالين من الفريقين.

---

(١) إلجام العوام عن علم الكلام: الغزالي، ص٧١.

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ٩/٣١٢-٣١٦.." [1]

"وقال الأصبهاني في تفسيره: أعم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه. والثاني بصرف الناس عن معارضته؟ فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه. أما الإعجاز التعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى**، فإن ألفاظه ألفاظهم؟ قال تعالى: (فزآنآ غزبتا! أ يوسف: ٣،. (بيستان غزيت ! أ الشعراء: ١٩٥،. ولا بمعانيه؟ فإن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: (وإنة تمت زموبر الأولين ! أ الشعراء: ١٩٦،. وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان البدء والمعاد، والإخبار بالغيب؟ فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل أكو شكا حاصلة من غير سبق تعليم وتعم، ولكون الإخبار بالغيب إخبارا بالمغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره، موزدي بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة، فإذا فالنظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والعنف عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالقرط والخاتم والسوار، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها، لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد؟ فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتمي، وإن

---

(١) نقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى: ترجمة أم تفسير؟، ص/١١

كان العنصر نختلفآ. وإن اتخذ خاتم وفقط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحدة. قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المحصول.." [1]

" الفتح وموضعهما رفع من أجل أن أكثر ما استعملا بالنصب على أنهما ظرفان

قوله والشمس والقمر انتصبا عطفا على موضع الليل لأنه في موضع نصب وقيل بل على تقدير و جعل فأما من قرأ وجعل الليل فهو عطف على **اللفظ والمعنى**

قوله حسبانا قال الأخفش معناه بحسبان فلما حذف الحرف ونصب وقيل إن حسبانا مصدر حسبت الشيء حسبانا وحسبا والحساب هو الاسم

قوله فمستقر ومستودع رفع بالابتداء والخبر محذوف أي فمنكم مستقر ومنكم مستودع ومن فتح القاف كان تقديره فلكم مستقر أي مستقر في الأرحام ومستودع في الأرض وقيل المستودع ما كان في الصلب وقيل مستقر معناه في القبر على قراءة من كسر القاف ." [2]

" تفسير مشكل اعراب سورة الفلق

قوله تعالى من شر ما خلق ما بمعنى الذي والضمير محذوف من الصلة ودل ذلك على أن الله جل ذكره خالق كل شيء وكذلك إن جعلت ما والفعل مصدرا دل على ذلك إلا أنه لا ضمير محذوف من الكلام ومن قراه من شر بالتنوين فقد ألحد وغير **اللفظ والمعنى** لأنه يجعل ما نفيا ويقدم من وهي متعلقة عنده بخلق فيقدم ما بعد النفي عليه وذلك لا يجوز عند جميع النحويين لأن تقديره عنده ما خلق من شر فيخرج الكلام عن حده ويصير الى النفي فبعد ما هو دعاء وتعوذ يصير خبرا نفيا معترضا بين تعويذين وذلك إلحاد ظاهر وخطأ بين ." [3]

"أما قوله ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ [فـ] جعل "البقر" مذكرا مثل "التمر" و"البسر" كما تقول: "إن زيدا تكلم يا فتى" وان شئت قلت (يشابه) وهي قراءة مجاهد. ذكر "البقر" يريد ﴿يتشابه﴾ ثم أدغم التاء في الشين. ومن أنث البقر" قال ﴿تشابه﴾ فادغم، وان شاء حذف التاء الاخرة ورفع كما تقول [٤٧ء] "إن هذه تكلم يا فتى" لانها في "تتشابه" احداهما تاء "تفعل" والاخرى التي في "تشابهت" فهو في التأنيث معناه "تفعل". وفي التذكير معناه "فعل" و "فعل" أبدا مفتوح كما ذكرت لك والتاء محذوفة اذا أردت التأنيث لانك تريد "تشابهت" فـ" هي "تتشابه" وكذلك كل [ما كان] من نحو "البقر" ليس بين الواحد والجماعة [فيه] الا الهاء، فمن العرب من يذكره ومنهم من يؤنثه، ومنهم من يقول: "هي البر والشعير" وقال: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾ فأنث على تلك اللغة وقال "باسقات" فجمع لان المعنى جماعة. وقال الله جل ثناؤه ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه﴾ فذكر في لغة من يذكر وقال ﴿وينشيء السحاب الثقال﴾ فجمع على المعنى لان المعنى معنى سحابات. وقال ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ وقال ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ على **المعنى واللفظ**.

(١) معترك الأقران للسيوطي، ص/٧

(٢) مشكل إعراب القرآن، ١/٢٦٣

(٣) مشكل إعراب القرآن، ٢/٨٥٥

وقد قال بعضهم: ﴿إن الباقر﴾ مثل "الجامل" يعني "البقر" و"الجمال" قال الشاعر: [من الكامل وهو الشاهد السابع والثمانون]:

مالي رأيتك بعد أهلك موحشا * خلقا كحوض الباقر المتهدم

وقال: [من الطويل وهو الشاهد الثامن والثمانون]

[فإن تك ذا شاء كثير فإنهم] * ذوو جامل لا يهدأ الليل سامره." (١)

"والثبات.

قال في الكشاف إن العدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى)قالوا سلاما قال سلام(رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم اه.

فإن قلت وقع الاهتمام بالحمد مع أن ذكر اسم الله تعالى أهم فكان الشأن تقديم اسم الله تعالى وإبقاء الحمد غير مهتم به حتى لا يلجأ إلى تغييره عن النصب إلى الرفع لأجل هذا الاهتمام، قلت: قدم الحمد لأن المقام هنا مقام الحمد إذ هو ابتداء أولى النعم بالحمد وهي نعمة تنزيل القرآن الذي فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال **المعنى واللفظ** والغاية فكان خطوره عند ابتداء سماع إنزاله وابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعالى من الصفات الجميلة، وذلك يذكر بوجوب حمده وأن لا يغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة، فلذلك قدم وأزيل عنه ما يؤذن بتأخره لمنافاته الاهتمام. ثم إن ذلك الاهتمام تأتى به اعتبار الاهتمام بتقديمه أيضا على ذكر الله تعالى اعتدادا بأهمية الحمد العارضة في المقام وإن كان ذكر الله أهم في نفسه لأن الأهمية العارضة تقدم على الأهمية الأصلية لأنها أمر يقتضيه المقام والحال والآخر يقتضيه الواقع، والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام، ولأن ما كان الاهتمام به لعارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه إذ قد يخفى، بخلاف الأمر المعروف المقرر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيته التنبيه على غيره.

فإن قلت كيف يصح كون تقديم الحمد وهو مبتدأ مؤذنا بالاهتمام مع أنه الأصل، وشأن التقديم المفيد للاهتمام هو تقديم ما حقه التأخير.." (٢)

"في البر والبحر (حسن) وقريء ينشركم من النشر والبث ويسيركم من التسيير لأن حتى للابتداء إذا كان بعدها إذا إلا قوله حتى إذا بلغوا النكاح فإنها لانتهاء الابتداء وجواب إذا قوله جاءتها ريح

من كل مكان (حسن) ومثله له الدين لأن دعوا الله جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما كان حالهم في تلك الشدة قيل دعوا الله ولم يدعوا سواه

من الشاكرين (كاف) ومثله بغير الحق

على أنفسكم (تام) لمن قرأ متاع بإضمار مبتدأ محذوف تقديره هو متاع أو ذلك متاع وكذا لو نصب بمحذوف أي تبغون

---

(١) معاني القرآن ـ للأخفش، ٨١/١

(٢) مقدمة التحرير والتنوير، ٢٣٤/٢

متاع أو رفع بغيكم على الابتداء وعلى أنفسكم في موضع الخبر وفيه ضمير عائد على المبتدأ تقديره إنما بغيكم مستقر على أنفسكم وهو متاع فعلى متعلقة لاستقرار وكذا لو رفع بغيكم على الابتداء والخبر محذوف تقديره إنما بغيكم على أنفسكم من أجل متاع الحياة مذموم وليس بوقف إن رفع خبرا عن قوله بغيكم وعلى أنفسكم متعلق بالبغي فلا ضمير في قوله على أنفسكم لأن ليس بخبر المبتدأ فهو ظرف لغو أو نصب متاع ببغيكم أو نصب على أنه مفعول من أجله أي من أجل متاع وبالنصب قرأ حفص عن عاصم على أن متاع ظرف زمان أي زمن متاع وقرأ باقي السبعة متاع بالرفع

تعملون (تام) ولا وقف من قوله إنما مثل إلى والأنعام فلا يوقف على قوله فاختلط وزعم يعقوب الأرزق أنه هنا وفي الكهف تام على استئناف ما بعده جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر وفي هذا الوقف شيء من جهة **اللفظ والمعنى** فاللفظ أن نبات فاعل بقوله فاختلط أي فنبت بذلك المطر أنواع من النبات يختلط بعضها ببعض وفي المعنى تفكيك الكلام المتصل الصحيح والمعنى الفصيح وذهاب إلى اللغو والتعقيد

والأنعام (حسن) لأن حتى ابتدائية تقع بعدها الجمل كقوله

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والغاية معنى لا يفارقها كما تقدم في قوله حتى يقولا إنما نحن فتنة قادرون عليها ليس بوقف لأن أتاها جواب إذا." (١)

"قال أبو جعفر الأولى سيئة في **اللفظ والمعنى** والثانية سيئة في اللفظ وليست في المعنى سيئة ولا الذي عملها مسيء وسميت سيئة لازدواج الكلام ليعلم إنها جزاء على الأولى ٣٨ - وقوله جل وعز (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (آية ٤١) قال قتادة هذا في القصاص فأما من ظلمك فلا يحل لك أن تظلمه قال الحسن (ولمن انتصر بعد ظلمه) هذا إذا لم يكن ظلمه لا يصلح أي هذا فيما أباح الله الانتصار منه." (٢)

"كذلك إذا كان اللفظ مفردا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعا كان لحال يناسبه.

وقد يختار كلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد.

وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي –على قدر حسنه– لغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمي إليه(١).

روعة معاني ألفاظ القرآن الكريم:

إذا ما انتقلنا من ألفاظ القرآن الدقيقة إلى معانيها، فإننا نجد هذه المعاني في غاية الروعة، وسمو البيان، وبذلك يتكامل **اللفظ والمعنى**.

ومعاني ألفاظ القرآن متناسقة مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب.

المناسب بحروفه وجرسه وإيقاعه.

---

(١) منار الهدى في بيان الوقف والإبتدا، ٢٧٥/١

(٢) معاني القرآن للنحاس، ٣٢٢/٦

والمناسب بمعناه المتفق مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة(٢).

جاذبية إيقاع القرآن الكريم:

للبيان القرآني المعجز "إيقاع" جذاب مؤثر، وهذا الإيقاع الأخاذ يدخل أذن السامع فيؤثر فيه(٣).

وعناصر الإيقاع في القرآن خمسة:

مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.

تناسق الإيقاعات بين كلمات الآية.

اتجاهات المد في الكلمات.

اتجاهات المد في نهاية الفاصلة في الآيات.

حرف الفاصلة القرآنية(٤).

جمال صور القرآن:

يستخدم البيان القرآني طريقة "التصوير" في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا يضفي على البيان القرآني جمالا وحيوية، وروعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة.

فعندما يقرأ القارئ الآية ترتسم في خياله صورة مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية، فكأن القارئ يرى أمام عينيه مشهدا "تلفزيونيا" معروضا على شاشة خياله فيتأثر ويتفاعل(٥).

سمو نظم القرآن:

---

(١) صفاء الكلمة للدكتور لاشين ١٥، ١٦

(٢) إعجاز القرآن البياني ١٣٤

(٣) السابق ١٣٢

(٤) التصوير الفني في القرآن ٨٥

(٥) إعجاز القرآن البياني ١٣٨." [1]

"اختلف الأدباء في **اللفظ والمعنى**: في أيهما تكمن البلاغة وأيهما المقدم على الآخر، فمنهم من غالى في المعنى واعتبره الأساس، وألغى دور اللفظ في البلاغة وهم "الأسلوبيون" منهم: ابن رشيق القيرواني، وابن الأثير الجزري.

ومنهم من غالى في اللفظ واعتبره هو الأساس، وألغى دور المعنى في البلاغة، وهم "اللفظيون" منهم: الجاحظ وابن سنان الخفاجي وابن خلدون.

ولما جاء الشيخ عبد القاهر أخذ على اللفظيين غلوهم في الألفاظ على حساب المعاني، كما أخذ على الأسلوبيين غلوهم

---

(١) ري الظمآن في بيان القرآن، ص/٤

في المعاني على حساب الألفاظ، وأنقص قيمة كل من الألفاظ والمعاني معا، واعتمد "النظم" مكانهما(١) وصاغ منه نظرية متكاملة.

ورغم روعة كلام الإمام عبد القاهر حول النظم القرآني إلا أنه يؤخذ عليه غلوه في النظم على حساب الألفاظ والمعاني، وهذا هو أهم نقد وجهه بعضهم لنظريته حول النظم(٢).

نظرية النظم:

النظم هو: مراعاة أحوال التأليف، الذي يعني توخي معاني النحو فيما بين الكلم.

أي أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وذلك بأن تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق"، و"زيد ينطلق".

وتنظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منهما بخصوصية في ذلك المعنى، نحو أن تجيء بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أردت نفي الاستقبال، وبـ "أن" فيما يتردد بين أن يكون وبين أن لا يكون، وبـ"إذا" إذا علم أنه كائن.

وتنظر في الجمل فتعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم تعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع الفاء" من موضع "أو" وموضع "لكن" من موضع "بل".

---

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني ١٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: البيان القرآني لمحمد البيومي ٦٤." (١)

"يعني أن ابن عامر ضم الهاء في الوصل في هذه المواضع الثلاثة قال الشيخ قدرت الهاء في المعنى كما هي في اللفظ فضمت كما يضم المنادى المفرد وهي لغة عربية حكاها الكسائي والفراء ، قال الفراء هي لغة بني أسد يقولون أيه الرجل أقبل وذلك أنهم شبهوا هذه الهاء بهاء الضمير فضموها وكذلك حركوا هاء السكت تشبيها لها بهاء الضمير وأسكنوا هاء الضمير تشبيها بهاء السكت وفي قراءة ابن عامر تحريك هاء السكت يعني في الأنعام (فبهداهم أقتده) ، وقول الناظم على الإتباع بيان لمأخذ هذه اللغة وحركتها وهي أنهم ضموا الهاء إتباعا لضمة الياء قبلها والوجه فتح الهاء وهي قراءة الجماعة لأنها ها التي للتنبيه حذفت ألفها للساكن الذي بعدها ويعلم من قوله إن ابن عامر ضم الهاء على الإتباع أنه رسم بغير ألف وأن من عدا الكسائي وأبا عمرو وقفوا على الهاء لأن الألف لا يمكن ضم ما قبلها وكأن هذا من باب الإثبات والحذف فكأنه قال أثبت الألف في الوقف أبو عمرو والكسائي فالباقون على حذفها وقفا وزاد ابن عامر فضم الهاء في الوصل إتباعا والإتباع في اللغة وجه مقصود في مواضع كثيرة ، قال الشيخ وأجاز صاحب القصيدة ضم ابن عامر بالرفع على الابتداء وضم ابن عامر على أنه فعل وفاعل ، قلت فعلى هذا تقدير الكلام أوقع الضم في الهاء فهو من باب ، يجرح في عراقيبها نصلي ، ثم قال الشيخ والمرسوم مبتدأ وفيهن الخبر وأخيلا منصوب على الحال والتقدير والمرسوم استقر فيهن أخيلا أي مشبها ذلك والأخيل الحبرة اليمانية شبه الرسم بها ، قلت وتبع الشارحون الشيخ في هذا **المعنى واللفظ** وهو

---

(١) ري الظمآن في بيان القرآن، ص/٤٤

مشكل لفظا ومعنى فإن الأخيل طائر والرجل المتكبر وما رأيت أحدا من أهل اللغة ذكر أنه الحبرة وقد كشفت الكتب المشهورة في ذلك فلم أجده ثم لا طائل للمعنى المفهوم من هذا اللفظ على تقدير صحته وقد طال فكري في معنى صحيح أحمل اللفظ عليه فوقع لي أن قوله أخيلا فعل ماض هو خبر والمرسوم بمعنى الرسم مصدر على وزن." (١)

"أي ذو غيب حلو لأن قبله–لبني إسرائيل–والخطاب حكاية ما في الكتاب وهما مثل ما في البقرة–لا تعبدون إلا الله–كلاهما في بني إسرائيل والمعنى واحد ولو دخلت أن في الذي في البقرة لكانت–أن لا تعبدوا–مثل–أن لا تتخذوا سواء فاتحد **اللفظ والمعنى** وأما–ليسوءوا وجوهكم–فقراءة الكسائي بالنون ظاهرة لكثرة ما قبله من نونات العظمة وقرأ غيره بالياء فمن فتح الهمزة وقصره كما فعل الكسائي فالفاعل هو الله تعالى كما قال–سبحان الذي أسرى بعبده–وبعده–عسى ربكم–أو يكون الفاعل الوعد أو البعث وهذه قراءة ابن عامر وحمزة وأبي بكر وضم الهمز ومده حفص وهو المرموز في قوله عدلا والحرميان وأبو عمرو رمز لهم في البيت الآتي بقوله سما فالضمير المرفوع في–ليسوءوا–للعباد الذين هم–أولوا بأس شديد–واللام في–ليسوءوا–على القراءات الثلاث متعلقة بفعل مضمر أي بعثناهم ليقع ذلك وقول الناظم والمد بالرفع عطف على ضم الهمز

(٨١٧)

(سما) ويلقاه يضم مشددا (كـ)فى يبلغن امدده واكسر (شـ)مردلا

أراد كتابه يلقاه–أي يستقبل به وقرأ الباقون يلقاه بفتح الياء والتخفيف وذلك ظاهر المعنى والهاء للكتاب أو للإنسان لأن ما لقيك فقد لقيته–وإما يبلغن عندك الكبر–فمد بعد الغين أي زد ألفا واكسر النون المشددة فيصير يبلغان والضمير للوالدين وأحدهما بدل منه وهو فاعل على قراءة القصر والنون للتأكيد فيها والله أعلم

(٨١٨)

وعن كلهم شدد وفا أف كلها بفتح (د)نا (كـ)فؤا ونون (ع)لى (ا)عتلا." (٢)

"لفظ بقراءة ابن كثير وبين ما فعل فيها فقال زده النون أي زده النون الساكنة لأن النون المضمومة موجودة في قراءة الباقين وارفع يعني اللام لأنه صار فعلا مضارعا فوجب رفعه وخف يعني تخفيف الزاي لأن قراءة الباقين بتشديدها على أنه فعل ماض لما لم يسم فاعله وهو مطابق للمصدر الذي ختمت به الآية وهو تنزيلا ومصدر قراءة ابن كثير إنزالا إلا أن كل واحد منهما يوضع موضع الآخر أنشد أبو علي ، (وقد تطويت انطواء الخصب) ، وقال حيث كان تطويت وانطويت يتقاربان حمل مصدر ذا على مصدر ذا ولا حاجة إلى أن يقال الناظم لم ينبه على إسكان النون ذهابا إلى أن المزيدة هي الأولى بل تجعل المزيدة هي الثانية وتخلص من الاعتراض ومن الجواب بأن خف ينبيء عن ذلك وبأن الزاي إذا خففت لم يكن بد من إسكان النون فهب أن الأمر كذلك فمن أين تعلم قراءة الباقين أنها بالضم وهو لم يلفظ بها ، فإن قلت في التحقيق الزائدة هي الأولى لأنها حرف المضارعة والثانية هي أول الفعل الماضي ، قلت صحيح إلا أن الناظم لا يعتبر في

---

(١) شرح الشاطبية لأبي شامة، ٣٨٣/١

(٢) شرح الشاطبية لأبي شامة، ٢٤٠/٢

تعريفه إلا صورة اللفظ ألا تراه كيف قال في يوسف وثان ننج احذف فأورد الحذف على الثانية ليصير الفعل ماضيا وإنما المحذوف حرف المضارعة فكذا هنا ونصب ابن كثير الملائكة لأنه مفعول وننزل ورفعه الباقون لأنه مفعول ونزل ودخللا حال لأن قبله (لولا أنزل علينا الملائكة) فهو مداخله ومرافقه في **اللفظ والمعنى**

(٩٢٣)

تشقق خف الشين مع قاف (غ)الب ويأمر (شـ)اف واجمعوا سرجا ولا." [1]

"الواو في وبالياء فاصلة لأن هذه مسئلة غير المتقدمة وإن كان الجميع متعلقا بكلام واحد فالذي تقدم بيان الخلاف في القصر والتشديد وهذا بيان قراءة من يقرأ بالياء وفتح العين ورفع العذاب وضدها وهي القراءة بالنون وكسر العين ونصب العذاب ، فكأنه قال ويضاعف بالياء وفتح العين على ما لم يسم فاعله ورفع العذاب لأنه مفعول ما لم يسم فاعله ، فأسقط حرف العطف من "ورفع العذاب" ضرورة للعلم به وقوله حصن حسن أي رمز ذلك وهو خبر المبتدأ المقدر ، وهو يضاعف وما عطف عليه وهو رفع العذاب أي المجموع حصن حسن فاجتمع أبو عمرو مع حصن في الياء وفتح العين وخالفهم في المد فقرءوا–يضاعف–وقرأ هو وحده يضعف وكلا الفعلين لما لم يسم فاعله فاتفق معهم على رفع العذاب فبقي ابن كثير وابن عامر على النون وكسر العين على بناء الفعل للفاعل فلزم نصب العذاب لأنه مفعوله والنون للعظمة هما من أهل القصر والتشديد فقرأا–نضعف لها العذاب–والقراءات ههنا ثلاث ، ووجوهها ظاهرة إنما كان مشكلا استخراجها من هذا النظم وقد سهله الله تعالى فاتضح ولله الحمد ، قوله ويعمل يؤت أراد–ويعمل صالحا نؤتها–قرأهما حمزة والكسائي بالياء أما الياء في يعمل– فعطف على يقنت–وأجمعوا في يقنت على لفظ التذكير ردا على لفظ من فكذا ما عطف عليه وهو– يعمل–وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ردا على معنى من لأنها عبارة عن النساء ولهذا رجعت الضمائر بلفظ التأنيث في نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها–وأما الياء في يؤتها فلله تعالى وقرأ الباقون بالنون للعظمة فقول الناظم بالياء تقييد لقوله يؤت ليكون النون للباقين لأنها أخت الياء في اصطلاحه ولا تكون تقييد ليعمل أيضا وإن كان صحيحا من حيث **المعنى واللفظ** فإنها بالياء أيضا ولكن امتنع ذلك خوفا من اختلال القراءة الأخرى فإنها ليست بالنون فلا يكون هذا إلى من باب التذكير والتأنيث فيكون قوله ويعطل مطلقا من غير تقييد ليدل إطلاقه له على أنه أراد به التذكير." [2]

" وقرأ الباقون فتلقى آدم من ربه كلمات آدم رفع بفعله لأنه تلقى من ربه الكلمات أي أخذها منه وحفظها وفهمها والعرب تقول تلقيت هذا من فلان المعنى إن فهمي قبلها منه وحجتهم ما روي في التفسير في تأويل قوله فتلقى آدم من ربه كلمات أي قبلها فإذا كان آدم القابل فالكلمات مقبولة

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قرأ ورش عن نافع فمن تبع هداي ساكنة الياء وقرأ الباقون بفتح الياء وإنما فتحت لأنها أتت بعد ساكن واصلها الحركة التي هي الفتح وقد ذكرته عند قوله إني أعلم

---

(١) شرح الشاطبية لأبي شامة، ٣١٨/٢

(٢) شرح الشاطبية لأبي شامة، ٣٦٤/٢

ولا يقبل منها شفاعة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا تقبل منها بالتاء وقرأ الباقون بالياء من قرأ بالتاء فلتأنيث الشفاعة وسقط السؤال فصار كقوله وأخذت الذين ظلموا الصيحة

وحجة من قرأ بالياء هي أن تأنيث الشفاعة ليست حقيقية فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث تقول قد قبل منك الشفاعة و قبلت منك وكذلك فمن جاءه موعظة لأن معنى موعظة و وعظ و شفاعة و تشفع واحد فلذلك جاز التذكير والتأنيث على **اللفظ والمعنى** ." (١)

" قبله فقال حتى يؤتى مثل ما أوتي رسل الله وما بعده يجب أن يكون الجمع ليأتلف **اللفظ والمعنى** ومن قرأ بالتوحيد اجتزأ بالواحد عن الجميع

ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ١٢٥

قرأ ابن كثير ضيقا خفيفا وقرأ الباقون بالتشديد والأصل ضييق على وزن فيعل ابن كثير حذف الياء الثانية والباقون أدغموا الياء ولم يحذفوا من الكلمة شيئا ومثله هين وهين

قرأ نافع وأبو بكر حرجا بكسر الراء وقرأ الباقون بالفتح وهما لغتان مثل الدنف الدنف وحجة من فتح قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج فإن قال قائل لم قال الله صدره ضيقا مثقلا الجواب إن الحرج أشد الضيق فكأنه قال ضيق جدا

قرأ ابن كثير كأنما يصعد خفيفا من صعد يصعد وحجته قوله إليه يصعد الكلم الطيب وقرأ أبو بكر يصاعد الأصل يتصاعد فأدغم التاء في الصاد لقربها من الصاد

وقرأ الباقون يصعد الأصل يتصعد فأدغموا التاء في الصاد ومعنى يصعد و يصاعد و يصعد كله واحد

وما ربك بغافل عما يعملون ١٣٢ ." (٢)

" قرأ حمزة والكسائي وحفص باسم الله مجرها بفتح الميم وكسر الراء من جرت السفينة جريا ومجرى و قالوا إن معنى ذلك بسم الله حين تجري وحجتهم قوله بعدها وهي تجري بهم في موج كالجبال ٤٢ ولم يقل وهي تجري فهذا أول دليل على صحة معنى مجراها بفتح الميم وإسناد إلى السفينة في **اللفظ والمعنى**

وقرأ الباقون مجراها ومرساها بضم الميمين أي بالله إجراؤها وبالله إرساؤها يقال أجريته مجرى وإجراء في معنى واحد وهما مصدران وحجتهم إجماع الجميع على ضم الميم في مرساها فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه

يا بني اركب معنا ٤٢

قرأ عاصم يا بني اركب بفتح الياء وقرأ الباقون بالكسر

---

(١) حجة القراءات، ص/٩٥

(٢) حجة القراءات، ص/٢٧١

قال الزجاج كسرها من وجهين أحدهما أن الأصل يا بنيي والياء تحذف في النداء أعني ياء الإضافة وتبقى الكسرة تدل عليها ويجوز أن تحذف الياء لسكونها وسكون الراء من قوله اركب وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ والفتح من جهتين الأصل يا بنيا بالألف فتبدل الألف من ياء الإضافة العرب تقول يا غلاما أقبل ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ ويجوز أن تحذف الألف للنداء كما تحذف ياء الإضافة وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء ." (١)

" وقرأ الباقون أقتت بالألف وحجتهم في ذلك خط المصاحف بالألف فمن همز فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز أن تبدل منها همزة فتقول في وجوه أجوه فقدرنا فنعم القادرون

قرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد ورأ الباقون بالتخفيف وحجتهم قوله فنعم القادرون ولم يقل المقدرون فأجروا على لفظ ما جاوره إذ لم يقم على التفريق بين اللفظين وكان المعنى فيه فملكنا فنعم المالكون فكان لفظ يشاكل بعضه بعضا في اللفظ والمعنى

ومن شدد فإنه أحب أن يجري على معين كل واحد منهما بخلاف الآخر وذلك فقدرنا مرة بعد مرة لأنه ذكر الخلق فقال ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فذلك منه فعل متردد فشدد إرادة تردد الفعل على سنن العربية وقد أوضح هذا المعنى في تقدير خلق الإنسان بما أجمعوا فيه على التشديد وهو قوله من نطفة خلقه فقدره فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى ." (٢)

"واستدلت المالكية بالقصة على التدمية الحمراء وهي قبول قول القتيل قبل موته بأن فلانا قتله ، وفيه نظر لأن هذا حيي بعد موته فلا يتطرقه الكذب ، واستدلت أيضا على حرمان القاتل من الإرث ، وفيه نظر لأن هذه شريعة من قبلنا يطرقها النسخ لكن ثبت في الحديث أنه لا يرث . (١)

ومن كلامه في النسخ قوله في آية الوصية :

وهذه الآية منسوخة في وصية الوالدين محكمة في الأقربين غير الوارثين ، فإذا كان

الوالدين غير وارثين كالكافرين أو العبدين فهي محكمة .(٢)

وقوله :

والنسخ إنما يكون في الأوامر والنواهي دون الأخبار ، لأنه يكون كذبا ومعنى النسخ انتهاء العمل بذلك الحكم ، ونقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة فلم يلزم عليه البدء كما قالت اليهود – والنسخ عندنا ثلاثة أقسام : نسخ اللفظ والمعنى كما كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ثم نسخ – ونسخ اللفظ دون المعنى كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ثم نسخ لفظه وبقي حكمه وهو الرجم – ونسخ المعنى دون اللفظ كآية السيف بعد الأمر بالمهادنة مع الكفار ، والله

---

(١) حجة القراءات، ص/٣٤٠

(٢) حجة القراءات، ص/٧٤٣

تعالى أعلم .(٣)

حادي عشر : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :

لا يتعرض لشيء من ذلك سوى الفلسفة وهي فلسفة التصوف الكامنة في كلام ابن عربي وابن الفارض ونحوهما وقد قدمنا شيئا من ذلك عند الحديث عن موقف المصنف من العقيدة وسوف يأتي تكميل لنفس الموضوع في الفقرة التالية .

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

نظرا لكون الكتاب صوفي إشاري فإنه يتضمن شيئا من الزهديات والوعظ مع مايحمل في طياته من انحراف منهجي واضح ولذا فسوف أتكلم في هذه الفقرة عن صوفيات هذا التفسير ومظاهر انحرافه .

فمن الصوفيات التي أقحمها المصنف في تفسير الظاهر على الرغم من كون ذلك مخالفا لمنهجه الذي ذكره قوله :

---

(١) ص٦٤ .

(٢) ص١٤٧ .

(٣) ص٩١ .." [1]

"وضرب لبسط الكلام نحو : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

لأنه لو قيل : ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو : ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا﴾١.

تقديره : الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا.

وقوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾.

إلى قوله : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾٢.

والمتشابه من جهة المعنى : أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصوَّر لنا؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

والمتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعًا خمسة أضرب :

الأول : من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو : ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾.

والثاني : من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، نحو : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

والرابع : من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾٣.

---

(١) رسالة عن مناهج المفسرين، ٢٢/٧

١ الكهف : ١-٢.

٢ الفتح : ٢٥، ففي الآية تقديم وتأخير دعا إليه المقام، والمعنى كما قال أبو السعود في تفسيره : "لولا كراهة أن تهلكوا ناسًا مؤمنين بين الكافرين، غير عالمين بهم، فيصيبكم بذلك مكروه، لما كفَّ أيديكم عنهم".

٣ البقرة : ١٨٩.

١٨٧ | ٣٧٥." (١)

"الثالث، أي : الحقيقة التي يُؤَوَّل إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته، وحقيقة المعاد لا يعلمها إلّا الله.

والذين يقولون بالوقف على قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أن الواو للعطف وليست للاسئتناف، إنما عُنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني، أي : التفسير، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري فيه : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به أن يعرف تفسيره.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته، وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في **اللفظ والمعنى** الكلي، إلّا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها، ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

ولهذا لما سُئِلَ مالك وغيره من السَّلف عن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

قالوا : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وكذلك قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك قبله : "الاستواء معلوم والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان".

فبيَّن أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى أخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا، إلّا أن الحقيقة غير الحقيقة، ففي الآخرة ميزان وجنة ونار، وفي الجنة : ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾١.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾٢.

---

١ محمد : ١٥.

---

(١) دراسات في علوم القرآن، ص/٢٤١

٢ الغاشية : ١٣-١٦.

٢٠٣ | ٣٧٥." [١]

"بأن الصلاة هاهنا معناها الاستعطاف ، تقديره : اللهم اعطف على محمد رحمتك .

فجواب البطليوسي أولى من جواب ابن عبد ربه ، لأن ابن عبد ربه اعتبر المعنى دون اللفظ ، لأن لفظ الصلاة مغاير للفظ الإنزال ، وأما البطليوسي اعتبر **اللفظ والمعنى** معا ، لأن لفظ الصلاة مأخوذ من الصلوين ، وهما عرقان في الظهر إلى الفخذين ينحنيان وينعطفان في الركوع والسجود .

تنبيه جهله كثير من الأئمة ، وهو قولهم : الصلاة معناها الدعاء أو معناها الرحمة يقتضي هذا أن هذه الألفاظ الثلاثة مترادفة – أعني الصلاة والدعاء والرحمة – ، وذلك لا يصح ؛ لأنها متباينة لا مترادفة ، فلا يصح تفسير أحدهما بالآخر منهما ؛ لأن الدعاء أعم من الصلاة وأعم من الرحمة ؛ لأن الدعاء يكون بخير ويكون بشر ، بخلاف الصلاة والرحمة فلا تكونان إلا بخير ، ولا يفسر العام بالخاص ولا بالعكس .

والصلاة – أيضا – أقوى من الرحمة ، والأقوى مباين للأضعف ، ولأجل هذا خصت الصلاة بالأنبياء والملائكة على الصحيح دون غير الصلاة من الرضى والرحمة والغفران ، وما في معناها ؛ لأن الأنبياء والملائكة أقوى المراتب من غيرهم ، فيستعمل الأقوى مع الأقوى ، ويستعمل الأضعف مع الأضعف للمناسبة ، فقولك : "اللهم صل على محمد" أبلغ وأقوى وآكد من قولك : "اللهم ارحم محمدا" ، وقولك : "صليت على الميت" ، معناه على قول ابن عبد ربه – رحمه الله – استنزلت الرحمة من الله على الميت ، ومعناها على قول البطليوسي : "استعطفت الرحمة من الله على الميت " . انظر كتاب الاقتضاب على شرح آداب الكتاب(١)، فمعنى الصلاة إذا هي الرحمة الكثيرة ، فهي مقيدة لا مطلقة .

واختلف اللغويون في أصل الصلاة :

قيل : أصلها الدعاء .

وقيل : أصلها الانحناء والانعطاف .

فأما الأول – وهو أن أصلها الدعاء – فدليله الكتاب والسنة وكلام العرب .

---

(١) للبطليوسي ، ص ٦ .." [٢]

"وأما العامل فيه(١)، فهو صفة المبتدأ المقدر ، تقديره : أما القول المقول بعد ما تقدم ذكره ، فاعلم أن أصل الرسم ، وخبر هذا المبتدأ المقدر هو الجواب ، وهو قوله : ((فاعلم أن أصل الرسم)) ، لأن الجواب يغني عن الخبر لقيامه مقامه .

---

(١) دراسات في علوم القرآن، ص/٢٥٩

(٢) تنبيه العطشان على مورد الظمآن، ١١٢/١

وأما لم بني ؟ ، فقيل : [لشبهه بالحرف في الافتقار إلى تقدير الإضافة](٢)، ولقطعه عن الإضافة ، وقيل لخروجه عن النظائر ، وقيل لتضمنه معنى الحرف ، وهو لام الإضافة(٣).

وأما لم بني على الحركة ؟ ، فقيل : لالتقاء الساكنين ، وقيل : لأن بناءه عارض وليس بلازم ، وذلك أن قبل وبعد له أربعة أوجه ، يعرب في ثلاثة أوجه ، ويبنى في وجه واحد :

أحد الأوجه الثلاثة التي يعرب فيها : أن يصرح بالمضاف إليه .

الثاني : أن يحذف وينوى لفظا ومعنى .

الثالث : أن يحذف ولا ينوى أصلا لا لفظا ولا معنى .

فهذه الثلاثة الأوجه(٤)يعرب في جميعها قبل وبعد .

الرابع : أن يحذف وينوى لفظا لا معنى(٥).

مثال ما إذا صرح بالمضاف إليه ، قولك : "جئت قبلك وبعدك" ، و"جئت من قبلك ومن بعدك" .

ومثال ما إذا حذف المضاف إليه وينوى في **اللفظ والمعنى** ، قول الشاعر(٦):

---

(١) زاد في ز : " فهو فعل محذوف تقديره مهما أذكر لك كلاما بعدما تقدم فاعلم وقيل العامل فيه " .

(٢) ما بين القوسين المعقوفين سقط من : " ج " ، " ز " .

(٣) زاد في ز : " فقوله تعالى : ﴿ لله الأمر من قبل ومن؟ بعد ﴾ ، تقديره : لله الأمر من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء ، وقيل : إنما بنى لشبهه بالحرف في الافتقار ، لافتقاره إلى ما يضاف إليه " .

(٤) في ج : " فهذه ثلاثة أوجه " .

(٥) في ج : " لفظا ومعنى " ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٦) هذا البيت من الطويل ، وهو من الشواهد التي استهد بها النحاة ، ولم ينسبوها لقائل معين .

انظر : شرح ابن عقيل ، ٣ : ٧٢ ، شرح الأشموني المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، حققه وشرح

شواهده ووثق آراه وعرف بالنحاة ووضع فهارسه : عبد الحميد السيد عبد الحميد ، ٢ : ٥٠٢ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .." (١)

"فإن قلت : لماذا أتي الناظم بقوله : ((وليس يرسمون فيه ياء)) ؟ مع أن جميع الألفات المحذوفات المذكورات في هذا الباب كذلك يرسمون في موضعها ياء .

ولماذا خصص الناظم ﴿ أو كلاهما ﴾ بهذا الذكر ؟ مع أن غيره مشارك له في هذا(١).

قلنا : إنما خصصه بهذا التنبيه دون غيره ، مخافة أن يتوهم متوهم أن ألفه مكتوب بالياء إذا حذف ، لأنه ينقلب إلى الياء

---

(١) تنبيه العطشان على مورد الظمآن، ١٢٨/١

إذا أضيف إلى الضمير في حال الخفض والنصب ، كقولك : رأيت الزيدين كليهما ، ومررت بالزيدين كليهما .
ويحتمل أن يخصصه بهذا التنبيه ، لأنه ممال عند حمزة والكسائي اتباعا لكسرة الكاف ، فنبه عليه الناظم : بأنه لا يرسم الياء في موضع هذا الألف ، وإن كان ممالا عند من أماله ، مخافة أن يتوهم متوهم أنه مكتوب بالياء ، لأجل إمالته عند من أماله من القراء .

وقول الناظم : ((وليس يرسمون فيه ياء)) ولو كان منقلبا عن ياء في بعض الأحوال ، ولو كان – أيضا – ممالا عند بعض القراء .

واعلم أن النحاة اختلفوا في ((كلا)) على قولين(٢):

قال الكوفيون : هو تثنية في اللفظ والمعنى .

وقال البصريون : هو مفرد في اللفظ وتثنية في المعنى .

واستدل الكوفيون على أنه مثنى لفظا ومعنى : بأن العرب تقول : جاء الزيدان كلاهما ، ورأيت الزيدين كليهما ، [ومررت بالزيدين كليهما](٣)، فيرفع بالألف ، وينصب ويخفض بالياء كغيره من اللفظ المثنى .

---

(١) في جـ : " مشارك له في هذا الذكر " .

(٢) انظر الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، تحقيق موسى العليلي ، ١ : ١٢٠ – ١٢٢ ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العراق .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من : " جـ " .." (١)

"فإن اعتُرض بالقول: ذاك ما نبغ! فالمعروض–على ذلك–هو المعنى لا اللفظ، فالجواب: أما تنزلاً فليس أحدهما بأجلى من الآخر في الدخول الأولي في اللفظة، وأما حقيقةٌ فإن دخول الأداء الداخلي للفظ أقرب، وأسرع تبادراً إلى الذهن (١) من دخول المعنى في العرض، وهو المستخدم اصطلاحاً في سائر العلوم، وهذا من نوادر اصطلاحات العلوم الإسلامية، وقد قال ابن الأثير في معنى حديث جبريل – عليه السلام – :" أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة المقابلة " (٢) .

وما أسهل تصور هذا لكل مسلم يقرأ القرآن الكريم؛ إذ ما زال عرض الألفاظ القرآنية هو لب عملية تعليم القرآن الكريم تتواتر بالمعنى الاصطلاحي واللغوي في جميع الأمصار كما هي في سائر الأعصار (٣) .

---

(١) فمن اشتقاقات عرض كما في مختار الصحاح ص١٧٨، مرجع سابق: "والعِرْضُ أيضا الجسد، وفي صفة أهل الجنة (إنما هو عَرَقٌ يسيل من أَعْرَاضِهم) أي من أجسادهم" وقد سمى المناطقة وعلماء الكلام العرض في مقابلة الجوهر، وهذا قريبٌ في مقارنته **باللفظ والمعنى** .

---

(١) تنبيه العطشان على مورد الظمآن، ١٠٤/٢

(٢) النهاية في غريب الأثر ٣/٣٢٤، مرجع سابق .

(٣) قال ابن حجر-رحمه الله تعالى- في فوائد عرض القرآن في رمضان بين جبريل - عليه السلام - والنبي - صلى الله عليه وسلم - :"وفي ذلك حكمتان: إحداهما تعاهده، والأخرى تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ، فكان رمضان ظرفاً لإنزاله جملة وتفصيلاً وعرضاً وأحكاماً".." (١)

"حكم الوقف على رؤوس الآي

و

تخريج الحديث الوارد في ذلك

جمعه

أبومحمد عبدالله بن علي الميموني المطيري

بسم الله الرَّحمَن الرَّحِيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا، أحمده عدد كل شيء وملء كل شيء ، بكل حمدٍ حمده به أولياؤه المقربون، و عباده الصالحون حمدا لا ينقضي أبدا ، ولا ينتهي سرمدا والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أبدا .

أما بعد ..

فإن الاهتمام بعلوم الكتاب و السنة، وتعلمها ، والجد في تحصيلها ، والإنصاف فيها ، سبب خير كثير، والأمور بعواقبها منوطة ولن يخيب الله تعالى من صدّق، وصَدَقَ.

وإن علم الوقف والابتداء من أجل علوم الكتاب الحكيم، لأنه يستعان به على فهم القرآن والغوص على دُرَرِهِ وكُنوزه، وتتضح به الوقوف التامة، والكافية، والحسان، فتظهر للسامع المتأمل، والقارئ المتدبر، المعاني على أكمل وجوهها وأصحها، وأقربها لمأثور التفسير، و معاني لغة العرب، فإن اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف وتفصيلها، وبيان وجوهها، مبني على النظر في معاني الآيات، وكلامهم في المعاني، وفي بيان وجوه الوقف، وتفضيل بعضها على بعض مأخوذ من المنقول والمعقول.

فلا ريب أن علم الوقف والابتداء من العلوم التي تسفر بها وجوه المعاني القرآنية، إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني ، فيقف ويبتدأ على حسب ما يقتضيه **المعنى واللفظ** ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني ؛ فالنظر في الوقوف معين على التدبر .." (٢)

---

(١) تلقي النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم عن جبريل، ص/٢٤٦

(٢) حكم الوقف على رؤوس الآي وتخريج الحديث الوارد في ذلك، ص/١

"أمراض التلفظ بصوت الضاد أقصد بها الأخطاء التي تقع للقارئ حال تلاوته وكل خطئ داء والداء يوصف عند الأطباء بالمرض ولكل داء علاج وكل عيب من عيوب التلفظ علاج وسوف أذكر تتمة للبحث الأخطاء التي تقع للقارئ حال تلفظه بصوت الضاد اللسانية وعلاجها لتصحب الصحة والكمال لأصوات الحروف القرآنية وهي كالآتي :

إبدالها بصوت الظاء المشالة وهذا هو الكثير الغالب على الظواهر الصوتية في الخليج العربي وبعض بلاد المغرب العربي وأهل المغرب الأدنى كلهم عليه لأنهما تقاربا في المخرج وتشاركا في جميع الصفات إلا الاستطالة فلولا الاختلاف في المخرج وهذه الاستطالة لكانا حرفا واحدا وكون القارئ يلفظ الضاد التي نزل بها القرآن بصوت الظاء فلحن فاحش ظاهر يغير **اللفظ والمعنى** ويغير مراد الله لمعنى الآية وقرر ذلك ابن الجزري بقوله (وإذا قلنا (الضالين)(الفاتحة: من الآية٧) بالظاء كان معناه الدائمين وهذا خلاف مراد الله وهو مبطل للصلاة لأن الضلال بالضاد ضد الهدى) اه وقال عبد الوهاب القرطبي في الموضح ص ١٨٢ / ١٨٣ عن الضاد (وكذلك إذا لقيتها ظاء أو قاربتها في مثل قوله تعالى)الذي أنقض ظهرك)(الشرح:٣)) يعض الظالم)(الفرقان: من الآية٢٧) وما أشبه ذلك وجب إفراد كل منهما بتحقيق مخرجه لأنهما تشتركان في الأطباق وتنفرد الضاد بالتفشي والاستطالة ومتى لم يضبط المخرج ويحفظ التفشي انقلبت ظاء بانجذابها إلى إطباقها) اه وقال الصفاقسي في تنبيه الغافلين (أن من أبدل الضاد ظاء في الفاتحة سهوا فلا شك أن صلاته لا تبطل إذ غاية ما فيه أنت تكلم بكلمة من غير القراءة والذكر في الصلاة سهوا وذلك لا يبطلها ، .... ورجح بعض العلماء في إمامة اللحان وهو من يبدل حرف بحرف أن صلاته مكروهة ...... والمسألة خلافية وفيها تفاصيل في كتب الأصول الفقهية) اه .." (١)

"والرازي وحده هو الذي انفرد بذكر هذا النوع من الاختلاف.

٤ – لقد تكلفوا كثيرًا في محاولتهم لحصر أنواع التغاير والاختلاف في سبعة؛ بحيث يمكننا أن نقول : إن الأحرف في نفسها شيء ، وأنواع الاختلاف التي ذكروها شيء آخر مغاير لها.

٥– من الممكن أن نرجع تلك الأنواع إلى ثلاثة كما فعل ابن الجزري١ :

أ– ما اختلف لفظه واتفق معناه ، نحو : هلم ، وأقبل ، وتعالَ.

ب– ما اختلف لفظه ومعناه؛ لكنه اختلاف تنوع لا تضاد : مالك وملك ، وقل وقال ، وباعَدَ وباعِدْ.

ج– الاختلاف في اللهجات مع اتفاق **اللفظ والمعنى**؛ كالإمالة والفتح ، والمد والقصر ، والإدغام الفك ، والتحقيق والتسهيل٢.

---

١ النشر ١/ ٤٩ ، ٥٠ ، وتبعه في ذلك القسطلاني في لطائفه ١/ ٣٧ ، ٣٨.

---

(١) صوت الضاد التي نزل بها القرآن، ٣٣/٢

٢ راجع : مجلة كلية القرآن الكريم ص٦٣-٧٦ بتصرف واختصار.

١١٤ | ٤٣٩." (١)

"مآخذ على الأقوال في الأوجه :

أ- لقد اتفق الجميع على أن الأوجه تنحصر في سبعة؛ إلا أنهم اختلفوا في تعيينها.

ب- انفرد الرازي بذكر اختلاف اللهجات ضمن الأوجه ، وقد أهملها ابن قتيبة وتبعه الباقلاني في ذلك. ولم يذكر السجستاني إلا بعض الخلافات الأصولية في الوجه السابع ، أما ابن الجزري فلا يراها من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى** ، ويقول : ولئن فرض فيكون من الأول١.

رغم أن الخلافات الأصولية في أحرف القرآن شيء كثير.

ج- استشهدوا للتمثيل ببعض هذه الأوجه بالقراءات الشاذة أو الضعيفة أو المنكرة.

د- الحكمة من تعدد الأحرف : رفع الحرج والمشقة من الأمة الأمية ، والأنواع التي ذكروها معظمها يتعلق بالخط والكتابة ، ولا يدركها إلا المحققون من خواص العلماء ، فكيف يكون اليسر فيها للأمة التي لا تعرف الكتابة ولا القراءة؟!

هـ- تكلفوا كثيرًا في محاولتهم لحصر الأوجه في سبعة؛ بحيث يمكننا أن نقول : إن الأوجه في نفسها شيء ، والأنواع التي ذكروها شيء آخر مغاير لها.

---

١ النشر ١/ ٢٧.

١٣٣ | ٤٣٩." (٢)

"

ز- من الممكن أن نرجع تلك الأنواع السبعة إلى ثلاثة كما فعل ابن الجزري١ :

١- اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد :

نحو : "الصراط" و"القدس" مما يطلق عليه أنه لغات فقط ، فقد تقرأ "الصراط" بالصاد والسين والإشمام ، وتقرأ "القدس" بضم الدال وإسكانها.

٢- اختلاف **اللفظ والمعنى** مع جواز اجتماعهما في شيء واحد :

نحو : ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾٢ بالراء والزاء.

والإنشار -كما قال ابن قتيبة- الإحياء ، والإنشاز : هو التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما٣.

٣- اختلاف **اللفظ والمعنى** وعدم اجتماعهما في شيء واحد؛ إلا أنه اختلاف تنوع وتغاير لا تضاد وتناقض :

نحو : ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾٤ بالتشديد والتخفيف.

---

(١) صفحات في علوم القراءات، ص/١١٢

(٢) صفحات في علوم القراءات، ص/١٣١

و"الظن" على قراءة التشديد بمعنى "اليقين" ،

---

١ النشر ١/ ٤٩ ، ٥٠ ، وتبعه القسطلاني في لطائفه ١/ ٣٧ ، ٣٨.

٢ البقرة : ٢٥٩.

٣ تأويل مشكل القرآن ص٤١.

٤ يوسف : ١١٠.

١٣٤ | ٤٣٩." [1]

"وأما الثالث فهو لابن الجزري ، حيث قال : (ولازلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة ، حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا – إن شاء الله – ، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لايخرج عنها ، وذلك : إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة ، نحو ﴿ البخل ﴾ [النساء : ٣٧] بأربعة و ﴿ يحسب ﴾ [الهمزة : ٣] بوجهين .

أو بتغير في المعنى فقط ، نحو : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ [البقرة : ٣٧] ، ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥] وأمه .

وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو ﴿ تبلوا ﴾ و ﴿ تتلوا ﴾ [يونس : ٣٠] و ﴿ ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ﴾ و ﴿ ننحيك ببدنك ﴾ [يونس : ٩٢] أو عكس ذلك نحو ﴿ بصطة ﴾ و ﴿ بسطة ﴾ [الأعراف : ٦٩] و ﴿ الصراط ﴾ و ﴿ السراط ﴾ أو بتغيرهما نحو ﴿ أشد منكم ، ومنهم ﴾ [التوبة ٦٩ ، الزخرف : ٤٣] و ﴿ يأتل ﴾ و ﴿ يتألى ﴾ [النور : ٢٢] و ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ و ﴿ فاسعوا ﴾ [الجمعة : ٩] .

وإما في التقديم والتأخير ، نحو ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ [التوبة : ١١١] و ﴿ جاءت سكرت الحق بالموت ﴾ [ق : ١٩] .

أو في الزيادة والنقصان نحو ﴿ وأوصى ، ووصى ﴾ [البقرة : ١٣٢] و ﴿ الذكر والأنثى ﴾ [الليل : ٣] .

فهذه سبعة أوجه لايخرج الاختلاف عنها ، وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام ، والروم والإشمام ، والتفخيم والترقيق ، والمد والقصر والإمالة ، والفتح ، والتحقيق والتسهيل ، والإبدال والنقل ، مما يعبر عنه بالأصول ؛ فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى** ؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لاتخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ، ولئن فرض فيكون من الأول)(١) ا هـ .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/٢٦ ، ٢٧ .." [2]

---

(١) صفحات في علوم القراءات، ص/١٣٢

(٢) علوم القرآن عند ابن عبد البر، ١/٢١٧

"قال الإمام الطحاوي – عليه رحمة ربنا الباري – : (وإن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده سقر ، حيث قال تعالى : ﴿ سأصليه سقر = ٢٦ ﴾ [المدثر : ٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إن هـ!ـذآ إلا قول ا؟لبشر = ٢٥ ﴾ [المدثر : ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولايشبه قول البشر)(١) ا هـ .

فالقرآن كلام الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وإن أحد من ا؟لمشركين ا؟ستجارك فأجره حتى يسمع كلام ا؟لله ﴾ [التوبة : ٦] .

قال الحافظ ابن قيم الجوزية – عليه رحمة رب البرية – :

... ... وكذلك القرآن عين كلامه ال

... ... مسموع منه حقيقة ببيان

... ... هو قول ربي كله لا بعضه

... ... لفظا ومعنى ما هما خلقان

... ... تنزيل رب العالمين ووحيه

... ... **اللفظ والمعنى** بلا روغان(٢)

(١) العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي ص ٢١ .

(٢) القصيدة النونية لابن القيم ١/١١٣ شرح الهراس .." [١]

"هذا بعض ما جاء فى هذه المقدمة.

وشأن المعجزة القرآنية ووجوه الإعجاز فيها تتعدد أسبابه ولا تنتهى عند حد، وأياما كان الكلام حولها، والدراسات التى قامت بشأنها، والجهود التى بذلها العلماء المتخصصون من أهل البلاغة كالباقلانى والرمانى وعبد القاهر وعياض والسكاكى والقزوينى وابن الأثير وغيرهم، أو من أهل التفسير كالزمخشرى والفخر الرازى والطبرسى والألوسي وغيرهم، ومحاولاتهم الاقتراب من كشف أسرار بدائع نظم القرآن وتراكيبه المميزة عن سائر الكلام، والحقائق التى تضمنها والشرائع التى اشتمل عليها، وتأثيره فى النفوس والقلوب والأسماع والأرواح.

كل ذلك وغيره يمكن اعتباره بحثا متجددا عن سر عظمة القرآن، حتى يمكن القول أن لكل عصر كشوفا تضاف إلى جهود السابقين، وتهدى من بعدهم لإضافة الجديد من

هذه الكشوفات.

ودليلنا على ذلك ما قدم به ابن عاشور المعجزة الخالدة فى مقدمته المذكورة، حيث تناول بعض وجوه الإعجاز فى الكتاب

(١) علوم القرآن عند ابن عبد البر، ١/٣٣٢

الكريم فى **اللفظ والمعنى** والصياغة والتركيب وألوان البديع ... إلخ، ثم راح فى ثنايا كتابه يذكر أقوال السابقين من أهل البلاغة والتفسير يقبل بعضها ويناقش ويرفض بعضها الآخر، ويسجل ما غفل عنه هؤلاء، ويأتى بالجديد من وجوه الإعجاز الكامنة فى القرآن رافضا مبدأ الصرفة التى قال به بعض المعتزلة وعلى رأسهم النظام الاعتزالى. وبعض الأعلام الآخرين الذين سبق ذكرهم.

وقد قرأنا فى الباب الأول من هذه الدراسة بعض مصادر البلاغة فى التحرير والتنوير، وقد جاء ذكر أصحاب هذه المصادر على درجات متفاوتة، وأكثر الأقوال ذكرا فى هذا التفسير كانت للجاحظ والباقلانى وعبد القاهر." [1]

"وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى المعنى المتقدم، ونص كلامه: «باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: أي على سبعة أوجه جوّز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة» (١).

ودليل القول المختار في معنى الأحرف السبعة مستفاد من معنى الأحاديث الواردة فيه، ومن القراءات القرآنية الثابتة المتواترة، وذلك ضمن النقاط التالية:

١ - أن الحرف يراد به الوجه المتعلق بالقراءة، وأنها كيفيات لتلاوة الكلمة القرآنية الواحدة، بدليل اختلاف هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما واختصامهما عند النبي صلّى الله عليه وسلم.

٢ - وصفت هذه الأوجه بأنها متعددة؛ لأن القرآن لم يقرأ بوجه واحد، وقوله:

«متغايرة»: إشارة إلى وجوه الاختلاف بين هذه الوجوه سواء في اللفظ فقط مع اتفاق المعنى، مع أنه لا يوجد حرف قرآني يطابق الآخر من جميع الوجوه، ولا بد من زيادة المعنى فإن الزيادة في المبنى يكون معها زيادة في المعنى، أو كان الاختلاف في **اللفظ والمعنى**، ومن أمثلته الواقعة في القرآن ما قرئ في المتواتر: ربّنا بعد بين أسفارنا [سبأ: ١٩]، والمعنى في هذا الحرف هو أنهم من عتوّهم وطغيانهم طلبوا من ربهم عز وجل أن يباعد بين أسفارهم، وقرئ في حرف آخر: «ربّنا بعّد بين أسفارنا»، بالمبالغة في فعل الأمر، ومعنى هذا الحرف: يشير إلى إلحاحهم وإصرارهم على هذا المطلب، وقرئ في حرف متواتر ثالث: «رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا» فعلا ماضيا، ومعناه: فيه إخبار بما وقع منهم من الشكاية والتحسر، لمّا تحقق ذلك ورأوا ما ترتب عليه من الشدة والمشقة، وهو تباين في المعنى- كما هو واضح-، كما فيه تباين في اللفظ (٢).

وفيما سبق رد على من قصر الاختلاف بين الوجوه على نوع واحد هو: الترادف، وهو قول ابن جرير الطبري ومن وافقه.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٩: ٢٣).

(٢) انظر هذا التفصيل: د. عبد العزيز القارئ، حديث الأحرف السبعة، ص ٩٧ - ٩٩.." [2]

---

(١) منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر ص/١٩٩

(٢) مقدمات في علم القراءات، مجموعة من المؤلفين ص/٢٢

"ترتيب الآيات في سورها يعد ذاته مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، والنبي صلّى الله عليه وسلّم، وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى (٤) «١».

إن ترتيب الآيات في السور بهذا الشكل العجيب البديع، وبهذا الترابط بين الآيات بعضها ببعض، والذي يبدو لمتأمله وكأنها حلقات مترابطة في سلسلة من ناحية **اللفظ والمعنى** فيه، فيجد الترابط والتلاحم التامين بين الآية وسابقتها ولاحقتها. على الرغم من أن هذه الآيات كان نزولها متفرقا، واستمر أكثر من عشرين عاما، فترتيب الآيات إنما هو وجه آخر من وجوه الإعجاز القرآني.

إن عثمان رضي الله عنه لم يكن مستبدا برأيه في جمع القرآن، وإنما كل خطوة يخطوها أقدم عليها في جمع القرآن كان نتيجة استشارة الصحابة رضي الله عنهم، حملة القرآن وحفاظه، وكانت اللجنة برئاسة زيد بن ثابت وسعيد بن العاص هي التي قامت بجمع القرآن، وكان لعثمان رضي الله عنه دور الإشراف المباشر على تنفيذ المشروع، وإقرار ما يتوصل القائمون به، بعد عرضه على الصحابة والإجماع عليه «٢».

أما دعوى بلاشير وغيره من المستشرقين إلى إعادة ترتيب السور في المصحف الشريف بالشكل الذي يريدونه، فليس من ورائها إلا محاولة تحقيق هدف سياسي، وهو ضرب وحدة المسلمين إذ من المعلوم تاريخيا أن مصحف عثمان رضي الله عنه بشكله وترتيبه المعروف إنما جسد وحدة المسلمين ووحدة كلمتهم عليه، فعليه فإن أي

محاولة للمساس به بأي شكل من الأشكال، إنما تستهدف ضرب وحدة المسلمين وما اجتمعت عليه إرادتهم وكلمتهم مهما كانت الحجج الواهية التي حاول المغرضون التستر من ورائها، فلو كان بلاشير ونولدكه

---

(١) سورة النجم، الآيتان (٣، ٤).

(٢) ينظر: تاريخ القرآن، د. عبد الصبور شاهين: ١١٥؛ ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٠٢.." [1]

"الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ «١»، وقال عن الفاصلة: «وفي بناء «الحيوان» زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي لما في بناء «فعلان» من الحركة والاضطراب، والحياة حركة، كما أن السّكون موت، فمجيئه على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة» «٢».

ونجده يطبّق القاعدة التي أوردها ابن جنّي، بيد أن ما ذكر هناك يتّصل بالمحسوس، وهذه المفردة تدلّ على نشاط الجانب الرّوحي.

واهتمام ابن جني بالدلالة الصرفية أكبر من اهتمامه بمحاكاة الصوت لظواهر الطبيعة، والسبب سهولة إثبات دلائل التغيرات الصرفية، ووفرة الشواهد التي تثبت هذه المسألة، وإن كانا ذكرا معا في باب «المصاقبة»، يقول: «ومن ذلك جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر وقطّع وفتّح وغلّق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنّها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنّهما

---

(١) جمع القرآن – دراسة تحليلية لمروياته، أكرم الدليمي ص/٢٧٩

سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها» «٣».

ولم يبتعد الدارسون كثيرا عن تقنين ابن جني، وإن كان هذا تحت عناوين مختلفة مثل: «الزيادة في البناء»، و «ملاءمة **اللفظ والمعنى**».

وقد كثرت الشواهد على تضعيف العين مثل غافر وغفّار، وكاذب وكذّاب، وذبح وذبّح، وقتل وقتّل وغيرها.

ولا يعنينا اختلاف الاسم، إنما تعنينا ملاحظة الدارس للمخزون النفسي، والأثر الوجداني فيما تكتنفه الصّيغة، وإن كنا نعني بها التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية، فغايتنا تنحصر في كل جمال يعتمد التركيب الدّاخلي.

وسوف نتجاوز المكرّر من الملاحظات، ونطرح جانبا ما لم يتعدّ التفسير

---

(١) من سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) الزمخشري، الكشّاف: ٢/ ١٨٣ وانظر تفسير النسفي، مدارك التنزيل: ٣/ ٢٦٣ وتفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم: ٧/ ٤٧.

(٣) ابن جني، الخصائص: ٢/ ٢٨٥.." (١)

"المتهكّم في إنكاره من إمالة اليد والرأس، بهذين المدّين إلى الأسفل والأعلى» «١».

وإذا أقمنا موازنة في تلقّي غريب القرآن، فإنّنا نفضّل نظرة الرافعي على نظرة ابن أبي الإصبع، فالأخير يكتفي بوجهة علمية على الأغلب، ونظرة الرافعي والمحدثين على أغلبهم علمية وتأمّلية معا، فكلمة «ضيزى» تجسّم بحركاتها حركة المتهكّم، وهذا هو الشاهد الوحيد الذي عبّر فيه الرافعي عن تجسيم الصوت للمعنى.

لقد استنكر البيومي تأكيد ابن أبي الإصبع على وجود الغريب قائلا:

«فما توهّمه المؤلف من الغرابة في الألفاظ لا دليل يؤيّده، إلا إذا كان لفظ «حرضا» باعث هذه الغرابة، واللفظ الواحد لا يضرب مثلا لتناسب الألفاظ في الجملة» «٢».

فقد غابت عن ذهنه الغاية الجزئية في هذا الشاهد، وكان يجدر بالباحث المعاصر أن يشيد بنظرة سلفه بدلا من قطع العلاقة بين **اللفظ والمعنى** بحجّة سهولة ألفاظ القرآن ودورانها على الألسن، ففي الآية كلمات مجلجلة بصوتها، تصور الموقف بدقّة فائقة.

ولا يقدّم ابن قيم الجوزية ما هو جديد في هذا المجال، فكتابه لا يتّسم بالأصالة، إذ يتكئ فيه على آراء سابقيه «٣» بالنقل الحرفي على الأغلب، وذلك لا يقتصر على هذا المجال، بل يشتمل وجوه البلاغة القرآنية كافة.

- الفروق عند الزركشي:

ينفي الزركشي الترادف قائلا: «على المفسّر مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف، ما أمكن .. فمن ذلك «الخوف»

---

(١) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ص/٢٤٢

و «الخشية» لا يكاد اللغوي يفرّق بينهما، ولا شكّ أن الخشية أعلى من الخوف، وهي أشدّ

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن، ص/ ٢٣٠.

(٢) البيومي، د. محمد رجب، خطوات في التفسير، ص/ ٢٧٨.

(٣) انظر كتاب ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص/ ١٤٥.." [١]

"ووقفات المحدثين على قلتها تتّسم بالغنى والعمق، وهي لا تأتي تحت عنوان معيّن، فهذه الجمالية لم تكن تحت عنوان ائتلاف **اللفظ والمعنى**، أو مشاكلة اللفظ للمعنى، أو الفروق اللغوية، أو مراعاة النظير، شأن القدامى، إن هي إلا نظرات فنية تستوفي الأبعاد النفسية، وهي التي لم يهملها أسلافنا في الغالب، إلا أنه يؤخذ على الباحث الحديث الاكتفاء بالذات الشاعرة، وهذا كثير في أسلوب سيّد قطب.

ومن الواضح الجلي الذي يدلّ على العمق النفسي ما يرد في كتب الدكتور نور الدين عتر على اختلاف مناهجها ومقاصدها، وقد قدّم شذرات رائعة في تفسيره لبعض

السّور، وفي قوله عزّ وجلّ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ «١» يدلنا على جمال الفرق، إذ يقول «فعبّر بكلمة «ووصّينا» بدلا من أمرنا، إشعارا بأنّ المسألة مفروغ منها تحتاج إلى تحريك النفس نحوها، لا إلى الإلزام» «٢».

وبهذه الطريقة السامية يقرّر القرآن الكريم أحكامه الشرعية، فقد أحاط بالإلزام رفعة المخاطبة مع بعث الرّحمة في التّوصية.

ونرى أن دراسة عائشة عبد الرحمن تتسم بالموضوعية الواضحة، لأنها تنطلق من الأصل اللغوي في استعمال العرب، وترصد استخدام المفردة المدروسة في القرآن كلّه، ومن ثمّ تفرغ للدلائل النفسية التي تبثّها المفردة المنتقاة من بين مرادفاتها، وهذا لم يبعد عن ذهن الزركشي مثلا.

- ظلال الدلالة الخاصة:

لا نقف هنا على الفروق، إنما نتتبّع ما ورد عند الباحثين حول اختيار مفردة تلقي إشعاعا شاملا في مفردات السياق كلّه، من حيث لا يسدّ غيرها هذا المكان، وتنفرد بمكانها من حيث ملاءمة أقصى التأثير، وقد تكون الكلمة عادية في استعمالنا، فإذا قرأناها في الآيات، وجدنا أنها تتجاوز كلّ تعابيرنا،

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) عتر، د. نور الدين، محاضرات في التفسير: ٦٧، وهي فائدة لطيفة أتى بها في هذا المقام.." [٢]

---

(١) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ص/٢٩٢

(٢) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ص/٢٩٦

"تقديرها، فتحزّنت إلى ربّها» «١».

فقد كانت ترجو أن يكون المولود صبيا لكي يخدم بيت الله المقدّس، وليست الحسرة لمجرد كون المولود أنثى كما كان في الجاهلية، فهي كانت تظنّ أن الذكر أولى بالنّذر من الأنثى، وإلا فكمال العبودية يمنع من هذه الحسرة.

ومن مظاهر تداخل المصطلحات البلاغية أن يعدّ ابن أبي الإصبع هذه الجمالية في باب ائتلاف **اللفظ والمعنى** في كتابه «تحرير التحبير»، وتوضع الشواهد نفسها تحت عنوان «فرائد القرآن» في كتابه «بديع القرآن»، وهو يعرّف هذا النوع قائلا: «وهو مختصّ بالفصاحة دون البلاغة»، لأنّه عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظة تنزل منزلة الفريدة من حبّ العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، تدلّ على عظم فصاحته، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته، بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت من الكلام عزّت الفصحاء غرابتها» «٢».

ونلاحظ في التعريف اهتمامه بالمتكلم، وهذا ديدن علماء البلاغة، فكأنهم يدرّسون هذا العلم، ويستعينون بالبلاغة القرآنية. ويستشهد بالآية الكريمة: يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ «٣»، ولا يبيّن لنا سمة هذا التفرّد، فلا يكفينا أن نعرف أن القرآن استقلّ بهذه الصّيغة أو تلك، إنما نريد التوصّل إلى أبعادها الجمالية، وكذلك لفظة «فزّع» في قوله تعالى: حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ «٤» فهو يقول: «فانظر إلى لفظة «فزّع»، وتأمل غرابة فصاحتها، لتعلم أن الفكر لا يكاد يقع عليها» «٥».

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ١/ ٤٢٥.

(٢) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص/ ٤٨٦، وانظر ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير ص/ ٤١٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٥) ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص/ ٢٨٨، وانظر ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص/ ٤١٨.." [١]

"عناصر الدرس

* النوع الثالث (الإمالة)
* النوع الرابع (المد)
* النوع الخامس (تخفيف الهمزة)
* النوع السادس (الإدغام)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

سبق الحديث في باب أو النوع الأول والثاني من العقد الثالث وهو ما يرجع إلى الأداء، وذكرنا أن العقد الثالث هذا متعلق

---

(١) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ص/٣٠١

بالأداء بكيفية قراءة القرآن الوحي لا بذات الألفاظ لا بجوهر الألفاظ وإنما يتعلق بكيفية أداء الوحي من حيث الوقف والابتداء من حيث الإمالة من حيث تخفيف الهمز إلى آخره الإدغام وما يذكره المصنف وما زاد عليه بعضهم في المطولات. الوقف والابتداء قلنا: هذا نوعان. الكلام في ما يوقف عليه ويبتدئ به هذا نوع وهذا قلنا الابتداء ولا إشكال فيه أمره واضح ولذلك لا يكون إلا اختياريا بخلاف الوقف فإنه ينقسم إلى: اختياري، اضطراري. والاختياري هذا قد يكون اختياري بسبب كالاختباري والانتظاري وقد يكون بغير سبب، وهو الذي قسمه المصنف هنا تبعا للمشهور إلى أربعة أقسام: وقف قبيح، وقف حسن، ووقف تام، ووقف كاف.

ثم قسم أو هذا النوع أهم ما يعتنى به وهو الذي ذكر أهل العلم أن متعلق فهم القرآن يكون بماذا بمعرفة الوقف، لذلك نقل عن علي رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: ٤]. قال: هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. وهذا هو المراد به وليس المراد به ما يوقف به على آخر الكلمة من السكون والإشمام والروم، بل المراد به هو ذاك الذي ذكرناه وبسطنا فيه الكلام لماذا لأن الارتباط في المعنى إما أن يكون من جهة اللفظ بما قبله إذا وقف على الكلمة، إما أن يكون بما وقف عليه يعني ما بعده مرتبطا بما قبله من جهة **اللفظ والمعنى** أو من جهة المعنى دون اللفظ، أما أنه يتصور أن يكون انفصال تام لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى هذا يمكن أن يكون في خواتيم السور إذا لم نقل بمناسبات بين آخر آية في السورة والتي تليها، يمكن أن يكون انفصال تام من جهة **اللفظ والمعنى** أما فيما يدعى أنه منفصل لفظا لا معنى لعل المراد أنه المعنى الذي يرتبط بأصل الجملة وإلا ارتباطه ما يبتدئ به بعد الوقف بما قبله من جهة اللفظ دون المعنى هذا لا يكاد يتصور أو من جهة المعنى دون اللفظ نقول: هذا لا يكاد يتصور ولذلك ضبط هذا الباب أيضا يتعلق بباب الفصل والوصل عند البيانين وسيذكر المصنف هنا في العقد الرابع أو الخامس.

والنوع الثاني: هو كيفية الوقف وهذا أدنى من الأول من جهة الأهمية لماذا لأنه لا ارتباط له بجهة المعنى وإنما الارتباط من جهة كيفية الوقف على آخر حرف منه هذا بناء على الأصل المطرد عندهم وهو أنه لا يوقف على متحرك وإنما يوقف على الساكن، ولذلك الوقف بالسكون هو الأصل ثم أرادوا أن يشيروا للحركة التي حذفت لأن السكون عدم حركة ليس هو بحركة ولا نسميه حركة بل نقول هو عدم حركة ليس بشيء لا بضمة ولا بكسرة ولا بفتحة، أرادوا أن يدل على أن المحذوف كسرة أو ضمة أشاروا إليه بنوعين هما: الإشمام، والروم وبينا كل ما يتعلق بنقل هذين النوعين

.... وزيد الاشمام لضم الحركة

والروم فيه – أي بالضم –." (١)

"إذا هذه ثلاثة أمور الاشتراك اللفظي أن يكون اللفظ متحدا في اللفظ كالقرء مثلا هذا لفظ واحد وتعدد المعنى، فيطلق على الطهر ويطلق على الحيض، وتعدد الوضع بمعنى أن الواضع وضع لفظ القرء للطهر، ثم وضع اللفظ مرة أخرى للحيض، فحينئذ تعدد المعنى وهما: الطهر، والحيض. وتعدد الوضع بكون الواضع جعل اللفظ دليلا على المعنى، فوضعه

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١/١٠

أولا للدلالة على الحيض مثلا، ثم وضعه وضعا جديدا ابتداء للدلالة على الطهر، فحينئذ تعدد الوضع مع تعدد **المعنى واللفظ** هو اللفظ وهو شيء واحد وهو القرء قاف وراء وهمزة، إذا اتحد اللفظ وتعدد فيه الوضع والمعنى، ومن هنا سمي مشتركا لماذا سمي مشتركا؟

لاشتراك المعنيين فيه في اللفظ فاشترك معنى الطهر مع معنى الحيض في اللفظ أليس كذلك؟ فاللفظ شيء واحد والمعنى شيئان كاشتراك الزوجتين في الزوج مثال كاشتراك الزوجتين في الزوج الواحد هذا كذلك المعنيان اشتراكا في ماذا؟ في اللفظ الواحد لذلك سمي مشتركا فيه فنقول: القرء مشترك فيه. ما الذي اشترك فيه؟ اشترك فيه ماذا؟ المعنيان الطهر والحيض، هذا هو الاشتراك اللفظي.." (١)

"أما المشترك المعنوي فهو ما اتحد فيه الوضع **والمعنى واللفظ**. اتحد فيه **اللفظ والمعنى** والوضع، هذه ثلاثة أشياء كلها متحدة، لكنه من حيث معناه الواحد يشمل أفرادا من حيث معناه الشخصي الواحد يشمل أفرادا مع كون اللفظ واحدا وهذا الذي يسمى بالكلي عند المناطقة، فمفهم اشتراك الكلي كأسد أليس كذلك؟ فمفهم اشتراك الكلي كأسد، ما هو الكلي؟ ما أفهم اشتراكا، لفظ أفهم اشتراكا في معناه كالإنسان هذا لفظ واحد أفهم اشتراكا أولا ما هو معنى الإنسان قالوا: حيوان ناطق. إذا معنى واحد أو متعدد له معنى واحد وهو كونه حيوانا ناطقا هذه الحيوانية الناطقية تشمل أفرادا كزيد، وبكر، وعمرو، وخالد ... إلى آخره وجود هذا المعنى الذهني الذي يكون في الذهن أو الحيوان الناطق وجوده في الخارج يكون في ضمن أفراده حينئذ يقول: زيد حيوان ناطق، وعمرو حيوان ناطق، وبكر حيوان ناطق. أليس كذلك؟ تأتي للفظ إنسان يصح أن تقول: زيد إنسان. لماذا؟ لكونه حيوانا ناطقا، وبكر إنسان، وعمرو إنسان قد أخبرت عن ثلاثة بلفظ واحد وهو لفظ إنسان، اللفظ متحد أو لا؟ لفظ متحد مثل القرء الطهر هو: القرء، والحيض هو: القرء. أخبرت عن الحيض بأنه قرء وعن الطهر بأنه قرء فاللفظ واحد زيد إنسان، وعمرو إنسان، وبكر إنسان اللفظ واحد والمعنى متحد، زيد إنسان أخبرت عن زيد لكونه إنسانا لماذا؟ لكونه حيوانا ناطقا وأخبرت عن بكر بكونه إنسانا لماذا؟ لكون حيوانا ناطقا، وأخبرت عن عمرو بكونه إنسانا لكونه حيوانا ناطقا، إذا زيد إنسان والمعنى هو الحيوانية الناطقة وبكر إنسان والمعنى هو الذي أخبرت به أولا حيوانيا ناطقيا وبكر كذلك، إذا اتحد اللفظ واتحد المعنى، المعنى شيء واحد سواء أخبرت به عن زيد أو عن بكر أو عن عمرو أو عن خالد أو عن هند ... إلى آخره المعنى شيء واحد لذلك نقول: معنى الإنسان الحيوان الناطق ولا يتعدد، بخلاف معنى القرء الطهر والحيض وهو متعدد لأن الطهر مغاير للحيض بل هما نقيضان، لكن معنى الإنسان شيء واحد فإذا أخبرت به عن أفراده نقول: هنا الوضع واحد كذلك.

فإذا قلت: الطهر قرء، والحيض قرء. أخبرت عن الأول بكونه قرءا وعن الثاني بكونه قرءا اللفظ متحد والوضع متعدد. وأما زيد إنسان، وعمرو إنسان، وخالد إنسان اللفظ واحد والمعنى واحد والوضع واحد وليس متعددا هذه يسمى ماذا؟ يسمى اشتراكا معنويا وهو الذي ذكرناه بتوسع في ((السلم)) فليرجع إليه.

فمفهم اشتراك الكلي ... كأسد وعكسه الجزئي

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١٢

إذا ثم فرق بين النوعين المشترك المراد به هنا المشترك اللفظي.
اختلف أئمة اللغة وأئمة الدين في وقوع المشترك في اللغة لأنه يلزم إذا وقع في اللغة حينئذ أن يكون موجودا في القرآن، هذا دليل مطرد إذا وقع وقوعا شائعا ذائعا في لغة العرب وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين فحينئذ يلزم من ذلك أن يكون في القرآن ما هو مشترك.
اختلف في وقوع المشترك على ثلاثة أقوال:
القول الأول: جوازه ووقوعه مطلقا. جوازه عقلا حينئذ يجوز أن يضع الواضع لفظا واحدا لمعنيين فأكثر، الجواز المراد به الجواز العقلي لماذا؟." [1]

"عناصر الدرس

* النوع التاسع والعاشر (المطلق والمقيد)
* النوع الحادي عشر والثاني عشر (الناسخ والمنسوخ)
* النوع الثالث عشر والرابع عشر (المعمول به مدة معينة وما عمل به واحد)
* العقد السادس (ما يرجع إلى المعاني المتعلقة با لألفاظ وهي "٦" أنواع الأول والثاني الفصل والوصل).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:
قال المصنف رحمه الله تعالى:
النوع (التاسع والعاشر) وهذا من العقد الخامس فيما يتعلق بالمعاني المتعلقة بالأحكام، جعل العقد الرابع فيما يتعلق بالألفاظ، ثم العقد الخامس فيما يتعلق بالمعاني المتعلقة بالأحكام، ثم جعل السادس في المعاني المتعلقة بالألفاظ كأنه قسم **اللفظ والمعنى** على الاعتبار الذي ذكرناه سابقا بأنه لا يمكن تجزئة الألفاظ عن المعاني، وإنما المقصود أنه ينظر في اللفظ أصالة ويكون المعنى تابعا، أو ينظر إلى المعنى أصالة ويكون اللفظ تابعا، ثم هذا المعنى قد يكون متعلقا بحكم تكليفي أو حكم وضعي عن حكم شرعي، وإما أن يكون متعلقا بالألفاظ.
النوع التاسع والعاشر: المطلق والمقيد.
هذا من المباحث الراجعة للمعاني المتعلق بالأحكام، لأن الأحكام الشرعية كما هو معلوم أنها تؤخذ من المنطوق ومن الملفوظ، ومن المنطوق ما قد يكون مطلقا في موضع ويكون مقيدا في موضع آخر، وإن شئت قلت: ما قد يكون مطلقا في موضع ولم يقيد في موضع آخر، حينئذ يجب أن يعمل بماذا؟ بإطلاقه يعني: إذا كان مطلقا في موضع ولم يرد تقيده في موضع آخر. ما الحكم الشرعي؟

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٢

يجب حمله على إطلاقه ولا يجوز تقيده بقيد إلا بدليل صحيح فإذا لم يوجد دليل صحيح على تقيد المطلق كان من التحكم وإتباع الهوى.

وكذلك إذا جاء مقيدا في موضع ولم يرد إلا مقيدا فحينئذ يجب إعماله أو حمله على قيده ولا يجوز إطلاقه أبدا إلا بدليل صحيح، حينئذ يجوز أن يطلق المقيد، وقد يرد في موضع مطلقا ويرد في موضع آخر مقيدا وهذا الذي عنون له هذا (النوع التاسع والعاشر: المطلق والمقيد) وأما المطلق فقط فهذا يجب إعماله على إطلاقه وحمله على إطلاقه ولا يجوز تقيده بحال من الأحوال وأي قيد يضاف إلى أي مطلق من نصوص الشرع سواء كان في المعتقد أو في الفروع حينئذ يكون من باب التحكم وإتباع الهوى، وإذا كان مقيدا في موضع ولم يرد إطلاقه البتة فحينئذ يجب أن يحمل على تقيده فإطلاقه يكون من قبيل التحكم وإتباع الهوى.

أما إذا جاء في موضع مطلقا وفي موضع آخر مقيدا هو الذي عنون له الأصوليون بباب المطلق والمقيد إذا (المطلق والمقيد) المراد به إذا ورد الخطاب أو اللفظ في موضع مطلقا وورد نفسه في موضع آخر مقيدا فما العمل حينئذ؟ عقد الأصوليون هذا الباب للتعامل مع هذه النوعية المعينة.

(المطلق والمقيد) المطلق بفتح اللام هذا اسم مفعول من أطلق يطلق فهو مطلق، وبكسرها مطلق هذا اسم فاعل المقيد قيد يقيد فهو مقيد فهو اسم مفعول، والمطلق لغة الانفكاك من أي قيد حسيا كان أو معنويا، نقول: هذا الفرس مطلق. يعني: في الحس، والمعنوي نحو الأدلة الشرعية تقول: ... ﴿فتحرير رقبة﴾ [النساء: ٩٢]. هذا نص مطلق هذا في المعنويات.." (١)

"عناصر الدرس

* النوع الثالث والرابع والخامس (الإيجاز والإطناب والمساواة)

* النوع السادس (القصر)

* الخاتمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف رحمه الله تعالى: (النوع الثالث والرابع والخامس) يعني: من العقد السادس ما يرجع إلى المعاني المتعلقة بالألفاظ. ذكرنا أنه جعل هذا العقد للارتباط بين **المعنى واللفظ**، والمعنى قد يكون مركبا وقد يكون مفردا، لذلك الفصل والوصل هذا في المركبات، والمعنى قد يكون مفردا وقد يكون مركبا، كذلك سيأتي الإطناب والإيجاز والمساواة التي تتعلق بالألفاظ والمعاني من حيث الترتيب.

النوع الثالث والرابع والخامس: الإيجاز والإطناب والمساواة

هذه ثلاثة أنواع من أنواع علوم البلاغة، قال في ((الإتقان)): اعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة. اعلم أنهما أم أنها؟ أنهما،

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/١

وهي كم؟

الإطناب والإيجاز والمساواة. هو في ((الإتقان)) لم يعنون للمساواة أسقط المساواة لمثل هذا، ولذلك قال: اعلم أنهما – يعني: الإيجاز والإطناب. – من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب ((سر الفصاحة)) عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. كما قيل: البلاغة هي الفصل والوصل. كذلك قيل: الإيجاز والإطناب. قال الزمخشري: كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع. لكل مقام حديث، لكل مقام مقال، فإذا كان المقام يقتضي الإيجاز أنجز وإذا كان المقام يقتضي التفصيل فصل. إذا لا يذم التفصيل مطلقا ولا يذم الإيجاز مطلقا، بل متى ما كان التفصيل في مقامه حينئذ صار محمودا، ومتى ما كان الإطناب في مقامه صار محمودا، وهذا ما يسمى بموافقة أو مقتضى الحال عند البيانيين.

واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا؟ هل بين الإيجاز، عندنا إيجاز وإطناب، والمساواة هذه مختلف فيها هل هي واسطة بين الإيجاز والإطناب أم أنها داخلة في الإيجاز فيه خلاف، الجمهور على أنها واسطة بين الإيجاز والإطناب ولذلك يذكرونها بكثرة في كتب البيان، واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا؟

فالسكاكي وجماعة على إثبات الواسطة، يعني وهي المساواة لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة، وعليه هل توجد مساواة في القرآن؟

لا، لا توجد في القرآن، لأنها ليست محمودة ولا مذمومة، وإذا لم تكن محمودة حينئذ لم تكن من مقتضيات البلاغة ولم تكن نوعا من أنواع البلاغة، ولذلك أسقطها السيوطي رحمه الله لم يعدها في ((الإتقان)) بل قال: الإيجاز والإطناب. وأسقط المساواة.

وقيل: المساواة داخلة في قسم الإيجاز وعليه ابن الأثير وجماعة لكن المشهور ماذا؟ المشهور أن المساواة واسطة بين الإيجاز والإطناب.

الإيجاز هذا مصدر، أوجز يوجز إيجازا مصدر أفعل من باب الإفعال يعني: من الثلاثي الذي زيد عليه حرف واحد. وهو باب أفعل، أكرم يكرم إكراما أوجز يوجز إيجازا.

الإيجاز في اللغة: التقصير. ضده التطويل يقال: أوجزت الكلام أي: قصرته. أوجزت الكلام، الكلام هذا مفعول به أوجزت فعل وفاعل والكلام هذا مفعول به إذا ماذا؟." (١)

"متعدي، صار متعديا، يقال: أوجزت الكلام. أي قصرته. وأوجز الكلام أي قصر. فحينئذ يستعمل أوجز متعديا، ولكن أوجزت الكلام هذا متعددي أوجز الكلام هذا قاصر لازم يعني، فورد متعديا ولازما، يقال: كلام موجز. بالفتح موجز من أوجز المتعدي، وكلام موجز بالكسر كسر الجيم من أوجز اللازم، كلام موجز بفتح الجيم وكلام موجز بكسر الجيم، الأول من أوجز المتعدي والثاني من أوجز ماذا؟ اللازم.

الإيجاز والاختصار بمعنى واحد، هذا مما يؤخذ من الإيضاح وصرح به الطيبي أن الإيجاز والاختصار بمعنى واحد، وقيل:

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١

الاختصار يكون بحذف بعض الجمل. لكنه ذكر السيوطي عن بهاء الدين السبكي أنه ليس بشيء، بل الصواب أن الإيجاز والاختصار بمعنى واحد.

والإطناب هذا معناه في اللغة، وسيأتي في الاصطلاح.

والإطناب إطناب أطنب يطنب إطنابا، إذا كان أول من باب الإفعال، أكرم يكرم إكراما، والإطناب المبالغة من أطنب في الكلام أي: بلغ فيه. من أطنب أفعل في الكلام أي: بالغ فيه. وقيل: الإطناب بمعنى الإسهاب يقال: أطنب بالكلام وأسهب بالكلام. قيل: إنهما بمعنى واحد. الإطناب والإسهاب، والحق أنه أخص منه يعني الإسهاب أعم لماذا؟

لأن الإسهاب التطويل لفائدة أو لا مطلقا، الإسهاب التطويل أفاد أم لا، بفائدة أم لا، أما الإطناب فهو تطويل لكنه بفائدة فأيهما أعم أيها أخص؟ الإسهاب أعم لأنه تطويل مطلقا سواء كان بفائدة أو لا، هذا الإسهاب.

وأما الإطناب فهو مختص بالتطويل بفائدة، والمساواة هذه واضحة من التساوي يعني: تساوي اللفظ مع المعنى. هذا ما يتعلق من جهة اللفظ والمعاني اللغوية.

أما حدودها وتعريفها فقد اختلف فيه وأكثر البيانيين والبحث للبيانيين [ما عليه صاحب ((التلخيص)) وهو القزويني حيث قال]- لأنه لا يمكن أن يأتي هنا بتعريف يشمل الجنس والرسم وإنما المراد أنه يكشف لك حقيقة الإيجاز والإطناب والمساواة لأن المعبر لو أردناه بالجملة هذا المعبر حتى يكون كلامه مقبولا إما أن يكون لفظه ومعناه متساويين، وإما أن يكون المعنى أقل، أو اللفظ أقل، إما أن يكون المعنى أقل من اللفظ أو يكون المعنى أكثر - وليس اللفظ - أن يكون المعنى أكثر من اللفظ. إذا العبرة هنا بماذا؟ بالمعنى إن كان **اللفظ والمعنى** بقدر واحد فهو: المساواة. إن كان اللفظ قليل والمعنى كثير فهو: الإيجاز. وإن كان اللفظ كثير والمعنى أقل فهو: الإطناب. هذا تلخيصه.

قال القزويني في ((التلخيص)): إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف. هذا احتراز من ماذا؟ ناقص عنه وفيه خلل، هنا قال: ناقص عنه واف. يعني: أدى بالغرض الذي سيق اللفظ من أجله، فإذا كان لم يؤد المعنى الذي سيق اللفظ من أجله صار فيه خلل.

إذا تأدية أصله بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف، أو زائد عليه لفائدة، فإن لم يكن لفائدة فهو الحشو والتطويل، أو بعض الإسهاب الذي ذكرناه.

الأول المساواة: أن يكون بلفظ مساو له يعني للمعنى إذا ساوى اللفظ المعنى قلنا: هذه مساواة. لكن السيوطي أسقطها من الترجمة لماذا؟." (١)

"قال في ((الإتقان)): المساواة لا تكاد توجد خصوصا في القرآن. لأنه يصعب أن يقال **اللفظ والمعنى** بمساواة واحدة هذا حكم عليه صعب جدا، وحتى في القرآن، ولذلك ما من مثال يورد للمساواة إلا وجه إليه نقد وتعقب قائله، ولذلك أسقطه السيوطي في ((الإتقان)) وعنون للإيجاز والإطناب وقال: المساواة لا يكاد أن توجد وخصوصا في القرآن.

فالأول: المساواة.

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١٥

والثاني: الإيجاز.

والثالث: الإطناب.

فخرج بقوله: واف. الإخلال، ولفائدة التطويل والحشو. هذا على مذهب السكاكي والقزويني تبعه لأن لخص المفتاح، وذهب ابن الأثير إلى أن الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد عنه والإطناب بلفظ زائد عنه. فتدخل حينئذ المساواة في الإيجاز لا في الإطناب. وتنتفي الواسطة. فعلى مذهب ابن الأثير لا واسطة بين الإيجاز والإطناب، وعلى طريقة السيوطي أثبتها ولكن مثالها عزيز، وهذا كالإجماع يعني: لا بأس أن يذكر الشيء من حيث العقل لأنه يمكن أن يكون اللفظ لو نظرنا من جهة العقل الأصل فيه أن اللفظ يكون مطابقا للمعنى مساويا له أو أكثر أو أقل، لكن هل وجد لفظ مساو لمعناه مطلقا لا يزيد اللفظ عن المعنى ولا المعنى على اللفظ، هنا يحتاج إلى مثال والمثال عزيز. فيثبت الشيء أصلا ثم إن وجد له مثال لأنه قد يوجد في بليغ يأتي فيما بعد فيأتي بمثال كما يقال في الإجماع أهل الإجماع يقولون: لو حصل الإجماع في هذا الزمان حجة. لكن كيف يحصل الإجماع؟! عزيز صعب لا يمكن فعدم إمكانه لا يلزم منه نفي حجية الإجماع، بل هو باق في كل عصر، والذي ينضبط هو إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعضهم يقيده بأنه قبل الفتنة.

الإيجاز والإطناب والمساواة. الإيجاز عندهم نوعان قسمان:

إيجاز قصر.

وإيجاز حذف.

إيجاز قصر: هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف تقليل ماذا؟ اللفظ الحروف والكلمات قليلة والمعنى كثير لكن بلا حذف، فإن كان بحذف فهو إيجاز الحذف [نعم أحسنت] إيجاز الحذف ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] حصل تقليل للفظ مع زيادة المعنى إيجاز لكنه بماذا؟ بحذف حذف المضاف إليه، فإن لم يكن بحذف فهو إيجاز الحذف (١).

إذا الإيجاز قسمان: إيجاز قصر. وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف.

إيجاز حذف هذا نحو: ﴿واسأل القرية﴾. أي: اسأل أهلها. والإطناب هو المساواة.

قال رحمه الله:

ولكم الحياة في القصاص قل ... مثال الإيجاز ولا تخفى المثل

لما بقي ك ﴿لا يحيق المكر﴾ ... ولك في إكمال هذي أجر

نحو ﴿ألم أقل لك﴾ الإطناب ... وهي لها لدى المعاني باب

(وهي لها لدى المعاني باب) يعني: أحالتها إلى تفاصيل هذا الباب إلى فن البلاغة وخاصة باب أو فن المعاني، لأنها تذكر هناك بتوسع ولها أقسام الإطناب متى يكون والإيجاز .. إلى آخره، إيجاز الحذف هذا والقصر له أقسام متعددة ذكر السيوطي بعضها في ((الإتقان)) ومفصلة في شروحات التلخيص و ... ((عقود الجمان)).

(ولكم الحياة) هنا ذكر المثال فقط لم يعرف الإيجاز ولا الإطناب ولا المساواة وإنما ذكر أمثلة لماذا؟

(١) إيجاز القصر.." (١)

"إذا كلام الله أضيف الكلام إلى لفظ الجلالة فأخرج ما عداه من كلام الإنس والجن والملائكة، كلام الله تعالى كلام مسمى كلام الرب جل وعلا على ما هو المقرر في كتب النحو أنه **اللفظ والمعنى** معا، لأن كثير ممن يكتب في هذه المسائل في علوم القرآن وفي التفسير إنما يقصدون بالكلام هو: المعنى دون اللفظ إلا في أصول الفقه فيعنون به اللفظ مجازا، والمعنى يحيلونه على علم أصول الدين ولذلك عرف القرآن السيوطي في ((الكوكب الساطع)) بقوله:

أما القران ها هنا. جزء القرآن.

أما القرآن ها هنا فالمنزل ... على النبي معجزا يفصل

إذا القرآن في كتب أصل الفقه المراد به اللفظ، والمراد بالقرآن في أصول الدين عندهم علم الكلام ليس في العقيدة السلفية إنما هو علم محدث مبتدع المراد به الكلام النفسي، وإطلاق الكلام على المعنى النفسي أو الحديث حديث النفس هذا إطلاق حقيقي، واختلفوا في إطلاق الكلام على اللفظ هل هو حقيقي أو مجازي؟ المرجح عندهم أنه مجاز لماذا؟

لأن حقيقة صفة كلام الرب جل وعلا هو المعنى القائم بالناس والكلام أو اللفظ، اللفظ عبارة ودليل عن المعنى القائم بالنفس وهذا باطل بالنص لقوله جل وعلا: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦]. والذي يسمع هو اللفظ دالا على معناه، وهذا واضح ولا إشكال فيه ولذلك لا يعرف خلاف عن السلف في مثل هذه المسائل، والخلاف محدث وقيل: أول ما قال بالتفرقة هو الكلابي. ولذلك الأشاعرة كلابية المعنى هم يرجعون إلى الكلابي من جهة إثبات أن المراد بالكلام هو المعنى النفسي وإطلاقه بأن المراد به المعنى النفسي يرده النص الذي ذكرناه ويرده إجماع النحاة بأن الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، هذا مجمع عليه عند النحاة، وكذلك لو صح إطلاق القول على،

لأن القول كلام بمعنى لو صح إطلاقه على المعنى النفسي حينئذ لم احتاج إلى قيد في قوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ [المجادلة: ٨]. لأن حديث النفس هذا لا ينكره أحد هو موجود لا إشكال فيه هل أحد ينكر حديث النفس المعنى القائم في النفس؟ لكن هل هو كلام حقيقة أو لا؟ هذا محل النزاع هم يقولون: إذا أطلق لفظ الكلام؟ هكذا دون أن يقيد انصرف إلى معنى قائم بالنفس ولا يدل على اللفظ إلا بقرينه لأنه مجاز كذلك إذا أطلق القول انصرف إلى ماذا؟ إلى ما في النفس ولا يدل على اللفظ إلا بقرينه لأنه مجاز. نقول قوله جل وعلا: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ [المجادلة: ٨]. ﴿في أنفسهم﴾ ... [المجادلة: ٨] جار مجرور متعلق بقوله: ﴿ويقولون﴾ [المجادلة: ٨]. فلو كان القول إذا أطلق عن القيد انصرف إلى المعنى النفسي لما قيده؟

كأنه قال: يقولون في أنفسهم في أنفسهم. لأن القول إذا أطلق انصرف إلى المعنى النفسي فلم قيد؟ فدل على ماذا؟ دل على أن الأصل في اللفظ أن الأصل في القول هو اللفظ لأن العلم معناه ولذلك عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٥

تعالى يقول: الكلام للفظ والمعنى كالإنسان للجسد والروح. الآن إذا قيل: هذا إنسان. نقول: هذا إنسان مسماه الجسد والروح معا. هل هو الروح دون جسد أو الجسد دون الروح؟." (١)

"إلى آخره سواء علمناه أو لم نعلمه، (على محمد) لا على غيره كالتوراة والإنجيل والزبور (ومنه الإعجاز) هذا فصل ثان هذا الفصل الثاني وهو المعبر عند بعضهم بالمعجز بلفظه، كلام الله تعالى المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – المعجز بلفظه، وتلحظون أن المصنف لم يقل المتعبد بتلاوته – وقد ذكرناه بالأمس – لماذا؟ للاحتراز عن الأحاديث القدسية والآيات المنسوخة (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، هذه كانت آية نسخت إذا لم يتعبد بتلاوته هي كلام الله ونزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – لكنه لم يتعبد بتلاوته إذا خرجت الآيات المنسوخة وخرجت الأحاديث القدسية على القول بأن **اللفظ والمعنى** من عند الرب جل وعلا، لكن قيل أن قوله: (المتعبد بتلاوته) هذا حكم من أحكامه والحكم على الشيء فرع عن تطوره، إذا لا يمكن إدخاله في الحدود، ونزيد بما ذكرناه بالأمس أن المراد في حد القرآن هو التقرير فقط والرسم وليس المراد إجراءه على طريقة المناطقة ونحوهم هذا هو المراد، وبذلك يذكر كل وصف يمكن أن ينفصل القرآن عن غيره (المتعبد بتلاوته) أي: لازم يكون ذكره أولى من حذفه لأنه يمتاز به القرآن عن غيره، وأما صفة المعجز بلفظه نقول هذا نعم اختص به القرآن على جهة القصد (ومنه الإعجاز) ... (ومنه) الواو واو الحال يعني والحال أن منه من القرآن من ذلك الكلام ... (الإعجاز) للخلق أن يكون معجزا للخلق أن يكون هذا الكلام المنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – معجزا للخلق لإظهار صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – في دعواه الرسالة لأنه رسول ادعى الرسالة لا بد من دليل يثبت ذلك صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعلى أن القرآن الذي معه حق حينئذ يكون الإعجاز هنا كونه معجزا بلفظه هل هو لذاته أم لغيره؟ نقول: لغيره، وهو إثبات أن القرآن حق كون القرآن معجزا لإثبات القرآن حق ولإثبات أن دعوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه رسول دعوى صدق وحق فصار ماذا؟ فصار كون القرآن معجزا بلفظه ليس المقصود به الزعم وإنما المقصود به إثبات شيئين اثنين وهما: أن القرآن حق، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – صادق في دعواه الرسالة. ولذلك صار القرآن معجزا أو قل آية والمعجزة عندهم أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.." (٢)

"حد الحسن عندهم هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ، وبعضهم يقول: من جهة **اللفظ والمعنى**. قوله: الذي يحسن الوقوف أو الوقف عليه. أخرج ماذا؟ القبيح، القبيح لا يحسن الوقف عليه كما عرفناه بالحد الثاني ما لا يحسن الوقف عليه إذا الوقف إما أن يحسن الوقف عليه أو لا إن لم فهو قبيح وإلا فهو إما حسن أو تام أو كاف. هنا قال: هو الذي يحسن الوقف عليه. فأخرج القبيح ولا يحسن الابتداء بما بعده هذا أخرج التام والكافي لأن التام والكافي يحسن الابتداء بما بعده، والقبيح لا يحسن الوقوف عليه أصلا والحسن يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لماذا؟ لتعلقه به من جهة اللفظ ﴿الحمد لله﴾، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فيجوز ويحسن الوقف

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٢

(٢) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٣

على قوله: ﴿لله﴾. ثم إذا أراد أن يتم لا يقول: ﴿رب العالمين﴾. يبتدأ وإنما يرجع لماذا؟ لتعلق رب بما قبله من جهة اللفظ لكونه صفة له والصفة لا تنفك عن موصوفها، والمراد بالقيد الثاني الذي لا يحسن الابتداء بما بعده وهذا لا بد من تقيده لماذا؟ لأن ما لا يحسن أو ما يحسن الوقف عليه قد يكون رأس آية ﴿لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠] هذا مثل ﴿رب العالمين﴾ مع لله أليس كذلك؟ فحينئذ هل نقول: لا يحسن الابتداء بما بعده إلا بأن نقول ﴿لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة﴾ أم نستثني هذا للنص لحديث أم سلمة؟

نستثني هذا للنص، فحينئذ لا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه بما قبله من جهة اللفظ ما لم يكن رأس آية فإن كان رأس آية فحينئذ يحسن الابتداء به فلو بدأ بقوله: ﴿في الدنيا والآخرة﴾. حينئذ نقول: هذا يحسن أو لا يحسن؟." (١)

"يحسن لأن الأصل هو الوقوف على رأس الآية هذا هو الأصل لثبوت السنة بذلك، ولذلك جاء في حديث أم سلمة تصف قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيقف ويمد الرحمن ويمد الرحيم الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف مالك يوم الدين ثم يقف فدل على ماذا؟ على أن هذا هو الأصل الوقوف على رؤوس الآية ولو كان الآية التي تليها أو الآية التالية متعلقة من جهة اللفظ أو المعنى بما قبله كما مثلنا فيما ذكرنا ﴿مصبحين * وبالليل﴾ [الصافات: ١٣٦، ١٣٧] بالليل هذا متعلق بما قبله لكن نقول: ﴿مصبحين﴾ هنا يحسن الوقف عليه وإذا أراد أن يبدأ فإما أن يعيد يجوز ما في بأس ﴿مصبحين * وبالليل﴾ لتعلقه **باللفظ والمعنى** ولو أراد أن يبدأ بأصل الآية بأول آية ﴿وبالليل﴾، ﴿في الدنيا والآخرة﴾ نقول: هذا لا نقول بأنه لا يحسن. لأنه يصادم ماذا؟ يصادم النص، وكثير من هذه المسائل هنا اجتهادية لم يرد فيها نصوص إلا ما ثبت عن الصحابة فحينئذ يكون مقبولا ولا إشكال وما عداه فهو من باب الاجتهاد ولذلك قيل: الأفضل الوقف عند رأس كل آية لحديث أم سلمة واختاره أبو عمرو بن العلاء قراءته دائما تكون على الوقف على رؤوس الآي، إذا قوله: بالقيد الثاني ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ هذا لا بد من النظر فيه فنقول: المراد بالقيد الثاني أن يكون الموقوف عليه متعلقا بما بعده من جهة اللفظ سواء كان ما بعده رأس آية أو لا، فإن كان غير رأس آية فلا يحسن الابتداء به إذا كان غير رأس آية فحينئذ نقول: لا يحسن الابتداء به، فيستحب أن يبتدئ من الكلمة الموقوف عليها ﴿الحمد لله﴾، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فإن لم يفعل لا إثم لا يأثم كله لا يأثم قبيح، إذا لم يأثم فالحسن من باب أولى وإن كان رأس آية فإنه يحسن الابتداء به في اختيار أكثر أهل الأداء لحديث أم سلمة في قولها: ... ﴿الحمد لله﴾ ولا يحسن الابتداء بـ ﴿رب العالمين﴾ لكونها صفة وليس برأس آية.." (٢)

"في خلقه وتكوينه، وتمييزه عن سائر المخلوقات الأخرى، ولا يكون هذا التميّز عن سائر المخلوقات الأخرى بالشكل فحسب، وإنما أيضا بالعقل والإدراك والشعور.

وبذلك يمكن أن نوسّع من مدلول استعمال الكلمة في القرآن ليشمل الشكل والمضمون معا. وهذا المفهوم ينسجم مع آيات أخرى في القرآن، تعدّ المشركين كالأنعام، لأنهم فقدوا ميّزة الإنسان، في الإدراك والتفكير، وإن كانوا في صورة الآدميين

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٩

(٢) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٩

في الظاهر.

ولكن المفسرين– على ما يبدو– كانوا ينطلقون في تفسير كلمة الصورة، من اللغة التي تدور دلالتها في المعاجم، حول الشكل الخارجي للأشياء.

ونضيف إلى ذلك التأثر بالمفهوم الفلسفي اليوناني للصورة وبالذات الفلسفة الأرسطية، فقد عرف العرب كلمة الصورة بمعناها الفلسفي التي تفصل بين «الصورة والهيولى» والصورة هي الشكل، والهيولى هي المادة، فالمنضدة هيولاها الخشب والغراء، وصورتها هي التركيب المخصوص للخشب والغراء حتى يظهر في شكل معين «٦».

وقد دعم هذا الفصل بين الصورة والهيولى فكرة المعتزلة، التي تفصل بين **اللفظ والمعنى**، في تفسير القرآن الكريم كما أثر في الدراسات الأدبية والبلاغية أيضا «٧».

هذه المؤثرات اللغوية والدينية والفلسفية، وجّهت البلاغيين والنقاد، نحو التركيز على الشكل في دراسة الصورة، ويعدّ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أول من لفت الانتباه إلى الصورة في العمل الأدبي بقوله: «فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير» «٨».

وقد أثارت هذه العبارة جدلا بين النقاد في تحديد مدلولها، فالدكتور كامل بصير يرى أن عبارة الجاحظ حول التصوير، تشمل **اللفظ والمعنى** معا، أو الشكل والمضمون. وهذا المفهوم– برأيه– يعدّ امتدادا لمدلولها في اللغة والقرآن، وقد حاول تأويل النصوص اللغوية والقرآنية، وتحميلها من الأفكار ما لا تحتمله، حتى يرجع مفهوم الصورة إلى أصول عربية، ونفي أي تأثر بالثقافات الأجنبية «٩».

---

(٦) الصورة في الشعر العربي: د. علي البطل ص ١٥.

(٧) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور ص ٣٤٧ وما بعدها.

(٨) كتاب الحيوان: الجاحظ ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢.

(٩) بناء الصورة الفنية في البيان العربي: د. كامل البصير ص ٢٤ - ٢٨.." [١]

"وقوله تعالى: أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ هود: ٨٠ يقول: «أي إلى معين، والاستعارة أبلغ، لأن الركن مشاهد، والمعين لا يشاهد» «٢٣»، وقوله تعالى: فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ الأعراف: ٢٢ يقول:

«أخرج ما لا يرى من تنقصهم بآيات القرآن إلى الخوض الذي يرى، وعبر عن فعل إبليس الذي لا يشاهد بالتدلّي من العلوي إلى سفل وهو مشاهد» «٢٤».

ويلاحظ في تحليل العسكري لآيات القرآن المذكورة إلحاحه على أفعال الرؤية والمشاهدة، لأنه يركّز على الصورة «البصرية» أكثر من الرماني، ولكن أبا هلال العسكري حاول الاجتهاد في فكرة «التصوير» الجاحظية مستخدما كلمة «الصورة مع فعلها» حين قال: «فصوّر له قبح صورة المغلول ... » ولا شكّ في أنه قد تأثّر بفكرة الجاحظ. كما استفاد من تحليل

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٢٠

الرماني لآيات القرآن على ضوء فكرة التصوير، فألحّ على الجانب الحسي البصري في الاستعارة، ولكنه لم يستطع أن يخرج عن شواهد الرماني وأفكاره وأسلوبه في تحليل الآيات القرآنية، فظلّ يتعامل مع مفهوم الصورة بإطارها الشكلي والجزئي، فقصرها على الاستعارة والتشبيه فقط كالرماني، ولم يربطها

بالمعنى والسياق، مع أن فكرة التصوير أعم وأشمل من التشبيه والاستعارة، إذا نظرنا إلى الأسلوب القرآني الذي يتخذ الصورة وسيلة للتعبير عن أعراضه الدينية بحيث يمكن أن يعدّ أسلوبه كله أسلوبا تصويريا ما عدا الآيات المتعلقة بالتشريع طبعا، هذه النظرة الشمولية للأسلوب القرآني التصويري، تثري مفهوم «الصورة الفنية» وتنقلها من إطارها الجزئي إلى مفهوم كلي شامل مرتبط بالسياق كله الذي يقوم على نظام العلاقات بين الصورة البلاغية المفردة، والصورة السياقية، وهذا ما حاول أن يقوم به الناقد الذوّاقة عبد القاهر الجرجاني.

فقد حاول الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بعبقريته الفذّة، أن يصحّح المفاهيم النقدية الخاطئة من قبله، والتي قامت على الفصل بين **اللفظ والمعنى**. فنظرت على ضوء هذه الثنائية بين **اللفظ والمعنى**، إلى حصر الصورة في الشكل دون المضمون. فقام الجرجاني بربط الصورة بالصياغة أو النظم، والصياغة عنده متحدة بالمعنى ولا تنفصل عنه، فأي تغيير في الصياغة يتبعه تغيير في الصورة، لأن الصورة تفهم من خلال «النظم» يقول الجرجاني: «ومعلوم أن

(٢٣) كتاب الصناعتين: ص ٣٠٣.

(٢٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.." (١)

"سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير، والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار.

فكما أن محالا إذا أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه» «٢٥».

ويتضح من عبارته هذه أن الصياغة- عنده- تعني الصورة، والصورة تعني الصياغة أو النظم، ومعيار الجودة ليس في المادة المكونة للصورة، وإنما في التشكيل الفني للصورة، لأن الصورة هي التي تجعل الفضة خاتما أو سوارا «٢٦».

ويلاحظ أن الجرجاني ما زال يقيس الصورة في الكلام على الصورة في المواد المحسوسة، ولكنه يزيل اللبس الذي لحق بأقوال سابقيه حول الفصل بين **اللفظ والمعنى**، أو المادة والصورة، ويرى أن العلاقة بين الصورة ومادتها علاقة تفاعل وانصهار لتوليد المعنى المراد، فليس هناك ثنائية منفصلة بين **اللفظ والمعنى** وإنما هناك التفاعل لتوليد عنصر جديد ثالث هو «الصورة».

فنحن- كما يرى الجرجاني- لا ننظر في صوغ الخاتم إلى مادته الذهبية أو الفضية المصنوع منها، وإنما ننظر إلى جودة صياغته. وقياسا على ذلك فإن جودة الكلام لا ترجع إلى معناه، بل ترجع إلى بلاغة نظمه، وجودة صياغته.

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٢٤

ويوضّح الجرجاني طبيعة الصورة فهي «تمثيل وقياس» وهي أيضا إبراز للمعنويات في صور المرئيات يقول: «واعلم أن قولنا صورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا» «٢٧».

ويشعر الجرجاني بالخطوة الجديدة التي يضيفها إلى مفهوم الصورة ودور العقل في تشكيلها، فيلفت الانتباه إلى أن مصطلح الصورة قديم، أشار إليه الجاحظ من قبل. يقول الجرجاني: «وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل

---

(٢٥) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني. ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢٦) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: الدكتور أحمد علي دهمان ج ١ ص ٣٨٩ – ٣٩٠.

(٢٧) دلائل الإعجاز: ص ٥٠٨.." [(١)]

"مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ: إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير» «٢٨».

والفرق واضح بين الجاحظ والجرجاني في مفهوم الصورة، فالجاحظ يعتبر الشعر ضربا من التصوير، بينما الجرجاني يعتبر الشعر تصويرا كله، لأن التصوير عند الجرجاني هو الهيئة التي تتشكل فيها المعاني حقيقية أو مجازية.

وتصوير المعاني يعني نظمها على هيئة مخصوصة. ويهدف الجرجاني من ربطه الصورة بالسياق اللغوي أن يقضي على الثنائية بين **اللفظ والمعنى**، وما أثير من جدل نقدي حول تفضيل أحدهما على الأخر. فاختار الجرجاني اسما بديلا لهما هو «صور المعاني» ويعني بها الصورة التي تتشكل فيها المعاني. ويعرض الجرجاني للأنواع البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، في كتابه «دلائل الإعجاز» ليثبت أن جمال هذه الأنواع لا يرجع إلى حسن ألفاظها وإنما يرجع إلى أنها «صور للمعاني» «٢٩».

ويتوسّع الجرجاني في مفهوم الصورة، فيرى أنها متعددة العناصر، فقد تعتمد على الأنواع البيانية المعروفة، وقد تعتمد على أشكال أخرى، كالتقديم والتأخير أو القصر أو الخبر أو الإنشاء ونحو ذلك «٣٠»، ولكن الجرجاني يعتبر الأنواع البيانية كالتشبيه والتمثيل والاستعارة. أهم عناصر الصورة المكوّنة لها، فهي الأصول التي تدور المعاني حولها، وإليها يرجع محاسن الكلام غالبا يقول: «فإنّ هذه أصول كبيرة كان جلّ محاسن الكلام– وإن لم نقل كلها– متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها» «٣١»، فالجرجاني لا يحصر الصورة في الأنواع البيانية المعروفة، وإنما يتوسّع في مدلولها، ويجعلها إطارا عاما تتشكّل فيه المعاني، وتظهر فيه كل الأساليب الفنية بيانية وغير بيانية «٣٢».

ويخصّص الجرجاني كتابه «أسرار البلاغة» للحديث عن عناصر تشكيل الصورة مثل التشبيه والاستعارة والتمثيل كما خصّص «دلائل الإعجاز» لربط الصورة بالصياغة أو النظم

---

(٢٨) دلائل الإعجاز: ص ٥٠٨.

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٢٥

(٢٩) المصدر السابق: ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
(٣٠) الصورة بين القدماء والمعاصرين: ص ٢٦.
(٣١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني. ص ٢٠.
(٣٢) الصورة بين القدماء والمعاصرين: ص ٣٢.." [١]

"سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ الواقعة: ٤١ - ٤٥، فصورة العذاب الحاضرة، تقابلها صورة النعيم والترف في الماضي.

ويتضح مما تقدم في هذا الباب، أنّ البلاغة القديمة، كانت بلاغة جزئية شكلية، لا تتجاوز الجملة إلى السياق العام للنص كله، وترتّب على هذه النظرة الجزئية، أن وظائف الصورة، جاءت أيضا عند البلاغيين القدماء، مقصورة على هذا الجزء المحدود، لتوضيحه، وبيانه، وتحسينه أو تقبيحه، أو لإثباته والإقناع به ونحو ذلك، ولم تكن الصورة عندهم، تحمل رؤية للحياة، يبثّها الكاتب عبر صوره.

وحتى الذين كتبوا في إعجاز القرآن، ظلّوا متأثرين باتجاه البلاغة القديمة، فداروا في داخل شواهد قرآنية معينة، يركّزون فيها، على النواحي الجزئية، لبيان ما فيها من جمال وإعجاز. باستثناء الجرجاني الذي حاول أن يخرج عن هذا الإطار الجزئي، ويربط الصورة بالسياق، وكاد الجرجاني أن ينجح في مهمته لولا أنه ظل منشغلا بالشّبه العقلي. وقضية **اللفظ والمعنى** التي كانت تلح عليه باستمرار وهو يحاول أن ينقلها من الجدلية الثنائية بين **اللفظ والمعنى** إلى نظرية جديدة تستوعب الاثنين معا.

وهكذا وضعت القواعد البلاغية الصارمة. وطبقت على النماذج التي تتفق مع تلك القواعد الجزئية والعقلية وأهملت كثير من الصور الرائعة، لأنها لا تخضع لتلك القواعد ومقاييسها، فأهملت الصورة القرآنية في كتب النقد والنقاد، ولم يستلهمها النقاد حين وضعوا مقاييسهم للجودة، وكذلك اقتصرت كتب الإعجاز على أنواع محدودة من الصورة كالتشبيه والاستعارة والمجاز، وأهملت الصورة السياقية في تلك الدراسات القديمة.

وفي العصر الحديث، حين توسّع مفهوم الصورة، نجد أن النقاد، أهملوا أيضا الصورة القرآنية فلم يعتمدوا عليها في تنظيراتهم للصورة، وفي وضع مقاييسهم لها، فظلت هذه الصورة المتميزة منسية على الرغم من أن سيد قطب قد لفت الانتباه إليها في الأربعينات من هذا القرن أي قبل أن يبدأ النقاد بدراساتهم حول الصورة الشعرية تنظيرا وتطبيقا.." [٢]

"زمان الرسول، حين قام التحدي. كما أنه ينافي صريح القرآن، في قوله تعالى:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.
(الاسراء: ٨٨) ٢ - وفي رأي بعض العلماء الأقدمين أن الإعجاز راجع إلى تأليف القرآن الخاص به، ذلك الذي يتجلى في اعتدال مفرداته تركيبا ووزنا، واشتمال مركباته على أرفع المعاني بحث وقع كل فن في مرتبته العليا من حيث **اللفظ والمعنى**.

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٢٦

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٩٠

٣ – وذهب فريق من العلماء إلى أن إعجاز القرآن يرجع إلى إخباره بالغيوب المستقبلة. فقد وقع في القرآن الكريم تنبؤ بأحداث قبل وقوعها، وتحقق ما أنبأ به.

ومن أمثلة ذلك ما أخبر به عن تغلب الروم على الفرس، بعد أن أوقع الفرس الهزيمة بالروم واستولوا على بيت المقدس. وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

الم. غُلِبَتِ الرُّومُ.

(الروم: ١، ٢) وقد اعترض على هذا بأن آيات القرآن التي أخبرت بالغيب قليلة، بالنسبة إلى حجم الكتاب كله، فهذا القول يجعل الإعجاز مقصورا على قسم صغير منه.

على أن هذا لا ينفي عندهم أن الإنباء بالغيب من أسرار الإعجاز في الآيات التي ورد بها.

٤ – ومن الأقوال في الإعجاز أيضا أنه راجع إلى الإخبار عن قصص الأولين، وما وقع في سالف العصور، بأسلوب من شهد الأحداث وحضرها.

وهذا القول أيضا مردود كسابقه، لأن القرآن يتناول هذه الأخبار في قسم." [١]

"– ١٧ – التفسير والمفسرون

تفسير القرآن هو الكلام في شرح نصوصه بما يبين عن معانيه. لكن هذا التعريف الموجز يحتاج إلى كثير من الشرح والتحليل. إن شرح أيّ نص أدبي يكون له مستوى معقول من الإبداع أمر يكتنفه كثير من الصعوبات. فهناك الفهم اللغوي للنص، وهناك بعد ذلك ما يعنيه النص، وما يوحي به أو يرمز إليه. ومن أجل هذا نجد شرح النصوص الأدبية، كثيرا ما ينبثق عن ألوان مختلفة من الفهم لتلك النصوص. وأمامنا شراح دواوين كبار الشعراء، ومنهم من كان لديوانه أكثر من شراح، ففي الشروح نرى كيف اختلفت نظرة الشراح إلى النص الواحد، وبخاصة إذا أشارت ألفاظه إلى ألوان مختلفة من المعاني.

إن التعبيرات الأدبية لا تكون واضحة المعنى بمجرد النظرة الأولى إليها. فالأدباء لا يعبرون عن موضوعات الحياة بذات اللغة التي يعبّر بها العلماء. إن اهتمام العلماء يكون بنقل المضمون إلى السامع بأبسط ألوان التعبير اللغوي. فالحقائق وحدها هي الهدف المقصود في التعبير العلمي، أما التعبير الأدبي فجمال العبارة، وروعة الصور البيانية مقصودة بجانب ما ينطوي عليه النص الأدبي من مضمون.

ولسنا هنا نفرق بين **اللفظ والمعنى**، أو بين العبارة ومضمونها، لكننا ننبه إلى ضروب." [٢]

"الخوض والأمر والله عظيم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه (يُقال هنا: هل بيّن صلى الله عليه وسلم معانيه كما يزعم هؤلاء بحيث يجاري علوم الفلاسفة والملاحدة؟ فإن قيل: هذه الأمور جاءت بعد النبي والصحابة، قيل: المراد أن معاني القرآن قد انتُهي منها فبيانها بذلك ضلال مبين وتلاعب بكلام

---

(١) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، مجموعة من المؤلفين ص/١٤٠

(٢) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، مجموعة من المؤلفين ص/١٥١

رب العالمين).

ثم قال قدّس الله روحه: فقوله تعالى: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) يتناوله هذا وهذا. (يعني يتناول **اللفظ والمعنى**). انتهى (١).

وقال رحمه الله: ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف قولهم وفسرّ القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً. انتهى (٢).

اعلم أنه بعد هذه التفاصيل لا يلتفت إلى شبه هؤلاء في تأويلهم كلام الله عز وجل إلا مفتون حيث أن لهم شُبَه ولكنها داحضة، ولذلك قال شيخ الإسلام بعد الكلام السابق: ومعلوم أن كل من خالف قولهم (يعني السلف في التفسير) له شبهة يذكرها إما عقلية وإما سمعية. (يعني فلا يُلتفت إلى شبهته).

(١) الفتاوى ١٣/ ٣٣١.

(٢) الفتاوى ١٣/ ٦٣٢.." [١]

"هل معاني آيات القرآن غير معروفة حتى يُبينها المتأخرون؟

هذا السؤال وارد ولا بد ليكون الجواب عليه دافع بإذن الله للطوفان الغامر الذي ابْتُلْيَتْ به الأمة في نهاية عمرها.

ليُعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات إلا بعد أن بيّن للأمة ما أُنزل إليها من ربها.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) ١/ ١١٧ قال في ردّه على الجهمية: الوجه السادس والأربعون: أنه سبحانه بيّن بأنه يُبين لهم غاية البيان وأمر رسوله بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبيّن للناس.

ولهذا قال الزهري: (من الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم) فهذا البيان الذي تكفّل به سبحانه وأمر به رسوله إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده أو المعنى وحده أو **اللفظ والمعنى** جميعاً.

ولا يجوز أن يكون المراد بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لا فائدة فيه ولا يحصل به مقصود الرسالة.

وبيان المعنى وحده بدون دليله هو اللفظ الدّال عليه ممتّنع، فَعُلِم." [٢]

"قطعاً أن المراد بيان **اللفظ والمعنى** فكما نقطع ونعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بَيَّن اللفظ، فكذلك نتيقّن أنه بيّن المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ، وهذا هو الذي ينبغي فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود، وكيف يُتَيَقّن بيانه للوسيلة ولا يُتَيقن بيانه للمقصود، وهل هذا إلا من أبيْن المحال؟.

فإن جاز عليه ألاّ يبين المراد من ألفاظ القرآن جاز عليه إلا يبين بعض ألفاظه. انتهى.

(١) الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ص/٢٦١

(٢) الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ص/٢٦٢

تأمله فإنه قاطع لحجة هؤلاء الذي فسروا القرآن وزعموا بيان معانيه على مقتضى علوم المعطلة، إنه كلام مُبَرْهَن لا يُجادل فيه إلا مكابر معاند، كلام حجته فيه وهو شرعي عقلي ومع إيجازه فقد أكمل معناه، قدس الله روحه ورضي الله عنه.

ووالله إن الأمر لفي غاية الخطورة أنْ حَسَّن الشيطان لأهل الوقت وسَهّل الكلام في معاني كلام الملك العلاّم، الذي لا يشبه كلامه كلام، كيف يُجعل مُصَدّقاً ومُؤيّداً لخيالات مظلمة هي نَضْح أوَان قَذِرة من البرابرة الطغاة.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في (جامع البيان) ١/ ٧٨ - ٧٩ قال: فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"لها منطقا قبل نزول القرآن، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان، فيكون ذلك قولا لقولنا خلافا، وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا. ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم، والدينار والدواة، والقلم والقرطاس، وغير ذلك مما يتعب إحصاؤه ويملّ تعداده، لذا كرهنا إطالة الكتابة بذكره، مما اتفقت فيه الفارسية والعربية **باللفظ والمعنى**، ولعلّ ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها.

فلو أن قائلا قال- فيما ذكرنا من الأشياء التي عددنا وأخبرنا اتفاقه في **اللفظ والمعنى** بالفارسية والعربية وما أشبه ذلك، مما سكتنا عن ذكره-: كلّه فارسي لا عربي، أو ذلك كلّه عربي لا فارسي، أو قال: بعضه عربي وبعضه فارسي، أو قال: كان مخرج أصله من عند العرب، فوقع إلى العجم فنطقوا به، أو قال: كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته، كان مستجهلا، لأن العرب ليست بأولى أن تقول: كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم. ولا العجم بأحق أن تقول:

كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب، إذا كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجودا في الجنسين .. ثم قال: وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال: في القرآن من كل لسان، عندنا بمعنى: أن فيه من كلّ لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرهم من الأمم التي تنطق به نظير ما وضعنا من القول فيما مضى، وذلك أنه غير جائز أن يتوهّم على ذي فطرة صحيحة، مقرّ بكتاب الله، ممن قرأ القرآن وعرف حدود الله، أن يعتقد أنّ بعض القرآن فارسيّ لا عربيّ، وبعضه حبشيّ لا عربيّ بعد ما أخبر الله تعالى أنه جعله قرآنا عربيا (١).

وقد ذهب فخر الدين الرازيّ المفسّر، والعالم اللغويّ ابن فارس إلى هذا الرأي وأطال الاستشهاد على صحة هذا القول، ومما قاله: «لو كان في القرآن الكريم من

---

(١) جامع البيان ص ١/ ٧ - ٨.." (٢)

---

(١) الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ص/٢٦٣

(٢) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، محمد علي الحسن ص/٢٤

"لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ [سورة فصلت: ٤٤]. فالكلمة إذا كانت عربية ولكنها حوشية مجهولة لم تكن توصف بالفصاحة .. فكيف بالكلام الأعجمي مجهول **اللفظ والمعنى؟**! ولو كان في القرآن أعجمي؛ لبادر العرب بإنكاره على القرآن. فمن ينفي وجود الأعجمي في القرآن إنما يقصد الذي لا تعرفه العرب ولا تستعمله. ومن قال بوجوده فهو يقصد الذي عرفه العرب، واستعملوه حتى لان وانقاد للسانهم. وهكذا يكون الخلاف بين الفريقين لفظيّا؛ لأنه توارد على محلين لا محل واحد" (١).

وقال الشاطبي في بيان ذلك:" إذا كانت العرب قد تكلمت به، وجرى في خطابها، وفهمت معناه؛ صار من كلامها. ألا ترى أنها لا تدعه على لفظه الذي كان عليه عند العجم

إلا إذا كانت حروفه في المخارج والصفات كحروف العرب، وهذا يقل وجوده، وعند ذلك يكون منسوبا إلى العرب. فأما إذا لم تكن حروفه كحروف العرب، أو كان بعضها كذلك دون بعض؛ فلا بد لها من أن تتصرف فيه بالتغيير كما تتصرف في كلامها. وإذا فعلت ذلك؛ صارت تلك الكلم مضمومة إلى كلامها كالألفاظ المرتجلة، والأوزان المبتدأة لها" (٢).

وعلى هذا التحرير يحمل ما نقله الزركشي عن جمهور العلماء من عدم وجود غير العربي في القرآن، ومنهم أبو عبيدة، والطبري، والقاضي أبو بكر بن الطيب في" التقريب"، وابن فارس اللغوي، والشافعي في" الرسالة". ونقل عن الشافعي ردّه على القائلين بوقوع الأعجمي في القرآن (٣). وحكى عن ابن فارس عن أبي عبيدة أنه أنكر

---

(١) د. إبراهيم خليفة، الإحسان في مباحث من علوم القرآن، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) الموافقات، ٢/ ٦٥.

(٣) الرسالة، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر، ص ٤٠.." [١]

"لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي؛ لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين" (١).

٦ – شروط التأويل (صحة المعنى .. وقبول اللفظ):

من المعلوم لدى الأصوليين واللغويين كذلك أن ما يخضع لاحتمال التأويل من حيث المبدأ هو" الظاهر". أي أن" النص" لا يخضع لاحتماله، وهذا هو معنى كونه نصّا.

ثم إن علماء الأصول أطبقوا على أنه لا يعدل عن الظاهر من اللفظ إلى التأويل إلا حيث يستحيل ذلك الظاهر. ومن ثمّ .. فإن المعنى الظاهر يجب صرفه في الأصل إلى ظاهره دون أي تأويل، إلّا أن يتوافر شرطان اثنان– ذكرهما الشاطبي– فيسوغ التأويل عندئذ.

وأول هذين الشرطين: أن يكون وضع اللفظ قابلا له لغة بوجه من وجوه الدلالة– حقيقة أو مجازا أو كناية– جاريا في ذلك على سنن العربية.

---

(١) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي ص/٣٥

أي بأن يكون بين اللفظ والمعنى الذي يراد تأويله به ارتباط من الوضع اللغوي، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع.

وثاني هذين الشرطين: صحة المعنى في الاعتبار، بأن يكون متفقا مع الواقع المعترف به إجمالا عمن يعتد بهم.

فالشرطان:" اللفظ قابل، والمعنى المقصود من التركيب لا يأباه" (٢). فتأويل من تأول لفظ" الخليل" في قوله تعالى: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا [سورة النساء: ١٢٥] بالفقير، فإن ذلك يجعل المعنى القرآني غير صحيح؛ لأن إبراهيم الذي يقدّم العجل

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ١٣٤، ورسالة المحكم والمتشابه.

(٢) الموافقات، ٣/ ١٠٠.." (١)

"احتمالا، وأن تكون صحيحة السند، وأكد ابن الجزري في كتابه النشر أن القراءة التي توفرت فيها هذه الشروط لا يجوز إنكارها ولا ردها، فإذا افتقد شرط من هذه الشروط اعتبرت القراءة شاذة ...

والحكمة من تعدد القراءات كما ذكر السيوطي في الإتقان التخفيف على الأمة، والكشف عن أوجه التعليل والترجيح في كتاب الله، وإظهار سر الله في صيانة القرآن عن التبديل، والمبالغة في الإعجاز، كما يؤكد لنا تعدد القراءات عناية العلماء بكتاب الله، وتوقيف كل ما يتعلق به، قراءة له، ورسما لكلماته وحروفه، وأداء لألفاظه، وضبطا لكيفية نطق كلماته وألفاظه، وشرحت بعض المصطلحات الفنية التي استخدمها القراء لتوضيح كيفية النطق والأداء اللفظي من حيث الإدغام والوقف والإشمام والروم والسكت والقطع والقصر والمد والحدر والتدوير والترتيل والتجويد والترقيق والتفخيم والإمالة، وشرحت في «الفصل الرابع عشر» الوقف والابتداء، ولا يحسن الترتيل إلا بمعرفة الوقوف وتجويد الحروف، وتحدثت في «الفصل الخامس عشر» عن إعجاز القرآن، وذكرت أقوال العلماء في وجوه الإعجاز، وشرحت معنى الإعجاز عند العلماء، فالخطّابي نظر إلى الإعجاز من خلال تأثير القرآن في النفوس والقلوب، والرمّاني نظر إلى الإعجاز من حيث البلاغة وأورد الخصوصيات البلاغية في القرآن، ورأى القاضي الباقلاني الإعجاز في «بداعة النظم»، من حيث مخالفته لما عهد العرب من أساليب السجع والشعر وابتعاده عن الألفاظ الوحشية والمستكرهة، وذهب القاضي عبد الجبار إلى أن الإعجاز القرآني يتمثل في «جزالة اللفظ وحسن المعنى ومطابقة الكلام لمقتضى الحال»، ورأى عبد القاهر الجرجاني الإعجاز في «الملاءمة بين الألفاظ»، لأن الكلمة لا تستمد مكانتها من ذاتها، ويقع التفاضل بين الكتاب بحسب قدرتهم على إيجاد التلاؤم بين اللفظة واللفظة التي تليها، كالنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، بحيث يكون الوضع والترتيب خاضعا لمعايير وأقيسة ومرجحات، بحيث لو تم استبدال هذا الترتيب بغيره لما صح النظم ولما استقام، وأكد «الجرجاني» أن ما أعجز العرب هو تلاقي اللفظ والمعنى معا، فلا مجال للإعجاز في لفظ دون معناه، ولا في معنى دون لفظ، والعبارة البيانية هي نتاج لفظ."
(٢)

(١) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي ص/١٢١

(٢) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/١٠

"للرازي، وأمثال القرآن للماوردي، وأقسام القرآن لابن القيم، وجواهر القرآن للغزالي، والتعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلي، والتبيان في مبهمات القرآن للقاضي بدر الدين بن جماعة والمقنع للداني.

وهذه الكتب التي ذكرها السيوطي، بعضها وصل إلينا، والبعض الآخر لم يصل، وهناك كتب أخرى كثيرة، وتشير الروايات إلى أن معظم هذه الكتب كان يبحث في علم من علوم القرآن، كالإعجاز والقراءات والوقف والناسخ والمنسوخ والمجاز والإيجاز والفضائل والغريب والمفردات والإعراب، وبعضها كان يبحث في جوانب من علوم القرآن في إطار بحثه في التفسير أو اللغة أو البلاغة أو علم الكلام.

ويبدو أن أول كتاب صنف في علوم القرآن، واشتهر أمره وحظي باهتمام العلماء هو كتاب «البرهان في علوم القرآن»، للإمام بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ بمصر.

البرهان في علوم القرآن:

يعتبر كتاب «البرهان في علوم القرآن» من أبرز كتب علوم القرآن وأجمعها، ويعود الفضل في التعريف به إلى جلال الدين السيوطي الذي ألف كتابه «الإتقان»، وأشار إلى كتاب البرهان وأشاد به واعتمد عليه، ونقل منه الكثير من الأقوال والنصوص، وقد جمع فيه الزركشي زبدة أقوال العلماء وصفوة آرائهم، ونقل عن المفسرين والمحدثين والفقهاء والنحاة وأهل البلاغة واللغة أقوالهم، وجمع شتات تلك الأقوال في فصول مستقلة واضحة الدلالة، بينة المعنى، عجيبة الترابط والتكامل، وقسم كتابه هذا إلى سبعة وأربعين نوعا، تحدث في كل نوع من الأنواع عن علم من علوم القرآن وخص النوع الأول بالحديث عن معرفة أسباب النزول، وقسمه إلى فصول، واشتملت الفصول على تنبيهات وفوائد، ثم انتقل إلى النوع الثاني وتحدث فيه عن معرفة المناسبات بين الآيات، من حيث ارتباط الآيات بعضها ببعض، أو من حيث اتصال **اللفظ والمعنى**، وفي النوع الثالث تحدث عن معرفة الفواصل ورءوس الآيات، وأوضح مباني الفواصل." [١]

"الفصل الخامس: ترجمة القرآن

لا خلاف بين العلماء في أن الإعجاز القرآني يتمثل في أسلوب القرآن، ودقة ألفاظه، وذلك التوافق والانسجام بين **اللفظ والمعنى** المراد، بحيث يصور اللفظ المعاني أدق تصوير، بحيث تبرز عظمة القرآن في روعة ألفاظه وجمالها، وذلك التناسق العجيب بين **اللفظ والمعنى**، والتكامل والترابط بين الألفاظ، بحيث تكون اللفظة اللغوية معبرة أدق تعبير عن المعنى المراد، ولو وقع أي إبدال أو تغيير في الألفاظ المترادفة لاختلت المعاني واضطرب الأسلوب.

إن كل لفظة في القرآن تعبر عن الإعجاز وتمثل جانبا من جوانبه وتصور عظمة الأسلوب القرآني، ولا مجال لإبدال كلمة بأخرى أو لفظة بما يماثلها، إذ لكل لفظة موسيقاها الخاصة بها من حيث موقعها من الكلام، ومن حيث دقة تعبيرها عن المعنى المراد.

وإبدال لفظة بأخرى ولو كانت مماثلة للمعنى، تخل بالمعنى العام، وتوجد حالة من التوقف في ذلك النسق القرآني، وكأن

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٥٢

الآية ليست هي الآية، وكأن المعنى ليس هو المعنى، فالقرآن وحدة متكاملة، من حيث ألفاظه ومعانيه ورسمه وأداؤه، ولو كتب بغير الرسم القرآني لما أدى نفس المشاعر التي يولدها الرسم القرآني في كيفية تعبيره عن الكلمات القرآنية.

ولا يتصور من الناحية العقلية أو الفعلية أن تقع ترجمة القرآن من اللغة العربية إلى لغة أخرى، فالترجمة جهد بشري، ويقع التفاوت فيه، من حيث اختيار المفردات، ولهذا تتعدد الترجمة وتتباين ألفاظها، ويختلف الحكم عليها من حيث الدقة والضبط. وإذا كان من العسير على المفسر في نطاق اللغة العربية أن يستبدل لفظة قرآنية بما يماثلها أو يفسرها بما يدل عليها، فإن من المستحيل على من يريد ترجمة القرآن أن يجد الكلمة المعبرة عن المعنى القرآني فضلا عن استحالة الحفاظ على روعة الألفاظ القرآنية التي تعتبر من مظاهر الإعجاز القرآني.." (١)

"وقال ابن الحصار: قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن المتشابه أنها أم الكتاب، لأن إليها ترد المتشابهات وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتنابه نواهيه» (١).

أنواع المتشابه عند الأصفهاني: قسم الراغب الأصفهاني في كتابه: «مفردات القرآن» الآيات إلى ثلاثة أضرب (٢)، محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه، والمتشابه ثلاثة أضرب أيضا:

الضرب الأول: متشابه من جهة اللفظ فقط، وهذا التشابه يرجع إلى الألفاظ المفردة من حيث الغرابة أو الاشتراك، كما يرجع أحيانا إلى جملة الكلام المركب سواء من حيث الاختصار أو البسط أو النظم ...

الضرب الثاني: متشابه من جهة المعنى. ويشمل هذا المتشابه ما تعلق بأوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة، لأن تلك الأوصاف لا تتصور لنا ولا تحصل في نفوسنا ...

الضرب الثالث: متشابه من جهة **اللفظ والمعنى** معا، وهو أقسام:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص كقوله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [التوبة: ٥].

الثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب كقوله تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ [النساء: ٣].

الثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، كقوله تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) انظر الإتقان، ج ٣، ص ١٠ - ١١.." (٢)

"وقال أحمد بن عبد الحليم بن تيمية:

لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٨٠

(٢) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/١٨٢

لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين» (١).

وأضاف ابن تيمية:

ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف» (٢).

وقال ابن الجزري (٣):

وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث: اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

ثم ختم ابن الجزري كلامه بقوله:

---

(١) انظر النشر، ج ١، ص ٣٩.

(٢) انظر المصدر نفسه.

(٣) انظر نفس المصدر ص ٥٠.." [1]

"رءوس الآيات، وأحيانا يوجد قبل انقضاء الفاصلة عند ما ينتهي الكلام كقوله تعالى: وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً، وهنا انتهى كلام بلقيس، وكقوله تعالى:

مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ، لأنه معطوف على المعنى، أي الصبح وبالليل.

الثاني: الكافي: منقطع في اللفظ متعلق في المعنى فيحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، كقوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ هنا الوقف، ثم يبتدئ بما بعد ذلك.

الثالث: الحسن: وهو الذي يحسن الوقوف عنده، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به في اللفظ والمعنى، كقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وقوله: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

الرابع: القبيح: وهو الذي لا يفهم منه المراد.

ومن الوقف القبيح الوقف على قوله تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا والابتداء بقوله: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ومن تعمد الوقف وقصد معناه فقد كفر .. ومن الوقف القبيح الوقف على قوله: فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ، والوقف على النفي دون

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/١٨٨

الإيجاب في قوله: لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ.

وقال ابن الجزري في النشر:

«وأقرب ما قلته في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري، لأن الكلام إما أن يتم أولا، فإن تم كان اختياريا، وكونه تاما لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط وهو الوقف المصطلح عليه بالكافي للاكتفاء به عما بعده» (١).

وأكثر ما يكون الوقف التام في رءوس الآي وانقضاء القصص، ويكثر الوقف الكافي في الفواصل، ويختلف حكم الوقف القبيح بحسب درجة القبح في المعنى من حيث فساد ذلك المعنى ...

---

(١) انظر القراءات العشر ج ١، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.." [1]

"الكلمات إلى بعضها فيقع التناسب والتجانس، ويتحدد في هذا الإطار موقع اللفظة من حيث دورها في التعبير عن المراد، والكلمة ينظر إليها من زاويتين:

الأولى: نظرة في حال إفرادها، ونظرة أخرى في حال نظمها مع غيرها، ولا بد من تحديد مفهوم الكلمة بذاتها من حيث وضعها عند أهل اللغة، ومفهومها في إطار موقعها في الجملة من حيث موقعها الإعرابي، ومفهومها حين تأخذ مكانا خاصا في الكلام، من حيث المعنى المستفاد منها ...

والكلمة لا يمكن أن تفهم إلا في إطار موقعها العام في الكلام، والوظيفة التي تؤديها، فقد تفهم المعاني، وتتحد المفردات، ثم يقع التباين في مدى الفصاحة والبيان والإفهام والتأثير، وهنا نكتشف عظمة الدور الذي يؤديه اختيار الكلمة وموقعها، وهنا تبرز الفصاحة ..

وهذا يؤكد اهتمام القاضي عبد الجبار بالنظم، والنظم كما أورده كالثياب المنسوجة تتفاضل بمواقع الغزل وكيفية تأليفه وتنسيقه، مع أن الغزل في حقيقته لا يتغير، والكلام يتفاضل أثره ويتباين معناه بحسب قوة المتكلم، وقدرته على اختيار مواقع الكلام من حيث التقديم والتأخير، وهذا يحتاج إلى قدرة ذاتية تعطي صاحبها فصاحة وقوة بيان، ولا يتم ذلك إلا بتأييد من الله وإلطاف ورعاية وتوفيق.

وهذا المنهج يقودنا إلى إقرار فكرة الإعجاز القرآني، من خلال توافق **اللفظ والمعنى**، وتكاملهما في أداء الدور المطلوب فيهما، فالتأليف هو الدور الأهم في فن الفصاحة، بحيث تكون اللفظة دالة على المعنى المراد، وتقع في الموقع المناسب لها، ولهذا عند ما يقع التحدي بالكلام فلا بد من أن يكون تأليف هذا الكلام في أعلى درجات الترتيب والتنسيق وحسن التركيب بحيث يكون الكل في موقعه المناسب، من حيث اختيار الكلمة، واختيار موقعها في الجملة، لكي يؤدي هذا

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٢١٧

التركيب المحكم الغاية المطلوبة. ولهذا يتفاضل الفصيح من الكلام بتفاضل الكتّاب، مع أن الألفاظ واحدة، فالأقدر على التأليف هو الأفصح، ولا نهاية للفصاحة، ويقع الإعجاز فيما وقع التحدي به والعجز عن الإتيان بمثله.." [١]

"والقاضي عبد الجبار يركز على أهمية الفصاحة في الإعجاز ولا يتصور الإعجاز إلا بالفصاحة، والفصاحة عنده لا تتوقف عند حدود النظم ولا علاقة لها بالشكل والقالب، من حيث كون الكلام شعرا أو نثرا مسجوعا، فالنظم عامل في الفصاحة له أثره الواضح ولكنه ليس العامل الوحيد، ولا بد في الفصاحة من تكامل حسن المعنى وجزالة اللفظ، ومتى تحقق هذا الشرط في الكلام كان فصيحا، سواء كان شعرا أو نثرا، وكلما زادت معالم هذا التوافق في **اللفظ والمعنى** اتضحت الفصاحة وبرزت في الكلام.

ولعل القاضي عبد الجبار في تركيزه على معنى الفصاحة واعتبارها نتاج عاملين أساسيين، جزالة في اللفظ وحسن في المعنى، إنما يرد فيه على أبي بكر الباقلاني، الذي اعتبر الإعجاز متمثلا في مغايرة جنس الكلام لأساليب العرب وأجناس كلامهم، ولهذا اتجه اهتمام الباقلاني إلى نفي التجانس بين القرآن وكلام العرب، وشدد النكير على من قال بوجود السجع في القرآن، لأن السجع من جنس كلام العرب، والقرآن جاء مغايرا لأساليب العرب، فلا يستقيم أن يوصف أسلوب القرآن بالسجع ولو جاءت أوزانه مماثلة لأوزان السجع في الأسلوب العربي.

ويؤكد هذا الاختلاف بين كل من القاضي عبد الجبار وأبي بكر الباقلاني أن كلّا منهما ينظر للإعجاز من زاوية مغايرة لما ينظر منها الآخر، فالقاضي عبد الجبار لا ينظر للإعجاز من زاوية الخروج عن مألوف كلام العرب، ولهذا لم يحرص على نفي السجع في القرآن، فالأمر لا يعنيه سواء سمي سجعا أو غير سجع، وإنما يعنيه أولا إثبات الإعجاز عن طريق الفصاحة، وطريقها واضح وهو جزالة اللفظ وحسن المعنى، وهذا معيار لا نملك إلا أن نشيد بدقته، لأنه معيار موضوعي، يقيم أمر الإعجاز على معايير موضوعية لا تتصور الفصاحة إلا بها، وليس أدل على الإعجاز من تلاقي «لفظ» بلغ الذروة في الجزالة والقوة و «معنى» بلغ القمة في جودة المعنى ودقته وسلامته، وهنا تبرز تساؤلات حول أهمية المعايير البلاغية ويقف القاضي عبد الجبار أمام هذه المعايير وقفة موضوعية فلا." [٢]

"وتساءل الجرجاني في معرض حديثه عن إعجاز القرآن، ماذا أعجز العرب، هل أعجزهم لفظ القرآن أم أعجزهم معناه، لا شك أن ما أعجز العرب «هو تلاقي **اللفظ والمعنى** معا»، فلا مجال للإعجاز في لفظ دون معناه، ولا مجال للإعجاز في معنى دون لفظ، فالإعجاز هو نتاج علاقة تكاملية بين **اللفظ والمعنى**، ولا يمكن تصور الفصاحة في إطار لفظ دون معنى، فالصورة البيانية هي نتاج لفظ معبر ومعنى يجسد الصورة، ويعطي للألفاظ أبعادها وصورها وجمالها، فاللفظة المفردة لا يمكن أن تكون معجزة، لأنها تظل قاتمة صامتة لا تنطق والمعنى العظيم هو الذي ينطق اللفظ ويجعل له لسانا معبرا، وعند ما يتحدث أهل البيان عن الألفاظ الجميلة والألفاظ القلقة والمستكرهة، فإنهم لا يقصدون على وجه التأكيد مجرد اللفظ، فاللفظ لا يمكن وصفه بدقة إلا في إطار ملاءمته لمعناه المراد، وحسن انسجامه مع الألفاظ الأخرى في الجملة

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٢٣٩

(٢) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٢٤٠

الواحدة بحيث يصبح الكلام معبرا أحسن تعبير عن معنى مراد.

وبالرغم من اهتمام الجرجاني بالتلاؤم والانسجام والتوافق بين **اللفظ والمعنى** فإنه لا يتجاهل أهمية اللفظ، فاللفظ هو الأداة الأولى للتعبير، وهو الجانب الواضح في النظم، وهو معيار ضروري لجودة الكلام وفصاحته وبيانه، فاللفظة تجد مكانها المناسب والمعنى الدقيق يبحث عن لفظ معبر، ولولا ذلك اللفظ لما ظهرت المعاني ولما برزت الفصاحة، فاللفظة تقع في الجملة معبرة مجسدة مصورة مبينة ناطقة، وكأنها تصور المعنى تصويرا، وترسم الملامح بدقة، فتكون أكثر قدرة على التأثير، فلا يستطيع القارئ أو السامع إلا أن يجد فيها المعنى الذي يريد أو تحدثه هي عن المعنى المراد.

وفي مثل هذه المواقف لا يملك الإنسان إلا أن يقف بإعجاب أمام اللفظة المعبرة عن المعنى، وينظر في النظم فيجد التلاؤم والتكافل والتعاهد بين اللفظة واللفظة، وكأن كل لفظة تقود إلى أخرى مجسدة الصورة البيانية، معبرة عن معنى أراده الكلام.." (١)

"من هنا بدأ الإعجاز:

إعجاز لفظ معبر مختار وإعجاز معنى عظيم، ويبرز الإعجاز في تلاؤم عجيب بين ذلك النظم والمعنى، بحيث تمتد الأبصار شاخصة مترقبة يقظة، تتابع النظم الدقيق المعجز.

لو رأى العرب كلمة نابية لأمسكوا بها، ولما سمحوا لها بأن تفلت من أيديهم، واحتجوا بها على ما يريدون من الإساءة للقرآن، ولكنهم لم يجدوا في القرآن إلا كل ما يدعوهم للإعجاب به من حيث **اللفظ والمعنى**، ومن حيث التوافق والتلاؤم.

وقال الجرجاني معبرا عن حسن الملاءمة بين **اللفظ والمعنى**: «وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها في النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم» (١).

كتابات أخرى في الإعجاز:

وبالإضافة إلى هؤلاء الأعلام ممن أفردوا للإعجاز مصنفات مستقلة، وتميزوا بما كتبوه عن الإعجاز بمناهج ثابتة، هناك مجموعة أخرى من العلماء كتبوا في الإعجاز، وأبانوا عن وجوه الإعجاز القرآني، وآراؤهم لا تخرج عن آراء أولئك الأولين من رواد مدارس الإعجاز القرآني.

ولا نهاية للإعجاز، ولذلك تصدى المفسرون لبيان أوجه الإعجاز، وعرف الزمخشري بأنه صاحب مدرسة في الإعجاز، وقد أبرز جوانب الإعجاز ومظاهره من خلال تفسيره للقرآن، ويعتبر كتابه «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» من أشهر المؤلفات في علم التفسير، وحرص على أن يبرز جوانب الإعجاز من خلال رصده الذكي لكل وجوه الإعجاز، متعقبا كل آية يجد فيها ذلك الإعجاز،

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٢٤٣

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٩ - ٤٠.." (١)

"﴿ولا تَجْعَل يدك مغلولةً إلى عنُقك ولا تبسُطها كلَّ البسْط﴾ فأقول: إن هذا الاستدلال حاصل وقائم في وجوب أخذ الحيطة والعناية عند ترجمة القرآن بالمعنى، وليس بدليل صريح على منع الترجمة، فأي كلمة وردت في القرآن لها معنى، وحاشا لله أن يكون بعض كلامه بلا معنى، وهو دليل قابل للنقاش، وليس بمانع ولا هو بدليل صريح، ولو فرضنا بأنّه مانع لما ترجمت الكتب أصلا، وفي هذا يقول الجاحظ "إنَّ التَّرجُمان لا يؤدِّي أبداً ما قال الحكيمُ، على خصائِص معانيه، وحقائق مذاهِبه ودقائق اختصاراته، وخفيَّاتِ حدوده، ولا يقدِر أَنْ يوفيها حقوقها" (١)، ولكننا نرى بأن العلوم قد انتقلت من لغات إلى أخواتها كما من العربية إلى غيرها، والعكس أيضاً، ولولا هذه الحقيقة لما كان لتتابع الحضارات من معنى.

وقد استدل بعضهم بالإشارة للغة القرآن في الكثير من الآيات، كقوله تعالى (بلسان عربي مبين) وهذا من تعظيم لغة القرآن ورفع لشأن لغته، وليس فيه صريح المنع على نقل ألفاظه لغير العربية، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) إبراهيم﴾ ولم تكن كتب السابقين ممنوعة من الترجمة، وإن كانت من عند الله بالاتفاق، وإن قالوا إن تحريم الترجمة من باب تحريم احتمال الاختلاف في معنى الكلام في اللغات الأخرى، أقول: إن هذا الاختلاف حاصل من غير ترجمة، وهو من حكمة رب العالمين، لا مما منع الناس عنه بل "إن وجود الاقتران أو الاشتراك اللفظي هو سبب ضلال الفرق في معرفة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى خاطبنا ووصف نفسه بكلامنا ولغتنا" (٢)، وكما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إخباراً عن علي: "إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله" (٣). وبالرجوع لعلم مقارنة اللغات، عندما نقرأ في أصل اللغات والحروف وما قالوه من محاولات للمقارنة بين اللغات الحالية وأقدم لغة معروفة، وهي السومرية (الحرف المسماري)، نجد أن أصل الحروف مختلف وإن تشابهت بعض الكلمات وألفاظها مع بعض اللغات، مما استدعي أصحاب لغة ما بنسب لغتهم إلى أصل اللغات، حتى لو كان التشابه في كلمة أو كلمتين، فترجمة ونقل الكلمات ممكن وحاصل، كيف لا وقد تتشابه بعض الكلمات مع بعضها في **اللفظ والمعنى**. هذا وإن كان الاختلاف في المعنى المترجم قابل للنقاش والاتفاق، ولكن ترجمة الحروف أو اسم الحرف أمر مستحيل، فالأصل في فهم اللغات المندثرة هو فك رموز اللغة وهي الحروف، بمقارنة محتويات الكلمات منها مع لغة أخرى معاصرة لها، وحروف لغة ما رموز في غيرها، ولولا هذه الحقيقة لما تم فهم اللغات المندثرة مثل السومرية والهيروغليفية، فالاختلاف كائن في الحرف إذ هو أصل اللغة، والتشابه واجب في الكلمات والمعاني، إذ هي مقصد الكلام وغاية اللغة بل هو أساس الكلام. وفي تعريف الكلمة كجزء من أجزاء الكلام قال أهل العربية: "الكلمة قول مفرد مستقل وكذا منوي معه على الصحيح" (٤)، "وأما الحرف فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة" (٥)، والفرق بينهما كما قال أبو عمرو الداني: "إن الكلمة هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، والحرف هو الشبهة وحدها" (٦) لأنه

---

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان ص/٢٤٤

(١) الحيوان للجاحظ، ج١ ص٧٥

(٢) سفر الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية – الأسماء والصفات (الحلقة الثانية)، توقف فهم المعاني المعبر عنها باللفظ على معرفة عينها (سماعاً) من الموقع الرسمي للشيخ سفر الحوالي.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٣/ ٣) وابن أبي شيبة (٤٩٨/ ٧) والبيهقي في الدلائل (٤٣٥/ ٦) وأبو يعلى (٣٤١/ ٢) وابن حبان (٣٨٥/ ١٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٢٣٧/ ١٠) والحاكم في المستدرك (١٣٢/ ٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم٢٤٧٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قال: (فقام أبو بكر وعمر فقال لا ولكن خاصف النعل وعلي يخصف نعله.)

(٤) همع الهوامع للسيوطي ج١ ص١٩، وزاد بعدها "وشرط قوم كونه حرفين"، وهو بهذا الشرط يؤكد استحالة ترجمة الحرف لأنه ليس بكلمة، ولكني لا أقول به لما اختاره المحققون من أهل اللغة بأن الحرف يقوم مقام الكلمة على الصحيح، كما أورد السيوطي بعد هذا الكلام ص٢٢ وقال: "وذهب قوم إلى أن شرط الكلمة أن تكون على حرفين فصاعدا نقله الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ومحصوله قال ورد عليهم بالباء واللام ونحوهما مما هو كلمة وليس على حرفين".

(٥) القرطبي (٦٧/ ١) باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف.

(٦) البيان في عد آي القرآن ص٧٨." (١)

"الوقف، وتفضيل بعضها على بعض مأخوذ من المنقول والمعقول.

فلا ريب أن علم الوقف والابتداء من العلوم التي تفسر بها وجوه المعاني القرآنية؛ إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني فيقف ويبتدئ على حسب ما يقتضيه **المعنى واللفظ**، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني فالنظر في الوقف معين على التدبر.

وإذا قرأ القارئ وابتدأ بما لا يحسن الابتداء به، أو وقف عند كلام لا يفهم إلا بأن يوصل بما بعده، فقد خالف أمر الله تعالى بتدبر القرآن .. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فإن في القرآن الهدى والذكرى والعلم والتزكية والرحمة والنور، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] وقال ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا." (٢)

"التصحيف

: هو تغيير يطرأ على **اللفظ والمعنى**.

وأصله أن يأخذ القارئ اللفظ من قراءته في صحيفة، لا نقلا عن قارئ مشافهة، ولذا قد يصحّف الكلام فيغير المعنى

---

(١) القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور، إياس آل خطاب ص/١٥٦

(٢) فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات، عبد الله الميموني ص/٤

ويحرّف.

قال أحدهم:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة ... يكن عن الزّيغ والتّصحيف في حرم

ومن يكن آخذا للعلم عن صحف ... فعلمه عند أهل العلم كالعدم

أمثلة

: تصحيف كلمة قروء إلى قرون.

تصحيف كلمة النحل إلى النخل.

تصحيف كلمة حزنا إلى حربا.

تصحيف كلمة رحل إلى رجل.

وأكثر ما يعرض هذا التصحيف للطلبة والمبتدئين، وإن كان لا يكاد ينجو منه الكبار على سبيل الخطأ والوهم وسبق اللسان، فإنه قد عرض التصحيف لبعض العلماء والقراء.

مثال

: صلى الكسائي بالرشيد يوما فقرأ في صلاته: وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الأعراف:
١٧٤] فصحفها إلى: (ولعلهم يرجعين).

والتصحيف في القرآن الكريم من أهم الأسباب التي دعت إلى تنقيط المصحف وتشكيله، فقد قرأ الناس في مصحف عثمان غير المنقط نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف مما دعا الحجاج وغيره من أولياء الأمر إلى الأمر بوضع علامات دالة على الحروف المتشابهة.

(ر- النقط).

التطريب

: هو إخلال القارئ بأحكام التلاوة وأصول الأداء مراعيا أصول النغم والتطريب، فيفرط في المدود لإقامة اللحن، ويكثر من الغنن، وبذا يتفلت من قواعد التجويد مراعاة لمقام أو لوزن موسيقي، وهذا معيب غير مشروع.

أما من طرّب في قراءته ونغّم فيها مع تمسكه بأحكام التجويد والأداء فهو محسن غير مسيء. وفي الحديث: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»، و «زيّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا».

التعلق اللفظي

: تعبير مستعمل في أبواب الوقف والابتداء، وهو يعني أن يتعلق المتقدم بالمتأخر من جهة الإعراب وعلاقة الكلم بعضه ببعض وفق ما قرره النحاة.." (١)

"٩٣]، اليمين في الآية، أهي المقابلة لليد الشمال أم هي كناية عن الضرب بقوة لأن العادة جرت أن اليد اليمنى هي الأقوى، أم هي اليمين التي حلفها إبراهيم متوعدا قومه في قوله: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ [الأنبياء: ٥٧].

٢ – خفاء المعنى

: وأمثلته في القرآن كثيرة

: كالغيبيات من نحو أهوال يوم القيامة وعالم الملائكة والروح والبرزخ والجنة والنار. فكل ما سبق ومثله يوقف عند مدلولاته القريبة المتبادرة من النصوص، دون تكلف وتمحل لمعرفة دقائقها وتفصيلاتها.

٣ – خفاء المراد من اللفظ والمعنى معا

: مثال

: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى [البقرة: ١٨٩].

المتشابه اللفظي

: هو تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني، بحيث يكون ثمّ تغاير طفيف بين آية وآية، وفق ما يقتضيه السياق والتعبير.

والمتشابه اللفظي أقسام عدة:

١ – ما يكون بالزيادة والنقص، نحو:

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ [طه: ١٣٢]، فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ [البقرة: ٣٨]، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنعام: ١٦٥]، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [الأعراف: ١٦٧].

٢ – ما يكون بالتقديم والتأخير، نحو:

وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ [البقرة: ٤٨].

وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ [البقرة: ١٢٣].

وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ [البقرة: ٥٨]، وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً [الأنعام: ١٦١].

وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ [المائدة: ٣]، وَما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ [البقرة: ١٧٣].

٣ – ما يكون بالتعريف والتنكير، نحو:

---

(١) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي ص/٩٤

رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً [البقرة:

١٢٦]، رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً [إبراهيم: ٣٥].

٤ – ما يكون بالجمع والإفراد، نحو:

وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً [البقرة: ٨٠]، قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ [آل عمران: ٢٤].

٥ – ما يكون بإبدال حرف بحرف، نحو:." (١)

"أما اختياره لحرف زيد فلأنه اجتمع عليه المهاجرون والأنصار فكان مشهورا مستفيضا وأشار إلى أنه سمّى بحرف زيد؛ لأنه هو الذى رسمه فى المصاحف وتولى إقراءه دون غيره. ونقل الأبيّ فى شرح مسلم عن القاضى عياض مثل ما نقلنا عن أبي شامة فى اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة، ثم نقل الأبيّ عن ابن عرفة المالكى أن الأحرف باقية ومحفوظة مع مرور المئين من السنين.

الوجه الرضى فى الأحرف وكيف اكتملت به العدة سبعة:

الوجه الرضى عندى: أن المقصود بالحرف الوجه من وجوه القراءات، وهو الرأى الثانى الذى ذكره أبو عمرو الدانى. وقد أخفق بعض العلماء فى عدّ هذه الوجوه السبعة كأبى عمرو الدانى. ونجح بعضهم كابن الجزرى فقال: «وذلك أنى تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك: إما فى الحركات بلا تغير فى الصورة والمعنى نحو (البخل) (٣٣) بأربعة (ويحسب) بوجهين (٣٤) أو بتغير فى المعنى فقط نحو فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ، (٣٥) وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (٣٦) وأمه. وإما فى الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو: (تبلو وتتلوا). (٣٧) ونُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ و (ننحيك ببدنك)، (٣٨) أو عكس ذلك نحو (بصطة وبسطة)، و (الصراط والسراط)، أو بتغيرهما نحو: (أشد منكم ومنهم)، (٣٩) و (يأتل ويتأل)، (٤٠) فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ، و (فامضوا (٤١) إلى ذكر الله)، وإما فى التقديم والتأخير نحو: فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (٤٢) (وجاءت سكرة الحق بالموت) (٤٣) أو فى الزيادة والنقصان نحو:

(وأوصى ووصى، والذكر والأنثى). (٤٤) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها. وأما نحو اختلاف الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإمالة، والفتح، والتخفيف، والتسهيل، والإبدال، والنقل، مما يعبر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه **اللفظ والمعنى**؛ لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولئن فرض فيكون من الأول. ثم رأيت الإمام الكبير أبا الفضل الرازى حاول ما ذكرته فقال: إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

---

(١) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي ص/٢٤١

(٣٣) هى ضم فسكون وضمتان، وفتح فسكون وفتحتان، والمتواتر من ذلك أول الأربعة وآخرها.
(٣٤) كسر السين وفتحها، والقراءتان متواترتان.
(٣٥) برفع آدم ونصب كلمات وبالعكس، والقراءتان متواترتان.
(٣٦) بضم الهمزة وتشديد الميم وبعدها تاء تأنيث بمعنى حين، وهى المتواترة، وأمه بفتحات آخره هاء وصلا ووقفا بمعنى النسيان وهو شاذ لا يقرأ به.
(٣٧) أى من قوله تعالى فى سورة يونس: هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ والقراءة باللفظين متواترة.
(٣٨) ننجيك بالجيم وهى المتواترة وننحيك بالحاء وهى شاذة.
(٣٩) فى موضعين من سورة غافر آية ٢١، آية ٨٢ والقراءتان متواترتان.
(٤٠) الأولى بصورة الافتعال من الألو بمعنى التقصير، والثانية بصورة التفعل من الآلية بمعنى الحلف، فيختلف المعنى كما اختلفت الصورة. هذا مراده، ولا يتعين لإمكان أن تكون الصورتان معا بمعنى الحلف فيكونا من تغير الصورة دون المعنى والقراءتان متواترتان.
(٤١) الأولى هى المتواترة، والثانية بالغة الشذوذ، وقد مشى ابن الجزرى هنا على أن السعى يفيد معنى الإسراع، والمضى يفيد السير العادى، ومن ثم اختلف المعنيان على هذا.
(٤٢) بتقديم المبنى للمعلوم على المبنى للمجهول وعكسه، والقراءتان متواترتان.
(٤٣) بالغة الشذوذ، والمتواتر ما فى المصحف.
(٤٤) أى مع وما خلق الذكر والأنثى، والنقصان بالغ الشذوذ.." (١)

"إبدالهم السين تاء. وما نقل عن عثمان أن القرآن نزل بلسان مضر. معارض بحديث أنس أنه نزل بلغة قريش. (٢)
وقد ذكر أبو نصر الفارابى فى كتابه (الألفاظ والحروف) أن أحسن لسان لسان قريش وأجوده وأسهله، وعنها أخذ اللسان العربى من قيس وتميم وأسد، فهؤلاء هم أكثر من أخذ عنهم، وتركت قبائل لمجاورتها الأعاجم وغير العرب، ولم يؤخذ عن حضرى ولا أحد من سكان البرارى. (٣)
والمقصود من هذا البحث: أن القرآن الكريم جاء بأصفى ألفاظ اللغة العربية وأعذبها وأفصحها، مما لا يمكن أن يخدش عربية لغة القرآن، بحيث لا تجد لفظا واحدا فيه إلّا وله أصالة فى العربية، أمّا ما يدعيه البعض من وجود ألفاظ أعجمية فى القرآن، فليس فى القرآن لفظ أعجمى لا يعرفه العربى أو لم يستعمله، وكيف يصحّ خلاف ذلك والقرآن يكذبه عند ما يبين أنه نزل بلسان عربى، وهذا يقتضى أن اسم الشيء ووصفه المخلوع على اسمه معا يجب أن يحمل على جميعه كما هو متبادر، وعليه يكون جميع القرآن عربيا، وقد قال- عزّ وجلّ- فى ردّه على من زعم أن النبىّ يعلمه بشر فقال: لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (٤) وقال عزّ وجلّ:
وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ (٥). فالكلمة إذا كانت عربية ولكنها حوشية مجهولة لم

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/١٢٢

تكن توصف بالفصاحة، فكيف بالكلام الأعجمى مجهول **اللفظ والمعنى**، ولو كان فى القرآن أعجمى لبادر العرب بإنكاره على القرآن. فمن ينفى وجود الأعجمى فى القرآن إنما يقصد الذى لا تعرفه العرب ولا تستعمله، ومن قال بوجوده فهو يقصد الذى عرفه العرب واستعملوه حتى لان وانقاد للسانهم، وهكذا يكون الخلاف بين الفريقين لفظيا؛ لأنه توارد على محلين لا محل واحد.

وعلى هذا التحرير يحمل ما نقله الزركشى عن جمهور العلماء، من عدم وجود غير العربى فى القرآن، ومنهم: أبو عبيدة والطبرى والقاضى أبو بكر بن الطيب فى «التقريب» وابن فارس اللغوى والشافعى فى «الرسالة»، ونقل عن الشافعى ردّه على القائلين بوقوع الأعجمى فى القرآن. (٦) وحكى عن ابن فارس عن أبى عبيدة أنه أنكر قول القائلين بوقوع غير العربى فى القرآن؛ لأنه لو كان واقعا لتوهم متوهم أن العرب عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه يشتمل على غير لغاتهم؛ ولذا أبطل القراءة بالفارسية فى الصلاة لعدم

---

(٢) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، ج ١، ص ٢١٩ فما بعدها.

(٣) البيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن عن طريق الإتقان، للشيخ طاهر الجزائرى، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ٨٤ وما بعدها.

(٤) سورة النحل آية (١٠٣).

(٥) سورة فصلت آية (٤٤).

(٦) الرسالة (ص ٤٠)، تحقيق أ. أحمد محمد شاكر، ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٤٠ م.." [١]

"عام القرآن وخاصه

العامّ والخاصّ: اسم فاعل من العموم والخصوص ولا خلاف فى كونهما من عوارض الألفاظ، ولكن الخلاف فى كونهما من عوارض المعنى، وتحقيق العلامة الشربينى يجعل الخلاف بين الفريقين خلافا لفظيا أو يكاد، وذلك بأنّ العموم يقصد به التناول تارة، وبهذا يكون من عوارض الألفاظ فقط، وتارة يقع بمعنى الشمول، فيتصف به **اللفظ والمعنى**. فمن قال: العموم ليس من عوارض المعانى صحّ، إذا كان العموم بمعنى التناول أى: إفادة اللفظ للشيء، ومن قال: العموم من عوارضها صحّ، إذا كان بمعنى الشمول.

وحيث كان الخصوص قسيما للعموم، فما قيل فى العموم يقال فى الخصوص، بمعنى أن الخصوص يكون من عوارض الألفاظ فقط عند ما يكون معنى الخصوص التناول، ويكون من عوارض المعانى أيضا الجزئية مقابل الكلية. ولّما كان هناك اتفاق بين العلماء على أن العموم والخصوص من عوارض الألفاظ اتجهوا فى تعريفاتهم للعام والخاص إلى هذا الاتجاه، فعرّف ابن السبكى العام بأنه: (لفظ يستغرق الصالح له بغير حصر) فقولهم (لفظ) أخرج الألفاظ المتعددة الدالة على معان متعددة بتعددها. وقولهم:

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/١٣١

(يستغرق) أى يتناول جميع أفراده دفعة واحدة، فهو قيد أول أخرج ما لا يستغرق كالنكرة فى سياق الإثبات واسم العدد؛ لأنه يتناول أفراده بالبدلية لا الاستغراق. وقولهم:

(الصالح له) قيد لبيان الماهية؛ لأنه ليس هناك لفظ يستغرق غير الصالح له ليحترز عنه. وقولهم (من غير حصر) قيد ثان يخرج اسم العدد؛ لأنه يتناول بحصر كعشرة ومائة، والنكرة المثناة فى الإثبات وكذلك المجموعة.

فكل ما خرج بالقيدين فهو من الخاص بحيث يمكن صياغة تعريف الخاص بأنه: (اللفظ الذى لا يستغرق ما يصلح له أو يستغرقه مع الحصر)، وبه يفهم معنى قولهم التخصيص هو «قصر العام على بعض أفراده».

وقد تكلم الأصوليون كلاما طويلا فى هذا الباب؛ ولذا سنهتم بما يناسب بحثنا فى علوم القرآن، وسنعتمد على ما قدمه السيوطى فى كتابه «الإتقان» مع التعليق على ما يستحق ذلك.." (١)

"ومجمله، بل تجاوزوا حدهم حينما رأيناهم أحيانا يصرفون المعنى المتبادر من ظاهر النص القرآنى، ليوافق ما جاء فى التوراة.

٦ - عدم الخوض فيما استأثر الله- تعالى- بعلمه، وعدم التكلف- غالبا- فى تعيين مبهمات القرآن، حتى يظل للإسلام نبعه الصافى بعيدا عن الظنون والتخيلات.

٧ - سهولة العبارة وبلاغتها، وعدم استخدام مصطلحات العلوم والفنون، إلا بقدر الضرورة، لأن الزج بتلك المصطلحات يصرف الناس عن تدبر القرآن، والعمل به.

أما عن عيوب هذا الاتجاه فيأتى على رأسها ما يلى:

١ - الحرية المطلقة للعقل فى فهم النصوص الشرعية، فلئن قال الزمخشرى المعتزلى قديما: «امش فى دينك تحت راية السلطان- أى العقل- ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان». (٩٠) فإن عميد هذا الاتجاه وهو الشيخ محمد عبده حيث يقول عن العقل:

«ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه». (٩١)

ويقول أيضا: «إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل». (٩٢)

بل إن الشيخ عبد العزيز جاويش أحد أتباع هذا الاتجاه يقول: «إن من الممكن أن تصل العقول البشرية بالبحث والتنقيب والتجارب إلى ما تصبو إليه النفس الإنسانية من مراتب الكمال فى الأحكام والتصورات، والنظم الاجتماعية، والمسائل العلمية، والآداب الخلقية». (٩٣)

لقد نسى هؤلاء أو تناسوا أنه لا تعارض على الإطلاق بين الدين والعقل، أو بين الدين والعلم، وإذا كان العقل يستطيع أن يصل إلى قمة التشريع فى كل نواحى الحياة فلماذا أرسل الله الرسل؟ ولماذا قال تعالى:

وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: ١٥]؟

٢ - ونتيجة لهذا الخطأ القاتل وجدناهم يقعون فى خطأ آخر وهو: صرف النصوص الشرعية عن ظواهرها لتتفق مع عقولهم

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/١٥٠

القاصرة، بما أدى بهم فى النهاية إلى إنكار أشياء ثابتة بالشرع ثبوتا حقيقيا، ومتواترة **باللفظ والمعنى** من جيل إلى جيل، وتذرعوا فى ذلك بالتمثيل والتخييل، فأنكروا الملائكة، والجن، والسحر، والمعجزات الحسية.

٣ – ومن عيوب هذا الاتجاه أيضا: رد الأحاديث الصحيحة، التى تتعارض مع مبادئهم، بزعم أنها أحاديث آحاد، أو باحتمال

---

(٩٠) أطواق الذهب للزمخشرى: ١١٠، ط./ دار الفضيلة.

(٩١) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده: ٥١، طبعة/ محمد صبيح.

(٩٢) المصدر السابق: ٥٢، ٥٣.

(٩٣) الإسلام دين الفطرة والحرية، لعبد العزيز جاويش ١٣٧، ط./ دار المعارف.." [١]

"جواز اجتماعهما فى شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد، مثل: قراءة عَلِمْتَ بضم التاء للمتكلم، وقراءتها بفتحها للمخاطب، فاللفظ مختلف، والمعنى مختلف. ولا تناقض، فإن المتكلم يعلم، والمخاطب يعلم. وبيان ذلك أن قوله تعالى:

قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ (الإسراء: ١٠٢) على القراءة بفتح التاء يعنى أن الله تعالى لما آتى موسى – عليه السلام – تسع آيات بينات، وهى اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، ومع ذلك أصر فرعون على الكفر، قال له موسى: لقد علمت يا فرعون أن هذه الآيات ما أنزلها إلا الله تعالى للعبرة، ولكنك تعاند. ففرعون هو الذى أضيف إليه العلم فى هذه القراءة.

والمعنى على القراءة بالضم أن موسى – عليه السلام – هو الذى أضيف إليه العلم، أضافه موسى إلى نفسه، وأخبر بعلمه بذلك، يعنى أن العالم بذلك ليس مسحورا أى مجنونا أو مخدوعا أو مغلوبا على عقله، فاختلفت القراءتان فى اللفظ وفى المعنى، ولم يمكن اجتماعهما فى شيء واحد، ومع ذلك لم يتضادا، لأنهما اجتمعا من وجه، وهو حصول العلم بالغرض من الآيات لكل من موسى عليه السلام، وفرعون – لعنه الله.

– وعلى هذا فليس فى شيء من القراءات تناف، ولا تضاد، ولا تناقض (٨١).

– وقد ينظر فى تنويع اختلاف القراءات – مع النظر إلى **اللفظ والمعنى** – إلى صورة الخط، والإثبات وعدمه، والتقديم والتأخير، فيخرج الناظر بهذه الطريقة بأنواع سبعة، وهى:

– الاختلاف فى الحركات، بلا تغير فى المعنى والصورة، مثل يَحْسَبُ (سورة الهمزة: ٣ – وجميع النظائر) بفتح السين وكسرها.

– الاختلاف فى الحركات، مع التغير فى المعنى، وعدم التغير فى الصورة، مثل فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ (البقرة: ٣٧) بضم ميم (آدم) وكسر تاء (كلمات)، وبفتح الميم، وضم التاء.

– الاختلاف فى الحروف مع التغير فى المعنى لا الصورة، مثل تَبْلُوا (يونس: ٣٠)، وتتلوا.

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/٢٨٧

- الاختلاف فى الحروف والتغير فى الصورة دون المعنى، مثل الصِّراطَ (الفاتحة: ٦)، و (السراط) (وإن كانت صورة

---

(٨١) انظر النشر ١/ ٤٩ - ٥١ وتفسير الجلالين مثلا ١/ ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٢ هـ.." [١]

"ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه.

فالمتشابه فى الجملة ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما.

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو «الأبّ» وهو نبات ترعاه الإبل و «يزفون» يسرعون.

وإما من جهة مشاركة فى اللفظ كاليد والعين. (فإن اليد تطلق على العضو، وعلى القدرة، وعلى النعمة، والعين، تطلق على عضو الإبصار والجاسوس، والذهب والفضة، وعين الماء وغير ذلك).

والثانى: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ (النساء: ٣). فإن المراد باليتامى فى الآية: اليتيمات، فلما جاء اللفظ عاما أشكل على بعض الصحابة ارتباط الشرط بالجواب؛ فأخبرتهم عائشة رضى الله عنها بأن المراد به ما ذكرنا.

وضرب لبسط الكلام نحو: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى: ١١).

لأنه لو قيل؛ ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع، لكن فى هذا التعبير معنى بلاغى لا يخفى على علماء التفسير، وهو نفى مثل المثل.

وضرب لنظم الكلام، نحو: أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً (الكهف: ١).

تقديره: الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا.

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة؛ فإن تلك الصفات لا تتصوّر لنا؛ إذ كان لا يحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

والتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعا خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمّية، كالعموم والخصوص نحو: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ.

والثانى: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ.

والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ (آل عمران: ١٠٢) فإنه منسوخ على ما قيل:." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/٣٢١

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين ص/٥٨٠

"فإذا تجلّت لك هذه الحقيقة، فلتعلم أن الإعجاز البلاغي في القرآن، ليس شيئا أكثر من كونه متحررا عن هاتين الظاهرتين اللتين يتجسد فيهما عجز الإنسان.

اقرأ ما شئت من سور القرآن وآياته، تجد أن كلّا من جانبي **اللفظ والمعنى** فيه متوافقان متطابقان أتمّ ما يكون الوفاق والتطابق. لا تشعر أن حرفا واحدا يفيض في جانب اللفظ عن المعنى ولا تشعر أن أيّ جانب في المعنى- مهما دقّ ولطف- قد تقاصر اللفظ أو التعبير عن الدلالة عليه.

فهذا هو مصدر الإعجاز البلاغي في كتاب الله تعالى.

ولكن ما الدليل على أن القرآن قد تسامى على هاتين الظاهرتين اللتين يتجسد فيهما عجز الإنسان لدى محاولة تعبيره عن المعاني والأفكار؟

يتجلى الدليل على ذلك من خلال شرح (ولو يسير) لمظاهر الإعجاز البلاغي، وهذا ما سنبدأ به الآن:

المظهر الأول (الكلمة القرآنية):

إن للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام الناس وتعابيرهم مهما سمت في مدارج البلاغة والبيان.

فهي أولا: تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وخصائصه.

ولا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية التي تعاني من العجز الذي أوضحناه.

وهي ثانيا: تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد.

فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسدّ مسدّها ولم يغن غناءها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها (١).

---

(١) إنما يتجلى الإعجاز في الكلمة القرآنية، عند ما تكون مستقرة في مكانها من الجملة القرآنية فلا ينطبق شيء مما سنقوله في هذا الصدد على الكلمات القرآنية إذا التقطتها خارج منازلها القرآنية كقواميس اللغة أو كلام الناس مثلا.." [١]

"بصورة ذلك وينبههما إلى ما فيه من حركة وحياة.

وكلام القرآن، لا يعثر على هذا السبيل في الخطاب اتفاقا؛ أو بأن يتهيأ له سبيل إلى تشبيه أو استعارة أو مجاز، حتى إذا تجاوز ذلك عاد إلى النسق المألوف والكلام المعتاد. بل هو في القرآن نسق مطّرد، وطريقة متبعة، وسبيل عرفت به وعرف بها؛ سواء كان يأمر وينهى، أو يخبر ويقصّ، أو يعلّم ويشرّع، أو يتحدث عن غيب أو يحذر من عذاب.

وسرّ العجب والإعجاز في ذلك، كلّ من حقيقتين اثنتين:

الأولى: أن المعاني، في حقيقتها، ليست إلا مجردات اعتبارية، يهضمها ويدركها العقل وحده. فتحوّلها إلى صورة مما تألفه العين ويدركه الشعور والخيال، مما لا يقدر عليه الإنسان إلا في حدود ضيقة وبالنسبة لمعان معينة.

الثانية: أن الألفاظ، ليست إلا حروفا صوتية جامدة، فتحولها إلى ريشة تنبع من رأسها الأصباغ والألوان المختلفة المطلوبة

---

(١) من روائع القرآن، رمضان البوطي ص/١٣٩

لتحيل المعنى إلى صورة في لوحة يتأملها الخيال، بل تكاد أن تدركها العين قبل أن يستوعبها العقل– أمر لا يقوى عليه شيء مما نسمّيه المجاز أو البلاغة والبيان.

ومع ذلك فإن لكلّ من **المعنى واللفظ** في القرآن شأنا آخر! ...

فليست المعاني في القرآن مجردات اعتبارية لا يدركها إلا العقل، وإنما هي صورة حيّة تمرّ بخيال القارئ، ويلمسها إحساسه، وتكاد أن تراها عينه.

وليست الألفاظ في القرآن تلك الحروف التي لا تدل إلّا على المعنى، بل هي ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان.

وآية هذا الذي نقول– قبل أن نعرض للدليل التطبيقي– أن تتذكر انطباعاتك النفسية والشعورية تجاه القرآن عند ما كنت تتلوه أو تنصت إليه في زمان طفولتك (إن كنت ممّن أتيح لهم أن يمارسوا تلاوة القرآن في عهد الطفولة)؛ فستتذكر أنه قد كانت لخيالك جولة كبرى ونشاط غريب في آفاق واسعة بعيدة أثناء تلاوته أو الإنصات إليه؛ وستردّك ذاكرتك إلى صور وأشكال وأخيلة غريبة منطبعة في خلدك، كلما قرأت شيئا من آياته.." (١)

"فإن أكثر تعليقاته حول موضوع الإعجاز في تفسيره، يكاد لا يخرج عن سلك الملاحظات الذوقية الجمالية الخاصة، التي يضمها باب واسع يدعى الفصاحة!

ب) رد الحاكم فكرة النظم التي قال بعضهم إن القرآن معجز بها، وقد وجدنا أبا مسلم الأصفهاني والماوردي يذهبان اليها، وقد جعلها أبو مسلم أحد وجهين دالين على إعجاز القرآن، وسلكها الماوردي ضمن ثمانية وجوه!! قال أبو مسلم: «أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى**، فإن ألفاظه ألفاظهم قال تعالى: (لِساناً عَرَبِيًّا) (بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)»، ثم بعد أن استعرض أنواع الكلام المنظوم والمنثور، والسجع والشعر، والخطابة والكتابة والرسائل؛ قال: «والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها ... » «١».

وقال الماوردي: «والثالث– من وجوه الإعجاز– أن إعجازه هو الوصف الذي نقض به العادة حتى صار خارجا عن جنس كلام العرب في النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع والمزدوج، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها، مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، مستعملة في نظمهم ونثرهم» «٢».

وواضح من هذين النصين أن القرآن معجز بسبقه إلى أسلوب– نظم– جديد لم تعهده العرب، قال الحاكم: «ومن قال: الإعجاز في النظم

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، ورقة ٢ – ٣ مخطوط.

(٢) النكت والعيون في تفسير القرآن للماوردي، ورقة ٤ مخطوط.." (٢)

---

(١) من روائع القرآن، رمضان البوطي ص/١٦٩

(٢) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان زرزور ص/٤٤٤

"آثار القرن الثاني، وذلك هام بالنسبة لدراسة نشأة تفسير القرآن، خاصة وأن الكتاب معزز بوجود كتاب التفسير لابن سلام ذاته، فبطل بذلك قول من جعل كتاب الطبري أقدم أثر وصلنا في تفسير القرآن كاملا.
وما دام ابن سلام قد تأخر في التاريخ عن مقاتل إذ توفي ابن سلام سنة (٢٠٠/٨١٥) وتوفي مقاتل سنة (١٥٠/٧٦٧) فإن اتفاق كتابه مع أغلب كتاب مقاتل طريق لتوثيقه. فنبعد بذلك عن مقاتل ما رمي به من الكذب، في هذا الكتاب على الأقل، ونزيد اطمئنانا لما ورد في كتاب التصاريف، وبالتالي لكل ما وصلنا من كتب ابن سلام.
أما من الناحية الفنية فإن كتاب التصاريف هام، لأنه طرق موضوعا من أقدم المواضيع التي وقع تناول النص القرآني بها.
والغريب ان ابن النديم لم يخصص فقرة للحديث عن كتب الوجوه والنظائر، وقد أشار إلى عدة تآليف تتعلق بمواضيع قرآنية مختلفة كلغات القرآن، وغريب القرآن والتفسير الخ ...
وقد ذكرنا قبل حين بأهمية موضوع هذا العلم فيما يتعلق بدراسة القرآن، دراسة لغوية من جهة، إذ هو يعمد إلى شرح الكلمات شرحا لغويا، ودراسة معجمية من جهة أخرى إذ هو يعمد إلى تجميع الآيات النظائر يعني المتفقة في **اللفظ والمعنى**. فهو خطوة أولى لوضع المعاجم تتطلب من صاحبها يقظة ذهن ومعرفة دقيقة بالقرآن وباللغة معا.
ومما يدل على أهمية كتب هذا الفن أنه قد استمر وجودها ولم يقض عليها ظهور المعاجم اللغوية. والسبب في ذلك أنه رغم اتفاق المعاجم اللغوية مع كتب الوجوه والنظائر في أغلب المعاني الموجودة فيها، فإن هذه الكتب طغت عليها الصبغة القرآنية. فربما وجدنا فيها معاني لا تتعرض إليها كتب اللغة، لأنها قرآنية محضة. نذكر على سبيل المثال تفسير كلمة: "الناس" التي جعل لها ابن سلام أحد عشر وجها، لم يذكر منها ابن منظور سوى وجه واحد. وكذلك كلمة "المشي".
وربما كان هذا هو الذي أكسب كتب الوجوه والنظائر خصوصيتها، وإن شئت قلت: انعزاليتها، إذ لم نعثر في كتب التفسير أو في غيرها من كتب الدراسات." (١)

"وقوله: إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (٥٠) إن شئت جعلت (ماذا) استفهاما محضا على جهة التعجب كقوله: ويلهم ماذا أرادوا باستعجال العذاب؟! وإن شئت عظمت أمر العذاب فقلت: بماذا استعجلوا! وموضعه رفع إذا جعلت الهاء راجعة عليه، وإن جعلت الهاء في (منه) للعذاب وجعلته «١» في موضع نصب أوقعت عليه الاستعجال.
وقوله: آلآن وقد كنتم به تستعجلون (٥١) (الآن) حرف بني على الألف واللام لم تخلع «٢» منه، وترك على مذهب الصفة لأنه صفة في **المعنى واللفظ** كما رأيتهم فعلوا فى (الذي) و (الذين) فتركوهما على مذهب الأداة، والألف واللام لهما غير مفارقتين. ومثله قول الشاعر:
فإن الألاء يعلمونك منهم ... كعلمي مظنوك ما دمت أشعرا «٣»
فأدخل الألف واللام على (ألاء) ثم تركها مخفوضة في موضع النصب كما كانت قبل أن تدخلها الألف واللام. ومثله قوله:
وأني حبست اليوم والامس قبله ... ببابك حتى كادت الشمس تغرب «٤»

---

(١) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه يحيى بن سلام ص/٦٥

(١) حذف جواب (إن) على عادته، أي لجاز. وقد يكون الجواب: «أوقعت» . وربما كان الأصل «جعلته» دون واو، وهو الجواب. وقوله: «أوقعت» تفسير وتعليل له.

(٢) فى اللسان (أين) : «يخلعا» . [.....]

(٣) «كعلمى» فى ا: «كعلم» .

(٤) من قصيدة لنصيب يخاطب فيها عبد العزيز بن مروان وكان وفد عليه فى مصر فحجب عنه. وقبله:

ألا هل أتى الصقر ابن مروان أننى ... أرد لدى الأبواب عنه وأحجب

وقوله: «وأنى حبست اليوم» فالأقرب فتح «أن» عطفا على «أننى» فى البيت قبله. ويصح الرفع على الاستئناف.." [1]

"جاءت ممدودة مفتوحة الأول، وهي في معنى غير.

قال ذو الرمة «١» :

وما تجافى الغيث عنه فما به ... سواء الحمام الحضن الخضر حاضر

يريد غير الحمام.

وسواء- مفتوحة الأول ممدود- بمعنى: وسط. قال: فاطلع فرآه في سواء الجحيم (٥٥) [الصافات: ٥٥] ، أي في وسطه.

وقد جاءت أيضا بمعنى: وسط، مكسورة الأول مقصورة، قال الله تعالى: مكانا سوى [طه: ٥٨] ، أي وسطا.

أيان

أيان: بمعنى متى، ومتى بمعنى: أي حين.

ونرى أصلها: أي أوان، فحذفت الهمزة والواو، وجعل الحرفان واحدا، قال الله تعالى: أيان يبعثون؟ [النحل: ٢١] ، أي متى يبعثون؟ وأيان يوم القيامة [القيامة: ٦] .

الآن

الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حد الزمانين: حد الماضي من آخره، وحد الزمان المستقبل من أوله.

قال الفراء: «هو حرف بني على الألف واللام، ولم يخلعا منه، وترك على مذهب الصفة، لأنه في **المعنى واللفظ**، كما رأيتهم فعلوا بالذي، فتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقة.

وأرى أصله: أوان، حذفت منه الألف، وغيرت واوه إلى الألف، كما قالوا في الراح: الرياح. وأنشد «٢» :

---

(١) يروى البيت بلفظ:

---

(١) معاني القرآن للفراء الفراء، يحيى بن زياد ١/٤٦٧

وماء تجافى الغيث عنه فما به ... سواء الصدى والحضن الورق حاضر

والبيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ١٠٢٩، ورواية عجز البيت فيه كما ذكرها المؤلف، وتاج العروس (ورق) . [.....]

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ٣٧٦، ولسان العرب (ريح) ، (فلل) ، وديوان الأدب ٣/ ٣٦٨، وتاج العروس (سلف) ، وبلا نسبة في لسان العرب (أين) ، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٤٧، والمخصص ١١/ ٧٤، وتاج العروس (روح) .." [1]

"[سورة الفاتحة (١) : آية ٢]

الحمد لله رب العالمين (٢)

الحمد لله رفع بالابتداء على قول البصريين «١» ، وقال الكسائي «٢» : «الحمد» رفع بالضمير الذي في الصفة، والصفة اللام، جعل اللام بمنزلة الفعل. وقال الفراء «٣» :

«الحمد» رفع بالمحل وهو اللام. جعل اللام بمنزلة الاسم، لأنها لا تقوم بنفسها والكسائي يسمي حروف الخفض صفات، والفراء يسميها محال، والبصريون يسمونها ظروفا. وقرأ ابن عيينة ورؤبة بن العجاج «٤» الحمد لله على المصدر وهي لغة قيس والحارث بن سامة. والرفع أجود من جهة **اللفظ والمعنى**، فأما اللفظ: فلأنه اسم معرفة خبرت عنه، وأما المعنى: فإنك إذا رفعت أخبرت أن حمدك وحمد غيرك لله جل وعز، وإذا نصبت لم يعد حمد نفسك وحكى الفراء: الحمد لله والحمد لله «٥» .

قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان «٦» يقول: لا يجوز من هذين شيء عند البصريين. قال أبو جعفر: وهاتان لغتان معروفتان وقراءتان موجودتان في كل واحدة منهما علة، روى إسماعيل بن عياش «٧» عن زريق عن الحسن «٨» أنه قرأ

---

(١) انظر الإنصاف مسألة (٥) ، والبحر المحيط ١/ ١٣١.

(٢) انظر الإنصاف مسألة (٦) . [.....]

(٣) انظر الإنصاف مسألة (٦) .

(٤) رؤبة بن العجاج التميمي الراجز من أعراب البصرة وكان رأسا في اللغة (ت ١٤٥ هـ) ، ترجمته في (السير ٦/ ١٦٢، ولسان الميزان ٢/ ٢٦٤، ومعجم الأدباء ١١/ ١٤٩) .

(٥) انظر معاني الفراء ١/ ٣.

(٦) علي بن سليمان الأخفش الصغير، أبو الحسن، سمع ثعلبا، والمبرد (ت ٢١٥ هـ) وهو من شيوخ النحاس. ترجمته في طبقات الزبيدي ١٢٥.

(٧) إسماعيل بن عياش: أبو عتبة العنسي الحمصي، روى عن شرحبيل بن مسلم ومحمد بن زياد (ت ١٨٢ هـ) ترجمته في

---

(١) تأويل مشكل القرآن الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٢٧٩

تذكرة الحفاظ ٢٥٣.

(٨) الحسن، أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، إمام أهل البصرة، قرأ على حطان ابن عبد الله الرقاشي وعلى أبي العالية. (ت ١١٠ هـ) . ترجمته في غاية النهاية ١/ ٢٣٥.." [(١)]

"طائركم معكم [يس: ١٩] أي لازم لكم ما كان من خير أو شر لازم لكم وفي رقابكم.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٤٨]

وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون (٤٨)

وكان في المدينة تسعة رهط اسم للجمع، وجمعه أرهط، وجمع الجمع أراهط.

يفسدون في الأرض ولا يصلحون قال الضحاك: كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة، وكانوا يفسدون ويأمرون بالفساد فجلسوا تحت صخرة عظيمة على نهر فقلبها الله جل وعز عليهم فقتلهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٤٩]

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون (٤٩)

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله وهذا، من أحسن ما قرئ به هذا الحرف لأنه يدخل فيه المخاطبون في **اللفظ والمعنى**. وإذا قرأ لتبيننه «١» لم يدخل فيه المخاطبون في اللفظ ودخلوا في المعنى، وقراءة مجاهد ليبيتنه بالياء. قال أبو إسحاق: لنبيتنه أي قالوا لنبيتنه متقاسمين، أي متحالفين ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله «٢» «مهلك» بمعنى إهلاك، ويكون بمعنى الظرف وعن عاصم ما شهدنا مهتل بمعنى هلاك وعنه مهلك «٣» وهو اسم موضع الهلاك كما تقول: مجلس.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٥٠]

ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون (٥٠)

ومكروا مكرا إنما عملوه. ومكرنا مكرا جازيناهم على ذلك، وقيل المكر من الله الإتيان بالعقوبة المستحقة من حيث لا يدري العبد.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٥١]

فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين (٥١)

فانظر كيف كان عاقبة مكرهم وقرأ الكوفيون والحسن وابن أبي إسحاق وهي قراءة الكسائي أنا دمرناهم بفتح الهمزة، وزعم الفراء «٤» أن فتحهما من جهتين: إحداهما أن تردها على كيف. قال أبو جعفر: وهذا لا يحصل لأن كيف للاستفهام و «أنا» غير داخل في الاستفهام، والجهة الأخرى عنده أن تكر عليها «كان» كأنك قلت: كان عاقبة أمرهم تدميرهم. قال

---

(١) إعراب القرآن للنحاس أبو جعفر النحاس ١٧/١

أبو جعفر: وهذا متعسف، وفي فتحها

---

(١) انظر القراءات المختلفة في تيسير الداني ١٣٦، والبحر المحيط ٧/ ٨٠. [.....]

(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٠، وتيسير الداني ١٣٦، وكتاب السبعة لابن مجاهد ٤٨٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٨٠، وتيسير الداني ١٣٦، وكتاب السبعة لابن مجاهد ٤٨٣.

(٤) انظر معاني الفراء ٢/ ٢٩٦.." [(١)]

"جعله اسما للقبيلة، وهو اختيار أبي عبيد واستدل على أنه اسم قبيلة أن بعده في مسكنهم ولو كان كما كان لكان في مساكنها. آية اسم كان أي علامة دالة على قدرة الله جل وعز وانعامه على عباده أنه جعل لأهل سبأ جنتين عن يمين وشمال ومما اجتمع من مطر بين جبلين في وجهه مسناة قال يحيى بن سليمان الجعفي: المسناة هي التي يسميها أهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها إذا شاؤوا فإذا رويت جنتهم سدوها جنتان بدل من الآية ويجوز أن يكون مرفوعا على إضمار مبتدأ، ويجوز أن تنصب «آية» على أنها خبر كان، ويجوز أن تنصب جنتين على الخبر أيضا في غير القرآن.

والتقدير: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم واشكروا له. قال الفراء: تم الكلام. بلدة بالرفع على إضمار مبتدأ أي هذه بلدة ورب على إضمار مبتدأ أيضا. غفور من نعته. فأما في مساكنهم «١» فهي قراءة الحسن وأبي رجاء وأبي جعفر وشيبة ونافع وعاصم وأبي عمرو. وقرأ إبراهيم النخعي وحمزة في مسكنهم وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي في مسكنهم «٢» بكسر الكاف. قال أبو جعفر: «مساكن» في هذا أبين لأنه يجمع **اللفظ والمعنى** فإذا قلت: مسكنهم كان فيه تقديران: أحدهما أن يكون واحدا يؤدي عن جميع، والآخر أن يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع، كما قال جل وعز ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم [البقرة: ٧] فجاء السمع مفردا، وكذا في مقعد صدق [القمر: ٥٥] ومن قال: مسكن بكسر الكاف جعله مثل مسجد، وهو خارج عن القياس لا يوجد مثله إلا سماعا.

[سورة سبإ (٣٤) : آية ١٦]

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦)

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم قال عمرو بن شرحبيل: «العرم» المسناة، وقال محمد بن يزيد: العرم كل حاجز بين شيئين، وهو الذي يسمى السكر وهو جمع عرمة وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وقرأ أبو عمرو ذواتي أكل خمط «٣» بغير تنوين مضافا. قال أهل التفسير والخليل رحمه الله: «الخمط» : الأراك وقال محمد بن يزيد: الخمط: كل ما تغير إلى ما لا يشتهى واللبن خمط إذا حمض. والأولى عنده في القراءة ذواتي أكل خمط بالتنوين على أنه نعت لأكل أو بدل منه لأن الأكل هو الخمط بعينه عنده فأما الإضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكل حموضة أو أكل مرارة وشيء من سدر قليل قال الفراء: هو السمر.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس أبو جعفر النحاس ١٤٧/٣

(١) انظر تيسير الداني ١٤٦، وكتاب السبعة لابن مجاهد ٥٢٨، ومعاني الفراء ٢/ ٣٥٧. [.....]

(٢) انظر تيسير الداني ١٤٦، وكتاب السبعة لابن مجاهد ٥٢٨، ومعاني الفراء ٢/ ٣٥٧.

(٣) انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٢٨، وتيسير الداني ١٤٦.." (١)

"قال أبو جعفر الأولى سيئة في **اللفظ والمعنى** والثانية سيئة في اللفظ وليست في المعنى سيئة ولا الذي عملها مسئ وسميت سيئة لازدواج الكلام ليعلم إنها جزاء على الأولى ٣٨ - وقوله جل وعز (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (آية ٤١) قال قتادة هذا في القصاص فأما من ظلمك فلا يحل لك أن تظلمه قال الحسن (ولمن انتصر بعد ظلمه) هذا إذا لم يكن ظلمه لا يصلح أي هذا فيما أباح الله الانتصار منه." (٢)

"علينا المخالف في تجويزنا تحريمة الصلاة بلفظ التعظيم والتسبيح، وفي تجويز القراءة بالفارسية على مذهب أبي حنيفة، وفي تجويز النكاح بلفظ الهبة، والبيع بلفظ التمليك، وما جرى مجرى ذلك وهذا لا يلزمنا فيما ذكرنا لأن قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ إنما هو في القوم الذين قيل لهم: ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ يعني حط عنا ذنوبنا قال الحسن وقتادة: قال ابن عباس: أمروا أن يستغفروا. وروي عنه أيضا أنهم أمروا أن يقولوا: هذا الأمر حق، كما قيل لكم وقال عكرمة: أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا بدل هذا حنطة حمراء تجاهلا واستهزاء وروي عن ابن عباس وغيره من الصحابة وعن الحسن: إنما استحقوا الذم لتبديلهم القول إلى لفظ في ضد المعنى الذي أمروا به؛ إذ كانوا مأمورين بالاستغفار والتوبة فصاروا إلى الإصرار والاستهزاء. فأما من غير اللفظ مع اتفاق المعنى فلم تتناوله الآية؛ إذ كانت الآية إنما تضمنت الحكاية عن فعل قوم غيروا **اللفظ والمعنى** جميعا فألحق بهم الذم بهذا القول وإنما يشاركهم في الذم من يشاركهم في الفعل مثلا بمثل، فأما من غير اللفظ وأتى بالمعنى فلم تتضمنه الآية، وإنما نظير فعل القوم إجازة من يجيز المتعة مع قوله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ [المعارج: ٣٠] ، فقصر استباحة البضع على هذين الوجهين، فمن استباحه بلفظ المتعة مع مخالفة النكاح وملك اليمين من جهة **اللفظ والمعنى** فهذا الذي يجوز أن يلحقه الذم بحكم الآية.

وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا﴾ إلى قوله: ﴿وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها﴾ إلى آخر الآية، قال أبو بكر: في هذه الآيات وما اشتملت عليه من قصة المقتول وذبح البقرة ضروب من الأحكام والدلائل على المعاني الشريفة: فأولها: أن قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا﴾ وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة؛ لأن الأمر بذبح البقرة إنما كان سببه قتل النفس وقد قيل فيه وجهان: أحدهما: أن ذكر القتل وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في النزول، والآخر: أن ترتيب نزولها على حسب ترتيب تلاوتها ونظامها وإن كان مقدما في المعنى لأن الواو لا توجب الترتيب، كقول القائل: "اذكر؛ إذ أعطيت ألف درهم زيدا؛ إذ بنى داري" والبناء مقدم على العطية والدليل على أن ذكر البقرة مقدم في النزول قوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه

(١) إعراب القرآن للنحاس أبو جعفر النحاس ٢٣٢/٣

(٢) معاني القرآن للنحاس أبو جعفر النحاس ٣٢٢/٦

ببعضها﴾ . فدل على أن البقرة قد ذكرت قبل ذلك ولذلك أضمرت ونظير ذلك قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام بعد ذكر الطوفان وانقضائه: ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ [هود: ٤٠] . ومعلوم أن ذلك كان قبل هلاكهم؛ لأن تقديم الكلام وتأخيره إذا كان بعضه معطوفا على." [(١)]

". . . . .

(١) قال ابن زنجلة:

أمن لا يهدي إلا أن يهدى ٣٥

قرأ نافع أمن لا يهدي بإسكان الهاء وتشديد الدال الأصل يهتدي فأدغمت التاء في الدال وتركت الهاء ساكنة كما كانت

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وورش أمن لا يهدي بفتح التاء والهاء وتشديد الدال والأصل يهتدي فأدغموا التاء في الدال وطرحوا فتحتها على الهاء واحتجوا بقراءة عبد الله أمن

لا يهتدي وكان ابن عباس يقول إن محمد صلى الله عليه دعا قومه إلى دين الله وأرشدهم إلى طاعته فعصوه وهو أحق أن يتبع أم من لا يهتدي إلا أن يهدى أي يرشده غيره

قرأ حمزة والكسائي أمن لا يهدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وحجتهما في ذلك أن يهدي في معنى يهتدي تقول هديت غيري وهديت أنا على معنى اهتديت قال الفراء العرب تقول هدى واهتدى بمعنى واحد وهما جميعا في أهل الحجاز وسمع أعرابي فصيح يقول إن السهم لا يهدي إلا بثلاث قذذ أي لا يهتدي

قرأ عاصم في رواية أبي بكر أمن لا يهدي بكسر الياء والهاء أراد يهتدي فأدغم التاء في الدال فالتقى ساكنان فكسر الهاء لالتقاء الساكنين وكسر الياء لمجاورة الهاء وأتبع الكسرة الكسرة

وقرأ حفص أمن لا يهدي يفتح الياء وكسر الهاء في الجودة كفتح الهاء في الجودة والهاء مكسورة لالتقاء الساكنين

ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ٤٥

قرأ حفص ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا بالياء إخبار عن الله وقرأ الباقون بالنون الله يخبر عن نفسه

آلآن وقد كنتم به تستعجلون ٥١

قرأ نافع آلان بفتح اللام وإسقاط الهمزة نقل فتح الهمزة إلى اللام كما قرأ ورش الأرض ألاخرة وقرأ إسماعيل عن نافع آلان بإسكان اللام وبه قرأ الباقون على أصل الكلمة

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ٥٨

قرأ يعقوب في رواية رويس فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون بالتاء فيهما

اعلم أن كل أمر للغائب والحاضر لابد من لام تجزم الفعل كقولك ليقم زيد لينفق ذو سعة وكذلك إذا قلت قم واذهب فالأصل لتقم ولتذهب بإجماع النحويين فتبين أن المواجهة كثر استعمالهم لها فحذفت اللام اختصارا وإيجازا واستغنوا ب

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ط العلمية الجصاص ٣٩/١

افرحوا عن لتفرحوا وب قم عن لتقم فمن قرأ بالتاء فإنما قرأ على الأصل وجته أنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمرت أن أقرأ عليك قال قلت وقد سماني ربك قال نعم قال فقرأ علي يعني النبي صلى الله عليه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون بالتاء وقد روي عن النبي صلى الله عليه

أنه قال لتأخذوا مصافكم أي خذوا مصافكم فهذا أمر المواجهة

وقرأ ابن عامر خير مما تجمعون بالتاء أي تجمعون أنتم من أعراض الدنيا

وقرأ الباقون فليفرحوا ويجمعون بالياء فيهما على أمر الغائب أي ليفرح المؤمنون بفضل الله أي الإسلام وبرحمته أي القرآن خير مما يجمعه الكافرون في الدنيا

وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ٦١

قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي وقرأ الباقون بالرفع وهما لغتان تقول عزب يعزب ويعزب مثل عكف يعكف ويعكف

قرأ حمزة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع فيهما رد على قوله من مثقال ذرة لأن موضع مثقال رفع قبل دخول من لأنها زائدة التقدير ما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين

قال الزجاج ويجوز رفعه من جهة أخرى على الابتداء ويكون المعنى ولا ما هو أصغر من ذلك ولا ما هو أكبر إلا في كتاب مبين

وقرأ الباقون ولاأصغر ولا أكبر بالفتح على معنى ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر والموضوع موضع خفض إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف

وقال فرعون ائتنوني بكل سحر عليم ٧٩

قرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم وقرأ الباقون ساحر الألف قبل الحاء وقد ذكرنا الحجة في سورة الأعراف

قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ٨١

قرأ أبو عمرو ما جئتم به آلسحر بالمد جعل ما بمعنى أي والتقدير أي شيء جئتم آلسحر هو استفهام على جهة التوبيخ لأنهم قد علموا أنه سحر فقد دخل استفهام على استفهام فلهذا يقف على قوله ما جئتم به ثم يبتدئ آلسحر بالرفع وخبره محذوف المعنى الحسر هو

وقرأ الباقون ما جئتم به السحر وما على هذه القراءة في معنى الذي جئتم به السحر والذي ابتداء والسحر خبر الابتداء كما تقول الذي مررت به زيد

ربنا ليضلوا عن سبيلك ٨٨

قرأ أهل الكوفة ليضلوا بضم الياء أي ليضلوا غيرهم وحجتهم في ذلك أن ما تقدم من وصف فرعون بما وصف أنه بذلك ضال غير مهتد فكان وصفه بعد ذلك بأنه مع ذلك مضل لغيره ويزيد الكلام فائدة ومعرفة ما لم يكن مذكورا فيما تقدم من وصفه

وقرأ الباقون ليضلوا بفتح الياء أي ليضلوا هم وحجتهم قوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وقد ضلوا

قال قد أجيبت دعوتكم فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ٨٩

قرأ ابن عامر ولا تتبعان بتخفيف النون المعنى فاستقيما وأنتما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو الذي يسميه بعض أهل العربية الحال والمعنى فاستقيما غير متبعين سبيل الذين لا يعلمون

وقرأ الباقون بالتشديد ولا تتبعان بالتشديد موضع تتبعان جزم إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها واختير له الكسر لأنها بعد الألف وهي تشبه نون الاثنين

قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ٩٠

قرأ حمزة والكسائي قال آمنت إنه بكسر الألف وحجتهما أن كلام متناه عند قوله آمنت وأن الإيمان وقع على كلام محذوف نظير قوله ربنا إننا آمنا فاكتبنا ولم يذكر ما وقع الإيمان عليه وتقديره آمنت بما كنت به قبل اليوم مكذبا ثم استأنف إنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل

وقرأ الباقون آمنت أنه بالفتح على تقدير آمنت بأنه فلما سقط الخافض عمل الفعل فنصب

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ١٠٣

قرأ الكسائي وحفص كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين خفيفة وقرأ الباقون بالتشديد وهما لغتان تقول أنجى ينجي ونجى ينجي مثل كرم وأكرم وعظم وأعظم وحجة من شدد هي أن أكثرهم أجمعوا على تشديد قوله ثم ننجي رسلنا فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه وحجة من خفف قوله ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقول فمهل الكافرين ثم قال أمهلهم رويدا فجمع بينهما لمعنى واحد

١١ - سورة هود

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ٢٥ و٢٦

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي أني لكم نذير بفتح الألف المعنى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه بالإنذار أن لا تعبدوا إلا الله أي أرسلنا بهذا الأمر

وقرأ الباقون بالكسر المعنى قال لهم إني لكم نذير وحجتهم قوله قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله لما أظهر القول ها هنا كان إضماره هناك أولى لأن القصة واحدة ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ٢٧

قرأ أبو عمرو بادئ الرأي بالهمز أي ابتداء الرأي أي اتبعوك ابتداء الرأي ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه ولو تفكروا وتدبروا لم يتبعوك

وقرأ الباقون بادي بغير همز من بدا يبدو إذا ظهر ويكون التفسير على نوعين في هذه القراءة أحدهما أن يكون اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك أي أنهم أظهروا الإسلام وابطنوا الكفر ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الراي ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ٢٨

قرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم أي أخفيت كما يقال عميت عليه الأمر حتى لا يبصره وحجتهم في حرف عبد الله فعماها عليكم وقيل إن في مصحف أبي فعماها عليكم فبان بما في حرف مصحف أبي أن

الفعل مسند إلى الله وأنه هو الذي عماها فردت في قراءتنا إلى ما لم يسم فاعله والمعنى واحد والعرب تقول عمي على الخبر وهي مع ذلك ليس الفعل لها في الحقيقة وإنا استجازوها على مجاز كلام العرب فإذا ضممت العين كانت مفعولا بها غير مسمى فاعلها فاستوى حينئذ الكلام فلم يحتج إلى مجاز كلام العرب وترك المجاز إذا أمكن تركه أحسن وأولى وأخرى وهي أن ذلك أتى عقيب قوله وآتاني رحمة من عنده وذلك خبر من نوح أن الله تعالى خصه بالرحمة التي

آتاها إياه فكذلك قوله فعميت خبر عن الله أنه هو الذي خذل من كفر به

قرأ أهل الحجاز والشام والبصرة وأبو بكر فعميت بفتح العين وتخفيف الميم أي فعميت البينة عليكم وحجتهم أن التي في القصص لم يختلف فيها مفتوحة العين قال الله تعالى فعميت عليهم الأنباء فهذه مثلها فكما يقال خفي علينا الخبر يقال عمي علي الأمر وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وهو لغيره كقولهم دخل الخاتم في إصبعي والخف في رجلي ولا شك أن الرجل هي التي تدخل في الخف والإصبع في الخاتم

قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ٤٠

قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين منونا أراد من كل شيء فحذف كما حذف من قوله ولكل وجهة أي ولكل صاحب ملة قبلة هو موليها لأن كلا وبعضا يقتضيان مضافا إليهما قوله زوجين على هذه القراءة مفعول به واثنين وصف له وتقدير الكلام قلنا احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء أي من كل جنس ومن كل الحيوان

وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا واثنين نصب على أنه مفعول به المعنى فاحمل اثنين من كل زوج

بسم الله مجرها ومرسها ٤١

قرأ حمزة والكسائي وحفص باسم الله مجرها بفتح الميم وكسر الراء من جرت السفينة جريا ومجرى وقالوا إن معنى ذلك بسم الله حين تجري وحجتهم قوله بعدها وهي تجري بهم في موج كالجبال ٤٢ ولم يقل وهي تجري فهذا أول دليل على صحة معنى مجراها بفتح الميم وإسناد إلى السفينة في اللفظ والمعنى

وقرأ الباقون مجراها ومرساها بضم الميمين أي بالله إجراؤها وبالله إرساؤها يقال أجريته مجرى وإجراء في معنى واحد وهما مصدران وحجتهم إجماع الجميع على ضم الميم في مرساها فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه

يا بني اركب معنا ٤٢

قرأ عاصم يا بني اركب بفتح الياء وقرأ الباقون بالكسر

قال الزجاج كسرها من وجهين أحدهما أن الأصل يا بنيي والياء تحذف في النداء أعني ياء الإضافة وتبقى الكسرة تدل عليها ويجوز أن تحذف الياء لسكونها وسكون الراء من قوله اركب وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ والفتح من جهتين الأصل يا بنيا بالألف فتبدل الألف من ياء الإضافة العرب تقول يا غلاما أقبل ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ ويجوز أن أن تحذف الألف للنداء كا تحذف ياء الإضافة وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء

كما تحذف التنوين لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة

إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ٤٦

قرأ الكسائي إنه عمل غير صالح بنصب اللام والراء وحجته حديث أم سلمة قالت قلت يا رسول الله كيف أقرأ عمل غير صالح أو عمل غير صالح فقال عمل غير صالح بالنصب فالهاء في هذه القراءة عائدة على ابن نوح لأنه جرى ذكره قبل ذلك فكني عنه

وكان بعض أهل البصرة ينكر هذه القراءة فاحتج لذلك بأن العرب لا تقول عمل غير حسن حتى تقول عمل عملا غير حسن وقد ذهب عنه وجه الصواب فيما حكاه لأن القرآن نزل بخلاف قوله قال الله تعالى ومن تاب وعمل صالحا معناه ومن تاب وعمل عملا صالحا وقال واعملوا صالحا ولم يقل عملا وقال في موضع آخر إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وقال ويتبع غير سبيل المؤمنين ولم يقل سبيلا غير سبيل المؤمنين فكذلك قوله إنه عمل غير صالح معناه إنه عمل عملا غير صالح

وقرأ الباقون إنه عمل غير صالح بفتح الميم وضم اللام والراء وحجتهم ما روي في التفسير جاء في قوله إنه عمل غير صالح أي إن سؤالك إياي أن أنجي كافرا عمل غير صالح لأن نوحا قال رب إن ابني من أهلي ٤٥ فقال الله تعالى إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم إن سؤالك إياي عمل غير صالح وقيل ليس من أهلك أي من أهل دينك فالهاء في قراءتهم كناية عن السؤال ولم يجر له ذكر ظاهر وذلك جائز فيا قد عرف موضعه أن يكني عنه أو جرى ما يدل عليه كقوله جل وعز ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا فكنى عن البخل لأنه ذكر الذين يبخلون اكتفاء به من ذكر البخل وكنى عنه وقال حتى توارت بالحجاب يعني الشمس وهذه أعلام لا يجهل موضعها قال الشاعر ... إذا نهي السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف ...

فقال جري إليه ولم يجر ذكر السفه ولكن لما ذكر السفيه دل على السفه

والسؤال في قصة نوح لم يجر له ذكر ولكنه لما ذكر إن ابني من أهلي دل على السؤال

وقال آخرون منهم الزجاج الهاء كناية عن ابن نوح أي

إنه ذو عمل غير صالح كما قال الشاعر ... ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار ...

أي ذات إقبال وإدبار

قرأ ابن كثير فلا تسألن بفتح النون مع التشديد الأصل فلا تسأل جزما على النهي ثم دخلت نون التوكيد ففتحت اللام لالتقاء الساكنين كما تقول لا تضربن ولا تشتمن أحدا الأصل لا تضرب ثم دخلت نون التوكيد فبني الكلام على الفتح لاجتماع الساكنين

قرأ أهل المدينة فلا تسألني بتشديد النون وإثبات الياء في الوصل الأصل فلا تسألنني فاجتمعت ثلاث نونات مثل ما اجتمعت في إنني وكأنني ثم حذفوا النون التي زيدت مع الياء فقيل إني وكذلك حذفت النون في قوله فلا تسألني

وقرأ قالون عن نافع وابن عامر فلا تسألن مكسورة النون مشددة من غير ياء الأصل كما ذكرنا إلا أنهم حذلوا الياء لأن الكسرة تدل على الياء

وقرأ أبو عمرو فلا تسألني بتخفيف النون وسكون اللام مثبتة الياء في الوصل النون مع الياء اسم المتكلم في موضع نصب

والنون
إنما دخلت ليسلم سكون اللام قال عباس سألت أبا عمرو فقلت وقرأ بعض القراء فلا تسألن بفتح النون وأنا أقرأ فلا تسألني لقول الله تعالى رب إني أعوذ بك أن أسألك ٤٧ قال أن أسألك يدل على أنه نهاه أن يسأله
وقرأ أهل الكوفة فلا تسألن خفيفة النون محذولة الياء وإنما حذفوا الياء اختصارا لأن الكسرة تدل على الياء
ومن خزي يومئذ ٦٦
قرأ نافع والكسائي ومن خزي يومئذ بفتح الميم جعلا يوم وإذ بمنزلة اسمين جعلا اسما واحدا كقولك خمسة عشرة وقيل إنما فتح لأن الإضافة لا تصح إلى الحروف ولا إلى الأفعال فلما كانت إضافة يوم إلى إذ غير محضة فتح وبني
وقرأ الباقون ومن خزي يومئذ بكسر الميم أجروا الإضافة إلى يوم مجراها إلى سائر الأسماء فكسروا اليوم على الإضافة كما يكسر المضاف إليه من سائر الأسماء وعلامة الإضافة سقوط التنوين من خزي
ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ٦٨
قرأ حمزة وحفص ألا إن ثمود كفروا ربهم بغير تنوين
وكذلك في الفرقان والعنكبوت والنجم ودخل معهما أبو بكر في النجم وقرأ الباقون بالتنوين
فمن ترك التنوين جعله اسما لقبيلة فاجتمعت علتان التعريف والتأنيث فامتنع من الصرف ومن نون جعله اسما مذكرا لحي أو رئيس وحجتهم في ذلك المصحف لأنهن مكتوبات في المصحف بالألف وزاد الكسائي عليهم حرفا خامسا وهو قوله ألا بعدا لثمود منونا وقال إنما أجريت الثاني لقربه من الأول لأنه استقبح أن ينون اسما واحدا ويدع التنوين في آية واحدة ويخالف بين اللفظين وقد جود الكسائي فيما قال لأن أبا عمرو سئل لم شددت قوله تعالى قل إن الله قادر أن ينزل آية وأنت تخفف ينزل في كل القرآن فقال لقربه من قوله قالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية
فإن سأل سائل فقال قوله وآتينا ثمود الناقة من موضع نصب فهلا نون كما نون سائر المنصوبات الجواب أن هذا الحرف كتب في المصحف بغير ألف والاسم المنون إذا استقبله ألف ولام جاز ترك التنوين كقوله قل هل هو الله أحد الله الصمد
قالوا سلما قال سلم ٦٩
قرأ حمزة والكسائي قالوا سلاما قال سلم بكسر السين وفي الذاريات مثله جعلاه من السلم وهو الصلح أي أمري سلم لست مريدا غير السلامة والصلح قال الفراء المعنى نحن سلم لأن التسليم لا يكون من عدو وكأن الفراء ذهب إلى أن الملائكة لما سلموا عليه كان ذلك دليلا على براءتهم مما وقع في نفسه من أنهم عدو فقال لهم حينئذ نحن متسالمون آمنون إذ سلمتم علينا ويكون معنى قوله في الذاريات قوم منكرون أي غير معروفين في بلدنا وإن التسليم منكم منكر لأنه لا يعهده إلا ممن هو على دينه ولم يتقرر عنده أنهم منهم قالوا والدليل على أن الثاني بخلاف معنى الأول أن إعرابهما مختلف فلو كانت الثانية مخرجها مخرج الأولى نصبت كما نصبت الأولى وقال قوم يجوز أن يكون معنى قوله سلم في معنى سلام كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام قالوا والدليل على صحة ذلك أن التفسير ورد بأنهم سلموا عليه فرد عليهم
وقرأ الباقون قال سلام جعلوه من التسليم وحجتهم في ذلك أنه مجمعون على الأول أنه بألف وهو تسليم الملائكة فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه الأول نصب على المصدر على معنى سلمنا سلاما والثاني رفع على إضمار عليكم سلام

ومن قرأ سلم أي أمري سلم
فبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ٧١
قرأ حمزة وابن عامر وحفص ومن وراء إسحاق يعقوب بالنصب وقرأ الباقون بالرفع
قال الزجاج فأما من قرأ ومن وراء إسحاق يعقوب في موضع نصب فمحمول على المعنى المعنى وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها يعقوب ومن قرأ يعقوب فرفعه على ضربين أحدهما ابتداء مؤخر معناه التقديم والمعنى ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق ويجوز أن يكون مرفوعا بالفعل الذي يعمل في قوله من وراء كأنه قال ويثبت لها من وراء إسحاق يعقوب
فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ٨١
قرأ نافع وابن كثير فاسر بأهلك بوصل الألف في كل القرآن من سرى يسري
وقرأ الباقون فأسر بقطع الألف وهما لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده وقال والليل إذ يسري يقال سريت وأسريت إذا سرت ليلا وقال آخرون منهم أبو عمرو الشيباني يقال سرى في أول الليل وأسرى من آخره
قرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك بالرفع على معنى ولا يلتفت منكم أحد إ لا امرأتك فإنها ستلتفت فقوله امرأتك بدل من قوله أحد كقولك ما قام أحد إلا
أبوك وما رأيت أحدا إلا أخاك وكان أبو عمرو يتأول أن لوطا كان سار بها في أهله وحجته ما روي عن ابن عباس أنه قال إنها سمعت الوجبة فالتفتت فأصابها العذاب
وقرأ الباقون امرأتك بالنصب استثناء من الإسراء وحجتهم ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا أمرأتك فدل ذلك ان الاستثناء كان من أهله الذين أمر بالإسراء بهم لا من أحد والمعنى في هذه القراءة أنه لم يخرج امرأته مع أهله وفي القراءة الأخرى أنه خرج بها فالتفتت فأصابتها الحجارة
أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ٨٧
قرأ حمزة والكسائي وحفص أصلاتك بغير واحد وحجتهم إجماع الجميع على التوحيد في قوله إن صلاتي ونسكي
وقرأ الباقون أصلواتك على الجمع وحجتهم أنها مكتوبة في المصحف بواو وكذلك في سورة براءة
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ١٠٥
قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي يوم يأتي بالياء في الوصل وأثبتها ابن كثير في الوقف أيضا وحجتهم أنها مثبتة في المصحف
وقرأ الباقون بحذف الياء قال الخليل إن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسر إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال والأجود في النحو إثبات الياء
وأما الذين سعدوا ففي الجنة ١٠٨
قرأ حمزة والكسائي وحفص وأما الذين سعدوا بضم السين على ما لم يسم فاعله تقول سعد زيد لازما وسعده الله متعديا قال الكسائي سعد واسعد لغتان ومن ذلك رجل مسعود من سعد اعلم أن سعده الله قليل في الاستعمال ومصدره ومفعوله

كثير لأن مسعودا في كلام العرب أكثر من مسعد وأسعده الله في كلامهم أكثر من سعده الله فقول مسعود يدل على جواز سعده الله وقراءتهم لا تكون إلا من سعده الله فغالب الاستعمال في المفعول على الفعل الذي لا زيادة فيه هو سعد وغالب الاستعمال في الفعل هو اللفظ الذي بزيادة الميم وهو أسعد ومثله يقال أحب والاسم منه محب إلا أنه قل الاسم من أحب وإنما يقولون محبوب وكثر الفعل منه فيقال أحب وكثر الاسم من حب فيقولون محبوب وقل الفعل منه فلا يقال حب وكذلك سعد قل الفعل منه وكثر الاسم منه وقل الاسم من أسعد فلا يقال مسعد وكثر الفعل منه فيقال أسعد

وقرأ أهل الحجاز والبصرة والشام وأبو بكر وأما الذين سعدوا بفتح السين وحجتهم ذكرها اليزيدي فقال يقال ما سعد زيد حتى أسعده الله وهذه القراءة هي المختارة عند أهل اللغة يقال

سعد فلان وأسعده الله وأخرى وهي أنهم أجمعوا على فتح الشين في شقوا ١٠٦ ولم يقل شقوا فكان رد ما اختلفوا فيه إلى حكم ما أجمعوا عليه أولى ولو كانت بضم السين كان الأفصح أن يقال أسعدوا

وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم ١١١

وقرأ أبو عمرو والكسائي وإن كلا لما بتشديد إن وتخفيف لما وجهه بين وهو أنه نصب كلا ب إن وإن تقتضي أن تدخل على خبرها اللام أو على اسمه إذا حل محل الخبر فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله وإن كلا لما وقد دخلت في الخبر لام أخرى وهي لام القسم وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر الأمر إحدى النونين فلما اجتمعت اللامان فصل بينهما ب ما فلام لما لام إن وما دخلت للتوكيد ولم تغير المعنى ولا العمل واللام التي في ليوفينهم لام القسم وقال أهل الكوفة في ما التي في لما وجهان أحدهما أن يكون بمعنى من أي وإن كلا لمن ليوفينهم ربك كما قال سبحانه فانكحوا ما طاب لكم من النساء وإن أكثر استعمال العرب لها في غير بني آدم والوجه الآخر أن يجعل ما التي في لما بمعنى ما التي تدخل صلة في الكلام ويلي هذا الوجه في البيان قراءة نافع وابن كثير

فأما تخفيف إن وترك النصب على حاله فلأن إن مشبهة بالفعل فإذا حذف التشديد بقي العمل على حاله وهي مخففة من

إن قال سيبويه حدثني من أثق به أنه سمع من العرب من يقول إن عمرا لمنطلق

فإن سأل سائل فقال إنما نصبت ب إن تشبيها بالفعل فإذا خففت زال شبه الفعل فلم نصبت بها

فالجواب أن من الأفعال ما يحذف منه فيعمل عمل التام كقولك لم يك زيد منطلقا فكذلك إن جاز حذفها وإعمالها

وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص كلا لما بالتشديد فيها قال الكسائي من شدد إن ولما فالله أعلم بذلك وليس لي به علم وقال الفراء أما الذين شددوا فإنه والله أعلم لمما ثعلب يروي بكسر الميم لمن أراد لمن ما ليوفينهم فلما اجتمعت الميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان أدغمت واحدة في الأخرى كما قال الشاعر ... وإني لمما أصدر الأمر وجهه ... إذا هو أعيا بالسبيل مصادره ...

وقال آخرون معنى ذلك وإن كلا لما بالتشديد أراد لما بالتنوين ولكن حذف منه التنوين كما حذف من قوله أرسلنا رسلنا تترى

قال الفراء وحدثت أن الزهري قرأ وإن كلا لما بالتنوين يجعل اللم شديدا كقوله أكلا لما أي شديدا فيكون

المعنى وإن كلا شديدا وحقا ليوفينهم أعمالهم بمنزلة قولك في الكلام وإن كلا حقا ليوفينهم
وقال آخرون منهم المازني إن أصلها لمما ثم شددت الميمين زيادة للتوكيد وكيلا يحذفها الإنسان ويشبهها بقوله فبما رحمة من الله فيقول وإن كلا ليوفينهم فيجتمع لامان فلهذا شددت
قال الفراء وأما من جعل لما بمنزلة إلا فإنه وجه لا نعرفه كما لا يحسن إن زيدا إلا منطلق فكذلك لا يحسن وإن كلا إلا ليوفينهم شرح هذا أن إن إثبات للشيء وتحقيق له وإلا تحقيق أيضا وإيجاب وإنما تدخل نقضا لجحد قد تقدمها كقولك ما زيد إلا منطلق وكقوله إن كل نفس لما عليها حافظ أي ما كل نفس إلا عليها حافظ وفي قوله تعالى وإن كلا لما لم يتقدمه حرف جحد فيقول إن لما بمعنى إلا كما ذكرنا وإنما تقدم ها هنا إن التي للتحقيق فقد بطل قول من قال إن لما بمعنى إلا ووجهها ما قد ذكرنا عن أهل النحو
وقرأ أبو بكر وإن كلا خفيفة لما مشددة وإن مخففة من إن وقد ذكرنا أن العرب تقول إن عمرا لمنطلق ولا يجوز أن يجعل إن بمعنى التي تكون بمعنى الجحد لأنها قد نصبت وإن إذا كانت بمعنى الجحد لا تنصب
قال الكسائي من خفف إن وشدد لما لست أدري
والله أعلم بوجهه إنما نقرأ كما أقرئنا قال وذلك أن إن إذا نصبت بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا قلت وجه هذه القراءة ما قد ذكرنا في قراءة حمزة وابن عامر والله أعلم
وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ١٢٣
قرأ نافع وحفص وإليه يرجع الأمر بضم الياء على ما لم يسم فاعله أي يرد الأمر كله إليه
وقرأ الباقون يرجع أي يصير الأمر إليه وحجتهم قوله ألا إلى الله تصير الأمور ولم يقل تصار
قرأ نافع وابن عامر وحفص وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء على الخطاب
وقرأ الباقون بالياء أي وما ربك بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون

١٢ - سورة يوسف عليه السلام

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت ٤
قرأ ابن عامر يا أبت بفتح التاء في جميع القرآن
وقرأ الباقون بكسر التاء على الإضافة إلى نفسه الأصل يا أبي فحذفت الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء كما يحذف التنوين
وتبقى الكسرة تدل على الياء كما تقول رب اغفر لي وفي التنزيل رب قد آتيتني من الملك ويا قوم والأصل يا قومي فحذفت الياء وإنما تحذف في النداء لأن باب النداء باب التغيير والحذف وأما إدخال تاء التأنيث في الأب فقال قوم إنما دخلت للمبالغة كما تقول علامة ونسابة فاجتمع ياء المتكلم والتاء التي للمبالغة فحذفوا الياء لأن الكسرة تدل عليها
وقال الزجاج إن التاء كثرت ولزمت في الأب عوضا عن ياء الإضافة فلهذا كسرت التاء لأن الكسرة أخت الياء ومن فتح فله وجهان أحدهما أن يكون أراد يا أبتا فأبدل من ياء الإضافة ألفا ثم حذف الألف كما تحذف الياء وتبقى الفتحة دالة على الألف كما أن الكسرة تدل على الياء والوجه الآخر أنه إنما فتح التاء لأن هذه التاء بدل من ياء المتكلم واصل ياء

المتكلم الفتح فتقول يا غلامي وإنما قلنا ذلك لأن الياء هو اسم والاسم إذا كان على حرف واحد فأصله الحركة فتكون الحركة تقوية للاسم فلما كان أصل هذه الياء الفتحة كان الواجب أن تفتح لأنها بدل من الحرف الذي هو أصله ليدل على المبدل

وقف ابن كثير وابن عامر يا أبه على الهاء وحجتهما أن التغييرات تكون في حال الوقف دون الإدراج فتقول رايت زيدا فتقف عليه بالألف ووقف الباقون بالتاء وحجتهم أن هذه التاء بدل من الياء فكما أن الياء على صورة واحدة في الوصل والوقف فكذلك البدل يجب أن يكون مثل المبدل منه على صورة واحدة

لقد كان في يوسف وإخوته ءايت للسائلين ٧

قرأ ابن كثير آية للسائلين أي عبرة وحجته قوله لقد كان في قصصهم عبرة ولم يقل عبر كأنه جل شأنه كله آية كما قال جل وعز وجعلنا ابن مريم وأمه آية فأفرد كل واحد منهما آية

وقرأ الباقون آيات للسائلين على الجمع أي عبر جعلوا كل حال من أحوال يوسف آية وعبرة وحجتهم في ذلك أنها كتبت في المصحف بالتاء

وألقوه في غيابة الجب ١٠

قرأ نافع في غيابات الجب بالألف أراد ظلم البئر ونواحيها لأن البئر لها غيابات فجعل كل جزء منها غيابة فجمع على ذلك وقرأ الباقون غيابة وحجتهم أنهم ألقوه في بئر واحدة في مكان واحد لا في أمكنة

أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ١٢

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون أخبر الإخوة عن أنفسهم وحجتهم ذكرها الزيدي قال وتصديقها قوله بعدها إنا ذهبنا نستبق فكأن اليزيدي ذهب إلى أنهم أسندوا جميع ذلك إلى جماعتهم إذ أسندوا الاستباق قيل لأبي عمرو فكيف يلعبون وهم أنبياء الله فقال إذ ذاك لم يكونوا أنبياء الله

وقرأ أهل المدينة والكوفة يرتع ويلعب بالياء إخبارا عن يوسف وبذلك جاء تأويل أهل التأويل في ذلك قال ابن عباس يرتع ويلعب أي يلهو وينشط ويسعى وحجتهم في ذلك أن القوم إنما كان قولهم ذلك ليعقوب اختداعا منهم إياه عن يوسف إذ سألوه أن يرسله معهم لينشط يوسف لخروجه إلى الصحراء ويلعب هناك لا أنهم أرادوا إعلامه بما لهم من الرفق والفائدة لخروجه

قرأ نافع وابن كثير نرتع بكسر العين أي يرعى ماشيته ويرعى المال كما يرعاه الراعي وهو يفتعل من الرعاية تقول ارتعى القوم إذا تحارسوا ورعى بعضهم بعضا وحفظ بعضهم بعضا ويقال رعاك الله أي حفظك والأصل نرتعي فسقطت الياء للجزم لأنه جواب الأمر

وقرأ الباقون يرتع بجزم العين أي يأكل يقال رتعت الإبل وأنا أرتعتها إذا تركتها ترعى كيف شاءت قال الشاعر ... ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار ...

وكذلك الإنسان يقال رتع يرتع رتعا فهو راتع

وعلامة الجزم سكون العين في هذه القراءة وإنما انجزم لأنه جواب الأمر المعنى أرسله إن ترسله يرتع ويلعب

وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ١٣

قرأ أبو عمرو والكسائي وورش عن نافع الذيب بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل لأنه مأخوذ من تذاء بت الريح إذا أتت من كل ناحية فكأنه شبه من خفته وسرعة حركته بالريح

قال يا بشرى هذا غلام ١٩

قرأ عاصم وحمزة والكسائي يا بشرى بترك الإضافة فيها وجهان أحدهما أنهم جعلوه اسم رجل فيكون دعا إنسانا اسمه بشرى وحجتهم ما قد روي عن جماعة من المفسرين أنهم قالوا كان اسمه بشرى فدعاه المستقي باسمه كما يقال يا زيد فيكون بشرى في موضع رفع بالنداء والوجه الآخر أن يكون أضاف البشرى إلى نفسه ثم حذف الياء وهو يريدها كما تقول يا غلام لا تفعل يكون مفردا بمعنى الإضافة

وقرأ الباقون يا بشراي بإثبات ياء الإضافة وفتحها أضاف البشرى إلى نفسه وإنما فتحوا الياء على اصلها لئلا يلتقي ساكنان فجرت مجرى عصاي وبشراي في موضع نصب كما تقول يا غلام زيد

وقالت هيت لك ٢٣

قرأ أهل العراق هيت لك بفتح الهاء والتاء أي هلم وتعال وأقبل إلى ما أدعوك إليه وحجتهم قول الشاعر ... ابلغ أمير المؤمنين ... أخا العراق إذا أتيتا ... أن العراق وأهله ... عنق إليك فهيت هيتا

قال الزجاج أما فتح التاء في هيت فلأنها بمنزلة أصوات ليس منها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء واختير الفتح لأن قبل التاء ياء كما قالوا كيف وأين

وقرأ أهل المدينة والشام هيت وهي لغة وقرأ ابن كثير هيت بفتح الهاء وضم التاء وحجته قول الشاعر ... ليس قومي بالأبعدين إذا ما ... قال داع من العشيرة هيت ... هم يجيبون ذا هلم سراعا ... كالأبابيل لا يغادر بيت ...

فأما الضم من هيت فلأنها بمعنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفت الإضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث

وقرأ هشام هئت بالهمز من الهيئة كأنها قالت تهيأت لك

إنه من عبادنا المخلصين ٢٤

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام في جميع القرآن أي أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء وحجتهم قوله وأخلصوا دينهم وقوله مخلصا له ديني فإذا

أخلصوا فهم مخلصون تقول رجل مخلص مؤمن فترى الفعل في اللفظ له

وقرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام أي الله أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا مخلصين وحجتهم قوله تعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم

وقلن حاش لله ٣١

قرأ أبو عمرو وقلن حاشا لله بالألف وحجته ذكرها اليزيدي فقال يقال حاشاك وحاشالك وليس أحد من العرب يقول حاشك ولا حاش لك

وقرأ الباقون حاش لله وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بغير ألف حكى أبو عبيد عن الكسائي أنها في مصحف عبد الله كذلك وأصل الكلمة التبرئة والاستثناء واختلف النحويون في حاشا منهم من قال إنه فعل ومنهم من قال إنه حرف

قال تزرعون سبع سنين دأبا وفيه يعصرون ٤٧ و٤٩

قرأ حفص سبع سنين دأبا بفتح الهمزة وقرأ الباقون ساكنة الهمزة وهما لغتان مثل النهر والنهر والظعن والظعن وكل اسم كان ثانيه حرفا من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه

قرأ حمزة والكسائي وفيه تعصرون بالتاء أي تنجون من

البلاء وتعتصمون بالخصب قال عدي بن زيد ... لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري ...

وقال مؤرج العصر الملجأ فعنى تعصرون أي تلجؤون إلى العصر وحجتهما قوله تزرعون سبع سنين وتأكلون ومما تحصنون ٤٨ كأنما وجه الخطاب إلى المستفتين الذين قالوا أفتنا في كذا

وقرأ الباقون يعصرون بالياء أي يعصرون الزيت والعنب وحجتهم ذكرها اليزيدي فقال يعني الناس ذهب اليزيدي إلى أنه لما قرب الفعل من الناس جعله لهم يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ٥٦

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون الله أخبر عن نفسه وحجته ما بعده وهو نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع.

وقرأ الباقون حيث يشاء أي يوسف كأنه قال يتبوأ يوسف. اهـ

(حجة القراءات لابن زنجلة. ص: ٣٣١ - ٣٦٠) (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت) .." [١]

"الذين قيل لهم [ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة] يعني حط عنا ذنوبنا قال الحسن وقتادة قال ابن عباس أمروا أن يستغفروا روى عنه أيضا أنهم أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال عكرمة أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا بدل هذا حطنة حمراء تجاهلا واستهزاء وروي عن ابن عباس وغيره من الصحابة وعن الحسن إنما استحقوا الذم لتبديلهم القول إلى لفظ في ضد المعنى الذي أمروا به إذ كانوا مأمورين بالاستغفار والتوبة فصاروا إلى الإصرار والاستهزاء فأما من غير اللفظ مع اتفاق المعنى فلم تتناوله الآية إذ كانت الآية إنما تضمنت الحكاية عن فعل قوم غيروا **اللفظ والمعنى** جميعا فالحق بهم الذم بهذا الفعل وإنما يشاركهم في الذم من يشاركهم في الفعل مثلا بمثل فأما من غير اللفظ وأتى بالمعنى فلم تتضمنه الآية وإنما نظير فعل القوم إجازة من يجيز المتعة مع قوله تعالى [إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم] فقصر استباحة البضع على هذين الوجهين فمن استباحه بلفظ المتعة مع مخالفة النكاح وملك اليمين من جهة **اللفظ والمعنى** فهذا الذي يجوز أن يلحقه الذم بحكم الآية

وقوله تعالى [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا- إلى قوله- وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها] إلى آخر الآية. قال أبو بكر في هذه الآيات وما اشتملت عليه من قصة المقتول وذبح البقرة ضروب من الأحكام والدلائل على المعاني الشريفة فأولها أن

قوله تعالى [وإذ قتلتم نفسا] وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة لأن الأمر

---

(١) معاني القراءات للأزهري الأزهري ٢/٤٦

بذبح البقرة إنما كان سببه قتل النفس وقد قيل فيه وجهان أحدهما أن ذكر القتل وإن كان مؤخرا في التلاوة فهو مقدم في النزول والآخر أن ترتيب نزولها على حسب ترتيب تلاوتها ونظامها وإن كان مقدما في المعنى لأن الواو لا توجب الترتيب كقول القائل اذكر إذ أعطيت ألف درهم زيدا إذ بنى داري والبناء مقدم على العطية والدليل على أن ذكر البقرة مقدم في النزول

قوله تعالى [فقلنا اضربوه ببعضها]

فدل على أن البقرة قد ذكرت قبل ذلك ولذلك أضمرت ونظير ذلك قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام بعد ذكر الطوفان وانقضائه [قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل] ومعلوم أن ذلك كان قبل هلاكهم لأن تقديم الكلام وتأخيره إذا." (١)

"نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن بيع الملامسة هو وقوع العقد باللمس والمنابذة وقوع العقد بنبذه إليه وكذلك بيع الحصاة هو أن يضع عليه حصاة فتكون هذه الأفعال عندهم موجبة لوقوع البيع فهذه بيوع معقودة على المخاطرة ولا تعلق لهذه الأسباب التي علقوا وقوع البيع بها بعقد البيع وأما ما جازه أصحابنا فهو أن يتساوما على ثمن يقف البيع ثم يزن له المشتري الثمن ويسلم البائع إليه المبيع وتسليم المبيع والثمن من حقوق البيع وأحكامه فلما فعلا موجب العقد من التسليم صار ذلك رضى منهما بما وقف عليه العقد من السوم ولمس الثوب ووضع الحصاة ونبذه ليس من موجبات العقد ولا من أحكامه فصار العقد معلقا على خطر فلا يجوز وصار ذلك أصلا في امتناع وقوع البياعات على الأخطار وذلك أن يقول بعتكه إذا قدم زيد وإذا جاء غد ونحو ذلك وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم عموم في إطلاق سائر التجارات وإباحتها وهو كقوله تعالى وأحل الله البيع في اقتضاء عمومه لإباحة سائر البيوع إلا ما خصه التحريم لأن اسم التجارة أعم من اسم البيع لأن اسم التجارة ينتظم عقود الإجارات والهبات الواقعة على الأعواض والبياعات فيضمن قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل معنيين أحدهما نهي معقود بشريطة محتاجة إلى بيان في إيجاب حكمه وهو قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل لأنه يحتاج إلى أن يثبت أنه أكل مال باطل حتى يتناوله حكم **اللفظ والمعنى** الثاني إطلاق سائر التجارات وهو عموم في جميعها لا إجمال فيه ولا شريطة فلو خلينا وظاهره لأجزنا سائر ما يسمى تجارة إلا أن الله تعالى قد خص منها أشياء بنص الكتاب وأشياء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير وسائر المحرمات في الكتاب لا يجوز بيعها لأن إطلاق لفظ التحريم يقتضي سائر وجوه الانتفاع

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها

وقال في الخمر إن الذي حرمها حرم بيعها وأكل ثمنها ولعن بائعها ومشتريها

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع الغرر وبيع العبد الآبق وبيع ما لم يقبض وبيع ما ليس عند الإنسان ونحوها من البياعات المجهولة والمعقود على غرر جميع ذلك مخصوص من ظاهر قوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي الجصاص ٤٠/١

منكم وقد قرئ قوله إلا أن تكون تجارة عن تراض بالنصب والرفع فمن قرأها بالنصب كان تقديره إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض فتكون التجارة." (١)

"وقول علقمة:

حانية حوم١

منسوب إلى حانية فاعلة من هذا **اللفظ والمعنى**، ألا ترى إلى قول عمارة:

وكيف لنا بالشرب فيها وما لنا ... دوانيق عند الحانوي ولا نقد

فأما الحانة فمحذوفة من الحانية، ومثالها فاعة، ومثلها البالة من قولهم: ما باليت بهم بالة، أصلها: بالية فاعلة من هذا الموضع، ثم حذفت اللام تخفيفا، وإلى مثل ذلك ذهب الكسائي في "آية" أنها محذوفة من فاعلة: آيية.

ومن ذلك قراءة ابن السميفع٢: "فبهت الذي كفر"٣ بفتح الباء والهاء والتاء، وكذلك قرأ أيضا نعيم بن ميسرة٤، وقرأنة أبو حيوة شريح بن يزيد: "فبهت" بفتح الباء وضم الهاء، والقراءة العامة: "فبهت".

قال أبو الفتح: زاد أبو الحسن الأخفش قراءة أخرى لا يحضرني الآن ذكر قارئها، لم يسندها٥ أبو الحسن: "فبهت" بوزن علم، فتلك أربع قراءات.

فأما "بهت" قراءة الجماعة، فلا نظر فيها.

وأما "بهت" فبمنزلة خرق وفرق وبرق.

وأما "بهت" فأقوى "٢٩و" معنى من بهت؛ وذلك أن فعل تأتي للمبالغة كقولهم: قضو الرجل إذا جاد قضاؤه، وفقه إذا قوي في فقهه، وشعر إذا جاد شعره. وروينا عن أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى: أن العرب تقول:

---

١ البيت بتمامه:

كأس عزيز من الأعناب عتقها ... لبعض أربابها حانية حوم

الكأس: الخمر في إنائها، ولا تسمى الخمر كأسا ولا الظرف كأسا حتى يجتمعا، وأراد بالعزيز ملكا من ملوك الأعاجم، والحوم السود يريد أنها من أعناب سود، وهو على هذا من نعت الكأس؛ أي: خمر سوداء العنب، وصفها بالجمع على معنى ذات أعناب سود، ويقال الحوم: جمع حائم؛ وهو الذي يقوم عليها ويحوم حولها وهو على هذا من وصف الحانية، وهي جماعة الخمارين. وانظر: الكتاب: ٢/ ٧٢، والمفضليات: ٤٠٢، وفيها: "أحيانها" مكان "أربابها"؛ أي: أعدها لفصح أو عيد أو نحو ذلك.

٢ هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد، وقيل: إنه قرأ على نافع. طبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ١٦١.

٣ سورة البقرة: ٢٥٨.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي الجصاص ١٣١/٣

٤ هو نعيم بن ميسرة أو عمرو الكوفي النحوي، نزل الري وكان ثقة، روى القراءة عرضا عن عبد الله بن عيسى بن علي، وروى الحروف عن أبي عمرو بن العلاء، وروى الحروف عنه علي بن حمزة الكسائي، توفي سنة ١٧٤. طبقات ابن الجزري: ٢/ ٣٤٢.

٥ أوردها كذلك في البحر ٢/ ٢٨٩ مسندة إلى الأخفش، ولم يذكر قارئها.." (١)

"قال أبو الفتح: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن وكيع عن الدمشقي عن ابن قطرب عن قطرب١ في كتابه الكبير: أن قراءة أبي زرعة الشامي: "وترى الناس سكرى وما هم بسكرى".

وسألت أبا علي عن "سكرى" فردد القول فيها، ثم استقر الأمر فيها بيننا على أنها صفة من هذا **اللفظ والمعنى**، بمنزلة حبلى مفردة كما ترى.

فأما "سكرى" بفتح السين فيمن قرأ كذلك فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون جمع سكران؛ إلا أنه كسر على فعلى؛ إذ كان السكر علة تلحق العقل، فجرى ذلك مجرى قوله:

فأما تميم تميم بن مر ... فألفاهم القوم روبى نياما٢

فهذا جمع رائب؛ أي: نومى خثراء الأنفس٣؛ فيكون ذلك كقولهم: هالك وهلكى ومائد وميدى٤، فيجري مجرى صريع وصرعى وجريح وجرحى؛ إذ كان ذلك علة بلوا بها، وإن كان هالك ومائد ورائب فعلا منسوبا إليهم، لا موقعا في اللفظ بهم.

والآخر: أن يكون "سكرى" هنا صفة مفردة، مذكرها سكران، كامراة سكرى. ويشهد لهذا الأمر قراءة من قرأ: "سكرى" بالضم، وهذا لا يكون إلا واحدا. ويشهد للقول الأول قراءة العامة: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ . وجاز أن يوقع على الناس كلهم صفة مفردة تصورا لمعنى الجملة والجماعة وهي بلفظ الواحد، كما جاز للبيد أن يشير أيضا إلى الناس بلفظ الواحد في قوله:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد٥

ومن معكوسه في إيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ ٦ والمراد به الواحد٧، كل من كلام العرب.

---

١ هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي المعروف بقطرب، لازم سيبويه، وأخذ عن عيسى بن عمر، ومات سنة ٢٠٦. بغية الوعاة: ١٠٤.

٢ روبى: اثخنهم السفر والوجع، فاستثقلوا نياما، ويقال: شربوا من الرائب فسكروا. اللسان: "روب".

٣ قوم خثراء: مختلطون.

٤ ماد الجل: اصابه غثيان ودوار من سكر أو ركوب بحر.

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ابن جني ١/٣٤

٥ انظر: الديوان: ٢٥.

٦ سورة آل عمران: ١٧٣.

٧ يعني: نعيم بن مسعود الأشجعي. وانظر: الكشاف في تفسير الآية.." (١)

"وقرأ الباقون ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ آدم رفع بفعله لأنه تلقى من ربه الكلمات أي أخذها منه وحفظها وفهمها والعرب تقول تلقيت هذا من فلان المعنى إن فهمي قبلها منه وحجتهم ما روي في التفسير في تأويل قوله ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ أي قبلها فإذا كان آدم القابل فالكلمات مقبولة

﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

قرأ ورش عن نافع ﴿فمن تبع هداي﴾ ساكنة الياء وقرأ الباقون بفتح الياء وإنما فتحت لأنها أتت بعد ساكن واصلها الحركة التي هي الفتح وقد ذكرته عند قوله إني أعلم

﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا تقبل منها بالتاء وقرأ الباقون بالياء من قرأ بالتاء فلتأنيث الشفاعة وسقط السؤال فصار كقوله ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾

وحجة من قرأ بالياء هي أن تأنيث الشفاعة ليست حقيقية فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث تقول قد قبل منك الشفاعة وقبلت منك وكذلك ﴿فمن جاءه موعظة﴾ لأن معنى موعظة ووعظ وشفاعة وتشفع واحد فلذلك جاز التذكير والتأنيث على **اللفظ والمعنى**." (٢)

"قبله فقال ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ وما بعده يجب أن يكون الجمع ليأتلف **اللفظ والمعنى** ومن قرأ بالتوحيد اجتزأ بالواحد عن الجميع

﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾

قرأ ابن كثير ﴿ضيقا﴾ خفيفا وقرأ الباقون بالتشديد والأصل ضييق على وزن فيعل ابن كثير حذف الياء الثانية والباقون أدغموا الياء ولم يحذفوا من الكلمة شيئا ومثله هين وهين

قرأ نافع وأبو بكر ﴿حرجا﴾ بكسر الراء وقرأ الباقون بالفتح وهما لغتان مثل الدنف الدنف وحجة من فتح قوله ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ فإن قال قائل لم قال الله ﴿صدره ضيقا﴾ مثقلا الجواب إن الحرج أشد الضيق فكأنه قال ضيق جدا

قرأ ابن كثير ﴿كأنما يصعد﴾ خفيفا من صعد يصعد وحجته قوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقرأ أبو بكر / يصاعد /

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ابن جني ١/١٨٩

(٢) حجة القراءات ابن زنجلة ص/٩٥

الأصل يتصاعد فأدغم التاء في الصاد لقربها من الصاد

وقرأ الباقون ﴿يصعد﴾ الأصل يتصعد فأدغموا التاء في الصاد ومعنى يصعد ويصاعد ويصعد كله واحد

﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾." (١)

"قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿بسم الله مجراها﴾ بفتح الميم وكسر الراء من جرت السفينة جريا ومجرى وقالوا إن معنى ذلك بسم الله حين تجري وحجتهم قوله بعدها ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ ولم يقل وهي تجري فهذا أول دليل على صحة معنى مجراها بفتح الميم وإسناد إلى السفينة في **اللفظ والمعنى**

وقرأ الباقون ﴿مجراها ومرساها﴾ بضم الميمين أي بالله إجراؤها وبالله إرساؤها يقال أجريته مجرى وإجراء في معنى واحد وهما مصدران وحجتهم إجماع الجميع على ضم الميم في ﴿مرساها﴾ فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه

﴿يا بني اركب معنا﴾

قرأ عاصم ﴿يا بني اركب﴾ بفتح الياء وقرأ الباقون بالكسر

قال الزجاج كسرها من وجهين أحدهما أن الأصل يا بنيي والياء تحذف في النداء أعني ياء الإضافة وتبقى الكسرة تدل عليها ويجوز أن تحذف الياء لسكونها وسكون الراء من قوله ﴿اركب﴾ وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ والفتح من جهتين الأصل يا بنيا بالألف فتبدل الألف من ياء الإضافة العرب تقول يا غلاما أقبل ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء وتقر في الكتاب على ما هي في اللفظ ويجوز أن أن تحذف الألف للنداء كما تحذف ياء الإضافة وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء." (٢)

"وقرأ الباقون ﴿أقتت﴾ بالألف وحجتهم في ذلك خط المصاحف بالألف فمن همز فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز أن تبدل منها همزة فتقول في وجوه أجوه ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾ قرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد ورأ الباقون بالتخفيف وحجتهم قوله ﴿فنعم القادرون﴾ ولم يقل المقدرون فأجروا على لفظ ما جاوره إذ لم يقم على التفريق بين اللفظين وكان المعنى فيه فملكنا فنعم المالكون فكان لفظ يشاكل بعضه بعضا في **اللفظ والمعنى**

ومن شدد فإنه أحب أن يجري على معين كل واحد منهما بخلاف الآخر وذلك ﴿فقدرنا﴾ مرة بعد مرة لأنه ذكر الخلق فقال ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فذلك منه فعل متردد فشدد إرادة تردد الفعل على سنن العربية وقد أوضح هذا المعنى في تقدير خلق الإنسان بما أجمعوا فيه على التشديد وهو قوله ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى." (٣)

---

(١) حجة القراءات ابن زنجلة ص/٢٧١

(٢) حجة القراءات ابن زنجلة ص/٣٤٠

(٣) حجة القراءات ابن زنجلة ص/٧٤٣

"وهو منقطع عنه، لأنه لم يسبق كلام يقتضي بكاءها، ولا سبب يوجب ذلك، فتركيبة هذا الكلام على ما قبله في اختلال.

ثم لو (١) سلم له بيت من عشرين بيتا، وكان بديعا ولا عيب فيه - فليس بعجيب، لأنه لا يدعي على مثله أن كلامه كله متناقض، ونظمه كله متباين.

وإنما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه إلى هذا البيت، مما لا يمكن أن يقال إنه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين، فضلا عن المتقدمين.

/ وإنما قدم في شعره لأبيات قد برع فيها، وبان حذقه بها.

وإنما أنكرنا أن يكون شعره متناسبا مع الجودة، ومتشابها في صحة **المعنى واللفظ**، وقلنا: إنه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر، وعربية كالمهمل مستكرهة (٢) ، وبين كلام سليم متوسط، وبين عامي سوقي في **اللفظ والمعنى**، وبين حكمة حسنة، وبين سخف مستشنع.

ولهذا قال الله عز اسمه: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٣) .

* * * فأما قوله: وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل تجاوزت أحراسا وأهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلي (٤) فقد قالوا: عني بذلك أنها كبيضة خدر في صفائها ورقتها، وهذه كلمة حسنة، ولكن لم يسبق إليها، بل هي دائرة في أفواه العرب، وتشبيه

سائر.

ويعني بقوله: " غير معجل ": أنه ليس ذلك مما يتفق قليلا وأحيانا، بل يتكرر له الاستمتاع بها، وقد يحمله (٥) غيره على أنه / رابط الجأش، فلا (٦)

---

(١) م: " ثم إن ".

(٢) كذا في م، ك، وفي س: " كالمهل مستنكرة "! (٣) سورة النساء: ٨٢ (٤) كذا في م، ك، وفي س والمعلقات: " أحراسا إليها ومعشر على حراصا " (٥) م: " حمله " (٦) م: " ولا " (*)."[١]

"والآخر لا يخل بحال - فهذا جيد، وليس في حمل الألفاظ على الإشارة إلى هذا شئ.

والبيت الثالث، وإن كان معناه مكررا، فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم، يشبه ألفاظ المبتدئين.

وأما قوله: فضل وإفضال وما أخذ المدى * بعد المدى كالفاضل المتفضل سار.

إذا ادلج العفاة إلى الندى * لا يصنع المعروف غير معجل فالبيت الأول منقطع عما قبله، وليس فيه شئ غير التجنيس الذي ليس ببديع، لتكرره على كل لسان.

/ وقوله: " ما أخذ المدى [بعد المدى] (١) "، فإنه لفظ مليح، وهو كقول القائل: * قد أركب الآلة بعد الآلة (٢) * وروي

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني الباقلاني ص/١٧١

(٣) : " الحالة بعد الحالة ".

وكقول امرئ القيس: * سمو حباب الماء حالا على حال (٤) * ولكنها طريقة مذللة، فهو فيها تابع.

وأما البيت الثاني فقريب في **اللفظ والمعنى**.

وقوله: " لا يصنع المعروف " ليس بلفظ محمود.

وأما قوله: عال على نظر الحسود كأنما * جذبته أفراد النجوم بأحبل (٥) أو ما رأيت المجد ألقى رحله * في آل طلحة ثم لم يتحول

---

(١) الزياد من ا، ب، م (٢) في اللسان ١٣ / ٤١ " والآلة: الحالة، والجمع الآل، يقال: هو بآلة سوء، قال الراجز: قد أركب الآلة بعد الآلة * واترك العاجز بالجداله (٣) م: " وأروى " (٤) صدره كما في ديوانه ص ١٠٨ * سموت إليها بعد ما نام أهلها * (٥) في الديوان: " نظر العيون " (*)."[1]

"البيان، وأضاف إليه الخطأ في **المعنى واللفظ**، [وزعم ما زعم] (١) ، وقال ما قال فهل من فصل؟ قيل: الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه، وصنف أهل الأدب في بعضه، فكفوا، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم، فشفوا، ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا.

* وأما الغرض الذي صنفنا فيه في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن (٢) ، فلم نجده على التقريب الذي قصدنا، وقد رجونا أن يكون ذلك مغنيا ووافيا.

وإن سهل الله لنا ما نويناه: من إملاء " معاني القرآن " ٢) ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكروه، لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه، فإنما يقع على جهل القوم بالمعاني، أو بطريقة كلام العرب.

وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا، وقد قال النبي صلى الله عليه / وسلم: " فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " (٣) .

وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار، ومهدنا الطريق، فمن كمل طبعه للوقوع (٤) على فضل أجناس الكلام استدرك ما بينا.

ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل، والحكم بين فضل زهير والنابغة، أو الفضل (٥) بين البحتري وأصحابه، ولم يعرف سخف (٦) مسيلمة في نظمه، ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويسخر منه، كشعر أبي العنبس (٧) في جملة

---

(١) الزيادة من ا، ب، م (٢) ما بين الرقمين ساقط من م (٣) يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في تخريجه لهذا الحديث: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدرى (٤: ٥٧ من شرح المباركفورى) ، ضمن حديث، وقال الترمذي: " هذا حديث

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني الباقلاني ص/٢٣٤

حسن غريب "

وكذلك رواه الدارمي في سننه (٢: ٤٤١ طبعة دمشق) .

ونقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩: ٥٨ - ٥٩) عن الترمذي، وقال: " ورجاله ثقات إلا عطية العوفى، ففيه ضعف

" (٤) كذا في م، ك، وفى س للوقوف " (٥) م: " والفصل " (٦) م: " فضل مسيلمة "! (٧) كذا في م، ك.

وفى ا: " أبى العمبس ".

وس: " أبى العيس ".

وأبو العنبس: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبى العنبس بن المغيرة بن ماهان، أحد الادباء الملحاء، كان خبيث اللسان، هاجى أكثر من شعراء زمانه، ونادم المتوكل، وله مع البحترى خبر مشهور، توفى سنة خمس وسبعين ومائتين.

راجع تاريخ بغداد ١ / ٢٣٨ ومعجم الشعراء ص ٤٤٢ والاغانى ١٨ / ١٧٣ - ١٧٥.

(*)."[١]

"/ فصل في وصف وجوه من البلاغة ذكر بعض أهل الأدب والكلام (١) : أن البلاغة على عشرة أقسام (٢) :

الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان (٣) .

فأما " الإيجاز " فإنما يحسن مع ترك الإخلال **باللفظ والمعنى**، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة.

وذلك ينقسم إلى حذف، وقصر: / فالحذف: الإسقاط للتخفيف، كقوله: واسأل القرية) (٤) .

وقوله: (طاعة وقول معروف) (٥) .

وحذف الجواب كقوله: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) (٦) .

كأنه قيل: لكان هذا القرآن.

والحذف أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب (٧) .

---

(١) هذا البعض الذى لم يشأ المؤلف أن يصرح باسمه هو معاصره أبو الحسن: على بن عيسى الرماني، المعتزلي (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب النكت في إعجاز القرآن، الذى نقل عنه المؤلف هذا الفصل الطويل.

راجع ترجمة الرماني في ابن خلكان ٢ / ٤٦١، وبغية الوعاة ٣٤٤ والامتاع والمؤانسة ١ / ١٣٣ ومعجم الادباء ١٤ / ٧٣ - ٧٨ وفهرست ابن النديم ص ١٤، ٧٣، ٧٨ ونزهة الالبا ص ٣٨٩ - ٣٩٢

(٢) النكت ص ١ (٣) قال الرماني بعد ذلك: " ونحن نفسرها بابا بابا: الايجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالالفاظ القليلة إيجاز.

والايجاز على وجهين: حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام.

والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف ".

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني الباقلاني ص/٢٤٦

(٤) سورة يوسف: ٨٢ (٥) سورة محمد: ٢١ (٦) سورة الرعد: ٣١ (٧) في النكت بعد ذلك: " ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان ".

(*)."[١]

"وأما حكم المعنى فإن جهنم لما كانت أشد المحابس ومن عادة الناس إذا شددوا أمرها أن لا يفتحوا أبوابها إلا لداخل وخارج، وكانت جهنم أهولها أمرا، وأبلغها عقابا أخبر عنها الإخبار عما شوهد من أحوال الحبوس التي تضيق على محبوسها، فوقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق لذلك **اللفظ والمعنى**، ولم يكن هناك حذف.." [٢]

"على مايلائم الآيات المتقدمة له ليكون قد جمع إلى صحة **المعنى واللفظ** مشاكلة ما قبله من الآي

فأما قوله تعالى فى سورة المؤمن: (ولكن أكثر الناس لا يشكرون بعد قوله: (إن الله لذو فضل على الناس – ولو قال: ولكن أكثرهم لا يشكرون لقرب الذكر لكان من الجائز الحسن فإنه محمول على الآيات التي قبله، وهى قوله: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وقال بعده: (إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩) :

ثم جاء (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٦١)

فأظهر ذكر الناس كما أظهر فى الآيتين قبلها للمشاكلة والملائمة، وليس كذلك الأمر في سورة يونس عليه السلام، لأن الكلام هناك بني على الإضمار." [٣]

"وإما أن تعطف على فعل مثل ما وقع في الصلة بدلالة الأول عليه، فيضمر: (خلق الأرض) ، وهو ما دل عليه الأول، ثم يعطف: (وجعل فيها رواسي من فوقها عليها) ، "فيصير كأنه قال: أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فيضم) اليومان اللذان يقتضيهما خلق الأرض إلى اليومين اللذين هما لخلق ما فيها للمعنى الداعي إلى إضمار قوله: (خلق الأرض) ، بعد قوله: (ذلك رب العالمين) فهذا الذي أوجب من طريق **اللفظ والمعنى** أن يتناول الخبر الثانى فى المعطوف على الأول جملة الأيام التي وقع فيها خلق الأرض وما اتصل بها وهو بين." [٤]

"يكذبون) ، وكانت الفواصل التي تقدمتها على (يفعلون) ، فجعلت هذه تابعة لها مع صحة **المعنى واللفظ**.

والثانية في فواصل مردفة بياء أو واو وهي قوله: (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) صحة **اللفظ والمعنى**.." [٥]

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني الباقلاني ص/٢٦٢

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي ص/١١٢٣

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي ص/١١٢٩

(٤) درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي ص/١١٤٠

(٥) درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي ص/١٣٠٤

"الفتح وموضعهما رفع من أجل أن أكثر ما استعملا بالنصب على أنهما ظرفان

قوله ﴿والشمس والقمر﴾ انتصبا عطفا على موضع الليل لأنه في موضع نصب وقيل بل على تقدير وجعل فأما من قرأ وجعل الليل فهو عطف على **اللفظ والمعنى**

قوله ﴿حسبانا﴾ قال الأخفش معناه بحسبان فلما حذف الحرف ونصب وقيل إن حسبانا مصدر حسبت الشيء حسبانا وحسبا والحساب هو الاسم

قوله ﴿فمستقر ومستودع﴾ رفع بالابتداء والخبر محذوف أي فمنكم مستقر ومنكم مستودع ومن فتح القاف كان تقديره فلكم مستقر أي مستقر في الأرحام ومستودع في الأرض وقيل المستودع ما كان في الصلب وقيل مستقر معناه في القبر على قراءة من كسر القاف." (١)

"تفسير مشكل اعراب سورة الفلق

قوله تعالى من شر ما خلق ما بمعنى الذي والضمير محذوف من الصلة ودل ذلك على أن الله جل ذكره خالق كل شيء وكذلك إن جعلت ما والفعل مصدرا دل على ذلك إلا أنه لا ضمير محذوف من الكلام ومن قراه من شر بالتنوين فقد ألحد وغير **اللفظ والمعنى** لأنه يجعل ما نفيا ويقدم من وهي متعلقة عنده بخلق فيقدم ما بعد النفي عليه وذلك لا يجوز عند جميع النحويين لأن تقديره عنده ما خلق من شر فيخرج الكلام عن حده ويصير الى النفي فبعد ما هو دعاء وتعوذ يصير خبرا نفيا معترضا بين تعويذين وذلك إلحاد ظاهر وخطأ بين." (٢)

"اختلاف المعاني تبعا لاختلاف الألفاظ في الأحرف السبعة

٤٨ - وأما على كم معنى يشتمل اختلاف هذه السبعة أحرف فإنه يشتمل على ثلاثة معان يحيط بها كلها

أحدها اختلاف **اللفظ والمعنى** الواحد

والثاني اختلاف **اللفظ والمعنى** جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه

والثالث اختلاف **اللفظ والمعنى** مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه ونحن نبين ذلك إن شاء الله

٤٩ - فأما اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد فنحو قوله / السراط / بالسين و ﴿الصراط﴾ بالصاد و / الزراط / بالزاي و ﴿عليهم﴾ و ﴿إليهم﴾ و ﴿لديهم﴾ بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها و ﴿فيه هدى﴾ و ﴿عليه كنز﴾ و / منه ءايت / و ﴿عنه ماله﴾ بصلة الهاء وبغير صلتها و ﴿يؤده إليك﴾ و ﴿نؤته منها﴾." (٣)

"و ﴿فألقه إليهم﴾ بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها و ﴿أكلها﴾ و ﴿في الأكل﴾ بإسكان الكاف وبضمها و ﴿إلى ميسرة﴾ بضم السين وبفتحها و ﴿يعرشون﴾ بكسر الراء وبضمها وكذلك ما أشبهه ونحو ذلك البيان

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي مكي بن أبي طالب ١/٢٦٣

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي مكي بن أبي طالب ٢/٨٥٥

(٣) الأحرف السبعة للقرآن أبو عمرو الداني ص/٤٧

والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط

٥٠ – وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه فنحو قوله تعالى / ملك يوم الدين / بألف و ﴿ملك﴾ بغير ألف لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعا فأخبر تعالى بذلك في القراءتين

٥١ – وكذا ﴿بما كانوا يكذبون﴾ بتخفيف الذال وبتشديدها لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هم المنافقون وذلك أنهم كانوا يكذبون في." (١)

"٥٥ – وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه فكقراءة من قرأ ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ بالتشديد لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم وقراءة من قرأ ﴿قد كذبوا﴾ بالتخفيف لأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول للرسل والثاني للمرسل إليهم والظن في القراءة الثانية شك والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل

٥٦ – وكذا قراءة من قرأ / لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموت والأرض بصائر / بضم التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ فقال له موسى عليه السلام عند ذلك ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ فأخبر عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك أي ليس بمجنون وقراءة من قرأ ﴿لقد علمت﴾ بفتح التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ له على شدة معاندته للحق وجحوده له بعد علمه ولذلك." (٢)

"قال أبو عمرو فهذا جميع ما وجدته من هذا الباب مرسوما في الخط وثابتا في التلاوة بإجماع من القراءة مما يشاكل في اللفظ والمعنى مما حذفت منه الياء مما قد تقدم ذكرنا له وبالله التوفيق.

فصل

وكل ياء سقطت من اللفظ لساكن لقيها في كلمة أخرى فهي ثابتة في الرسم نحو قوله " يؤتي الحكمة " و " وما تغنى الأيات والنذر " في يونس وفي يوسف " اني اوفي الكيل " وفي الرعد: انا نأتي الارض " وفي مريم " الا ءاتي الرحمن " و " بهادي العمي " وفي النمل و " لا نبتغي الجهلين " في القصص " ايدي الناس " إن الله لا يهدي القوم " و " يلقي الروح " وما كان مثله حاشي خمسة عشر موضعا من ذلك فان المصاحف اتفقت على حذف الياء فيها وقد تقدم ذكرها في جملة الياءات المحذوفات فاغنى ذلك عن إعادتها هاهنا وبالله التوفيق.

باب ذكر ما رسم بإثبات الياء زائدة أو لمعنى

---

(١) الأحرف السبعة للقرآن أبو عمرو الداني ص/٤٨

(٢) الأحرف السبعة للقرآن أبو عمرو الداني ص/٥٠

اعلم إن كتاب المصاحف زادوا الياء في تسعة مواضع أولها في آل عمران " افاين مات أو قتل " وفي الانعام " من نبإي المرسلين " وفي يونس " من تلقاءى نفسي " وفي النحل " وايتاءى ذي القربى " وفي طه " ومن ءاناءي اليل " وفي الانبياء " افإين مت " وفي الشورى " او من وراءى حجاب " وفي الذاريات." (١)

"تفسير الوقف الحسن باب ذكر تفسير الوقف الحسن

واعلم أن الوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة **اللفظ والمعنى** جميعا، وذلك نحو قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ و ﴿الرحمن الرحيم﴾ الوقف على ذلك وشبهه حسن، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله: ﴿رب العالمين﴾ و: ﴿الرحمن الرحيم﴾ و: ﴿مالك يوم الدين﴾ لا يحسن، لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح [لأنه] تابع لما قبله. ويسمى هذا الضرب صالحا إذ لا يتمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام، ولا كاف، لأن نفسه ينقطع دون ذلك. ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي، لأنهن في أنفسهن مقاطع. وأكثر ما يوجد التام فيهن لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص، وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض، لما ذكرناه من كونهن مقاطع، ولسن بمشبهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهاياتهن.

(٩) حدثنا فارس بن أحمد المقرئ قال: حدثنا جعفر بن محمد الدقاق قال: حدثنا عمر بن يوسف قال: حدثنا الحسين بن شريك قال: حدثنا أبو حمدون قال: حدثنا اليزيدي عن أبي عمرو أنه كان يسكت عند رأس كل آية، وكان يقول: إنه أحب إلي أنه إذا كان [رأس] آية أن يسكت عندها.

وقد وردت السنة أيضا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند استعمال التقطيع، كما حدثنا خلف بن إبراهيم بن محمد المقرئ قال: حدثنا أحمد بن محمد المكي قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا أبو عبيد قال: وحدثني يحي بن." (٢)

"واو حمراء وواو سوداء ولا بد من تصوير الواو في هذا الوجه ضرورة لان **اللفظ والمعنى** يختلان بحذفها وصورة نقط ذلك كما ترى المئودة – صلى الله عليه وسلم – فصل

وكل همزة مضمومة جاءت قبل واو مرسومة سواء كانت للجمع او للبناء وسواء تحرك ما قبل الهمزة او سكن فإن المصاحف اتفق رسمها على حذف صورة الهمزة لما تقدم من كراهة توالي صورتين متفقتين في الرسم

وجائز ان تحذف واو الجمع وواو البناء وان تثبت صورة الهمزة والاول اقيس لما قدمناه من استغناء الهمزة عن الصورة ومن اختلال **اللفظ والمعنى** جميعا بحذف ما يدل على الجمع او على البناء

فالتي للجمع نحو قوله فادرءوا ويدرءون ولا يطئون وتطئوهم ومستهزءون ومتكئون وفما لئون وليواطئوا وليطفئوا وأنبئوني

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار أبو عمرو الداني ص/٥٣

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني أبو عمرو الداني ص/١١

ويستنبئونك وشبهه

والتي للبناء نحو قوله يئوسا ومذءوما ومسئولا وشبهه." [1]

"ما كان مثله نحو: قل إستهزءوا (١) والخطئون (٢) ومتكئون (٣) وفمالئون (٤)، والصبين على قراءة من همز (٥) وأنبئوني (٦) وليطفئوا (٧) وليواطئوا (٨) وفادرءوا (٩)، ولا يؤده (١٠) ومبرءون (١١)، ويستنبئونك (١٢) وبدءوكم (١٣)، ولا يطئون (١٤) ويؤسا (١٥) وشبهه أين ما أتى (١٦).

---

(١) من الآية ٦٤ التوبة لا غير.

(٢) سيأتي في موضعه في الآية ٣٧ الحاقة.

(٣) من الآية ٥٥ يس، ومثله: «يتكئون» ٣٣ الزخرف و «متكئين» ٣١ الكهف.

(٤) من الآية ٦٦ الصافات ومن الآية ٥٦ الواقعة لا غير.

(٥) سيأتي في الآية ٦١ البقرة.

(٦) ستأتي في الآية ٣٠ البقرة.

(٧) من الآية ٨ الصف ومثله في الآية ٣٢ التوبة لا غير.

(٨) سيذكره في موضعه في الآية ٣٧ التوبة.

(٩) من الآية ١٦٨ آل عمران، وقبلها في ب، ج: ويدرءون وهو كذلك من الآية ٢٤ الرعد و ٥٤ القصص.

(١٠) من الآية ٢٥٤ البقرة.

(١١) من الآية ٢٦ النور.

(١٢) من الآية ٥٣ يونس.

(١٣) من الآية ١٣ التوبة.

(١٤) من الآية ١٢١ التوبة ومثلها في الآية ٢٧ الأحزاب وفي الآية ٢٥ الفتح.

(١٥) من الآية ٨٣ الإسراء.

(١٦) اتفقت المصاحف على حذف صورة الهمزة، واختار ذلك أبو عمرو الداني فقال: «وجائز أن تحذف واو الجمع وواو البناء، وأن تثبت صورة الهمزة، والأول أقيس، لأن الهمزة قد تستغني عن الصورة وحرف قائم بنفسه، واختلال **اللفظ والمعنى** جميعا بحذف ما يدل على الجمع أو على البناء»، وقال: «والثابتة عندي في كل ما تقدم في الخط هي الثانية»، واختاره أبو داود في أصول الضبط، فقال: «والأول أختار وبه أنقط، وإليه أميل». انظر: المقنع ٣٦، المحكم ١٧٢، أصول الضبط لأبي داود ١٦٧.." [2]

---

(١) المحكم في نقط المصاحف أبو عمرو الداني ص/١٧٢

(٢) مختصر التبيين لهجاء التنزيل سليمان بن نجاح ٢/٩٦

"أخرتنى (١) وفي الفجر موضعان (٢): فى عبدى وادخلى جنتى (٣).

وءايتنا (٤) والكتب (٥) مذكور كله.

ثم قال تعالى: كما أرسلنا فيكم رسولا إلى قوله: تعلمون رأس خمسين ومائة (٦) آية [وهجاؤه مذكور (٧)].

ثم قال تعالى: فاذكروني أذكركم إلى قوله: تكفرون (٨) وكتبوا (٩): فاذكروني في بعض المصاحف بياء عقصي، أعني مردودة إلى خلف، وفي بعضها بياء وقصي أعني معرقة إلى أمام، وأنا أستحب

---

(١) من الآية ١٠.

(٢) ويقابلها في حاشية هـ: «لعله ثلاثة مواضع».

(٣) من الآية ٣٢ آخر السورة.

قال أبو عمرو الداني: «فهذا جميع ما وجدته من هذا الباب مرسوما في الخط وثابتا في التلاوة بإجماع من القراء مما يشاكل في **اللفظ والمعنى** مما حذفت منه الياء» ومثله لأبي العباس المهدوي.

انظر: هجاء مصاحف الأمصار ١١٣ المقنع ٤٥ النشر ٢/ ١٩٢ إتحاف ١/ ٣٥٤ ومما زاده ابن الجزري وابن البناء: يا عبادى في العنكبوت والزمر، ودعاءى في نوح، وبهادى العمى في النمل.

(٤) باتفاق الشيخين لأنه جمع مؤنث.

(٥) تقدم عند قوله: ذلك الكتب في أول السورة.

(٦) في أ: «ومائتا» وهو خطأ وما أثبت من ب، ق، هـ.

(٧) ما بين القوسين المعقوفين سقط من أ، ب، هـ وما أثبت من: ق وفيه في هـ: «تم الجزء الأول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

(٨) رأس الآية ١٥١ البقرة.

(٩) سقطت من أ، ب، ج، ق، وما أثبت من: هـ.." [(١)]

"والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء [النساء/ ٣] .

وضرب لبسط الكلام نحو: ليس كمثله شيء [الشورى/ ١١] ، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام نحو: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما [الكهف/ ١- ٢] ، تقديره: الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، وقوله: ولولا رجال مؤمنون إلى قوله: لو تزيلوا «١» . والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

والمتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعا خمسة أضرب:

---

(١) مختصر التبيين لهجاء التنزيل سليمان بن نجاح ٢/٢٢٤

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: فاقتلوا المشركين [التوبة/ ٥] .
والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب، نحو:
فانكحوا ما طاب لكم من النساء [النساء/ ٣] . والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، نحو: اتقوا الله حق تقاته [آل عمران/ ١٠٢] .
والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها [البقرة/ ١٨٩] ، وقوله: إنما النسيء زيادة في الكفر [التوبة/ ٣٧] ، فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.
والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل، أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح. وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم، نحو قول من قال: المتشابه الم [البقرة/ ١] ، وقول قتادة: المحكم: الناسخ، والمتشابه: المنسوخ «٢» ، وقول الأصم «٣» :
المحكم: ما أجمع على تأويله، والمتشابه: ما اختلف فيه. ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة ونحو ذلك. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة. وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته

---

(١) الآية: ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم، ليدخل الله في رحمته من يشاء، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما سورة الفتح: آية ٢٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٨.
(٣) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم المعتزلي، له تفسير عجيب، ينقل عنه الرازي. انظر لسان الميزان ٣/ ٤٢٧.." (١)

"الناس. قال تعالى: إن المتقين في جنات ونهر
[القمر/ ٥٤] ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا
[نوح/ ١٢] ، جنات تجري من تحتها الأنهار [المائدة/ ١١٩] .
والنهر: السعة تشبيها بنهر الماء، ومنه: أنهرت الدم. أي: أسلته إسالة، وأنهر الماء: جرى، ونهر نهر: كثير الماء، قال أبو ذؤيب:
-٤٥٣
أقامت به فابتنت خيمة ... على قصب وفرات نهر
«١» والنهار: الوقت الذي ينتشر فيه الضوء، وهو في الشرع: ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس، وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها. قال تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة [الفرقان/ ٦٢] وقال:

---

(١) المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني ص/٤٤٤

أتاها أمرنا ليلا أو نهارا [يونس/ ٢٤] وقابل به البيات في قوله: قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا [يونس/ ٥٠] ورجل نهر:

صاحب نهار، والنهار: فرخ الحبارى، والمنهرة:

فضاء بين البيوت كالموضع الذي تلقى فيه الكناسة، والنهر والانتهار: الزجر بمغالظة، يقال: نهره وانتهره، قال: فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

[الإسراء/ ٢٣] ، وأما السائل فلا تنهر

[الضحى/ ١٠] .

نهى

النهي: الزجر عن الشيء. قال تعالى:

أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى

[العلق/ ٩- ١٠] وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة افعل نحو: اجتنب كذا، أو بلفظة لا تفعل. ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا، فإذا قيل: لا تفعل كذا فنهي من حيث **اللفظ والمعنى** جميعا. نحو قوله تعالى: ولا تقربا هذه الشجرة [البقرة/ ٣٥] ، ولهذا قال:

ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة [الأعراف/ ٢٠] وقوله: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

[النازعات/ ٤٠] فإنه لم يعن أن يقول لنفسه: لا تفعل كذا، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت إليه وهمت به، وكذا النهي عن المنكر يكون تارة باليد، وتارة باللسان، وتارة بالقلب. قال تعالى:

أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا

[هود/ ٦٢] وقوله: إن الله يأمر إلى قوله: وينهى عن الفحشاء [النحل/ ٩٠] «٢» ، أي: يحث على فعل الخير ويزجر عن الشر، وذلك بعضه بالعقل الذي ركبه فينا، وبعضه بالشرع الذي شرعه لنا، والانتهاء: الانزجار عما نهى عنه، قال تعالى:

---

(١) البيت في ديوان الهذليين ١/ ١٤٦، وشرح أشعار الهذليين ١/ ١١٢، وتهذيب إصلاح المنطق ١/ ١٣٠.

(٢) الآية: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.." [1]

"در برغم من جهله، وأن آفته من قصور فهمه، وقلة علمه، وما يضر الشمس قصور الأعمى عن إدراكها، والحقائق عجز البليد عن لحاقها..

ولن يعرف قدر هذا الكتاب، وما فيه من العجب العجاب، إلا من وفر حظه من علوم المعقول والمنقول، وتبحر في الفروع والأصول، ثم أكب على مطالعة هذه الفصول بمسكة صحيحة، وقريحة نقية غير قريحة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني ص/٨٢٦

وأعوذ بالله من الإعجاب بالإبداع، والميل بالهوى إلى بعض الآراء في مظان النزاع، وأسأله أن يجعل مجامع مساعينا، وجل متاعبنا في طلب مرضاته، إنه ولي قدير، وبالإجابة جدير، فأقول:

لما رأيت أقاويل المفسرين في أحكام القرآن متجاوزة حد البيان، آخذة بطرفي الزيادة والنقصان، جررت في سرحها هذه الفصول، المتضمنة من **اللفظ والمعنى** شفاء كل عليل، مع انتخابي فيها قصد السبيل، وتوقي التعليل والتطويل ...

فالأول في (بسم الله الرحمن الرحيم) وما فيه من معنى الضمير، فإن فيه ضمير فعل لا يستغني الكلام عنه، لأن الباء من سائر حروف الجر لا بد أن يتصل بفعل، إما مظهر مذكور، وإما مضمر محذوف.

والمضمر في هذا الموضع إما أن يكون خبرا أو أمرا.

فإذا كان خبرا فمعناه: ابدأ بسم الله، ودل الكلام على هذا الضمير لأن القارئ مبتدئ، والحال المشاهدة منبئة عنه، ومغنية عن ذكره..

ومعنى الأمر: ابدءوا بسم الله.

ودل على الأمر قوله تعالى في موضع آخر (اقرأ باسم ربك) «١»

---

(١) سورة العلق آية ١.." (١)

"قلت ما جاء من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنون وهم المقرون بوحدانية الله تعالى وحد الآية وليس لها نظير في القرآن إلا في العنكبوت وهو قوله تعالى ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ فوحد بعد ذكر الجمع لما ذكرت والله أعلم

سورة النحل

٢٥٨ - قوله فيها في موضعين ﴿إن في ذلك لآيات﴾ بالجمع وفي خمس مواضع ﴿إن في ذلك لآية﴾ على الوحدة أما الجمع فلموافقة قوله ﴿مسخرات﴾ في الآيتين لتقع الموافقة في **اللفظ والمعنى** وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه

ومن الخمس قوله ﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ وليس له نظير وخص الذكر لاتصاله بقوله ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه﴾ فإن اختلاف ألوان الشيء وتغير أحواله يدل على صانع حكيم فما يشبهه شيء فمن تأمل فيها تذكر

ومن الخمس ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ في موضعين وليس لهما نظير وخصتا بالتفكر لأن الأولى متصلة بقوله ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ وأكثرها للأكل وبه قوام البدن فيستدعى تفكرا و تأملا ليعرف به المنعم عليه فيشكر والثانية متصلة بذكر النحل وفيها أعجوبة من انقيادها لأميرها واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق ثم تتبعها الزهر والطل من الأشجار ثم خروج ذلك." (٢)

---

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي الكيا الهراسي ٣/١

(٢) أسرار التكرار في القرآن = البرهان في توجيه متشابه القرآن الكرماني، برهان الدين ص/١٥٧

"تيقن أن له صانعا مدبرا

قال الخطيب معنى ﴿يسمعون﴾ ههنا يستجيبون إلى ما يدعوهم إليه الكتاب

وختم الآية الرابعة بقوله ﴿يعقلون﴾ لأن العقل ملاك أمر في هذه الأبواب وهو المؤدي إلى العلم فختم بذكره

٣٩١ - قوله ﴿ومن آياته يريكم﴾ أي انه يريكم وقيل تقديره ويريكم من آياته البرق وقيل أن يريكم فلما حذف ﴿إن﴾ سكن الياء وقيل من آياته كلام كاف كما تقول منها كذا ومنها كذا ومنها وتسكت تريد الكثرة

٣٩٢ - قوله ﴿أو لم يروا أن الله يبسط الرزق﴾ وفي الزمر ﴿أولم يعلموا﴾ لأن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فجاء في هذه السورة على ما يقتضيه **اللفظ والمعنى** وفي الزمر اتصل بقوله ﴿أوتيته على علم﴾ وبعده ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فحسن ﴿أولم يعلموا﴾

٣٩٣ - قوله ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ وفي الجاثية ﴿فيه بأمره﴾ لأن في هذه السورة تقدم ذكر الرياح وهو قوله ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر وإذاقة الرحمة ﴿ولتجري الفلك﴾ بالرياح بأمر الله تعالى ولم يتقدم ذكر البحر

وفي الجاثية تقدم ذكر البحر وهو قوله ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ فكنى عنه فقال ﴿لتجري الفلك فيه بأمره﴾." (١)

"فلا يألون، فكأنهم إليه -صلى الله عليه وسلم- مجتمعون، ولما يتلوه منه مستمعون، فلأبصارهم خشوع وغض، ولهم على النواجذ عض، ودمعهم بما عرفوا من الحق مرفض، وإن اختلفوا في الأفهام، وتباينوا في الخواطر والأوهام، وكلا وعد الله الحسنى، وبوأه الله المحل الأسنى، وما ظنك بشيء للماهر به حظ من حظين، ولمن يشتد عليه تمام أجرين، لكن ليس من أينعت له أيكة العلم فهو يهدب، كمن اقتصر على رواية إليها ينتدب، ذلك تمتع بالجنى، وتصرف بين **اللفظ والمعنى**، ودنا فتدلى، وكشف له عن أسراره فاجتلى، وهذا خازن أمين أدى، وظرف باطنه عرف نضح بما فيه وأندى، فحسبك منه ما بدا، وأن تجد على النار هدى، أما إن دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سبقت بنضرته، وحدتك إلى حضرته.

وإني تأملت كتابي الشيخين الإمامين: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي -رضي الله عنهما- "التبصرة" و"التيسير"١، فألفيت معناهما للاسمية موافقا، وباطنهما للعنوان مصاحبا مرافقا؛ لأنهما قرباهما للمبتدئ الصغير، وقصدا قصد التبصير والتيسير، وطولا مدى الكلام القصير، ولا درك عليهما، بل لهما الدرك والسبق الذي لا يداني ولا يدرك، لكن في كتابيهما مجال للتهذيب، ومكان للترتيب، فكم هناك من منفرد حيل بينه وبين أخيه، ونازح عن أمه وأبيه، ومنفصل عن فصيلته التي تؤويه.

ولما طالت بهما الغصة، ولاحت لي فيهما الفرصة، ورجوت أن أفوز باهتبالها، وأحرز ما يبقى من صيتهما وجمالها، واستخرت الله تعالى في ضم الشكل إلى شكله، وجمع ما تشتت من شمله، ورد النازح إلى أهله، في كتاب يسري في الآفاق نجما، ويكون كأحدهما حجما، وإن عجمه الباهر الماهر أربى وأقنع، أو سامه الشادي القاصر أعطى ومنع، بيد أنه لا يعتاص عليه منه إلا ما لا حظ له الآن فيه، وما دونه يحسبه ويكفيه، إلى أن يمتد محياه، وتشتد لحياه، فإني في مواضع صلحت فيها الزيادة، وتمت بها الإفادة، رفعت العنق إلى النص، وملت عن الأعم

---

(١) أسرار التكرار في القرآن = البرهان في توجيه متشابه القرآن الكرماني، برهان الدين ص/٢٠٣

١ صدرا عن الدار، بتحقيق وتعليق.." (١)

"بالمشبه إلا أن ألف "طلبنا" أبعد من الإمالة؛ لأنه لا تأنيث فيها، ولذلك جعل سيبويه إمالتها شذوذا. فأما إمالة هاء التأنيث فأقوى؛ لأنها تشبه ألف "حبلى" لفظا ومعنى، أما اللفظ فإنها آخر كما أنها آخر١، ولاجتماعهما في المخرج والخفاء وانفتاح ما قبلهما.

وأما المعنى فما ذكرناه من التأنيث، فجرت في إمالة ما قبلها مجرى ألف التأنيث؛ لمشابهتها إياها من طريق **اللفظ والمعنى**.

فكان الكسائي يميل ما قبل هاء التأنيث في الوقف. وذكر الأهوازي أن ذلك مروي عنه نصا في خمس كلم لا غير.

حدثنا أبي -رضي الله عنه- حدثنا أبو علي الحسين بن عبد الله، حدثنا عبد الوهاب بن محمد، حدثنا الأهوازي، حدثنا أبو إسحاق الطبري٢، حدثنا أحمد بن عثمان الأدمي، حدثنا إدريس بن عبد الكريم، حدثنا خلف بن هشام قال: سمعت الكسائي يقف على قوله تعالى: ﴿بالآخرة﴾ وعلى "نعمة، ومعصية، ومرية، والقيمة"، ونحو ذلك بكسر الراء في ﴿الآخرة﴾ ، والميم في ﴿نعمة﴾ ، والياء في "معصية" وكذلك بقيتها وما أشبهها.

وحدثنا أبو داود، حدثنا أبو عمرو، حدثنا أبو مسلم، حدثنا ابن الأنباري، حدثنا إدريس، حدثنا خلف قال: سمعت الكسائي يسكت٣ على قوله ﴿وبالآخرة﴾ وعلى ﴿نعمة﴾ و ﴿مرية﴾ و"معصية" وكذلك بقيتها وما أشبهها، يعني بالإمالة.

قال أبو جعفر: وهذه الحكاية عن خلف عنه تقتضي العموم وإطلاق القياس، لا ما ذكره الأهوازي.

---

١ أي: كل من ألف التأنيث، والألف المشبهة آخر الكلمة.

٢ هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري المالكي، بغدادي مشهور، ولد سنة "٣٢٤"هـ، وصنف في القراءات وتوفي سنة "٣٩٣"هـ "الذهبي: ٢٠١".

٣ المراد منه الوقف، وهو الذي معه تنفس.." (٢)

"والصحيح قول سيبويه، إذ لا معنى لها سوى التوكيد، ولا تكاد الأسماء تزاد. فأما «هو» فإنما جيء به ليفصل الخبر عن الوصف، فهو لمعنى.

فثبت أن «ما» حرف زيدت كزيادة «من» في النفي، وزيادة الباء في: ألقى بيده وساعده لك.

[و] زيادة «أن» و «إن» في قوله تعالى: (فلما أن جاء البشير) «١» وقوله:

فما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا «٢»

وأما قوله تعالى: (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) «٣» فإن الكسائي يقول: إن «إن» زائدة، والتقدير: في الذي

---

(١) الإقناع في القراءات السبع ابن البَاذِش ص/٨

(٢) الإقناع في القراءات السبع ابن البَاذِش ص/١٤٢

مكناكم فيه.

والفراء يقول: في الذي نمكنكم فيه. وإياه اختار أبو علي، وزعم أنه من جهة **المعنى واللفظ** أقرب.

فأما المعنى، فلأن قوله: (فيما/ إن مكناكم فيه) في المعنى في قوله: (مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) «٤» .

وكما أن «لم» نفى بلا إشكال، وكذلك «إن» ، ويبين ذلك قوله: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) «٥» فهذا كله يدل على أن تمكين من تقدمهم يزيد على تمكينهم، فهذا بمنزلة (ما لم نمكن لكم) .

---

(١) يوسف: ٩٦.

(٢) البيت لفروة بن مسيك. وطبنا، أي: عادتنا. (الكتاب ١: ٤٧٥. المغني ١: ٢٣) .

(٣) الأحقاف: ٢٦.

(٤) الأنعام: ٦.

(٥) الروم: ٩.." [١]

"ومثله: (ومكروا ومكر الله) «١» أي جازاهم.

وقوله: (فيسخرون منهم سخر الله منهم) «٢» .

ومثله: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) «٣» .

فهذا كله طباق على المعنى.

وروعى في «ما يخادعون» - طباق **اللفظ والمعنى**.

ومن ذلك قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) «٤» أبدلوا من السين صادا لتوافق الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة.

ولهذا أبدلها من أبدلها، لتوافق الطاء في الجهر.

ومثله: قوله: (أنبأهم) «٥» (فانبجست) «٦» (وإن يك) «٧» أبدلوا من النون ميما، لأن الميم يوافق الباء في المخرج، وتوافق النون في الغنة.

فلما لم يستتب إدغام النون في الباء لبعدها منها وأرادوا تقريب الصوت أبدلوها ميما.

---

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) التوبة: ٧٩.

(٣) الشورى: ٤٠.

---

(١) إعراب القرآن للباقولي - منسوب خطأ للزجاج أبو الحسن الباقولي ١٣٩/١

(٤) فاتحة الكتاب: ٥.

(٥) البقرة: ٣٣.

(٦) الأعراف: ١٦٠.

(٧) غافر: ٢٨.." [١]

"الحمد لله الذي أكرمنا بالتوحيد ودين الإسلام، وأنزل إلينا أشرف

الكتب وأحسن الكلام، وجعله معجزا في **المعنى واللفظ** والنظام.

مشتملا على علوم حارت فيها عقول الأنام، فمنه ما يوضح الحلال

ويبين الحرام، ومنه وعد على التقى ووعيد على الآثام، ومنه منسوخ

للابتلاء وناسخ للإبرام، ومنه مجمل ينبه الفكر ومفضل يصح

للأفهام، ومنه نص صريح، ومنه تنبيه على الأحكام، ومنه متشابه يجب

له التسليم، ومنه مخصوص بالإحكام، ومنه أمر ونهي وخبر واستخبار

إلى غير ذلك من الأقسام.." [٢]

"و (ما) : استفهام في موضع نصب: بـ (تعبدون) و: ما هنا بمعنى من، ولهذا جاء في الجواب: إلهك، ويجوز أن تكون «ما» على بابها، ويكون ذلك امتحانا لهم من يعقوب.

و (من بعدي) : أي من بعد موتي ؛ فحذف المضاف.

(وإله آبائك) : أعاد ذكر الإله ؛ لئلا يعطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار. والجمهور على أن (آبائك) على جمع التكسير. و (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) : بدل منهم ويقرأ: وإله أبيك ؛ وفيه وجهان: أحدهما: هو جمع تصحيح حذفت منه النون للإضافة ؛ وقد قالوا: أب وأبون وأبين، فعلى هذه القراءة تكون الأسماء بعدها بدلا أيضا. والوجه الثاني: أن يكون مفردا، وفيه على هذا وجهان: أحدهما: أن يكون مفردا في اللفظ مرادا به الجمع.

والثاني: أن يكون مفردا في **اللفظ والمعنى** ؛ فعلى هذا يكون إبراهيم بدلا منه، وإسماعيل وإسحاق عطفا على أبيك، تقديره: وإله إسماعيل وإسحاق.

(إلها واحدا) : بدل من إله الأولى. ويجوز أن يكون حالا موطئة كقولك: رأيت زيدا رجلا صالحا، وإسماعيل يجمع على سماعلة، ومساعيل، وأساميع.

قال تعالى: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١٣٤)) .

---

(١) إعراب القرآن للباقولي – منسوب خطأ للزجاج أبو الحسن الباقولي ١/٣٧٧

(٢) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ابن الجوزي ص/١٤٠

قوله تعالى: (تلك أمة) : الاسم منها: «تي» وهي من أسماء الإشارة للمؤنث، والياء من جملة الاسم، وقال الكوفيون: التاء وحدها الاسم، والياء زائدة، وحذفت الياء مع اللام لسكونها وسكون اللام بعدها.." (١)

"عز وجل: (مالك يوم الدين) وقوله (ولا الضالين)

وقوله: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

وشبه ذلك بما لا تعلق لما بعده به لفظا، ولا معنى.

وأما الكافي، ويسمى الصالح، والمفهوم، والجائز فهو الذي

يحسن الوقف عليه لإفادة الكلام، ويحسن الابتداء بما بعده، وإن كان

متعلقا بالأول بوجه من المعنى كقوله عز وجل: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) .

فهذا كلام كاف مفهوم.

والذي بعده أيضا كلام مستقل مستغن عما قبله في اللفظ، وإن اتصل به

في المعنى، وهو قوله عز وجل: (وبالآخرة هم يوقنون) .

وأما الحسن فهو الذي يحسن الوقف عليه؛ لأنه كلام مفيد حسن.

ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به لفظا ومعنى كقوله عز وجل:

(الحمد لله) فهذا كلام حسن مفيد، وقوله بعد ذلك (رب العالمين)

غير مستغن عن الأول إلا أن الحسن إذا كان رأس آية

نحو: (رب العالمين) فإنهم أجازوا الابتداء بما بعده، وإن تعلق بما

قبله في **اللفظ والمعنى** لحديث أم سلمة: ثم يقول (الرحمن الرحيم)

ثم يقف ثم يقول - (مالك يوم الدين) .

وحكى اليزيدي عن أبي عمرو أنه كان يسكت على رؤوس الآي

ويقول: إنه أحب إلي.

وقد يحتمل الموضع الواحد أن يكون تاما، وأن يكون كافيا، وأن." (٢)

"ولا يجوز الابتداء بما بعده؛ لأنه متعلق بما قبله في **اللفظ والمعنى**.

وقوله عز وجل: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) .

وقف كاف، وأم بعده منقطعة يجوز الابتداء بها.

وقوله عز وجل: (تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) .

قيل: المعنى: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء، وإلى ذلك ذهب

---

(١) التبيان في إعراب القرآن العكبري، أبو البقاء ١/١١٩

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء السخاوي ، علم الدين ص/٦٨٥

الخليل وسيبويه، فعلى هذا يوقف على أم، ويبتدأ (أنا خير) .

وقيل: هي أم المنقطعة، والتقدير: (بل أنا خير) ، فعلى

هذا يبتدأ بأم.

وقال أبو زيد: أم زائدة، فعلى هذا يوقف على (تبصرون) .

وقال الهروي في قوله عز وجل: (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) أم يقولون افتراه) .

إن أم بمعنى همزة الاستفهام والتقدير: أيقولون افتراه، فعلى هذا يبتدأ بأم.

وكذلك قال في قوله عز وجل: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم)

إن معناه: أتريدون، وقوله (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون)

(أم له البنات) (أم لهم نصيب من الملك) (أم تقولون إن إبراهيم)

(أم يقولون شاعر) - (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

(أم اتخذ مما يخلق بنات) .

قال: معنى "أم " في ذلك كله معنى همزة الاستفهام، لأنها لم يتقدمها استفهام، وكذلك." (١)

"سورة الإسراء:

٨١٦-

ويتخذوا غيب "حـ"لا ليسوء نو ... ن "ر"او وضم الهمز والمد "ع"دلا

أي: ذو غيب حلو؛ لأن قبله: ﴿لبني إسرائيل﴾ ، والخطاب حكاية ما في الكتاب، وهما مثل ما في البقرة: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ كلاهما في بني إسرائيل والمعنى واحد، ولو دخلت أن في الذي في البقرة لكانت: ﴿أن لا تعبدوا﴾ مثل أن لا تتخذوا سواء فاتحد **اللفظ والمعنى**، أما: ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ فقراءة الكسائي بالنون ظاهرة؛ لكثرة ما قبله من نونات العظمة، وقرأ غيره بالياء، فمن فتح الهمزة وقصره كما فعل الكسائي، فالفاعل هو الله تعالى كما قال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ وبعده: ﴿عسى ربكم﴾ ، أو يكون الفاعل الوعد أو البعث، وهذه قراءة ابن عامر وحمزة وأبي بكر وضم الهمز ومده حفص وهو المرموز في قوله: عدلا، والحرميان وأبو عمرو رمز لهم في البيت الآتي بقوله: سما فالضمير المرفوع في: "ليسوءوا" للعباد الين هم "أولوا بأس شديد"، واللام في: "ليسوءوا" على القراءات الثلاث متعلقة بفعل مضمر؛ أي: بعثناهم؛ ليقع ذلك، وقول الناظم: والمد بالرفع عطف على ضم الهمز.

٨١٧-

"سما" ويلقاه يضم مشددا ... "كـ"فى يبلغن امدده واكسر "شـ"مردلا

أراد كتابه يلقاه؛ أي: يستقبل به، وقرأ الباقون يلقاه بفتح الياء والتخفيف، وذلك ظاهر المعنى، والهاء للكتاب أو للإنسان؛ لأن ما لقيك فقد لقيته، ﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ فمد بعد الغين؛ أي: زد ألفا واكسر النون المشددة فيصير "يبلغان"،

(١) جمال القراء وكمال الإقراء السخاوي ، علم الدين ص/٧٠٤

والضمير للوالدين وأحدهما بدل منه وهو فاعل على قراءة القصر والنون للتأكيد فيها والله أعلم.

٨١٨-

وعن كلهم شدد وفا أف كلها ... بفتح "د"نا "ك"فؤا ونون "ع"لى "ا"عتلا

يعني أجمعوا على تشديد النون، وهذا منه زيادة في البيان وإلا فهو معلوم مما تقدم؛ لأنه لفظ بقوله: يبلغن مشدد النون وأمر بكسرها ولم يتعرض للتشديد بنفي ولا إثبات فدل على أنه لا خلاف فيه، أما أف ففيها لغات كثيرة لم يقرأ فيها إلا بثلاث: الفتح والكسر والتنوين مع الكسر وهي قراءة نافع وحفص، وهو معنى قوله: على اعتلا؛ أي: معتمدا على اعتلا قوله: كلها بالجر تأكيد لأف؛ يعني: حيث جاء وهو هنا وفي الأنبياء والأحقاف والله أعلم.

٨١٩-

وبالفتح والتحريك خطئا "م"صوب ... وحركه المكي ومد وجملا

يريد: ﴿إن قتلهم كان خطئا﴾ فلفظ بقراءة الجماعة، وذكر أن ابن ذكوان فتح الخاء والطاء وعبر عنه." (١)

"٩٢٢-

ونزل زده النون وارفع وخف وال ... ـملائكة المرفوع ينصب دخللا

لفظ بقراءة ابن كثير، وبين ما فعل فيها فقال: زده النون؛ أي: زده النون الساكنة؛ لأن النون المضمومة موجودة في قراءة الباقين وارفع؛ يعني: اللام؛ لأنه صار فعلا مضارعا فوجب رفعه وخف؛ يعني: تخفيف الزاي؛ لأن قراءة الباقين بتشديدها على أنه فعل ماض لما لم يسم فاعله وهو مطابق للمصدر الذي ختمت به الآية وهو تنزيلا، ومصدر قراءة ابن كثير إنزالا إلا أن كل واحد منهما يوضع موضع الآخر أنشد أبو علي:

وقد تطويت انطواء الخصب

وقال: حيث كان تطويت وانطويت يتقاربان حمل مصدر ذا على مصدر ذا، ولا حاجة إلى أن يقال الناظم: لم ينبه على إسكان النون ذهابا إلى أن المزيدة هي الأولى بل تجعل المزيدة هي الثانية وتخلص من الاعتراض ومن الجواب بأن خف ينبئ عن ذلك وبأن الزاي إذا خففت لم يكن بد من إسكان النون، فهب أن الأمر كذلك فمن أين تعلم قراءة الباقين أنها بالضم، وهو لم يلفظ بها.

فإن قلت: في التحقيق الزائدة هي الأولى؛ لأنها حرف المضارعة والثانية هي أول الفعل الماضي.

قلت: صحيح إلا أن الناظم لا يعتبر في تعريفه إلا صورة اللفظ ألا تراه كيف قال في يوسف: وثان ننج احذف، فأورد الحذف على الثانية؛ ليصير الفعل ماضيا وإنما المحذوف حرف المضارعة فكذا هنا، ونصب ابن كثير الملائكة؛ لأنه مفعول وننزل ورفعه الباقون؛ لأنه مفعول ونزل ودخللا حال؛ لأن قبله: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ ١ فهو مداخله ومرافقه في **اللفظ والمعنى**.

٩٢٣-

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني أبو شامة المقدسي ص/٥٦١

تشقق خف الشين مع قاف "غ"الب ... ويأمر "شـ"اف واجمعوا سرجا ولا

يريد: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ ، وفي سورة ق: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا﴾ ٢ الأصل فيها تتشقق، فمن خفف حذف إحدى التاءين ومن شدد أدغم الثانية في الشين، قال أبو علي: قال أبو الحسن: الخفيفة أكثر في الكلام؛ لأنهم أرادوا الخفة فكان الحذف أخف عليهم من الإدغام فهذا معنى قوله: غالب؛ أي: تخفيف الشين فيه مع حرف قاف أكثر من تشديدها في اللغة، ثم قال: "ويأمر شاف" أراد: ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ ؛ أي: بالغيب لإطلاقه والباقون بالخطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم- والياء إخبار عنه قال ذلك بعضهم لبعض وخاطبه بعضهم به، وقيل: ﴿لما تأمرنا﴾ المسمى بالرحمن وإن كنا لا نعرفه ثم قال: وأجمعوا سرجا؛ يعني: ﴿وجعل فيها سراجا﴾ يقرؤه حمزة والكسائي بالجمع على إرادة الشمس والنجوم العظام، وقال الزجاج: أراد الشمس والقمر والكواكب العظام معهما،

---

١ سورة الفرقان، آية: ٢٥.

٢ آية: ٤٤.." (١)

"كان صحيحا من حيث **المعنى واللفظ** فإنها بالياء أيضا ولكن امتنع ذلك خوفا من اختلال القراءة الأخرى فإنها ليست بالنون فلا يكون هذا إلى من باب التذكير والتأنيث فيكون قوله: ويعطل مطلقا من غير تقييد؛ ليدل إطلاقه له على أنه أراد به التذكير فيأخذ للباقين ضده وهو التأنيث، وشمللا خبر عن يعمل ويؤت على حذف حرف العطف.

-٩٧٣

وقرن افتح "ا"ذ نصوا يكون "لـ"ـه "ثـ"ـوى ... يحل سوى البصري وخاتم وكلا

يريد افتح القاف من: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ ، والباقون بكسرها وكلاهما فعل أمر لجماعة النساء فالمفتوح من قررت بالمكان أقر بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع في قول من أجاز ذلك ونظيره عض من عضضت وقيل: من قار يقار إذا اجتمع فيكون مثل خفن الله؛ أي: اجتمعن في بيوتكن، والمكسور من قررت بالمكان أقر بفتح الراء في الماضي وكسرها في المضارع وهي اللغة المعروفة في قررت بالمكان فيكون مثل جدن في الأمر من جددت فيه أو من وقر يقر فيكون مثل عدن من وعد، فإن أخذنا ذلك من قررت بفتح فاء وكسرها فتكون عين الفعل حذفت؛ لأنه ألقيت حركتها على الفاء، فحذفت؛ لالتقاء الساكنين هي ولام الفعل، وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بتحريك الفاء، والأصل أقررن بفتح الراء الأولى وكسرها وإن قلنا: إن قرن بالكسر من وقر يقر فالمحذوف فاء الفعل وهي الواو، وإن قلنا: إن قرن بالفتح من قار يقار فالمحذوف عين الفعل وهي واو أيضا وهذا الوجه حكاه الزمخشري عن أبي الفتح الهمداني.

وقال أبو علي: الوجه في "وقرن" بالكسر؛ لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه منهما وهما من القرار والوقار وفتح القاف على ما ذكرت من الخلاف، زعم أبو عثمان أن قررت في المكان لا يجوز، وقد حكى ذلك بعض البغداديين فيجوز الفتح في القاف على هذه اللغة إذا ثبتت، وقال أبو عبيد: والقراءة التي نختارها بكسر القاف فيكون مأخوذا من الوقار،

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني أبو شامة المقدسي ص/٦١٨

فأما الفتح فإن أشياخنا من أهل العربية كانوا ينكرونه، ويقولون إن كان من الوقار فهو بالكسر على قراءتنا وإن كان من القرار فينبغي أن يكون من أقررنا أو أقررنا قال: وقد وجدناها تخرج في العربية من وجه فيه بعد وهو شبيه بقوله: ﴿فظلتم تفكهون﴾ ١.

وأصلها من المضاعف ظللت قال مكي: وقيل: إن هذه القراءة مشتقة من قررت

به عينا أقر، قال: وليس المعنى على هذا لم يؤمرن أن تقر أعينهن في بيوتهن إنما أمرن بالقرار أو بالوقار في بيوتهن قال: والاختيار كسر القاف؛ لأن عليه المعنى الصحيح.

وأما: ﴿أن يكون لهم الخيرة﴾ ، ﴿لا يحل لك النساء﴾ فالتذكير فيهما والتأنيث ظاهران، وأبو عبيد يختار التذكير في هذا ونحوه والثرى بالقصر التراب الندي وبالمد المال الكثير فيجوز أن يكون قصره ضرورة، وقد تقدم أن الناظم يستعير هذه الأشياء ونحوها كناية عن وضوح القراءة وكثرة الحجج لها، وردا لكلام من

---

١ سورة الواقعة، آية: ٦٥.." (١)

"الخاطر، ويكون ربه تعالى قد أقسم باسمه على رسالته، وهو من أحسن الأقسام وألطفها، أعني إذا كان بين القسم والمقسم به مناسبة.

ومنه قوله تعالى: (حم (١) والكتاب المبين (٢) إنا جعلناه قرآنا عربيا.

ومنه قول أبي تمام:

وثناياك، إنها إغريض. . .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (يس) : يا إنسان بالحبشية.

وقال ابن عباس أيضا: هي في لغة طيء، وذلك أنهم يقولون إيسان بمعنى إنسان، ويجمعونه على أياسين فهذا مختصر من الجمع. وقيل: (يا) حرف نداء، والسين من إنسان بقية منه، وحذف سائره.

وقال الزمخشري: إن صح أن معناه يا إنسان على لغة طيء فوجهه أن يكون الأصل: يا أنيسين، فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم: من الله، في أيمن الله. وما قاله الزمخشري غير سديد في **اللفظ والمعنى**: أما في اللفظ فإن إنسانا لا يصغر على أنيسين بالياء، بل المسموع فيه أنيسان.

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني أبو شامة المقدسي ص/٦٤٩

وأما في المعنى فإن التصغير والحذف غض من جانب النبوة المعظمة، لكن كرامته – صلى الله عليه وسلم – على ربه، وعلو." (١)

"يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾

وقال: كأن المراد أن يجري بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص انتهى وفيه نظر

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾ فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال ﴿هذا ذكر﴾ فأكد تلك الإخباريات باسم الإشارة تقول أشير عليك بكذا ثم تقول بعده هذا الذي عندي والأمر إليك وقال ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ كما يقول المصنف هذا باب يشرع في باب آخر ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾

فصل في اتصال اللفظ والمعنى على خلاف

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ فقوله ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ منظوم بقوله ﴿قال قد أنعم الله علي﴾ لأنه موضع الشماتة وقوله ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ فإنه متصل بقوله: ﴿وإن." (٢)

"وأخرج النسائي في التفسير من جهة حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم وإسناده صحيح وحسان هو ابن أبي الأشرس وثقه النسائي وغيره

وبالثاني: قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحليمي في المنهاج والماوردي في تفسيره

وبالثالث: قال الشعبي وغيره

واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال فقيل معناه إظهار القرآن وقيل: إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان

والتنزيل له طريقان: أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه والأول أصعب الحالين

ونقل بعضهم عن السمرقندي حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما هو

أحدها أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح

---

(١) تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن الرعيني، أبو جعفر ص/١٨٢

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ١/٥٠

المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله عز وجل وهذا معنى قول الغزالي إن هذه الأحرف سترة لمعانيه." (١)

"بعده نحو: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ هنا الوقف ثم يبتدئ بما بعد ذلك وهكذا باقي المعطوفات وكل رأس آية بعدها لام كي وإلا بمعنى لكن وإن المكسورة المشددة والاستفهام وبل وألا المخففة والسين وسوف على التهدد ونعم وبئس وكيلا وغالبهن كاف ما لم يتقدمهن قول أو قسم وقيل أن المفتوحة المخففة في خمسة لا غير البقرة: ﴿وأن تصوموا﴾ ﴿وأن تعفوا﴾ ﴿وأن تصدقوا﴾ ﴿والنساء﴾ ﴿وأن تصبروا﴾ ﴿والنور﴾ ﴿وأن يستعففن﴾

والحسن هو الذي يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به في **اللفظ والمعنى** نحو ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ و ﴿الرحمن الرحيم﴾ والوقف عليه حسن لأن المراد مفهوم والابتداء بقوله: ﴿رب العالمين﴾ و ﴿الرحمن الرحيم﴾ و ﴿مالك يوم الدين﴾ لا يحسن لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع

والقبيح هو الذي لا يفهم منه المراد نحو: ﴿الحمد﴾ فلا يوقف عليه ولا على الموصوف دون الصفة ولا على البدل دون المبدل منه ولا على المعطوف دون المعطوف عليه نحو: ﴿كذبت ثمود﴾ ولا على المجرور دون الجار." (٢)

"فريق منهم: إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله في هذا الباب وإنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكما

الثاني: أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في **اللفظ والمعنى** واختاره ابن الزملكاني في البرهان

الثالث: ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ وقوله في أهل بدر: ﴿سيهزم الجمع." (٣)

"الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله وهو يتعلق بعلم البديع

مسألة في أن الإعجاز يكون في **اللفظ والمعنى** والملاءمة

وقد سبق لنا في باب الإعجاز أن إعجاز القرآن لاشتماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام مع ما تضمنه من المعاني مع ملاءمته التي هي نظوم تأليفه

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ١/٢٢٩

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ١/٣٥٢

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٢/٩٥

فأما الأول: وهو معرفة الألفاظ فهو أمر نقلي يؤخذ عن أرباب التفسير ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله تعالى: ﴿فاكهة وأبا﴾ فلا يعرفه فيراجع نفسه ويقول: ما الأب ويقول: إن هذا منك تكلف وكان ابن عباس-." (١)

"ومنها: التغليب كقوله تعالى: ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾ وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ فاستعمل "إن" مع تحقق الارتياب منهم لأن الكل لم يكونوا مرتابين فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين لأن صدور الارتياب من غير الارتياب مشكوك في كونه فلذلك استعمل "إن" على حد قوله: ﴿إن عدنا في ملتكم﴾

واعلم أن "إن" لأجل أنها لا تستعمل إلا في المعاني المحتملة كان جوابها معلقا على ما يحتمل أن يكون وألا يكون فيختار فيه أن يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه ليطابق **اللفظ والمعنى** فإن عدل عن المضارع إلى الماضي لم يعدل إلا لنكتة كقوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ فأتى الجواب مضارعا وهو "يكونوا" وما عطف عليه وهو "يبسطوا" مضارعا أيضا وأنه قد عطف عليه "ودوا" بلفظ الماضي وكان قياسه المضارع لأن المعطوف على الجواب جواب ولكنه لما لم يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشك فيها ما يحتمله أنهم إذا ثقفوهم صاروا لهم أعداء وبسطوا أيديهم إليهم بالقتل وألسنتهم بالشتم أتى فيه بلفظ الماضي لأن ودادتهم في ذلك مقطوع بها وكونهم أعداء وباسطي الأيدي والألسن بالسوء مشكوك لاحتمال أن يعرض ما يصدهم عنه فلم يتحقق وقوعه

وأما "إذا" فلما كانت في المعاني المحققة غلب لفظ الماضي معها لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع قال تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن." (٢)

"والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم "الغرابيب" هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوي التركيب وذلك أنه لما تقدم البيض والحمر دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أني يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق في المعنى أن يتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرابيب فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفى الخطاب وكمل الغرضان جميعا ولم يطرح أحدهما الآخر فيقع النقص من جهة الطرح وذلك بتقديم الغرابيب على السود فوقع في لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف وفي ذكر السود مفردا من الإتباع حظ اللفظ إذا جاء مجردا عن صورة البيض والحمر فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب ولم يخل بواحدة من الوجهين ولم يقتصر على الغرابيب وإن كانت متضمنة لمعنى السود لئلا تتنافر الألفاظ فإن ضم الغرابيب إلى البيض والحمر ولزها في قرن واحد:

كابن اللبون إذا ما لز في قرن

غير مناسب لتلاؤم الألفاظ وتشاكلها وبذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام وجاء **اللفظ والمعنى** في درجة التمام وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول وتعيا بها الألسن لا تدري ما تقول! والحمد لله." (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ١٧٤/٢

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٣٦٢/٢

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٤٤٥/٢

"لبالغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بألسنتهم فنزلت كل كلمة منزلتها.

وقوله: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ولم يذكر الكعبة لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب ولما خص الرسول بالخطاب تعظيما وإيجابا لشرعته عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة.

قاعدة:.

إذا اجتمع الحمل على **اللفظ والمعنى**، بدئ باللفظ ثم بالمعنى، هذا هو الجادة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾ أفرد أولا باعتبار اللفظ ثم جمع ثانيا باعتبار المعنى فقال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ فعاد الضمير مجموعا كقوله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فعاد الضمير من [يدخله] مفردا على لفظ [من] ثم قال [خالدين] وهو حال من الضمير.

وقوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم﴾ .

وقوله: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾ .

وقوله: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله﴾ إلى قوله: ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ .

وقد يجري الكلام على أوله في الإفراد كقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك.." (١)

"قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ الآيتين فكرر فيها ثمانية ضمائر كلها عائد على لفظ [من] ولم يرجع منها شيء على معناها مع أن المعنى على الكثرة.

وقد يقتصر على معناها في الجميع كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ . وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ فأنث [خالصة] حملا على معنى [ما] ثم راعى اللفظ فذكر وقال: ﴿ومحرم على أزواجنا﴾ .

واعترض بعض الفضلاء وقال: إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على المعنى في ذلك إذا كان ان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الأنعام يقدر مؤنثا أما إذا قدر مذكرا فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ.

وأجيب بأن اعتبار **اللفظ والمعنى** أمر يرجع إلى الأمور التقديرية لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدىء في الآية بالحمل على المعنى فيتم كلام العراقي.

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور: أن الكوفيين لا يجيزون الجمع بين الجملتين إلا بفاصل بينهما ولم يعتبر البصريون الفاصل، قال: ولم يرد السماع إلا بالفاصل كما ذهب إليه الكوفيون. ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل.." (٢)

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٣٨٢/٣

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٣٨٣/٣

"ونص ابن الدهان في لعل جواز استعماله في المستحيل محتجا بقوله لعل زمانا تولى يعود

وقال أيضا: كل ما وقع في القرآن من عسى فاعلها الله تعالى فهي واجبة وقال قوم إلا في موضعين قال تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ ولم يطلقهن ولم يبدل بهن

وقوله: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وهذه في بنى النضير وقد سباهم النبي صلى الله عليه وسلم وقتلهم وأبادهم

وقال أيضا: وهذا عندي متأول لأن الأول تقديره إن طلقكن يبدله وما فعل فهذا شرط يقع فيه الجزاء ولم يفعله والثاني تقديره إن عدتم رحمكم وهم أصروا وعسى على بابها

قال: وعسى ماضي **اللفظ والمعنى** لأنه طمع وذلك حصل في شيء مستقبل

وقال: قوم ماضي اللفظ مستقبل في المعنى لأنه أخبر عن طمع يريد أن يقع

واعلم أن عسى تستعمل في القرآن على وجهين:

أحدهما: ترفع اسما صريحا ويؤتى بعده بخبر ويلزم كونه فعلا مضارعا نحو عسى زيد أن يقوم فلا يجوز قائما لأن اسم الفاعل لا يدل على الزمان الماضي قال الله تعالى ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ فيكون أن والفعل في موضع نصب بـ" عسى"." (١)

"أو معنى نحو: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ ، فراعى لفظها وقال: ﴿وكل أتوه داخرين﴾ .

فراعى المعنى.

وقد اجتمع مراعاة **اللفظ والمعنى** في قوله تعالى: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ .

هذا إذا جعلنا من موصولة فإن جعلناها نكرة موصوفة خرجت من هذا القسم إلى الأول.

الثالث: أن تقطع عن الإضافة لفظا فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها.

فمن الأول: ﴿كل آمن بالله﴾ ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ .

ولم يقل كذبوا ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾

ومن الثاني: ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ ، ﴿كل في فلك يسبحون﴾ ﴿كل له قانتون﴾ ﴿وكل أتوه داخرين﴾

قال أبو الفتح: وعلته أن أحد الجمعين عندهم كان عن صاحبه فإن لفظ كل للأفراد ومعناها الجمع وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين جمعا فتارة روعي كما إذا صرح به وتارة روعي لفظ كل وتكون حالة الحذف مخالفة لحال الإثبات." (٢)

"فجاءت التثنية بهذا الاعتبار فالإفراد فيه مراعاة **المعنى واللفظ** والتثنية مراعاة المعنى من بعض الوجوه

فائدة.

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٤/١٦٠

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٤/٣٢٢

وقع في شعر أبي تمام كلا الآفاق وخطأه المعري لأن كلا يستعمل في الاثنين لا الجمع

قال: ولم يأت في المسموع: كلا القوم، ولا كلا الأصحاب وإنما يقال كلا الرجلين ونحوه فإن أخذ من الكلأ من قولك: كلأت الشيء إذا رعيته وحفظته فالمعنى يصح إلا أن المتكلم يقصر وهي ممدودة." [1]

"فائدة.

قيل: إنما كان "من" لمن يعقل و"ما" لما لا يعقل لأن مواضع ما في الكلام أكثر من مواضع من وما لا يعقل أكثر ممن يعقل فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير وأعطوا ما قلت مواضعه للقليل وهو من يعقل للمشاكلة والمجانسة

تنبيه.

ذكر الأبياري في شرح البرهان أن اختصاص من بالعاقل وما بغيره مخصوص بالموصولتين أما الشرطية فليست من هذا القبيل لأن الشرط يستدعي الفعل ولا يدخل على الأسماء

تنبيه

وقد سبق في قاعدة مراعاة **اللفظ والمعنى** بيان حكم من في ذلك وقوله تعالى: ﴿إلا من كان هودا أو نصارى﴾ فجعل اسم كان مفردا حملا على لفظ من وخبرها جمعا حملا على معناها ولو حمل الاسم والخبر على اللفظ معا لقال إلا من كان يهوديا أو نصرانيا ولو حملهما على معناها لقال إلا من كانوا هودا أو نصارى فصارت الآية الشريفة بمنزلة قولك لا يدخل الدار إلا من كان عاقلين وهذه المسألة منعها ابن السراج وغيره وقالوا لا يجوز أن يحمل الاسم والخبر معا على اللفظ فيقال إلا من كان عاقلا أو يحملا معا على المعنى فيقال إلا من كانوا عاقلين وقد جاء القرآن بخلاف قولهم." [2]

"البليات، ووعد المتقين والمحسنين بأعظم المثوبات، بقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ .

الناسخ والمنسوخ فى هذه السورة ثلاث آيات منسوخة م ﴿تتخذون منه سكرا﴾ م ﴿إنما حرم ربي الفواحش﴾ ن ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ م آية السيف ن ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ م آية السيف ن.

المتشابهات:

فيها فى موضعين ﴿إن في ذلك لآيات﴾ بالجمع. وفى خمسة مواضع: ﴿إن في ذلك لآية﴾ على الوحدة. أما الجمع فلموافقة قوله: ﴿مسخرات﴾ فى الآيتين؛ لتقع المطابقة فى **اللفظ والمعنى**. وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه.

من الخمس قوله: ﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ وليس له نظير. وخص بالذكر لاتصاله بقوله: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه﴾ ؛ فإن اختلاف ألوان الشيء وتغير أحواله يدل على صانع حكيم لا يشبهها ولا تشبهه، فمن تأمل فيها اذكر.." [3]

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٣٢٧/٤

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٤١٤/٤

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ٢٨٠/١

"قوله: ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشآء﴾ وفى الزمر ﴿أولم يعلموا﴾ لأن بسط الرزق مما يشاهد ويرى، فجاء فى هذه السورة على ما يقتضيه **اللفظ والمعنى**. وفى الزمر اتصل بقوله ﴿أوتيته على علم﴾ وبعده: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (فحسن "أو لم يعلموا".

قوله: ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ ، وفى الجاثية: ﴿فيه بأمره﴾ ، لأن فى هذه السورة تقدم ذكر الرياح، وهو قوله: ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر، وإذاقة الرحمة، ولتجرى الفلك بالرياح بأمر الله تعالى. ولم يتقدم ذكر البحر. وفى الجاثية تقدم ذكر البحر، وهو قوله: ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ فكنى عنه، فقال: ﴿لتجري الفلك فيه بأمره﴾ .

* * *

(فضل السورة. فيه الأحاديث الساقطة. عن أبى من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله فى السماء والأرض، وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته) وحديث على: يا على من قرأ غلبت الروم كان كمن أعتق بعدد أهل الروم، وله بكل آية قرأها مثل ثواب الذين عمروا بيت المقدس.." (١)

"حكم نظائره كنهد وذبح للمنهود والمذبوح وحمل للمحمول، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين **اللفظ والمعنى** يطلعك على قدر هذه اللغة الشريفة وإن لها لشأنا ليس كسائر اللغات.

وقد ذكر الله تعالى ذلك فى مواضع كثيرة من التنزيل الحميدى منها ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ﴿والله يحب المحسنين﴾ ﴿والله يحب الصابرين﴾ ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ ﴿إني أحببت حب الخير﴾ ﴿ولاكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ وقال تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾ ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ وقال تعالى ﴿إن." (٢)

"والمتشابه من جهة **اللفظ والمعنى** خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية؛ كالعموم والخصوص، نحو: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ .

والثاني: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ .

والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ .

والرابع: من جهة المكان والأمور التى نزلت فيها، نحو قوله: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ ، وقوله: ﴿إنما النسياء زيادة في الكفر﴾ ، فإن من لا يعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

الخامس: من جهة الشروط التى بها يصح الفعل أو يفسد؛ كشروط الصلاة والنكاح.." (٣)

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ٣٦٩/١

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ٤١٨/٢

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ٢٩٥/٣

"كيف ترجون سقاطى بعدما ... جلل الرأس مشيب وصلع

وقيل: كيف يستعمل على وجهين:

أحدهما: أن يكون شرطا فيقتضى فعلين متفقى **اللفظ والمعنى** غير مجزومين؛ نحو كيف تصنع أصنع: ولا يجوز كيف تجلس أذهب باتفاق

والثانى: – وهو الغالب – أن يكون استفهاما، إما حقيقيا؛ نحو كيف زيد، أو غير حقيقى نحو: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ فإنه أخرج مخرج التعجب.

وعن سيبويه أن (كيف) ظرف؛. وعن السيرافى والأخفش أنها اسم غير ظرف. ورتبوا على هذا الخلاف أمورا.

أحدها: أن موضعها عند سيبويه نصب دائما، وعندهما رفع مع المبتدأ، نصب مع غيره.

الثانى: أن تقديرها عند سيبويه: فى أى حال، أو على أى حال؛ وعندهما، تقديرها فى نحو كيف زيد: أصحيح ونحوه، وفى نحو كيف جاء زيد: راكبا جاء زيد ونحوه.

الثالث: أن الجواب المطابق عند سيبويه: على خير ونحوه، وعندهما صحيح أو سقيم، ونحوه.

وقال ابن مالك ما معناه: لم يقل أحد إن كيف ظرف، إذ ليست زمانا ولا مكانا، ولكنها لما كانت تفسر بقولك على أى حال سؤالا عن." (١)

"بصيرة فى نهى ونوب

نهاه ينهاه نهيا: ضد أمره، فانتهى وتناهى، وهو نهو عن المنكر أمور بالمعروف.

والنهية بالضم الاسم منه، والنهية أيضا والنهاية والنهاء مكسورتين: غاية الشىء. وانتهى الشىء وتناهى، ونهى تنهية بلغ نهايته.

والنهى عن الشىء من حيث المعنى قد يكون بالقول، وقد يكون بغيره، وما كان بالقول لا فرق بين أن يكون بلفظة افعل كاجتنب، أو بلفظة لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا، فإذا قيل لا تفعل كذا فنهى من حيث **اللفظ والمعنى** جميعا، نحو قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هاذه الشجرة﴾ . وأما قوله تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ فلم يرد أن يقول لنفسه لا تفعل كذا، بل أراد ظلفها عن هواها وقمعها عن مشتهاها. وكذا النهى عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب. وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى وينهى عن." (٢)

"عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى** ؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولئن فرض فيكون من الأول.

ثم رأيت الإمام الكبير أبا الفضل الرازي حاول ما ذكرته فقال: إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه:

(الأول) اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ٤٠٢/٤

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ١٣٠/٥

(الثاني) اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

(الثالث) وجوه الإعراب.

(الرابع) الزيادة والنقص.

(الخامس) التقديم والتأخير.

(السادس) القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

(السابع) اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار، ونحو ذلك.

ثم وقفت على كلام ابن قتيبة وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر فقال: وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة:

(الأول) في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها نحو هؤلاء بناتي هن أطهر لكم و (أطهر) ، (وهل نجازي إلا الكفور) ونجازي إلا الكفور و (البخل والبخل، وميسرة وميسرة) .

(والثاني) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو ربنا باعد و (ربنا باعد) وإذ تلقونه و (تلقونه) وبعد أمة و (بعد أمه) .

(والثالث) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو (وانظر إلى العظام كيف ننشرها) وننشزها وإذا فزع عن قلوبهم و (فزع) .

(والرابع) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو طلع نضيد في موضع، وطلح منضود في آخر.

(والخامس) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو (إلا ذقية واحدة) وصيحة واحدة وكالعهن المنفوش و (كالصوف) .

(والسادس) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو: (وجاءت سكرة الحق بالموت) في:." (١)

"أبي عمرو، (الزراط) بالزاي الخالصة وجاء أيضا عن حمزة ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض، وهي موافقة للرسم كموافقة قراءة السين، وعن عمر - رضي الله عنه -، (غير المغضوب) بالرفع، أي: هم غير المغضوب أو أولئك. وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ومسلم بن جندب وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعبد الله بن يزيد القصير (عليهم) بضم الهاء ووصل الميم بالواو، وعن الحسن وعمرو بن فائد (عليهم) بكسر الهاء ووصل الميم بالياء، وعن ابن هرمز أيضا بضم الهاء والميم من غير صلة، وعنه أيضا بكسر الهاء وضم الميم من غير صلة فهذه أربعة أوجه وفي المشهور ثلاثة فتصير سبعة، وكلها لغات وذكر أبو الحسن الأخفش فيها ثلاث لغات أخرى لو قرئ بها لجاز، وهي ضم الهاء وكسر الميم مع الصلة والثانية كذلك إلا أنه بغير صلة، والثالثة بالكسر فيهما من غير صلة ولم يختلف عن أحد منهم في الإسكان وقفا. (قلت) : وبقي منها روايات أخرى رويناها منها إمالة (العالمين والرحمن) بخلاف لقتيبة عن الكسائي، ومنها إشباع الكسرة

---

(١) النشر في القراءات العشر ابن الجزري ٢٧/١

من (ملك يوم الدين) قبل الياء حتى تصير ياء، وإشباع الضمة من (نعبد وإياك) حتى تصير واوا رواية كردم عن نافع ورواها أيضا الأهوازي عن ورش ولها وجه ومنها، (يعبد) بالياء وضمها وفتح الباء على البناء للمفعول قراءة الحسن، وهي مشكلة وتوجه على الاستعارة والالتفات.

وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي – صلى الله عليه وسلم – وفائدته، فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال – تعالى –: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناها لا تخلو من ثلاثة أحوال: (أحدها) اختلاف اللفظ والمعنى واحد، (الثاني) اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، (الثالث) اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء." (١)

"وقد أفرد علماؤنا رضي الله عنهم بتصنيف إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوه إعجازه كثيرا، منهم الخطابي، والرماني، والزملكاني، والإمام الرازي، وابن سراقة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين.

والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكي في المفتاح: اعلم أن

إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن

وصفها، وكالملاحة.

وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما.

وقال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين:

أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه.

والثاني بصرف الناس عن معارضته، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه.

أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: (قرآنا عربيا) .

(بلسان عربي) . ولا بمعانيه، فإن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: (وإنه لفي زبر الأولين) .

وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد،والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ولكون الإخبار بالغيب إخبارا بالمغيب

سواء كان بهذا النظم أو بغيره، موردا بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة، فإذا فالنظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالقرط والخاتم والسوار، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها، لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد، فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتما،وإن كان العنصر مختلفا.

---

(١) النشر في القراءات العشر ابن الجزري ١/٤٩

وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحدا.

قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المحصوص.." (١)

"أحدها: أنه **اللفظ والمعنى**، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح الحفوظ

ونزل به.

وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كل حرف منها بقدر

جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله تعالى.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه - صلى الله عليه وسلم - علم تلك المعاني، وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: (نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك) .

والثالث: أن جبريل ألقى عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب

وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك.

وقال البيهقي - في معنى قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

يريد - والله أعلم: إنا أسمعنا الملك وألهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، فيكون

الملك منتقلا به من علو إلى سفل.

قال أبو شامة: هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو

إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى.

قلت: ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من

حديث النواس بن سمعان مرفوعا: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة

شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به إلى

الملائكة، كلما مر بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربنا، قال: الحق.

فينتهي به حيث أمر.

وأخرج ابن أبي مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: إذا تكلم الله بالوحي." (٢)

"وأما الكلام فمشتق من الكلم بمعنى التأثير، لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم

تكن عنده.

وأما النور فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما الهدى فلأن فيه الدلالة على الحق، وهو من باب إطلاق المصدر على

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٥/١

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٢٦٣/٢

الفاعل مبالغة.

وأما الفرقان فلأنه فرق بين الحق والباطل.

وجهه بذلك مجاهد، كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وأما الشفاء فلأنه يشفي من الأمراض القلبية، كالكفر والجهل والغل.

والبدنية أيضا.

وأما الذكر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية.

والذكر أيضا الشرف، قال الله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) ، أي

شرف، لأنه بلغتهم.

وأما الحكمة فلأنه نزل على القانون المعتبر من وضع كل شيء في محله، أو

لأنه مشتمل على الحكمة.

وأما الحكيم فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأحكمت عن

تطرق التحريف والتبديل، والاختلاف والتباين.

وأما المهيمن فلأنه شاهد على جميع الكتب والأمم السالفة.

وأما الحبل فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى.

والحبل: السبب.

وأما الصراط المستقيم فلأنه طريق إلى الجنة قويم لا عوج فيه.

وأما المثاني فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثان لما تقدمه.

وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه.

وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة **باللفظ والمعنى**:

لقوله: (إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨) صحف إبراهيم وموسى (١٩) .

حكاه الكرماني في عجائبه.." [١]

"ولا يقطعون على الكائن منها، والله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان: نسبة إلى الله تعالى تسمى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوق تسمى نسبة شك وظن، فصارت هذه الألفاظ لذلك تارة ترد بلفظ القطع حسبما هي عليه عند الله نحو: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) .

وتارة بلفظ الشك بحسب ما هي عليه عند الخلق، نحو: (فعسى الله أن يأتي

بالفتح أو أمر من عنده) .

(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ، وقد علم الله حال إرسالها ما يفضي إليه حال فرعون، لكن ورد اللفظ بصورة ما

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٢/٣٣٠

يختلج في نفس موسى وهارون من الطمع والرجاء، ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك، والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض.

وقال ابن الدهان: عسى فعل ماضي **اللفظ والمعنى**، لأنه طمع قد حصل في شيء مستقبل.

وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى، لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع.

تنبيه:

وردت في القرآن عسى على وجهين:

أحدهما رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن.

والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ناقص عامل عمل كان، فالمرفوع اسمها وما بعده الخبر.

وقيل متعد بمنزلة قارب معنى وعملا، أو قاصر بمنزلة قرب، وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها.

الثاني أن يقع بعدها أن والفعل، فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة.

وقال ابن مالك: عندي أنها ناقصة أبدا، وأن وصلتها سدت مسد الجزأين كما في: (أحسب الناس أن يتركوا) .." (١)

"وقد اجتمعا في قوله: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) . . . إلى أن قال: (منها أربعة حرم) ، فأعاد (منها) بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة، ثم قال: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ، فأعاده جمعا على (أربعة حرم) وهي للقلة.

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرا لطيفا، وهو أن المميز مع جمع الكثرة - وهو ما زاد على العشرة - لما كان واحدا وحد الضمير، ومع القلة، وهو العشرة وما دونها، لما كان جمعا جمع الضمير.

قاعدة

إذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى** بدئ باللفظ ثم بالمعنى، هذا هو الجادة في القرآن، قال تعالى: (ومن الناس من يقول) ، ثم قال: (وما هم بمؤمنين) .

أفرد أولا باعتبار اللفظ، ثم جمع باعتبار المعنى.

وكذا: (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة) .

(ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا) .

قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجئ في القرآن البداءة بالحمل

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٢/٦٢٦

على المعنى إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) ، فأنث (خالصة) حملا على معنى ما ثم راعى اللفظ فذكر فقال: (ومحرم) .

قال ابن الحاجب في أماليه: إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى.

وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ، لأن المعنى أقوى، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف.

وقال ابن جني في المحتسب: لا تجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه

إلى المعنى، وأورد عليه قوله تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) ، إلى قوله: (حتى إذا جاءنا) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى.." (١)

"وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه.

وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: الإنزال لغة بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي فمن قال القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال: القرآن هو الألفاظ فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى الثاني والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم. انتهى.

وقال غيره: في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه **اللفظ والمعنى** وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾." (٢)

"وأما المثاني، فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية فهو ثان لما تقدمه. وقيل: لتكرر القصص والمواعظ فيه وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة **باللفظ والمعنى** كقوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ حكاه الرماني في عجائبه.

وأما المتشابه، فلأنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق.

وأما الروح، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس.

وأما المجيد، فلشرفه.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٣/٤٦٩

(٢) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ١/١٥٧

وأما العزيز، فلأنه يعز على من يروم معارضته.

وأما البلاغ، فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره.

قال السلفي في بعض أجزائه: سمعت أبا الكرم النحوي يقول: سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: سمعت أبا الحسن الرماني وسئل: كل كتاب له ترجمة فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾ .

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ إنه القرآن.

فائدة

حكى المظفري في تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلا فكرهوه وقال بعضهم: سموه سفرا فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به.." (١)

"حال إرسالهما. ما يفضي إليه حال فرعون لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع. ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض.

وقال ابن الدهان: عسى فعل ماضي **اللفظ والمعنى** لأنه طمع قد حصل في شيء مستقبل.

وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع.

تنبيه

وردت في القرآن على وجهين:

أحدهما: رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماض ناقص عامل عمل كان فالمرفوع اسمها وما بعده الخبر. وقيل: متعد بمنزلة قارب معنى وعملا أو قاصر بمنزلة قرب من أن يفعل وحذف الجار توسعا وهو رأي سيبويه والمبرد. وقيل قاصر بمنزلة قرب وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها.

الثاني: أن يقع بعدها أن والفعل فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة.

وقال ابن مالك: عندي أنها ناقصة أبدا وأن وصلتها سدت مسد الجزأين كما في: ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾." (٢)

"﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ فإنه نفي للمستقبل.

قال ابن مالك: وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ .

ما

اسمية وحرفية:

فالاسمية ترد موصولة بمعنى الذي نحو: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع والغالب استعمالها فيما لا يعلم وقد تستعمل في العالم نحو: ﴿والسماء وما بناها﴾ ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ١/١٨٤

(٢) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢/٢٤٣

الله ويجوز في ضميرها مراعاة اللفظ والمعنى واجتمعا في قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾ وهذه معرفة بخلاف الباقي.

واستفهامية بمعنى أي شيء ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم نحو: ﴿ما هي﴾ ﴿ما لونها﴾ ﴿ما ولاهم﴾ ﴿وما تلك بيمينك﴾ ﴿وما الرحمن﴾." (١)

"اجتمعا في قوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ إلى أن قال: ﴿منها أربعة حرم﴾ فأعاد منها بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة ثم قال: ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ فأعاده جمعا على " أربعة حرم " وهي للقلة.

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرا لطيفا وهو أن المميز مع جمع الكثرة هو ما زاد على العشرة لما كان واحدا وحد الضمير ومع القلة وهو العشرة فما دونها لما كان جمعا جمع الضمير.

قاعدة:

إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن قال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول﴾ ثم قال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ أفرد أولا باعتبار اللفظ ثم جمع باعتبار المعنى وكذا: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم﴾ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾ .

قال الشيخ علم الدين العراقي ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ فأنث " خالصا " حملا على معنى " ما " ثم راعى اللفظ فذكر فقال: ﴿محرم﴾ . انتهى.

قال ابن الحاجب في أماليه: إذا حمل على اللفظ الحمل بعده على." (٢)

"وقال القاضي أبو بكر وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته

قال ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة وله طريق تسلك فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعضه أدق وأغمض

وقال الإمام فخر الدين وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب

وقال الزملكاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوضع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢/٢٨٧

(٢) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢/٣٤٢

وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية." (١)

"الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزا ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزا ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا والأسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا ولأن الإعجاز يوجد دونه أي الأسلوب في نحو: ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه وبها أي بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علما.

وقال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين:

أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه

والثاني: بصرف الناس عن معارضته فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى** فإن ألفاظه ألفاظهم قال تعالى: ﴿قرآنا عربيا﴾ ﴿بلسان عربي﴾ ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم؛." (٢)

"أو بغيره موردا بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو بإشارة فإذن النظم؛ المخصوص صورة القرآن **واللفظ والمعنى** عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتما وإن كان العنصر مختلفا وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحدا

قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحروف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله. الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له: المنثور من الكلام.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٤/٩

(٢) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٤/١١

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع

والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج." (١)

"الفصل الرابع

ذكر نزول القرآن الكريم

ذهب جمهور العلماء إلى أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وكان النازل به جبريل فوضعه في بيت العزة وأملاه على السفرة ثم نزل بعد ذلك نجوما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين

والسر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا التفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وإعلاما لسكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل

ونزوله بعد ذلك منجما لحكمة إلهية اقتضت ذلك بحسب الوقائع واختلفوا في المنزل به فقيل **اللفظ والمعنى** وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به

وقيل المعنى خاصة وأنه عليه السلام علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب بدليل ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾

وقيل أن جبريل ألقى عليه المعنى وأنه عبر عنه بلغة العرب وأهل السماء يقرأونه بالعربية ثم أنزل به كذلك وذكر بعضهم أن اللغات التي نزل بها كلام الله ثلاث

العربية والعبرانية والسريانية

فالقرآن بالعربية والتوراه بالعبرانيه والإنجيل بالسريانية

فهذه العبارات جميعها كلام الله من غير خلاف بين العلماء لأنه يفهم منها كلام الله القائم بالنفس

واجمعوا على أن المحفوظ في الصدور والمقروء بالألسن والمكتوب في المصاحف يقال له كلام." (٢)

"لأن «حتى» للابتداء إذا كان بعدها إذا إلا قوله: «حتى إذا بلغوا النكاح»؛ فإنها لانتهاء الابتداء، وجواب إذا قوله: «جاءتها ريح».

﴿من كل مكان﴾ [٢٢] حسن، ومثله «له الدين»، لأن «دعوا الله» جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فما كان حالهم في تلك الشدة؟ قيل: دعوا الله، ولم يدعوا سواه.

﴿من الشاكرين (٢٢)﴾ [٢٢] كاف، ومثله «بغير الحق».

﴿على أنفسكم﴾ [٢٣] تام لمن قرأ: «متاع» بإضمار مبتدأ محذوف تقديره: هو متاع، أو ذلك متاع، وكذا لو نصب

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ١٢/٤

(٢) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن مرعي الكرمي ص/٢٣٤

بمحذوف، أي: تبغون متاع، أو رفع «بغيكم» على الابتداء، و «على أنفسكم» في موضع الخبر، وفيه ضمير عائد على المبتدأ تقديره: إنما بغيكم مستقر على أنفسكم، وهو متاع، ف «على» متعلقة بالاستقرار، وكذا لو رفع «بغيكم» على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: إنما بغيكم على أنفسكم من أجل متاع الحياة مذموم، وليس بوقف إن رفع خبرا عن قوله: «بغيكم»، و «على أنفسكم» متعلق بالبغي، فلا ضمير في قوله: «على أنفسكم»؛ لأنه ليس بخبر المبتدأ، فهو ظرف لغو، أو نصب «متاع» ب «بغيكم»، أو نصب على أنه مفعول من أجله، أي: من أجل متاع، وبالنصب قرأ حفص عن عاصم؛ على أن «متاع» ظرف زمان، أي: زمن متاع، وقرأ باقي السبعة: «متاع» بالرفع (١).

﴿تعملون (٢٣)﴾ [٢٣] تام، ولا وقف من قوله: «إنما مثل» إلى «والأنعام»، فلا يوقف على قوله: «فاختلط»، وزعم يعقوب الأزرق أنه هنا، وفي الكهف تام؛ على استئناف ما بعده جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر، وفي هذا الوقف شيء من جهة **اللفظ والمعنى**، فاللفظ أن «نبات» فاعل بقوله: «فاختلط» أي: فنبت بذلك المطر أنواع من النبات يختلط بعضها ببعض، وفي المعنى تفكيك الكلام المتصل الصحيح، والمعنى الفصيح، وذهاب إلى اللغو والتعقيد.

﴿والأنعام﴾ [٢٤] حسن؛ لأن «حتى» ابتدائية تقع بعدها الجمل، كقوله:

فما زالت القتلى تمج دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل (٢)

---

(١) وجه من قرأ: ﴿متاع الحياة﴾ بالنصب على المصدر، والمعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا، ومن رفعها، إما أن تكون خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: ذلك متاع، وإما أن تكون ﴿متاع﴾ خبر لقوله: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٢٤٨)، الإملاء للعكبري (٢/ ١٥)، البحر المحيط (٥/ ١٤٠)، المعاني للفراء (١/ ٤٦١)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٣٠)، الكشف للقيسي (١/ ٥١٦)، النشر (٢/ ٢٨٣).

(٢) البيت من الطويل، وقائله جرير، ولفظه كما ورد بالموسوعة الشعرية:

وما زالت القتلى تمور دماؤها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والبيت من قصيدة يقول في مطلعها:

أجدك لا يصحو الفؤاد المعلل ... وقد لاح من شيب عذار ومسحل

جرير: (٢٨ - ١١٠ هـ/٦٤٨ - ٧٢٨ م) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا.-الموسوعة الشعرية." (١)

---

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني الأُشْمُوني، المقرئ ١/٣٢٧

"كالمشدد كما يفعله كثير فان سكن الدال وجاء بعده مثله او تاء وجب الإدغام نحو وقد دخلوا لقد تاب ومهدت ووعدتم واحرص على إظهارها وقلقلتها في ص فاتحة مريم لئلا تدغم في ذال ذكر إن قرأت بالإظهار.

فصل الذال

يخرج الذال من المخرج العاشر من مخارج اللسان وهو حرف مجهور رخو مستفل منفتح مصمت متوسط مرقق الا انه إلى الضعف اقرب ويقع الخطأ فيها من اوجه منها تفخيمها وأحرى إن جاورت حرفا مفخما نحو الأذ قان وذاق وذرة وذروا ولا تذر وذرهم إذ على اللسان كلفة في الترقيق مع التفخيم فيجري على وتيرة واحدة طلبا لليسر وكذلك إذا أتى بعدها ألف نحو ذلك وهذا فذانك وكذلك إذا جاء بعدها لام مفخم نحو معاذ الله فمن لم يعتن بترقيتها في ذلك كله فخمها وخرج بها من الانفتاح والانسفال إلى الاطباق والاستعلاء فصارت ظاء لاتفاقها في المخرج ولذلك يبدل أحدهما من الآخر كثير من الجهال في نحو المنذرين والمنظورين وظللنا وذللنا ومحذورا ومحظورا وبعضهم يجعلها عند حروف الاستعلاء ضادا وهو لحن فاحش ومنها ما يفعله بعض العجم ومن يقتدي بهم من إبدالها دالا مهملا او زايا ولا تحل القراءة به إذ فيه فساد **اللفظ والمعنى**، ومنها عدم بيان ما فيها من الجهر اذا اتت قبل الحرف المهموس نحو واذكروا إذ كنتم حتى تصير تا كما يفعله كثير من الناس لاتفاقهما في المخرج ولولا الجهر الذي فيها لكانت ثا فان سكنت واتى بعدها مثلها وحب إدغامها فيه نحو إذ ذهب وكذلك إذا أتى بعدها ظا وذلك في موضعين إذ ظلموا بالنساء وإذ ظلمتم بالزخرف وجب إدغامها فيه فتنطق بظاء مشددة وهذا لا خلاف فيه بين الناس واختلف في إدغامها في التاء في نحو اتخدت واتخدتم فاظهرها المكي وحفص واختلف عن رويس." (١)

"حرف استعلاء أو لم تكن الكسرة عارضة كما مثل فان كان بعدها حرف استعلاء متصل والواقع منه في القرآن ثلاثة أحرف القاف في فرقة بالتوبة والطا في قرطاس بالأنعام والصاد في إرصادا في التوبة ومرصادا بالنبأ ولبالمرصاد بالفجر ولا خلاف في تفخيمها من اجل حرف الاستعلاء فان كان حرف الاستعلاء مكسورا والوارد من ذلك في القرآن موضع واحد في الشعراء فكان كل فرق ففيه الترقق والتفخيم والوجهان صحيحان صحح كل واحد منهما جماعة وخرج بقيد الاتصال في حرف الاستعلا ما إذا كان منفصلا بان كانت الرا في آخر كلمة وحرف الاستعلا في أول كلمة أخرى نحو فاصبر صبرا وأنذر قومك ولا تصاعر خدك فلا عبرة بحرف الاستعلا ق مثل هذا ولابد من الترقيق لأجل الفصل الخطي وكذلك إذا كانت الكسر عارضة نحو أم ارتابوا ولمن ارتضى ويابنبي اركب ورب ارجعون فلا خلاف بينهم في التفخيم وأما نحو لكم ارجعوا وءامنوا اركعوا والذين ارتدوا وتفرحون ارجع فلا تقع الكسرة فيه إلا في حال الابتداء فالرا فيه أيضا مفخم لعروض الكسر وأما قوله تعالى وعذاب اركض فان قرىء بضم التنوين على قراءة نافع وغيره فالتفخيم ظاهر لوقوع الراء بعد ضم وان قرئ بكسرة على قراءة البصري وغيره فتفخم أيضا لعروض الكسر فان اجتمع في الكلمة راءان إحداهما مفخمة والأخرى مرققة نحو بشرر والضرر وسرر فيتأكد الاعتناء بتفخيم الأولى وترقيق الثانية إلا على طريق الأزرق من ترقيق الأولى

---

(١) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين أبو الحسن الصفاقسي ص/٥٨

من بشرر وكثير من الناس إما يرققهما معا أو يفخمها معا لكل القراء وهو لحن، ومنها " حذفها في مثل قدير وخبير وبصير عند الوقف عليها لأنها حرف مستعص على اللسان لانضغاطها في مخرجها ولما فيها من الشدة والتكرير فيسهل على اللسان تركها ويفعله كثير من الناس وهو لحن فاحش وخطأ ظاهر لتغيره **اللفظ والمعنى** وسيأتي حكم الوقف عليه إن شاء الله مفصلا في باب الوقف والله اعلم.." (١)

"واحدا وهو لحن فاحش وخطأ ظاهر يغير **اللفظ والمعنى** وكلام الله جل ذكره ينزه عن هذا. قال ابن الحاجب في مختصره الفقهي ومنه من لا يميز الضاد والظاء قال شارحه خليل وإلا ظهر عود الضمير إلى اللحان وكذا ذكره اللخمي وأبن يونس وابن بشير وغيرهم أعني انهم ذكروا من لا يميز بينهما من اللحن انتهى – ونص ابن يونس قال أبو محمد عن ابن اللباد ومن صلى خلف من يلحن في أم القران فليعد إلا إن تستوي حالتهما وقاله ابن القابسي قال هو وأبو محمد وكذا من لا يميز في أم القرءان الظاء من الضاد انتهى – وقال في التمهيد إذا قلنا الظالين بالظاء كان معناه الدايمين وهذا خلاف مراد الله تعالى وهو مبطل للصلاة انتهى – وهو كما قال لأن معناه الضالين عن الهدى وقيل." (٢)

"ومنها البتر ويسميه بعضهم الإدماج وهو حذف حروف المد وهو كثيرا ما يجري على السنة الناس نحو أفلا تعقلون، بلى من أوفى بعهده واتقى، به شيئا، من بعد ذلك وأصلحوا، لاسيما إن تكرر حرف المد نحو شياطينهم وجاءانا والعالمين وهو لحن فاحش يغير **اللفظ والمعنى** قال الداني رحمه الله والبتر مكروه قبيح لا يعمل عليه ولا يؤخذ به إذ هو لحن لا يجوز بوجه ولا تحل القراءة به وقال الجعبري في حروف المد مد اصلي وفي حرفي اللين مد ما يضبط كل منهما بالمشافهة، والإخلال بشيء منه لحن وهذا معنى قول مكي في حرفي اللين والمد بعض ما في حروف المد وقد نص عليه سيبويه.

ومنها مد ما لا مد فيه نحو معايش وحام وهو لحن لا تحل القراءة به فأحذر من ذلك ولا تكن من الغافلين.

ومنها الزيادة على المد السايغ وبعض الناس ابتدع في قراءة القرآن أصواتا كأصوات الغنا مأخوذة عندهم من الموسيقى لأجلها يمدون للمقصور ويقصرون للممدود ويزيدون في مده ما لم يقل به قارئ ولا نحوي وربما سكنوا المتحرك وحركوا الساكن وحذفوا حروف المد وهذا كله حرام كما ذكره غير واحد من فقهاء المذاهب الأربعة وحكى النووي في تبيانه الإجماع عليه، أما تحسين الصوت بالقراءة من غير إخراج القراءة عن وجهها المنقول فيها فيقرأ لكل راو بما صح له من مد أو قصر أو توسط الإدغام أو تفكيك أو همز أو تخفيف أو فتح أو إمالة فهو أمر مطلوب مستحسن مندوب لا سيما إن كان من ذي صوت حسن ونغمة حلوة فانه يجرح القلب ويجري الدموع وتحصل معه الإنابة والخشوع وقد قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم رواه أبو داود." (٣)

"الفحام فيها سوى بين بين، وقال في موضع آخر ولعل ذلك وهم من بعضهم حيث رأى بعضهم الرواة عن ورش يقرءونه بالخبر فظن أن ذلك على وجه البدل، ثم حذفت إحدى الألفين، وليس كذلك بل هي رواية الأصبهاني عن أصحابه

---

(١) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين أبو الحسن الصفاقسي ص/٦١

(٢) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين أبو الحسن الصفاقسي ص/٨٤

(٣) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين أبو الحسن الصفاقسي ص/١١٨

عن ورش ورواية أحمد بن صالح ويونس بن عبد الأعلى وأبي الأزهر كلهم عن ورش يقرءونها بهمزة واحدة على الخبر كحفص فمن كان من هؤلاء يروي المد لما بعد الهمز يمد ذلك فيكون مثل آمنوا إلا أنه بالاستفهام وأبدل وحذف انتهى بتصرف، وأما النظر فحسبك أن فيه تغيير **اللفظ والمعنى**، أما تغيير اللفظ فظاهر وهو مصرح به في كلام القائل بجواز البدل حيث قال فتبقى قراءة ورش إلى آخره، وأما المعنى فإن الاستفهام يرجع خبرا ولو باحتمال.

فإن قلت: يجاب عن هذا بما قاله الأذفوي يشبع المد ليدل على أن مخرجها مخرج الاستفهام دون الخبر.

قلت: وإن تعجب فاعجب من صدور هذه المقالة من عالم لا سيما ممن برع في علوم القراءات وكان من أعلم أهل عصره بمصر وهو الإمام أبو بكر محمد بن علي الأذفوي إذ يلزم عليه أن جميع ما نقرؤه بالمد من باب آمنوا* نحو آمن الرسول. خرج من باب الخبر إلى الاستفهام وهو ظاهر الفساد وقوله لا تصير قراءة ورش مثل قراءة حفص إلى آخره فيه نظر مع قول المحقق: فمن كان من هؤلاء يروي المد إلى آخره بل هو على إطلاقه وهذه الكلمة من مداحض أقدام العلماء ولا يقوم بواجب حقها إلا العلماء المطلعون على المذاهب المختصون بالفهم الفائق والدراية الكاملة، وقد كشفت لك عنها الغطا وميزت لك الصواب من الخطأ والفضل والمنة لله العلي العظيم.." (١)

"في خبر يوم السقيفة (١) والأصل في الإطلاق الحقيقة، فالأجزاء كلمات حقيقية لغوية مع أنها ليست ألفاظا كذلك إذ ليست حروفها عارضة لصوت واللفظ الحقيقي ما كانت حروفه عارضة وهو لكونه صورة اللفظ النفسي الحكمي دال عليه وهو دال في النفس على معناه بلا شبهة ولا انفكاك فيصدق على اللفظ النفسي بمعناه أنه مدلول اللفظ الحقيقي ومعناه، فتفسير المعنى النفسي المشهور عن الأشعري بمدلول اللفظ وحده كما نقله صاحب المواقف عن الجمهور لا ينافي تفسيره بمجموع **اللفظ والمعنى** كما فسره هو أيضا وذلك بأن يحمل اللفظ في قوله على النفسي وفي قول الجمهور على الحقيقي، ولا شك حينئذ أن مجموع النفسي ومعناه من حيث المجموع يصدق عليه أنه مدلول اللفظ الحقيقي وحده لأن اللفظ الحقيقي لكونه صورة النفسي في مرتبة تنزله دال عليه، ويدل على أن المراد المجموع قول إمام الحرمين في الإرشاد: ذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس وهو القول أي المقول الذي يدور في الخلد وهو اللفظ النفسي الدال على معناه بلا انفكاك- نعم عبارة صاحب المواقف غير واضحة في المقصود وله مقالة مفردة في ذلك.

ومحصولها كما قال السيد قدس سره أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير فالشيخ لما قال الكلام النفسي هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده، وأما العبارات فإنما تسمى كلاما مجازا لدلالته على ما هو كلام حقيقي حتى صرحوا بأن الألفاظ خاصة حادثة على مذهبه أيضا لكنها ليست كلامه حقيقة، وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم إكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الأحكام الدينية، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمرا شاملا للفظ والمعنى جميعا قائما بذات الله تعالى وهو مكتوب

---

(١) غيث النفع في القراءات السبع أبو الحسن الصفاقسي ص/٢٥٠

في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة «وما يقال» من أن الحروف والألفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتب إنما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة، فالتلفظ حادث والأدلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعا بين الأدلة وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفا لما عليه متأخر وأصحابنا إلا أنه بعد التأمل يعرف حقيته انتهى «واعتراضه» الدواني بوجوه قال «أما أولا» فلأن مذهب الشيخ أن كلامه تعالى واحد وليس بأمر ولا نهي ولا خبر وإنما يصير أحد هذه الأمور بحسب التعلق وهذه الأوصاف لا تنطبق على الكلام اللفظي وإنما يصح تطبيقه على المعنى المقابل للفظ بضرب من التكلف «وأما ثانيا» فلأن كون الحروف والألفاظ قائمة بذاته تعالى من غير ترتب يفضي إلى كون الأصوات مع كونها أعراضا سيالة موجودة بوجود لا تكون فيه سيالة وهو سفسطة من قبيل أن يقال الحركة توجد في بعض الموضوعات من غير ترتب وتعاقب بين أجزائها «وأما ثالثا» فلأنه يؤدي إلى أن يكون الفرق بين ما يقوم بالقارىء من الألفاظ وبين ما يقوم بذاته تعالى باجتماع الأجزاء وعدم اجتماعها بسبب قصور الآلة «فنقول» هذا الفرق إن أوجب اختلاف الحقيقة فلا يكون القائم بذاته من جنس الألفاظ وإن لم يوجب وكان ما يقوم بالقارىء وما

---

(١) حيث قال: فلما سكت أي خطيب الأنصار: - أردت أن أتكلم وكنت زورت في نفسي مقالة أعجبتي أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر- إلى أن قال- فكان هو أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها- الأثر بطوله اهـ منه.." (١)

"نسخ الحديث وفيه بعد بل لا قائل به «خامسها» أن المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق، وفيه أن ذلك ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى**، واللفظ الواحد بهذه الصفات باق على وحدته فليس فيه حينئذ جليل فائدة.

«سادسها» أن المراد سبعة أصناف وعليه كثيرون ثم اختلفوا في تعيينها فقيل: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص، وقيل: إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله ومجانبة الإشراك والترغيب في الثواب، والترهيب من العقاب، وقيل أمر ونهي ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار. وقيل غير ذلك والكل محتمل بل وأضعاف أمثاله إلا أنه لا مستند له ولا وجه للتخصيص.

«سابعها» أن المراد سبع لغات وإليه ذهب ثعلب وأبو عبيد والأزهري وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقي. واعترض بأن لغات العرب أكثر، وأجيب بأن المراد أفصحها وهي لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر واستنكره ابن قتيبة قائلا: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش بدليل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه [إبراهيم: ٤] وعليه يلتزم كون السبع في بطون قريش، وبه جزم أبو علي الأهوازي وليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل أنها مفرقة فيه ولعل بعضها أسعد من بعض وأكثر نصيبا. وقيل السبع في مضر خاصة لقول عمر رضي الله عنه: نزل القرآن بلغة مضر،

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٣/١

وقال بعضهم: إنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسيد بن خزيمة وقريش، وقيل أنزل أولا بلسان قريش ومن جاورهم من الفصحاء ثم أبيح للعرب أن تقرأه بلغاتها دفعا للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولم يقع ذلك بالتشهي بل المرعي فيه السماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وكيفية نزول القرآن على هذه السبع أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل عرضة بحرف إلى أن تمت. قال السيوطي بعد نقل هذا القول وذكر ما له وما عليه وبعد هذا كله هو مردود بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات انتهى، ويا ليت شعري ادعى أحد من المسلمين أن معنى إنزال القرآن على هذه السبع من لغات هؤلاء العرب أنه أنزل كيفما كان وأنهم هم الذين هذبوه بلغاتهم ورشحوه بكلماتهم بعد الإذن لهم بذلك فإذا لا تختلف أهل قبيلة واحدة في كلمة ولا يتنازع اثنان منهم فيها أبدا أم أن الله تعالى شأنه ظهر كلامه في مرايا هذه اللغات على حسب ما فيها من المزايا والنكات. فنزل بها وحيه. وأداها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، ووعاها أصحابه فكم صحابي هو من قبيلة وعى كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرى وكلاهما من السبع وليس له أن يغير ما وعى بل كثيرا ما يختلف صحابيان من قبيلة في الرواية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل من روايتيهما على غير لغتهما كل ذلك اتباعا لما أنزل الله تعالى وتسليما لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ينفي صحابي غير روايته وينكر رواية غيره وكل ذلك يدل على أن مرجع السبع الرواية لا الدراية فرد الإمام السيوطي لا أدري ماذا أرد منه وما الذي أسكت عنه، فها هو بين يديك، فاعمل ما شئت فيه، وسلام الله تعالى عليك، ومما ذكرناه علمت أن القلب يميل إلى هذا السابع فافهم، وقد حققنا بعض الكلام في هذا المقام في كتابنا الأجوبة العراقية، عن الأسئلة الإيرانية فارجع إليه إن أردته والله سبحانه وتعالى أعلم «الفائدة السادسة» في جمع القرآن وترتيبه، اعلم أن القرآن جمع أولا بحضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع. وثانيا بحضرة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقد أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت أيضا قال «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال." (١)

"جمع أمرين ونهيين وبشارتين أي مع ما فيه مما يدرك بالذوق وبعضهم جعل المدار النظم المخصوص والباقي تابع له قائلا إن الإعجاز المتعلق بالفصاحة والبلاغة لا يتعلق بعنصره الذي هو **اللفظ والمعنى** فإن الألفاظ ألفاظهم كما قال تعالى قرآنا عربيا [الزخرف: ٣، يوسف: ٢، طه: ١١٣، الزمر: ٢٨، فصلت: ٣، الشورى: ٧] بلسان عربي [الشعراء: ١٩٥] ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة كما قال تعالى: وإنه لفي زبر الأولين [الشعراء: ١٩٦] وما فيه من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونه حاصلا من غير سبق تعليم وتعلم ولكون الإخبار بالغيب إخبارا بما لا يعتاد سواء كان بهذا النظم أو بغيره موردا بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة، فإذا هو متعلق بالنظم المخصوص الذي هو صورة القرآن وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٢/١

واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار إذا كان الكل من ذهب مثلا فإن الاسم مختلف والعنصر واحد وكالخاتم المتخذ من ذهب وفضة وحديد يسمى خاتما والعنصر مختلف فظهر أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بنظمه المخصوص وإعجاز نظمه قد سلف بيانه وأنت تعلم ما فيه وإن كان قريبا إلى الحق، وأبعد الأقوال عندي كونه بالصرفة المحضة حتى أن قول المرتضى فيها غير مرتضى كما لا يخفى على من أنصفه ذهنه واتسع عطنه، وأبعد من ذلك كونه بالقدم كما هو قريب ممن هو حديث عهد بما تقدم- وسيأتي إن شاء الله تعالى- تتمة لهذا الكلام من بيان اختلاف الناس أيضا في تفاوت مراتب الفصاحة والبلاغة في آياته ويتضح لك ما هو الحق الحقيق بالقبول والله تعالى المبتغى والمسئول، ولنقتصر من الفوائد على هذا المقدار وفي السبعة ما لا يحصى من الأسرار، وهذا أوان تقبيل شفاه الأقلام، حروف سبحان كلام الله تعالى العلام.." (١)

"ثمارها كثمار جنات الدنيا أولا فبين حالها ولهم فيها أزواج زيادة في الجواب ولو قدر السؤال نحو ألهم في الجنات لذات كما في هذه الدار أم أتم وأزيد؟ - كان أصح وأوضح، وأجاز أبو البقاء كونها حالا من الذين أو من جنات لوصفها وهي حينئذ حال مقدرة والأصل ... (١) الصاحبة، والقول: بأنها صفة مقطوعة دعوى موصولة بالجهل بشرط القطع وهو علم السامع باتصاف المنعوت بذلك النعت وإلا لاحتاج إليه ولا قطع مع الحاجة، وكلما نصب على الظرفية ب قالوا ورزقا مفعول ثان- لرزقوا- كرزقه مالا أي أعطاه، وليس مفعولا مطلقا مؤكدا لعامله لأنه بمعنى المرزوق أعرف، والتأسيس خير من التأكيد مع اقتضاء ظاهر ما بعده له، وتنكيره للتنويع أو للتعظيم أي نوعا لذيذا غير ما تعرفونه، ومن الأولى والثانية للابتداء قصد بهما مجرد كون المجرور بهما موضعا انفصل عنه الشيء، ولذا لا يحسن في مقابلتها نحو- إلى، وهما ظرفان مستقران واقعان حالا على التداخل، وصاحب الأولى رزقا والثانية ضميره المستكن في الحال، والمعنى كل حين رزقوا- مرزوقا- مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة، والشائع كونهما لغوا، والرزق قد ابتدأ من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وجعل بمنزلة أن تقول أعطاني فلان فيقال: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقول: من أي ثمرة؟ فتقول: من الرمان، وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ذلك مبتدأ من ثمرة، وعلى القولين لا يرد أنهم منعوا تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد والآية تخالفه، أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني فلأن ذاك إذا تعلقا به من جهة واحدة ابتداء من غير تبعية. وما نحن فيه ليس كذلك للإطلاق والتقييد والمراد من الثمرة على هذا النوع- كالتفاح والرمان- لا الفرد لأن ابتداء الرزق من البستان من فرد يقتضي أن يكون المرزوق قطعة منه لا جميعه وهو ركيك جدا، ويحتمل أن تكون الثانية مبينة للمرزوق والظرف الأول لغو والثاني مستقر خلافا لمن وهم فيه وقع حالا من النكرة لتقدمه عليها ولتقدمها تقديرا جاز تقديم المبين على المبهم، والثمرة يجوز حملها على النوع وعلى الجنأة الواحدة ولم يلتفت المحققون إلى جعل الثانية تبعيضية في موقع المفعول، ورزقا مصدر مؤكد أو في موقع الحال من رزقا لبعده مع أن الأصل التبيين والابتداء فلا يعدل عنهما إلا لداع على أن مدلول التبعيضية أن يكون ما قبلها أو ما بعدها جزاء لمجرورها لا جزئيا فتأتي الركاكة هاهنا، وجمع سبحانه بين منها ومن ثمرة ولم يقل- من ثمرها- بدل ذلك لأن تعلق منها يفيد أن سكانها لا تحتاج لغيرها

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١/٣٤

لأن فيها كل ما تشتهي الأنفس، وتعلق من ثمرة يفيد أن المراد بيان المأكول على وجه يشمل جميع الثمرات دون بقية اللذات المعلومة من السابق واللاحق، وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا ويكفي إحساس أفراده وهذا كقولك مشيرا إلى نهر جاء هذا الماء لا ينقطع أو إلى شخصه، والإخبار عنه ب الذي إلخ على جعله عينه مبالغة أو تقدير مثل الذي رزقناه من قبل أي في الدنيا، والحكمة في التشابه أن النفس تميل إلى ما يستطاب وتطلب زيادته:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

وهذا مختلف بحسب الأحوال والمقامات، أو لتبيين المزية وكنه النعمة فيما رزقوه هناك إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة، والتشابه في الصورة إما مع الاختلاف في الطعم- كما روي عن الحسن «إن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك؟ فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف» أو مع التشابه في الطعم أيضا كما يشير إليه

قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «والذي نفس

---

(١) بياض فبي الأصل قدر كلمة.." (١)

"اعتراضية تفيد تحقق المشبه وتيقنه بتشبيه الموعود بالموجود، والمماثلة في مطلق الإحياء، وفي الكلام حذف دلت عليه الجملة أي فضربوه فحيي، والتكلم من الله تعالى مع من حضر وقت الحياة- والكاف- خطاب لكل من يصح أن يخاطب ويسمع هذا الكلام لأن أمر الإحياء عظيم يقتضي الاعتناء بشأنه أن يخاطب به كل من يصح منه الاستماع فيدخل فيه أولئك دخولا أوليا- ويدل على ذلك قوله تعالى: ويريكم

إلخ ولا بد على هذا من تقدير القول أي قلنا أو وقلنا لهم كذلك ليرتبط الكلام بما قبله، وقيل: حرف الخطاب مصروف إليهم، وكان الظاهر كذلكم على وفق ما بعده إلا أنه أفرده بإرادة كل واحد أو بتأويل فريق ونحوه قصدا للتخفيف، ويحتمل أن يكون التكلم مع من حضر نزول الآية، وعليه لا تقدير إذ ينتظم بدونه بل ربما يخرج معه من الانتظام، وأبعد الماوردي فجعله خطابا من موسى نفسه عليه السلام ويريكم آياته

مستأنف أو معطوف على ما قبله، والظاهر أن الآيات جمع في **اللفظ والمعنى**، والمراد بها الدلائل الدالة على أن الله تعالى على كل شيء قدير، ويجوز أن يراد بها هذا الإحياء، والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على الضرب بعضو ميت، وإخبار الميت بقاتله وما يلابسه من الأمور الخارقة للعادات، وفي المنتخب أن التعبير عن الآية الواحدة بالآيات لأنها تدل على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الإيجاد والإبداع، وعلى صدق موسى عليه السلام، وعلى براءة ساحة من لم يكن قاتلا، وعلى تعين تلك التهمة على من باشر القتل لعلكم تعقلون أي لكي تعقلوا الحياة بعد الموت والبعث والحشر فإن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة [لقمان: ٢٨] أو لكي يكمل عقلكم أو لعلكم تمتنعون من عصيانه

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٠٥/١

وتعملون على قضية عقولكم، وقد ذكر المفسرون أحكاما فقهية انتزعوها واستدلوا عليها من قصة هذا القتيل ولا يظهر ذلك من الآية ولا أرى لذكر ذلك طائلا سوى الطول هذا.

«ومن باب الإشارة» إن البقرة هي النفس الحيوانية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة النظر لا تثير أرض الاستعداد بالأعمال الصالحة ولا تسقي حرث المعارف والحكم التي فيها بالقوة بمياه التوجه إلى حضرة القدس والسير إلى رياض الأنس، وقد سلمت لترعى أزهار الشهوات ولم تقيد بقيود الآداب والطاعات فلم يرسخ فيها مذهب واعتقاد، ولم يظهر عليها ما أودع فيها من أنوار الاستعداد، وذبحها قمع هواها ومنعها عن أفعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة فمن أراد أن يحيا قلبه حياة طيبة ويتحلى بالمعارف الإلهية والعلوم الحقيقية وينكشف له حال الملك والملكوت وتظهر له أسرار اللاهوت والجبروت ويرتفع ما بين عقله ووهمه من التدارؤ والنزاع الحاصل بسبب الإلف للمحسوسات فليذبحها وليوصل أثره إلى قلبه الميت فهناك يخرج المكتوم وتفيض بحار العلوم وهذا الذبح هو الجهاد الأكبر والموت الأحمر وعقباه الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية

ومن لم يمت في حبه لم يعش به ... ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

وقد أشير بالشيخ والعجوز والطفل والشاب المقتول على ما في بعض الآثار في هذه القصة إلى الروح والطبيعة الجسمانية والعقل والقلب وتطبيق سائر ما في القصة بعد هذا إليك هذا وسلام الله تعالى عليك.

ثم قست قلوبكم القسوة في الأصل اليبس والصلابة وقد شبهت هنا حال قلوبهم وهي نبوها عن الاعتبار بحال قسوة الحجارة في أنها لا يجري فيها لطف العمل ففي قست استعارة تبعية أو تمثيلية، وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها، وقيل: إنها للتراخي في الزمان لأنهم قست قلوبهم بعد مدة حين قالوا: إن الميت كذب عليهم أو أنه عبارة عن قسوة عقبهم، والضمير في قلوبكم لورثة القتيل عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وعند." (١)

"وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات في متعلق إذ احتمالات تقدمت الإشارة إليها في نظير الآية، واختار أبو حيان تعلقها ب قال الآتي، وبعضهم بمضمر مؤخر، أي كان كيت وكيت «والمشهور» تعلقها بمضمر مقدم تقديره- اذكر- أو- اذكروا- وقت كذا، والجملة حينئذ معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة، والجامع الاتحاد في المقصد فإن المقصد من- تذكيرهم وتخويفهم- تحريضهم على قبول دينه صلى الله عليه وسلم، واتباع الحق، وترك التعصب، وحب الرياسة، كذلك المقصد من قصة إبراهيم عليه السلام وشرح أحواله، الدعوة إلى ملة الإسلام وترك التعصب في الدين، وذلك لأنه إذا علم أنه نال- الإمامة- بالانقياد لحكمه تعالى وأنه لم يستجب دعاءه في الظالمين وأن الكعبة كانت مطافا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره، وأنه كان يحج البيت داعيا مبتهلا- كما هو دين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم- وأن نبينا عليه الصلاة والسلام من دعوته، وأنه دعا في حق نفسه وذريته بملة الإسلام، كان الواجب على من يعترف بفضله وأنه من أولاده، ويزعم اتباع ملته، ويباهي بأنه من ساكن حرمه وحامي بيته، أن يكون حاله مثل ذلك، وذهب عصام الملة والدين إلى جواز العطف على نعمتي أي اذكروا وقت- ابتلاء إبراهيم- فإن فيه ما ينفعكم ويرد اعتقادكم الفاسد أن آباءكم شفعاؤكم يوم

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٩٤/١

القيامة، لأنه لم يقبل دعاء إبراهيم في- الظلمة- ويدفع عنكم حب الرياسة المانع عن متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه يعلم منه أنه لا ينال الرياسة الظالمين واعترض بأنه خروج عن طريق البلاغة مع لزوم تخصيص الخطاب بأهل الكتاب وتخلل اتقوا بين المعطوفين- والابتلاء- في الأصل الاختبار- كما قدمنا- والمراد به هنا التكليف. أو المعاملة معاملة الاختبار مجازا، إذ حقيقة الاختبار محالة عليه تعالى- لكونه عالم السر والخفيات- وإبراهيم علم أعجمي، قيل: معناه قبل النقل- أب رحيم- وهو مفعول مقدم لإضافة فاعله إلى ضميره، والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام، وإيذان بأن ذلك- الابتلاء- تربية له وترشيح لأمر خطير، والكلمات- جمع- كلمة- وأصل معناها- اللفظ المفرد- وتستعمل في الجمل المفيدة، وتطلق على معاني ذلك- لما بين **اللفظ والمعنى** من شدة الاتصال- واختلف فيها.

فقال طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنها العشرة التي من الفطرة، المضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية والفرق ونتف الإبط وتقليم الأظفار وحلق العانة والاستطابة والختان، وقال عكرمة رواية عنه أيضا: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم، ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام، عشر منها في سورة براءة، التائبون [التوبة: ١١٢] إلخ، وعشر في الأحزاب [٢٥] إن المسلمين والمسلمات إلخ، وعشر في المؤمنين وسأل سائل إلى والذين هم على صلاتهم يحافظون [المعارج: ١- ٢٤] وفي رواية الحاكم في مستدركه أنها ثلاثون، وعد السور الثلاثة الأول ولم يعد السورة الأخيرة، فالذي في براءة، التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع، والسجود. والأمر بالمعروف. والنهي عن المنكر. والحفظ لحدود الله تعالى. والإيمان المستفاد من وبشر المؤمنين أو من إن الله اشترى من المؤمنين [التوبة: ١١١] في الأحزاب، الإسلام. والإيمان. والقنوت.." (١)

"والتشاغل بهذه القاذورات ولولا آفة الإعجاب وحسن ظن الإنسان بعلمه وحرصه على أن لا يشذ عنه شيء من المعارف لكان من الواجب على مثله مع غزارة علمه وعلو طبقته في الأبحاث الحقيقية أن يكتفي بما عنده، ولا يتعرض لما لا يعلمه، وقد تأدى إلينا من تدابيره عن أصحابه الذين شاهدوها أنه لم يكن يعرف حقيقة علمنا، وقد رأينا بخطه من التعاليق الملتقطة من كلام جابر بن حيان، وخالد بن يزيد ما يدل أيضا على ذلك اه ملخصا، والكلام في هذا المطلب طويل وفيما ذكرنا كفاية لمن أحب الاطلاع على شيء مما قيل في ذلك، والله تعالى الموفق، ثم إن القول بأن المراد بالعلم في الآية علم استخراج الكنوز والدفائن يستدعي ثبوت هذا العلم، وأهل علم الحرف وعلم الطلسمات يقولون به ولهم في ذلك كلام طويل والعقل يجوز ثبوته، والله تعالى أعلم بثبوته في نفس الأمر.

أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا تقرير لعلمه ذلك وتنبيه على خطئه في اغتراره وعلمه بذلك من التوراة أو من موسى عليه السلام أو من كتب التواريخ أو من القصاص، والقوة تحتمل القوة الحسية والمعنوية، والجمع يحتمل جمع المال وجمع الرجال، والمعنى ألم يقف على ما يفيده العلم ولم يعلم ما فعل الله تعالى بمن هو أشد منه قوة حسا أو معنى وأكثر مالا أو جماعة يحوطونه ويخدمونه حتى لا يغتر بما اغتر به، ويحتمل أن تكون الهمزة للإنكار داخلة على مقدر، وجملة أولم يعلم حالية مقررة للإنكار ودالة على انتفاء ما دخلت عليه كما في قولك: أتدعي الفقه وأنت

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٣٧٢/١

لا تعرف شروط الصلاة، والمراد رد ادعائه العلم والتعظم به بنفي هذا العلم عنه أي أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين، وقيل: إن لم يعلم عطف على ذلك المقدر ونفي العلم عنه لعدم جريه على موجبه ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون الظاهر أن هذا في الآخرة وأن ضمير ذنوبهم للجرمين، وفاعل السؤال إما الله تعالى أو الملائكة عليهم السلام، والمراد بالسؤال المنفي هنا، وكذا في قوله تعالى: فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان [الرحمن: ٣٩] على ما قيل: سؤال الاستعلام، ونفي ذلك بالنسبة إليه عز وجل ظاهر، وبالنسبة إلى الملائكة عليهم السلام لأنهم مطلعون على صحائفهم أو عارفون إياهم بسيماهم كما قال سبحانه: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام [الرحمن: ٤١] .

والمراد بالسؤال المثبت في قوله عز وجل: فو ربك لنسئلنهم أجمعين [الحجر: ٩٢] سؤال التوبيخ والتقريع فلا تناقض بين الآيتين، وجوز أن يكون السؤال في الموضعين بمعنى والنفي والإثبات باعتبار موضعين أو زمانين، والمواقف يوم القيامة كثيرة واليوم طويل فلا تناقض أيضا، والظاهر أن الجملة غير داخلة في حيز العلم، ولعل وجه اتصالها بما قبلها أنه تعالى لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله من أضرابه في الدنيا أردف ذلك بما فيه تهديد كافة المجرمين بما هو أشنع وأشنع من عذاب الآخرة فإن عدم سؤال المذنب مع شدة الغضب عليه يؤذن بالإيقاع به لا محالة، وجعل الزمخشري الجملة تذييلا لما قبلها، وقيل: إن ذلك في الدنيا.

والمراد أنه تعالى أهلك من أهلك من القرون عن علم منه سبحانه بذنوبهم فلم يحتج عز وجل إلى مسألتهم عنها، وقيل: إن ضمير ذنوبهم لمن هو أشد قوة وهو المهلك من القرون، والإفراد والجمع باعتبار **اللفظ والمعنى**، والمعنى ولا يسأل عن ذنوب أولئك المهلكين غيرهم ممن أجرم، ويعلم أنه لا يسأل عن ذنوبهم من لم يجرم بالأولى لما بين الصنفين من العداوة فمآل المعنى لا يسأل عن ذنوب المهلكين غيرهم ممن أجرم وممن لم يجرم، بل كل نفس بما كسبت رهينة، وكلا القولين كما ترى، وربما يختلج في ذهنك عطف هذه الجملة على جملة الاستفهام أو جعلها حالا من فاعل أهلك أو من مفعوله لكن إذا تأملت أدنى تأمل أخرجته من ذهنك وأبيت حمل كلام الله تعالى الجليل على ذلك.." (١)

"وقرأ السلمي، والأعرج، وأبو حيوة، وسلام، وسهل، وروح، وابن حسان، وقنبل من طريق ابن مجاهد، وابن الصباح، وأبي الفضل الواسطي عنه ومحبوب عن أبي عمرو «لنذيقهم» بالنون، وظهور الفساد المذكور على ما أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة كان قبل أن يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث عليه الصلاة والسلام رجع من رجع من الناس عن الضلال والظلم، وقيل: كان أوائل البعثة وذلك أن كفار قريش فعلوا ما فعلوا من المعاصي والإصرار على الشرك وإيذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم فأقحطوا وحل بهم من البلاء ما حل فأخبر الله سبحانه أن ذلك بسبب معاصيهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

وفسر هذا القائل: الناس بكفار قريش، وقيل: كان في زمان سابق على زمان النزول أعم من أن يكون الزمان الذي قبيل البعثة أو بعيدها أو غير ذلك، وحكم الآية عام في كل فساد يظهر إلى يوم القيامة، ومن هنا قيل: من أذنب ذنبا يكون جميع الخلائق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة لأنه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٣٢٦/١٠

بذلك أهل البر والبحر جميعا، وروي عن شقيق الزاهد أنه قال: من أكل الحرام فقد خان جميع الناس، ووجه تعلق الآية بما قبلها أن فيها نعي ما يعم الشرك وغيره من المعاصي وفيما قبل نعي الشرك وفيها من تخويف المشركين ما فيها.

وقال الإمام: في وجه التعلق هو أن الشرك سبب الفساد كما قال تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء: ٢٢] وإذا كان الشرك سببه جعل الله تعالى إظهارهم الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السماوات والأرض كما قال سبحانه: تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا [مريم: ٩٠] وإلى هذا أشار عز وجل بقوله سبحانه: ليذيقهم بعض الذي عملوا انتهى، فتأمل وأنصف. وقوله تعالى: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل مسوق لتأكيد تسبب المعاصي لغضب الله تعالى ونكاله حيث أمروا بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله تعالى الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ويتحققوا صدق ما تقدم، وقوله تعالى: كان أكثرهم مشركين استئناف للدلالة على أن الشرك وحده لم يكن سبب لتدمير جميعهم بل هو سبب للتدمير في أكثرهم وما دونه من المعاصي سبب له في قليل منهم.

وجوز أن يكون للدلالة على أن سوء عاقبتهم لفشو الشرك وغلبته فيهم ففيه تهويل لأمر الشرك بأنه فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة فأقم وجهك للدين القيم أي إذا كان الأمر كذلك فأقم وتمام الكلام فيما هنا يعلم مما تقدم في هذه السورة الكريمة من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله جوز أن يتعلق بمرد وهو مصدر بمعنى الرد، والمعنى لا يرده سبحانه بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته عز وجل فيفيد انتفاء رد غيره تعالى له بطريق برهاني، واعترض بأنه لو كان كذلك للزم تنوين يوم لمشابهته للمضاف.

وأجيب بأنه مبني على ما قاله ابن مالك في التسهيل من أنه قد يعامل الشبيه بالمضاف معاملته فيترك تنوينه وحمل عليه قوله عليه الصلاة والسلام «لا مانع لما أعطيت»

وتفصيله في شرحه، وبعضهم جعله متعلقا بمحذوف يدل عليه مرد أي لا يرد من جهته تعالى أي لا يرده هو عز وجل وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو أي الرد المنفي كائن من الله تعالى، والجملة استئناف جواب سؤال تقديره ممن ذلك الرد المنفي؟ وقيل: هو متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير في الظرف الواقع خبرا للا، وقيل: متعلق بالنفي أو بما دل عليه، وقيل: متعلق بمحذوف وقع صفة اليوم، وجوز كثير تعلقه بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله تعالى يوم لا يقدر أحد أن يرده.

وتعقب بأن ذلك خلاف المتبادر من **اللفظ والمعنى** وهو مع ذلك قليل الفائدة وارتضاه الطيبي فقال: هذا الوجه." [1]

"للتأنيث وما عللوه به قد جاء مثله في القرآن وهو قوله تعالى: خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا [الأنعام: ١٣٩] انتهى فتذكر وأعتدنا لها في الجنة زيادة على أجرها المضاعف رزقا كريما عظيم القدر رفيع الخطر مرضيا لصاحبه، وقيل الرزق الكريم ما يسلم من كل آفة.

وجوز ابن عطية أن يكون في ذلك وعد دنياوي أي إن رزقها في الدنيا على الله تعالى وهو كريم من حيث هو حلال وقصد

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٤٩/١١

برضا من الله تعالى في نيله، وهو كما ترى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ذهب جمع من الرجال إلى أن المعنى ليس كل واحدة منكن كشخص واحد من النساء أي من نساء عصركن أي إن كل واحدة منكن أفضل من كل واحدة منهن لما امتازت بشرف الزوجية لرسول الله وأمومة المؤمنين- فأحد- باق على كونه وصف مذكر إلا أن موصوفه محذوف ولا بد من اعتبار الحذف في جانب المشبه كما أشير إليه، وقال الزمخشري: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه، والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة، وقد استعمل بمعنى المتعدد أيضا في قوله تعالى: ولم يفرقوا بين أحد منهم [النساء: ١٥٢] لمكان بين المقتضية للدخول على متعدد وحمل أحد على الجماعة على ما في الكشف ليطابق المشبه، والمعنى على تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وسلم على نساء غيره لا النظر إلى تفضيل واحدة على واحدة من آحاد النساء فإن ذلك ليس مقصودا من هذا السياق ولا يعطيه ظاهر اللفظ.

وكون ذلك أبلغ لما يلزم عليه تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك تفضيل كل واحدة على كل واحدة من آحاد النساء لو سلم لكان إذا ساعده اللفظ والمقام، واعترضه أيضا بعضهم بأنه يلزم عليه أن يكون كل واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من فاطمة رضي الله تعالى عنها مع أنه ليس كذلك.

وأجيب عن هذا بأنه لا مانع من التزامه إلا أنه يلتزم كون الأفضلية من حيث أمومة المؤمنين والزوجية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا من سائر الحيثيات فلا يضر فيه كون فاطمة رضي الله تعالى عنها أفضل من كل واحدة منهن لبعض الحيثيات الأخر بل هي من بعض الحيثيات كحيثية البضعية أفضل من كل من الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، نعم أورد على ما في الكشاف أن أحد الموضوع في النفي العام همزته أصلية غير منقلبة عن الواحد وقد نص على ذلك أبو علي، وخالف فيه الرضي فنقل عنه أن همزة أحد في كل مكان بدل من الواو، والمشهور التفرقة بين الواقع في النفي العام والواقع في الإثبات بأن همزة الأول أصلية وهمزة الثاني منقلبة عن الواو. وفي العقد المنظوم في ألفاظ العموم للفاضل القرافي قد أشكل هذا على كثير من الفضلاء لأن اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة يتناولهما والواو فيها أصلية فيلزم قطعا انقلاب ألف أحد مطلقا عنها وجعل ألف أحدهما منقلبا دون ألف الآخر تحكم، وقد أطلعني الله تعالى على جوابه وهو أن أحد الذي لا يستعمل إلا في النفي معناه إنسان بإجماع أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الإثبات معناه الفرد من العدد فإذا تغاير مسماها تغاير اشتقاقهما لأنه لا بد فيه من المناسبة بين **اللفظ والمعنى** ولا يكفي فيه أحدهما، فإذا كان المقصود به الإنسان فهو الذي لا يستعمل إلا في النفي وهمزته أصلية، وإن قصد به العدد ونصف الإثنين فهو الصالح للإثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو اهـ، ولا يخفى أنه إذا سلم الفرق المذكور ينبغي أن تكون الهمزة هنا أصلية، وإلى أن همزة الواقع في النفي أصلية ذهب أبو حيان فقال: إن ما ذكره الزمخشري من قوله: ثم وضع في النفي العام إلخ غير صحيح لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لأن واحدا ينطلق على كل شيء اتصف بالوحدة وأحد المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل وذكر." (١)

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١١/١٨٥

"بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وترتيب الأمور المقربة إلى الطاعة كالمعاونة في بعض أمور المعاش ودفع العوائق واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد، وهو فيما ذكر مجاز مرسل واستعارة.

وقال السدي وقتادة: المراد بمن في الأرض المؤمنون لقوله تعالى في آية أخرى: ويستغفرون للذين آمنوا [غافر: ٧] والمراد بالاستغفار عليه حقيقته، وقيل: الشفاعة.

ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى وإنه سبحانه لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وفيه إشارة إلى قبول استغفار الملائكة عليهم السلام وأنه سبحانه يزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة، والآية على كون قوله تعالى: تكاد السماوات يتفطرن لبيان عظمته جل شأنه مقررة لما دل عليه ذلك ومؤكدة لأن تسبيح الملائكة وتنزيههم له تعالى لمزيد عظمته تبارك وتعالى وعظيم جلاله جل وعلا والاستغفار لغيرهم للخوف عليهم من سطوة جبروته عز وجل والتذييل بقوله تعالى: ألا إن الله إلخ على هذا ظاهر، وعلى كون تفطر السموات لنسبة الولد والشريك بيان لكمال قدسه تعالى عما نسب إليه عز وجل فيكون تسبيحهم عما يقوله الكفرة واستغفارهم للمؤمنين الذين تبرأوا عما صدر من هؤلاء والتذييل للإشارة إلى سبب ترك معاجلة العذاب مع استحقاقهم له وعمم بعض المستغفر لهم وأدخل استغفار الملائكة في سبب ترك المعاجلة والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت عليهم بوكيل أي بموكل بهم أو بموكول إليك أمرهم وإنما وظيفتك البلاغ والإنذار فوكيل فعيل بمعنى مفعول من المزيد أو الثلاثي، وما في هذه الآية من الموادعة على ما في البحر منسوخ بآية السيف وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف على ما ذهب إليه الأخفش من ورودها اسما النصب على المصدرية وقرآنا مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك، وقيل: إشارة إلى ما تقدم من الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل فالكاف مفعول لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي، وجوز نصبه على المدح أو البدلية من كذلك، وقيل: أولى من هذا أن يكون إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وأنه عليه الصلاة والسلام نذير فحسب لأنه أتم فائدة وأشمل عائدة ولا بد عليه من التجوز في قرآنا عربيا إذ لا يصح أن يقال أوحينا ذلك المعنى وهو قرآن عربي لأن القرآنية والعربية صفة اللفظ لا المعنى لكن أمره سهل لقربه من الحقيقة لما بين اللفظ والمعنى من الملابسة القوية حتى يوصف أحدهما بما يوصف به الآخر مع ما في المجاز في البلاغة لتنذر أم القرى أي أهل أم القرى على التجوز في النسبة أو بتقدير المضاف والمراد بأم القرى مكة، وسميت بذلك على ما قال الراغب لما روي أنه دحيت الدنيا من تحتها فهي كالأصل لها والأم تقال لكل ما كان أصلا لشيء، وقد يقال هي أم لما حولها من القرى لأنها حدثت قبلها لا كل قرى الدنيا، وقد يقال لبلد: هي أم البلاد باعتبار احتياج أهالي البلاد إليها ومن حولها من العرب على ما ذهب إليه كثير وخص المذكورون بالذكر لأن السورة مكية وهم أقرب إليه عليه الصلاة والسلام وأول من أنذر أو لدفع ما يتوهم من أن أهل مكة ومن حولها لهم طمع في شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن لم يؤمنوا لحق القرابة والمساكنة والجوار فخصهم بالإنذار لإزالة ذلك الطمع الفارغ، وقيل: من حولها جميع

أهل الأرض واختاره البغوي وكذا القشيري وقال: لأن الكعبة سرة الأرض والدنيا محدقة بما هي فيه أعني مكة. وهذا عندي لا يكاد يصح مع قولهم: إن عرضها كام وطولها عز وإن المعمور في جانب الشمال أكثر منه في جانب الجنوب وتنذر يوم الجمع أي يوم." (١)

"**اللفظ والمعنى**، وقيل: هو مع ذلك قليل الفائدة، وجوز كونه صفة ليوم، وتعقب بأنه ركيك معنى، والظاهر أن المراد بذلك اليوم يوم القيامة لا يوم ورود الموت كما قيل ما لكم من ملجإ يومئذ أي ملاذ تلتجئون إليه فتخلصون من العذاب على أن ملجإ اسم مكان، ويجوز أن يكون مصدرا ميميا وما لكم من نكير إنكار على أنه مصدر أنكر على غير القياس ونفي ذلك مع قوله تعالى حكاية عنهم: والله ربنا ما كنا مشركين [الأنعام: ٢٣] تنزيلا لما يقع من إنكارهم منزلة العدم لعدم نفعه وقيام الحجة وشهادة الجوارح عليهم أو يقال إن الأمرين باعتبار تعدد الأحوال والمواقف، وجوز أن يكون نكير اسم فاعل للمبالغة أي ما لكم منكر لأحوالكم غير مميز لها ليرحمكم وهو كما ترى فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه فلا تهتم بهم فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم إن عليك أي ما عليك إلا البلاغ لا الحفظ وقد فعلت.

وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة أي نعمة من الصحة والغنى والأمن ونحوها فرح بها أريد بالإنسان الجنس الشامل للجميع وهو حينئذ بمعنى الأناسي أو الناس ولذا جمع ضميره في قوله سبحانه: وإن تصبهم وليست للاستغراق والجمعية لا تتوقف عليه فكأنه قيل: وإن تصب الناس أو الأناسي سيئة بلاء من مرض وفقر وخوف وغيرها بما قدمت أيديهم بسبب ما صدر منهم من السيئات فإن الإنسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته من غير استحقاق لها.

وأل فيه أيضا للجنس، وقيل: هي فيهما للعهد على أن المراد المجرمون، وقيل: هي في الأول للجنس وفي الثاني للعهد، وقال الزمخشري: أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لمكان ضمير الجمع ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما يستقيم فيهم، ثم قال: ولم يقل فإنه لكفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال سبحانه: إن الإنسان لظلوم كفار [إبراهيم: ٣٤] . إن الإنسان لربه لكنود [العاديات: ٦] ففهم منه العلامة الطيبي أنها في الأول للعهد وأن المراد الكفار المخاطبون في قوله تعالى: استجيبوا لربكم لترتيب فإن أعرضوا عليه، ووضع المظهر موضع المضمر للإشعار بتصميمهم على الكفران والإيذان بأنهم لا يرعوون مما هم فيه وأنها في الثاني للجنس ليكون المعنى ليس ببدع من هذا الإنسان المعهود الإصرار لأن هذا الجنس موسوم بكفران النعم فيكون ذم المطلق دليلا على ذم المقيد، وفي الكشف أنه أراد أن الإنسان أي الأول للجنس الصالح للكل وللبعض وإذا قام دليل على إرادة البعض تعين وقد قام لما سلف أن الإصابة في غير المجرمين للعوض الموفي ولم يذهب إلى أن اللام للعهد وجعل قوله تعالى: فإن الإنسان كفور للجنس ليكون تعليلا للمقيد بطريق الأولى ومطابقا لما جاء في مواضع عديدة من الكتاب العزيز ولا بأس بأن يجعل إشارة إلى السالف فإنه للجنس أيضا،

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٤/١٣

ويكون في وضع المظهر موضع المضمر الفائدة المذكورة مرارا بل هو أدل على القانون الممهد في الأصول وبكون كليهما للجنس أقول وإسناد الكفران مع أنه صفة الكفرة إلى الجنس لغلبتهم فهو مجاز عقلي حيث أسند إلى الجنس حال أغلب أفراده لملابسته الأغلبية، ويجوز أن يعتبر أغلب الأفراد عين الجنس لغلبتهم على غيرهم فيكون المجاز لغويا، وكذا يقال في إسناد الفرح إذا كان بمعنى البطر فإنه أيضا من صفات الكفرة بل إن كان أيضا بمعناه المعروف وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية فإنه وإن لم يكن من خواص الكفار بل يكون في المؤمنين أيضا اضطرارا أو شكرا إلا أنه لا يعم جميع أفراد الجنس وإن قلت بعمومه لم تحتج إلى ذلك كما إذا فسرته بالبطر على إرادة العهد في الإنسان، وإصابة السيئة بالذنوب غير عامة للأفراد أيضا فحال إسنادها يعلم مما." (١)

"أيهم يكفل مريم من تتمة الكلام الأول، وجعله ابتداء استفهام مفسد للمعنى، ولما لم يصلح يلقون للتعلق بالاستفهام لزم أن يقدر ما يرتبط به النظام فذكر الجل له ثلاثة أوجه:

«أحدها» أن يقدر ينظرون أيهم يكفل وحيث كان النظر مما يؤدي إلى الإدراك جاز أن يتعلق باسم الاستفهام كالأفعال القلبية- كما صرح به ابن الحاجب. وابن مالك في التسهيل- وثانيها أن يقدر ليعلموا أيهم يكفل وعلى الأول الجملة حال مما قبلها وعلى الثاني في موضع المفعول له، ولا يخفى أن الإلقاء سبب لنفس العلم لكنه سبب بعيد، والقريب هو النظر إلى ما ارتفع من الأقلام، وثالثها أن يقدر يقولون، أو ليقولوا أيهم واعترض بأنه لا فائدة يعتد بها في تقدير يقولون ولا ينساق المعنى إليه بل هو مجرد إصلاح لفظي لموقع أيهم وأجيب بأنه مفيد، وينساق المعنى إليه بناء على أن المراد بالقول القول للبيان والتعيين، واعترض أيضا تقدير القول مقرونا بلام التعليل بأن هذا التعليل هنا مما لا معنى له، وأجيب بتأويله كما أول في سابقة، وقيل: يؤول بالحكم أي ليقولوا وليحكموا أيهم إلخ، والسكاكي يقدر هاهنا ينظرون لعلموا، ولعل ذلك لمراعاة المعنى واللفظ وإلا فتقدير النظر، أو العلم يغني عن الآخر، وبعض المحققين لم يقدر شيئا أصلا وجعل أيهم بدلا عن ضمير الجمع- أي يلقى كل من يقصد الكفالة- وتتأتى منه، ولا يخفى أنه من التكلف بمكان وما كنت لديهم إذ يختصمون في شأنها تنافسا على كفالتها وكان هذا الاختصام بعد الاقتراع في رأي، وقبله في آخر، وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون للإيذان بأن كل واحد من عدم الحضور عند الإلقاء، وعدم الحضور عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته صلى الله عليه وسلم لا سيما على الرأي الثاني في وقت الاختصام لأن تغيير الترتيب في الذكر مؤكد لذلك- قاله شيخ الإسلام.

واختلف في وقت هذا الاقتراع والتشاح على قولين: أحدهما وهو المشهور المعول عليه أنه كان حين ولادتها وحمل أمها لها إلى الكنيسة على ما أشرنا إليه من قبل، وثانيهما أنه كان وقت كبرها وعجز زكريا عليه السلام عن تربيتها، وهو قول مرجوح، وأوهن منه قول من زعم أن الاقتراع وقع مرتين مرة في الصغر وأخرى في الكبر، وفي هذه الآية دلالة على أن القرعة لها دخل في تمييز الحقوق،

وروي عن الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله عز وجل إلا خرج سهم المحق، وقال

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٥٢/١٣

أي قضية أعدل من القضية إذا فوض الأمر إلى الله سبحانه، أليس الله تعالى يقول: فساهم فكان من المدحضين [الصافات: ١٤١]

وقال الباقر رضي الله تعالى عنه: أول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم

إذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام، والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام على المشهور، والقول شفاهي كما رواه ابن أبي حاتم عن قتادة، وإذ المضافة إلى ما بعدها بدل من نظيرتها السابقة بدل كل من كل، وقيل: بدل اشتمال ولا يضر الفصل إذ الجملة الفاصلة بين البدل والمبدل منه اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقيا بأن يعد على حياله من شواهد النبوة قالوا: وترك العطف بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وإيذانا بتقارن الخطابين أو تقاربهما في الزمان، وجوز أبو البقاء كون الظرف منصوبا باذكر مقدرا، وأن يكون ظرفا- ليختصمون- وقيل: إنه بدل من إذ المضافة إليه، واعترض بأن زمن الاختصام قبل زمن البشارة بمدة- فلا تصح هذه البدلية والتزام أنه بدل غلط- غلط إذ لا يقع في فصيح الكلام، وأجيب بأنه يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام في بعضه والبشارة في بعض آخر وبهذا الاعتبار يصح أن يقال: إنهما في زمان واحد كما يقال وقع القتال والصلح في سنة واحدة مع أن القتال واقع في أولها مثلا والصلح في آخرها، قيل: ولا يحتاج إلى هذا على الاحتمال الثاني مما ذكره أبو البقاء بناء." (١)

"شحمتي الأذن لأن المواجهة تقع بهذه الجملة وهو مشتق منها، واشتقاق الثلاثي من المزيد- إذا كان المزيد أشهر في المعنى الذي يشتركان فيه- شائع، وقال العلامة أكمل الدين: إن ما ذكروا من منع اشتقاق الثلاثي من المزيد إنما هو في الاشتقاق الصغير، وأما في الاشتقاق الكبير وهو أن يكون بين كلمتين تناسب في **اللفظ والمعنى** فهو جائز، ويعطي ظاهر التحديد وجوب إدخال البياض المعترض بين العذار والأذن بعد نباته، وهو قولهما خلافا لأبي يوسف، ويعطي أيضا وجوب الاسالة على شعر اللحية، وقد اختلفت الروايات فيه عن الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه وغيره، فعنه يجب مسح ربعها، وعنه مسح ما يلاقي البشرة، وعنه لا يتعلق به شيء، وهو رواية عن أبي يوسف، وعن أبي يوسف يجب استيعابها، وعن محمد أنه يجب غسل الكل، قيل:- وهو الأصح- وفي الفتاوى الظهيرية، وعليه الفتوى لأنه قام مقام البشرة فتحول الفرض إليه كالحاجب.

وقال في البدائع عن ابن شجاع: إنهم رجعوا عما سوى هذا وكل هذا في الكثة، أما الخفيفة التي ترى بشرتها فيجب إيصال الماء إلى ما تحتها ولو أمر الماء على شعر الذقن ثم حلقه لا يجب غسل الذقن، وفي البقال: لو قص الشارب لا يجب تخليله، وإن طال وجب تخليله وإيصال الماء إلى الشفتين وكأن وجهه أن قطعة مسنون فلا يعتبر قيامه في سقوط ما تحته بخلاف اللحية فإن إعفاءها هو المسنون، وعد شيخ الإسلام المرغيناني في التجنيس إيصال الماء إلى منابت شعر الحاجبين والشارب من الآداب من غير تفصيل، وأما الشفة فقيل: تبع للفم وقال أبو جعفر: ما انكتم عند انضمامه تبع له وما ظهر فللوجه، وروي هذا التحديد عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وغيرهم، وقيل: الوجه

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٥٣/٢

كل ما دون منابت الشعر من الرأس إلى منقطع الذقن طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر، وما بطن كداخل الأنف والفم، وكذا ما أقبل من الأذنين، وروي عن أنس بن مالك وأم سلمة وعمار ومجاهد وابن جبير وجماعة فأوجبوا غسل ذلك كله ولم أر لهم نصا في باطن العين، والظاهر عدم وجوب غسله عندهم لمزيد الحرج وتوقع الضرر، ولهذا صرح البعض بعدم سنية الغسل أيضا، بل قال بعضهم: يكره، نعم يخطر في الذهن رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يوجب غسل باطن العين في الغسل ويفعله، وأنه كان سببا في كف بصره رضي الله تعالى عنه وأيديكم إلى المرافق جمع مرفق بكسر ففتح افصح من عكسه، وهو موصل الذراع في العضد، ولعل وجه تسميته بذلك أنه يرتفق به أي يتكئ عليه من اليد، وجمهور الفقهاء على دخولها.

وحكي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: لا أعلم خلافا في أن المرافق يجب غسلها، ولذلك قيل:

«إلى» بمعنى مع كما في قوله تعالى: ويزدكم قوة إلى قوتكم [هود: ٥٢] ومن أنصاري إلى الله [آل عمران: ٥٢] [الصف: ١٤] ، وقيل: هي إنما تفيد معنى الغاية، ومن الأصول المقررة أن ما بعد الغاية إن دخل في المسمى لولا ذكرها دخل وإلا فلا، ولا شك أن المرافق داخلة في المسمى فتدخل، وما أورد على هذا الأصل من أنه لو حلف لا يكلم فلانا إلى غد لا يدخل مع أنه يدخل لو تركت الغاية غير قادح فيه لأن الكلام هنا في مقتضى اللغة والأيمان تبنى على العرف، وجاز أن يخالف العرف اللغة.

وذكر بعض المحققين أن إلى جاءت وما بعدها داخل في الحكم فيما قبلها، وجاءت وما بعدها غير داخل، فمنهم من حكم بالاشتراك، ومنهم من حكم بظهور الدخول، ومنهم من حكم بظهور انتفاء الدخول، وعليه النحويون، ودخول المرافق ثابت بالسنة، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أدار الماء عليها.

ونقل أصحابنا حكاية عدم دخولها عن زفر، واستدل بتعارض الأشباه وبأن في الدخول في المسمى اشتباها." (١)

"وقوله جل وعلا: مصدق الذي بين يديه صفة أخرى، والإضافة- على ما نص عليه أبو البقاء- غير محضة، والمراد بالموصول إما التوراة لأنها أعظم كتاب نزل قبل ولأن الخطاب مع اليهود، وأما ما يعمها وغيرها من الكتب السماوية. وروي ذلك عن الحسن، وتذكير الموصول باعتبار الكتاب أو المنزل أو نحو ذلك، ومعنى كونها بين يديه أنها متقدمة عليه. فإن كل ما كان بين اليدين كذلك وتصديقه للكل في إثبات التوحيد والأمر به ونفي الشرك والنهي عنه. وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ.

ولتنذر أم القرى قيل: عطف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه والإنذار. واختار العلامة الثاني كونه عطفا على صريح الوصف أي كتاب مبارك وكائن للإنذار، وادعى أنه لا حاجة مع هذا إلى ذلك التكلف فإن عطف الظرف على المفرد في باب الخبر والصفة كثير، ودعوى أن الداعي إليه عرو تلك الصفات السابقة عن حرف العطف واقتران هذا به تستدعي القول بأن الصفات إذا تعددت ولم يعطف أولها يمتنع العطف أو يقبح والواقع خلافه، والأولى ما يقال: إن الداعي أن **اللفظ والمعنى** يقتضيانه، أما المعنى فلأن الإنذار علة لإنزاله كما يدل عليه وأوحي إلي هذا

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٣/٢٤٣

القرآن لأنذركم به [الأنعام: ١٩] ولو عطف لكان على أول الصفات على الراجح في العطف عند التعدد، ولا يحسن عطف التعليل على المعلل به ولا الجار والمجرور على الجملة الفعلية. فإنه نظير هذا رجل قام عندي وليخدمني وهو كما ترى، ومنه يعلم الداعي اللفظي.

وجوز أن يكون علة لمحذوف يقدر مؤخرا أو مقدما أي ولتنذر أنزلناه أو وأنزلنا لتنذر، وتقديم الجار للاهتمام أو للحصر الإضافي، وأن يكون عطفا على مقدر أي لتبشر ولتنذر، وأيا ما كان ففي الكلام مضاف محذوف أي أهل أم القرى، والمراد بها مكة المكرمة، وسميت بذلك لأنها قبلة أهل القرى وحجهم وهم يتجمعون عندها تجمع الأولاد عند الأم المشفقة ويعظمونها أيضا تعظيم الأم، ونقل ذلك عن الزجاج والجبائي، ولأنها أعظم القرى شأنا فغيرها تبع لها كما يتبع الفرع الأصل. وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها فكأنها خرجت من تحتها كما تخرج الأولاد من تحت الأم أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس. ونقل ذلك عن السدي.

وقرأ أبو بكر عن عاصم «لينذر» بالياء التحتية على الإسناد المجازي للكتاب لأنه منذر به ومن حولها من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم الصادع بها القرآن في غير آية، واللفظ لا يأبى هذا الحمل فلا متمسك بالآية لطائفة من اليهود زعموا أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للعرب خاصة، على أنه يمكن أن يقال: خص أولئك بالذكر لأنهم أحق بإنذاره عليه الصلاة والسلام كقوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين [الشعراء: ٢١٤] ولذا أنزل كتاب كل رسول بلسان قومه والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من الثواب والعقاب، ومن اقتصر على الثاني في البيان لاحظ سبق الإنذار يؤمنون به أي بالكتاب، قيل: أو بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يرهبون من العذاب ويرغبون في الثواب ولا يزال ذلك يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به وهم على صلاتهم يحافظون يحتمل أن يراد بالصلاة مطلق الطاعة مجازا أو اكتفى ببعضها الذي هو عماد الدين وعلم الإيمان ولذا أطلق على ذلك الإيمان مجازا كقوله تعالى: ما كان الله ليضيع إيمانكم [البقرة: ١٤٣] ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا كالذين قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء أو قال أوحي إلي من جهته تعالى: ولم يوح إليه أي والحال أنه لم يوح إليه شيء كمسيلمة والأسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أي أنا قادر على مثل ذلك النظم كالذين قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا [الأنفال: ٣١] وتفسير الأول بما ذكرناه لم نقف عليه لغيرنا، وتفسير الثاني ذهب إليه الزمخشري وغيره. وتفسير الثالث ذهب إليه الزجاج ومن وافقه. وأخرج عبد بن حميد." (١)

"وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله فقال قيس: ما يدريك فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به؟ فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة ظاهر في أن كل شيء أعم مما ذكر، ولعل ذكر ذلك من باب الرمز كما ندعيه في القرآن موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور، أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام، وإلى هذا ذهب غير واحد من المعربين، وهو مشعر بأن من مزيدة لا تبعيضية، وفي زيادتها في الإثبات كلام، قيل: ولم تجعل ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعول به لأنه ليس له

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢١٠/٤

كبير معنى، ولم تجعل موعظة مفعول له وإن استوفى شرائطه لأن الظاهر عطف تفصيلا عن موعظة، وظاهر أنه لا معنى لقولك كتبنا له من كل شيء لتفصيل كل شيء، وأما جعله عطفا على محل الجار والمجرور فبعيد من جهة **اللفظ والمعنى**.
والطيبي اختار هذا العطف وأن من تبعيضية وموعظة وحدها بدل، والمعنى كتبنا بعض كل شيء في الألواح من نحو السور والآيات وغيرهما موعظة وكتبنا فيها تفصيل كل شيء يحتاجون إليه من الحلال والحرام ونحو ذلك، وفي ذلك اختصاص الإجمال والتفصيل بالموعظة للإيذان بأن الاهتمام بهذا أشد والعناية بها أتم، ولكونها كذلك كثر مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالبشير النذير، وإشعار بأن الموعظة مما يجب أن يرجع إليه في كل أمر يذكر به، ألا يرى إلى أن أكثر الفواصل التنزيلية والردود على هذا النمط نحو أفلا تتقون أفلا تتذكرون وإلى سورة الرحمن كيف أعيد فيها ما أعيد وذلك ليستأنف السامع به ادكارا واتعاظا ويجدد تنبيها واستيقاظا، وأنت تعلم أن البعد الذي أشرنا إليه باق على حاله، وقوله سبحانه: لكل شيء إما متعلق بما عنده أو بمحذوف كما قال السمين وقع صفة له، واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها وكاتبها فقيل كانت عشرة ألواح، وقيل: لوحين، قال الزجاج: ويجوز أن يقال في اللغة للوحين ألواح وأنها كانت من زمرد أخضر، أمر الرب تعالى جبريل عليه السلام فجاء بها من عدن، وروي ذلك عن مجاهد، وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج قال: أخبرت أن الألواح كانت من زبرجد، وعن سعيد بن جبير قال: كانوا يقولون إنها كانت من ياقوتة وأنا أقول: إنها كانت من زمرد،
وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثني عشر ذراعا»
وعن الحسن أنها كانت من خشب نزلت من السماء، وأن طول كل عشرة أذرع، وقيل: أمر الله تعالى موسى عليه السلام بقطعها من صخرة صماء لينهاله فقطعها بيده وسقفها بأصابعه ولا يخفى أن أمثال هذا يحتاج إلى النقل الصحيح وإلا فالسكوت أولى إذ ليس في الآية ما يدل عليه، والمختار عندي أنها من خشب السدر إن صح السند إلى سلسلة الذهب، والمشهور عن ابن جريج أن كاتبها جبريل عليه السلام كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر،
والمروي عن علي كرم الله تعالى وجهه ومجاهد وعطاء وعكرمة وخلق كثير أن الله تعالى كتبها بيده وجاء أنها كتبت وموسى عليه السلام يسمع صريف الأقلام التي كتبت بها
وهو المأثور عن الأمير كرم الله تعالى وجهه. وجاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: خلق الله تعالى آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده، ثم قال لأشياء كوني فكانت، وأخرج عبد بن حميد عن وردان بن خالد قال: خلق الله تعالى آدم بيده وخلق جبريل بيده وخلق القلم بيده وخلق عرشه بيده وكتب الكتاب الذي عنده لا يطلع عليه غيره بيده وكتب التوراة بيده وهذا كله من قبيل المتشابه، وفي بعض الآثار أنها كتبت قبل الميقات وأنزلت على ما قيل وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام. ومما كتب فيها كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس." (١)

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٥/٥٥

"بقي من المنافقين المتخلفين بأن ذهب بعضهم بالموت أو بالغيبة عن البلد أو بأن لم يستأذنك البعض، وقيل: المراد بتلك الطائفة من بقي من المنافقين على نفاقه ولم يتب وليس بذاك.

أخرج ابن المنذر وغيره عن قتادة أنه قال في الآية: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وفيهم قيل ما قيل.

فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه التي ردك الله منها بتأييده فقل لهم إهانة لهم على أتم وجه لن تخرجوا معي أبدا ما دمت ودمتم ولن تقاتلوا معي عدوا من الأعداء، وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة.

وذكر القتال كما قال بعض المحققين لأنه المقصود من الخروج فلو اقتصر على أحدهما لكفى إسقاطا لهم عن مقام الصحبة ومقام الجهاد أو عن ديوان الغزاة وديوان المجاهدين وإظهارا لكراهة صحبتهم وعدم الحاجة إلى عدهم من الجند أو ذكر الثاني للتأكيد لأنه أصرح في المراد والأول لمطابقته للسؤال، ونظير ذلك:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا فإن الثاني أدل على الكراهة إنكم رضيتم بالقعود عن الخروج معي وفرحتم به أول مرة أي من الخروج فنصب أفعل المضاف على المصدرية، وقيل: على الظرفية الزمانية واستبعده أبو حيان، والظاهر أن هذا الاختلاف للاختلاف في مرة ونقل عن أبي البقاء أنها في الأصل مصدر مر يمر ثم استعملت ظرفا، واختار القاضي البيضاوي بيض الله غرة أحواله النصب على المصدرية وأشار إلى تأنيث الموصوف حيث قال: وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وذكر أفعل لأن التذكير هو الأكثر في مثل ذلك. وفي الكشاف أن مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل، وذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات لأن أكثر اللغتين- هند أكبر النساء وهي أكبرهن، وهي كبرى مرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة، وعلل في الكشف عدم العثور على نحو هي كبرى امرأة بأن أفعل فيه مضاف إلى غير المفضل عليه بل إلى العدد المتلبس هو به بيانا له فكأنه قيل: هي امرأة أكبر من كل واحدة من النساء، وفي مثله لا يختلف أفعل التفضيل، فالتحقيق أنه لا يشبه ما فيه اللام وإنما المطابقة بين موصوفه وما أضيف إليه ولا مدخل لطباقه في اللفظ والمعنى فتدبر، والجملة في موضع التعليل لما سلف فهي مستأنفة استئنافا بيانيا أي لأنكم رضيتم فاقعدوا مع الخالفين أي المتخلفين لعدم لياقتهم كالنساء والصبيان والرجال العاجزين، وجمع المذكر للتغليب، واقتصر ابن عباس على الأخير، وتفسير الخالف بالمتخلف هو المأثور عن أكثر المفسرين السلف، وقيل: إنه من خلف بمعنى فسد. ومنه خلوف فم الصائم لتغير رائحته، والظرف متعلق بما عنده أو بمحذوف وقع حالا من ضمير الجمع، والفاء لتفريع الأمر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر منهم من الرضا بالقعود أي إذا رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا من بعد.

وقرأ عكرمة «الخلفين» بوزن حذرين ولعله صفة مشبهة مثله، وقيل: هو مقصور من الخالفين إذا لم يثبت استعماله كذلك على أنه صفة مشبهة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا إشارة إلى إهانتهم بعد الموت.

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك

ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة [المنافقين: ٦] وسأزيده." (١)

"عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وأن أمره سيعظم بالآخرة ثم لم يرد هتك ستر أولاده وما رضي بإلقائهم في ألسنة الناس، وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن انتقم يحترق على الولد الذي ينتقم منه، ونظير ذلك ما أشار إليه الشاعر بقوله:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لموهن عظمي

فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى لا سيما إن قلنا: إنه عليه السلام كان عالما بأن ما وقع لا يمكن تلافيه حتى يبلغ الكتاب أجله. وجاءت شروع فيما جرى على يوسف عليه السلام في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين إخوته وبين أبيه أي وجاءت إلى الجب سيارة رفقة تسير من جهة مدين إلى مصر وكان ذلك بعد ثلاثة أيام مضت من زمن إلقائه في قول، وقيل:

في اليوم الثاني، والظاهر أن الجب كا في طريق سيرهم المعتاد.

وقيل: إنه كان في قفرة بعيدة من العمران فأخطؤوا الطريق فأصابوه فأرسلوا إليه واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي.

وقال ابن عطية: الوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى الجماعة اهـ والظاهر الأول، والتأنيث في جاءت والتذكير في فأرسلوا وواردهم باعتبار **اللفظ والمعنى**، وفي التعبير بالمجيء إيماء إلى كرامة يوسف عليه السلام عند ربه سبحانه، وحذف متعلقه وكذا متعلق الإرسال لظهوره ولذا حذف المتعلق في قوله سبحانه: فأدلى دلوه أي أرسلها إلى الجب ليخرج الماء، ويقال: دلا الدلو إذا أخرجها ملأى، والدلو من المؤنثات للسماعية فتصغر على دلية وتجمع على أدل ودلاء ودلى.

وقال ابن الشحنة: إن الدلو التي يستقى بها مؤنثة وقد تذكر، وأما الدلو مصدر دلوت وضرب من السير فمذكر ومثلها في التذكير والتأنيث الجب عند الفراء على ما نقله عن محمد بن الجهم، وعن بعضهم أنه مذكر لا غير وأما البئر مؤنثة فقط في المشهور، ويقال في تصغيرها: بويرة وفي جمعها آبار وأبار وأبؤر وبئار وفي الكلام حذف أي فأدلى دلوه فتدلى بها يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه ورفقته كأنه نزلها منزلة شخص فناداه فهو استعارة مكنية وتخييلية أي يا بشرى تعالى فهذا أو إن حضورك، وقيل: المنادى محذوف كما في يا ليت أي يا قومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيل: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء.

وزعم بعضهم أن بشرى اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه، وروي هذا عن السدي- وليس بذاك- وقرأ غير الكوفيين- يا بشراي- بالإضافة، وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي، وقرأ ورش بين اللفظين.

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٥/٣٤١

وروي عن نافع أنه قرأ- يا بشراي- بسكون ياء الإضافة ويلزمه التقاء الساكنين على غير حده، واعتذر بأنه أجرى الوصل مجرى الوقف ونظائر ذلك كثيرة في القرآن وغيره، وقيل: جاز ذلك لأن الألف لمدها تقوم مقام الحركة، وقرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبي إسحاق والجحدري «يا بشري» بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء الإضافة- وهي لغة لهذيل ولناس غيرهم- ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع." (١)

"وقيل: المعنى انا تبع لكم لا لرأينا ولذا سماهم الله تعالى ضعفاء، ولا يلزم منه كون الرؤساء أقوياء الرأي حيث ضلوا وأضلوا، ولو حمل الضعف على كونهم تحت أيديهم وتابعين لهم كان أحسن وليس بذاك.

فهل أنتم مغنون عنا استفهام أريد به التوبيخ والتقريع، والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغنياء، وهو من الغناء بمعنى الفائدة، وضمن معنى الدفع ولذا عدي بعن أي أنا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله من شيء أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى بناء على ما قيل: إن من الثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول للوصف السابق والأولى للبيان وهي واقعة موقع الحال من مجرور الثانية لأنها لو تأخرت كانت صفة له وصفة النكرة إذا قدمت أعربت حالا. واعترض هذا الوجه بأن فيه تقديم من البيانية على ما تبينه وهو لا يجوز، وكذا تقديم الحال على صاحبها المجرور.

وأجيب بأن في كل من هذين الأمرين اختلافا، وقد أجاز جماعة تقديم من البيانية وصححه ذلك لأنه إنما يفوت بالتقديم الوصفية لا البيانية، وكذا أجاز كثير كابن كيسان وغيره تقديم الحال على صاحبها المجرور فلعل الذاهب إلى هذا الوجه في الآية يرى رأي المجوزين لكل من التقديمين.

وقال بعض المدققين: جاز تقديم هذه الحال لأنها في الحقيقة عما سد مسده من شيء أعني بعض لا عن المجرور وحده، وفيه من البعد ما لا يخفى، وجوز أن تكون الأولى والثانية للتبعيض، والمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والأعراب كما سبق، واختار بعضهم على هذا كون الحال عما سد مسده من شيء إذ لو جعل حالا عن المجرور لآل الكلام إلى هل أنتم مغنون عنا بعض بعض عذاب الله تعالى ولا معنى له، وفيه أنه يفيد المبالغة في عدم الغناء كقولهم: أقل من القليل فنفي المعنى لا معنى له، ولا يصح الإلغاء إذ لا يصح أن يتعلق بفعل ظرفان من جنس دون ملابسة بينهما تصحح التبعية، وجعل الثاني بدلا من الأول يأباه- كما في الكشف- **اللفظ والمعنى** وقد تعقب أبو حيان توجيه التبعيض في المكانين كما سمعت بأن ذلك يقتضي البدلية فيكون بدل عام من خاص لأن من شيء أعم من قوله: من عذاب وهذا لا يقال: لأن بعضية الشيء مطلقة فلا يكون لما بعض، ومما ذكرنا يعلم ما فيه.

وجوز أن تكون الأولى مفعولا والثانية صفة مصدر سادة مسده، والشيء عبارة عن إغناء ما أي فهل أنتم مغنون عنا بعض عذاب الله بعض الإغناء. وتعقب بأنه يلزم على هذا أن يتعلق بعامل طرفان إلى آخر ما سمعت آنفا، وفيه نظر لأنه لكون أحدهما في تأويل المفعول به والآخر في تأويل المفعول المطلق صح التعلق ولم يكونا من جنس واحد، وقد يقال: إن تقييد

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٦/٣٩٤

الفعل بالثاني بعد اعتبار تقييده بالأول فليس العامل واحدا.
ونص الحوفي وأبو البقاء على أن من الثانية زائدة للتوكيد وسوغ زيادتها تقدم الاستفهام الذي هو هنا في معنى النفي، ومن عذاب الله إما متعلق- بمغنون- أو متعلق بمحذوف وقع حالا من شيء أي شيئا كائنا من عذاب الله تعالى أو مغنون من عذاب الله غناء ما قالوا أي المستكبرون جوابا عن توبيخ الضعفاء وتقريعهم واعتذارا عما فعلوا بهم: لو هدانا الله إلى الإيمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا، وحاصله على ما قيل: إن ما كان منا في حقكم هو النصح لكن قصرنا في رأينا، وقال الزمخشري: إنهم وركوا الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله تعالى وكذبوا في ذلك، ويدل على وقوع الكذب من أمثالهم يوم القيامة قوله تعالى حكاية عن المنافقين: يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء [المجادلة: ١٨] وقد خالف في ذلك أصول مشايخه لأنهم لا يجوزون صدور الكذب عن أهل القيامة فلا يقبل منه،." (١)

"تسلط فلم أمروا بالاستعاذة منه. وأجيب بأن المراد نفي ما عظم من التسلط. وقد أخرج ابن جرير. وغيره عن سفيان الثوري أنه قال في الآية: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر لهم والاستعاذة من المحتقرات فهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيها يحتقروته على ندور وغفلة فأمروا بالاستعاذة منه لمزيد الاعتناء بحفظهم، وقد ذهب إلى هذا البيضاوي ثم قال: فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا.
وفي الكشف أن هذه الجملة جارية مجرى البيان للاستعاذة المأمور بها وأنه لا يكفي فيها مجرد القول الفارغ عن اللجأ إلى الله تعالى واللجأ إنما هو بالإيمان أولا والتوكل ثانيا، وأيا ما كان فوجه ترك العطف ظاهر وإيثار صيغة الماضي في الصلة الأولى للدلالة على التحقيق كما أن اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لإفادة الاستمرار التجددي، وفي التعرض لوصف الربوبية تأكيد لنفي السلطان عن المؤمنين المتوكلين.
إنما سلطانه على الذين يتولونه أي يجعلونه واليا عليهم فيحبونه ويطيعونه ويستجيبون دعوته فالمراد بالسلطان التسلط والولاية بالدعوة المستتبعة للاستجابة لا ما يعم ذلك والتسلط بالقسر والإلجاء فإن في جعل التولي صلة «ما» يفصح بنفي إرادة التسلط القسري فإن المقسور بمعزل عنه بهذا المعنى، وقد نفي هذا أيضا عن الكفرة في قوله تعالى حكاية عن اللعين: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم [إبراهيم: ٢٢] فاستجبتم لي والذين هم به أي بسبب الشيطان وإغوائه إياهم مشركون بالله تعالى، وقيل: أي باشراكهم الشيطان مشركون بالله تعالى، وجوز أن يكون الضمير للرب تعالى شأنه والباء للتعدية، وروي ذلك عن مجاهد ورجح الأول باتحاد الضمائر فيه مع تبادره إلى الذهن، وفي إرشاد العقل السليم ما يشعر باختيار الأخير، وذكر فيه أيضا أن قصر سلطان اللعين على المذكورين غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أنه لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وتولي الشيطان وإن كان بينهما واسطة في المفهوم وإن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل، ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله.

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٩٥/٧

وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الأولى لما مر آنفا والاسمية في الثانية للدلالة على الثبات، وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه.

وتقديم الأولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لا نفصل كل من القرينتين عما يقابلها اه، لما كان كل من الإيمان والتولي منشأ لما بعده قدم عليه، وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وإذا بدلنا آية مكان آية أي إذا نزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها، والظاهر على ما في البحر أن المراد نسخ **اللفظ والمعنى**، ويجوز أن يراد نسخ المعنى مع بقاء اللفظ والله أعلم بما ينزل من المصالح فكل من الناسخ والمنسوخ منزل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة تنقلب مفسدة في وقت آخر لانقلاب الأمور الداعية إليها، ونرى الطبيب الحاذق قد يأمر المريض بشربة ثم بعد ذلك ينهاه عنها ويأمره بضدها، وما الشرائع إلا مصالح للعباد وأدوية لأمراضهم المعنوية فتختلف حسب اختلاف ذلك في الأوقات وسبحان الحكيم العليم، والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم، وفي الالتفات إلى الغيبة مع الاسناد إلى الاسم الجليل ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية كما قال أبو البقاء وغيره، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «ينزل» من الإنزال قالوا أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ إنما أنت مفتر متقول على الله تعالى تأمر." (١)

"وهو الهادي إلى الكمال الممكن في جانبي العلم والعمل وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا إلى ضميره تعالى من الإشارة إلى تعظيمه عليه الصلاة والسلام، وكذا تعظيم المنزل عليه ما فيه، وفيه أيضا إشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى:

ولم يجعل له أي للكتاب عوجا أي شيئا من العوج باختلال اللفظ من جهة الإعراب ومخالفة الفصاحة وتناقض المعنى وكونه مشتملا على ما ليس بحق أو داعيا لغير الله تعالى والعوج وكذا العوج الانحراف والميل عن الاستقامة إلا أنه قيل هو بكسر العين ما يدرك بفتح العين وبفتح العين ما يدرك بفتح العين (١) فالأول الانحراف عن الاستقامة المعنوية التي تدرك بالبصيرة كعوج الدين والكلام، والثاني الانحراف عن الاستقامة الحسية التي تدرك بالبصر كعوج الحائط. والعود أورد عليه قوله تعالى في شأن الأرض لا ترى فيها عوجا ولا أمتا [طه: ١٠٧] فإن الأرض محسوسة واعوجاجها وكذا استقامتها مما يدرك بالبصر فكان ينبغي على ما ذكر فتح العين، وأجيب بأنه لما أريد به هنا ما خفي من الاعوجاج حتى احتاج إثباته إلى المقاييس الهندسية المحتاجة إلى إعمال البصيرة الحق بما هو عقلي صرف فأطلق عليه ذلك لذلك وتعقب بأن لا ترى ظاهر في أن المنفي ما يدرك بالبصر فيحتاج إلى أن يراد به الإدراك، وعن ابن السكيت أن المكسور أعم من المفتوح.

واختار المرزوقي في شرح الفصيح أنه لا فرق بينهما قيما أي مستقيما كما أخرجه ابن المنذر عن الضحاك وروي أيضا عن ابن عباس، والمراد مما قيل إنه لا خلل في لفظه ولا في معناه، والمراد من هذا أنه معتدل لا إفراط فيما اشتمل عليه من

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٤٦٦/٧

التكاليف حتى يشق على العباد ولا تفريط فيه بإهمال ما يحتاج إليه حتى يحتاج إلى كتاب آخر كما قال سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء [الأنعام: ٣٨] ولذا كان آخر الكتب المنزل على خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام، وقيل المراد منه ما أريد مما قبله وذكره للتأكيد.

وقال الفراء: المراد قيما على سائر الكتب السماوية شاهدا بصحتها. وقال أبو مسلم: المراد قيما بمصالح العباد متكفلا بها وببيانها لهم لاشتماله على ما ينتظم به المعاش والمعاد وهو على هذين القولين تأسيس أيضا لا تأكيد فكأنه قيل كتابا صادقا في نفسه مصدقا لغيره أو كتابا خاليا عن النقائص حاليا بالفضائل وقيل المراد على الأخير أنه كامل في نفسه ومكمل لغيره، ونصبه بمضمر أي جعله قيما على أن الجملة مستأنفة أو جعله قيما على أنها معطوفة على ما قبل إلا أنه قيل إن حذف حرف العطف مع المعطوف تكلف وكان حفص يسكت على عوجا سكتة خفيفة ثم يقول قيما.

واختار غير واحد أنه على الحال من الضمير في له أي لم يجعل له عوجا حال كونه مستقيما ولا عوج فيه على ما سمعت أولا من معنى المستقيم إذ محصله أنه تعالى صانه عن الخلل في **اللفظ والمعنى** حال كونه مستقيما ولا عوج فيه على ما سمعت أولا من معنى المستقيم إذ محصله أنه تعالى صانه عن الخلل في **اللفظ والمعنى** حال كونه خاليا عن الإفراط والتفريط، وكذا على القولين الأخيرين، نعم قيل: إن جعله حالا من الضمير مع تفسير المستقيم بالخالي عن العوج ركيك.

وتعقبه بعضهم بأنه تندفع الركاكة بالحمل على الحال المؤكدة كما في قوله تعالى: ثم وليتم مدبرين

---

(١) ما الأولى نافية وما الثانية موصولة اه منه.." (١)

"أشد، وتعقب بأنه لا معنى لجعل «النزع» لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام، وأجيب بأن ذلك مجاز عن تقارب أحوالهم وتشابهها في العتو حتى يستحق أن يسأل عنها أو المراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال، وحاصله لننزعن الأشد عتيا وهو مع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف ومثله لا ينقاس، نعم مثله في الحذف على ما قيل قول الشاعر:

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

وذهب الكسائي والفراء إلى ما قاله الخليل إلا أنهما جعلا الجملة في محل نصب بنزعن، والمراد لننزعن من يقع في جواب هذا السؤال، والفعل معلق بالاستفهام وساغ تعليقه عندهما لأن المعنى لننادين وهما يريان تعليق النداء وإن لم يكن من أفعال القلوب وإلى ذلك ذهب المهدوي، وقيل: لما كان النزع متضمنا معنى الإفراز والتمييز وهو مما يلزمه العلم عومل معاملة العلم فساغ تعليقه. ويونس لا يرى التعليق مختصا بصنف من الأفعال بل سائر أصنافها سواء في صحة التعليق عنده، وقيل: الجملة الاستفهامية استئنافية والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من في الإثبات كما يراه الأخفش أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة بجعل من مفعولا لتأويلها باسم، ثم إذا كان الاستئناف بيانيا واقعا في جواب من المنزوعون؟ احتيج إلى التأويل كأن يقال: المراد الذين يقعون في جواب أيهم أشد أو نحو ذلك، وإذا كانت أي على تقدير الاستئناف ووقوع الفعل

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٩٢/٨

على ما ذكر موصولة لم يحتج إلى التأويل إلا أن في القول بالاستئناف عدولا عن الظاهر من كون الكلام جملة واحدة إلى خلاف الظاهر من كونه جملتين.

ونقل بعضهم عن المبرد أن أيهم فاعل شيعة لأن معناه يشيع، والتقدير لننزعن من كل فريق يشيع أيهم هو أشد، وأي على هذا على ما قال أبو البقاء. ونقل عن الرضي بمعنى الذي، وفي البحر قال المبرد: أيهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع، والمعنى أن الذين تشايعوا أيهم أشد كأنهم يتبادرون إلى هذا، ويلزمه أن يقدر مفعولا لننزعن محذوفا، وقدر أيضا في هذا المذهب من الذين تشايعوا أيهم أشد على معنى من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد، قال النحاس:

وهذا قول حسن انتهى، وهو خلاف ما نقل أولا، ولعمري إن ما نسب إلى المبرد أولا وأخيرا أبرد من يخ، وقيل: إن الجملة استفهامية وقعت صفة لشيعة على معنى لننزعن من كل شيعة مقول فيهم أيهم أشد أي من كل شيعة متقاربي الأحوال، ومن مزيدة والنزع الرمي، وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول: في أيهم معنى الشرط تقول:

ضربت القوم أيهم غضب، والمعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا قال أبو حيان: فعلى هذا يكون التقدير هنا إن اشتد عتوهم أو لم يشتد انتهى وهو كما ترى، والوجه الذي ينساق إليه الذهن ويساعده **اللفظ والمعنى** هو ما ذهب إليه سيبويه ومدار ما ذهب إليه في أي من الإعراب والبناء هو المساع في الحقيقة، وتعليلات النحويين على ما فيها إنما هي بعد الوقوع، وعدم سماع لا يقدح في سماعه فتدبر.

وإن منكم التفات إلى خطاب الإنسان سواء أريد منه العموم أو خصوص الكفرة لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام. وقيل: هو خطاب للناس وابتداء كلام منه عز وجل بعد ما أتم الغرض من الأول فلا التفات أصلا. ولعله الأسبق إلى الذهن لكن قيل يؤيد الأول قراءة ابن عباس وعكرمة وجماعة وإن منهم أي وما منكم أحد إلا واردها أي داخلها كما ذهب إلى ذلك جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة، وعلى ذلك قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] . وقوله تعالى: في فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود [هود: ٩٨] .." (١)

"والمراد هنا على ما في بعض شروح الكشاف إن أردتم معرفة حكم الزانية والزاني فاجلدوا إلخ، وقيل: إن جلدتم الزانية والزاني فاجلدوا إلخ وهو لا يدل على الوجوب المراد وقيل دخلت الفاء لأن حق المفسر أن يذكر عقب المفسر كالتفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى: فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم [البقرة: ٥٤] ويجوز أن تكون عاطفة والمراد جلد بعد جلد وذلك لا ينافي كونه مفسرا للمعطوف عليه لأنه باعتبار الاتحاد النوعي انتهى.

وأنت تعلم أنه لم يعهد العطف بالفاء فيما اتحد فيه لفظ المفسر والمفسر وقد نصوا على عدم جواز زيدا فضربته بالاتفاق فلو ساغ العطف فيما ذكر لجاز هذا على معنى ضرب بعد ضرب، على أن كون المراد فيما نحن فيه جلد بعد جلد مما لا يخفى ما فيه فالظاهر ما نقل عن ابن جني، والمشهور أن سيبويه والخليل يفضلان قراءة النصب لمكان الأمر، وغيرهما من البصريين والكوفيين يفضلون الرفع لأنه كالإجماع في القراءة وهو أقوى في العربية لأن المعنى عليه من زنى فاجلدوه كذا قال

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٨/٤٣٧

الزجاج، وقال الخفاجي بعد نقله كلام سيبويه في هذا المقام: ليس في كلام سيبويه شيء مما يدل على التفضيل كما سمعت بل يفهم منه أن الرفع في نحو ذلك أفصح وأبلغ من النصب من جهة المعنى وأفصح من الرفع على أن الكلام جملة واحدة من جهة **المعنى واللفظ** معا فليراجع وليتأمل والجلد ضرب الجلد وقد طرد صوغ فعل المفتوح العين الثلاثي من أسماء الأعيان فيقال رأسه وظهره وبطنه، وجوز الراغب أن يكون معنى جلده ضربه بالجلد نحو عصاه ضربه بالعصا، والمراد هنا المعنى الأول فإن الأخبار قد دلت على أن الزانية والزاني يضربان بسوط لا عقدة عليه ولا فرع له، وقيل: إن كون الجلد بسوط كذلك كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه بإجماع الصحابة وأما قبله فكان تارة باليد وتارة بالنعل وتارة بالجريدة الرطبة وتارة بالعصا، ثم الظاهر من ضرب الجلد أعم من أن يكون بلا واسطة أو بواسطة، وزعم بعضهم وليس بشيء أن الظاهر أن يكون بلا واسطة وأنه ربما يستأنس به لما ذهب إليه أصحابنا وبه قال مالك من أنه ينزع عن الزاني عند الجلد ثيابه إلا الإزار فإنه لا ينزع لستر عورته به، وعن الشافعي، وأحمد أنه يترك عليه قميص أو قميصان، وروى عبد الرزاق بسنده عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه أتي برجل في حد فضربه وعليه كساء قسطلاني، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يحل في هذه الأمة تجريد ولا مد، وأما الامرأة فلا ينزع عنها ثيابها عندنا إلا الفرو والمحشو ووجه ظاهر.

وفي بعض الأخبار ما يدل على أن الرجل والمرأة في عدم نزع الثياب إلا الفرو والمحشو سواء، وكأن من لا يقول بنزع الثياب يقول: إن الجلد في العرف الضرب مطلقا وليس خاصا بضرب الجلد بلا واسطة، نعم ربما يقال: إن في اختياره على الضرب إشارة إلى أن المراد ضرب يؤلم الجلد وكأنه لهذا قيل ينزع الفرو والمحشو فإن الضرب في الأغلب لا يؤلم جلد من عليه واحد منهما، وينبغي أن لا يكون الضرب مبرحا لأن الإهلاك غير مطلوب، ومن هنا قالوا:

إذا كان من وجب عليه الحد ضعيف الخلقة فخيف عليه الهلاك يجلد جلدا ضعيفا يحتمله، وكذا قالوا: يفرق الضرب على أعضاء المحدود لأن جمعه في عضو قد يفسده وربما يفضي إلى الهلاك، وينبغي أن يتقى الوجه والمذاكير لما

روي موقوفا على علي كرم الله تعالى وجهه أنه أتي برجل سكران أو في حد فقال: اضرب وأعط كل عضو حقه واتق الوجه والمذاكير

، وكذا الرأس لأنه مجمع الحواس الباطنة فربما يفسد وهو إهلاك معنى، وكان أبو يوسف يقول باتقائه ثم رجع وقال يضرب ضربة واحدة، وروي عنه أنه استثنى البطن والصدر وفيه نظر إلا أن يقال: كان الضرب في زمانه كالضرب الذي يفعله ظلمة زماننا وحينئذ ينبغي أن يقول باستثناء الرأس قطعا، وعن مالك أنه خص الظهر وما يليه بالجلد لما صح من

قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية: «البينة وإلا فحد في ظهرك»

وأجيب بأن المراد بالظهر فيه نفسه أي فحد." (١)

"والجفاء والاستكراه بحيث وصفوهم، أو بحيث يجوز ذلك في صفتهم، وإن فيهم لمتكلمين، وإن منهم لشعراء والخطاب في القرآن كان يسمعه العرب واليهود جميعا، فلا هؤلاء ينكرون من أمره ولا أولئك.

ونحن فما ندري كيف نبلغ صفة هذا الوجه المعجز الذي غاب عن العرب ولم يدركه إلا المقصودون به، وهم الذين وصفوهم

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٧٦/٩

بتأخر المعرفة وبلادة الذهن، وهم أحبار اليهود ورؤساؤهم

وأهل العلم فيهم، وما يمكن أن يهتدي إلى هذا الوجه بليغ عربي من بلغاء ذلك العهد إلا بوحي وتوفيق من الله، فإنه في الحقيقة سر من أسرار الأدب العبراني، جرى القرآن عليه في أكثر

خطابهم خاصة ليعلموا أنه وضع غير إنساني، وليحسوا معنى من معاني إعجازه فيما هم بسبيله، كما أحس العرب فيما هو من أمرهم؛ إذ كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له: رشاقة العبارة، وحسن المعرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار

الكلام لكل ما يفيده التكرار وتوكيدا ومبالغة وإبانة وتحقيقا ونحوها، ثم استعمال الترادف في **اللفظ والمعنى**، ومقابلة الأضداد وغيرها، مما هو في نفسه تكراز آخر للمحسنات اللفظية،

وتحسين للتكرار المعنوي.

وإنا لنظن أن تهمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه شاعر لم تكن ابتداء إلا من قبل بعض اليهود.

ثم تعلق بها بعض العرب مكابرة، فإنهم ليعرفون أن القرآن ليس بشعر من شعرهم، ولا هو في أوزانه، وأعاريضه وفنونه وطرقه ولكنهم تجوزوا إلى ذلك ببراعة العبارة، وسمو التركيب، وتصوير

الإحساس اللغوي بألوان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها مما يكون القليل من جيده خاصا بالفحل من شعرائهم. ويكون مع ذلك حقيقة الإحساس اللغوي في شعره، وأين هذا الوجه البعيد

الذي لا يستقيم في الرأي إلا بعد التمحل له، والتجوز فيه من قولهم إنه (شاعر) ؛ ولفظ الشاعر عندهم متعين المعنى متحقق الدلالة ليس فيه لبس ولا إبهام ولا تجوز؛

على أن كلامنا آنفا في عجز العرب عن معارضة السورة القصيرة من القرآن، وعدم تأتيهم." (١)

"٦- النسبة بين هذه المذاهب ومذهب الرازي

ويذهب بعض الجهابذة إلى القول بالاتحاد بين هذه المذاهب الثلاثة ومذهب الرازي بل بينها جميعا وبين ما يشابهها ويجعل الخلاف بينها كلها لفظيا لا حقيقيا. وذلك تكلف بعيد فيما أرى لأننا نلاحظ وجها كاملا في كلام الرازي لم ينوه به واحد من أولئك الثلاثة. فهو فضلا عن أنه أدمج وجوههم السبعة في وجوه ستة بطريقته الدقيقة نجده قد عقد الوجه السابع لاختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم ونحو ذلك.

على حين أننا ما رأينا واحدا من أولئك الأعلام الثلاثة عرض لهذا النوع من الاختلاف. بل وجدنا في كلامهم ما جعلهم يهملون هذا الوجه عن قصد وعمد.

فهذا ابن قتيبة يقول:

وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام. والروم والإشمام والتخفيف والتسهيل ونحو ذلك فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في **اللفظ والمعنى** لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا اهـ.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي الرافعي ، مصطفى صادق ص/١٣٦

ولكني أرى أن هذا العذر الذي قدمه ابن قتيبة لإهمال هذا الوجه لا يسوغ ذلك الإهمال. فإن المسألة ليست مسألة أسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات في اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحدا أو لا تخرجه بل المسألة مسألة رعاية أمر واقع تختلف به القراءات فعلا ويمكن أن يكون مثار النزاع السابق الذي دب بين الصحابة في اختلاف القراءات كما يكون أيضا مثارا للنزاع في كل عصر ومصر بين القراء إذا لم يعلموا أن الجميع من عداد الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن. وذلك لأن تحريف القرآن." (١)

"الشبهة السادسة

يقولون: كانت الآيات تكتب على الحجارة وسعف النخل والعظام خوفا عليها من الضياع وبقي جانب كبير منها محفوظا في صدور الرجال. وقد نشأ عن ذلك عدة مشاكل يعتبرها الباحثون فيه كافية لإثبات كون القرآن الحالي لا يحتوي جميع الآيات التي نطق بها محمد وبعضها يختلف في القراءة **واللفظ والمعنى**.

ويقولون بعبارة أخرى إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل إذ من المؤكد أنه ذهب منه جانب ليس بقليل وأنسي منه جانب آخر قال ابن عمر: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله. قد ذهب منه كثير. ولكن ليقل: قد أخذت ما ظهر منه. فهذا يثبت ان القرآن الحالي لا يتضمن جميع ما كان مسطورا في اللوح المحفوظ. ولا هو طبق ما نطقت به شفتا محمد سيما أن في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ولا يعلم نصها الصحيح أحد اهـ.

وننقض هذه الشبهة بما يأتي:

أولا: أن كتابة القرآن على الحجارة والسعف والعظام وبقاء جانب كبير منه محفوظا في صدور الرجال لا يلزم منه مشكلة واحدة فضلا عن عدة مشاكل إنما هو وهم من الأوهام تخيلوه فخالوه وبدليل أنهم لم يذكروا سندهم فيما ذهبوا إليه من هذا الشطط.." (٢)

"ثانيا: أن الحجارة وسعف النخل والعظام التي كتب عليها بعض آيات القرآن لم تكن بحيث يمكن أن يتخيل أولئك الطاعنون أو يخيلوا إلى الناس أنها لا تصلح للكتابة عليها بل كانت العرب لبداوتها ولبعدها عن وسائل الحضارة والعمران تصطفي من أنواع الحجارة الموفورة عندها نوعا رقيقا يكون كالصحيفة يصلح للكتابة وللبقاء أشبه بما نراه اليوم من الكتابة الجميلة المنقوشة على صفحات مصنوعة مما نسميه الجبس.

وكذلك سعف النخل يكشطون الخوص عنه ويكتبون في الجزء العريض منه بعد أن يصقلوه ويهذبوه فيكون أشبه بالصحيفة.

وقل مثل هذا في العظام بدليل أن الروايات الواردة في ذلك نصت على نوع خاص منه وهو عظام الأكتاف وذلك لأنها عريضة رقيقة ومصقولة صالحة للكتابة عليها بسهولة.

ثالثا: أن استنتاجهم من هذا كون القرآن الحالي لا يحتوي جميع الآيات التي نطق بها محمد استنتاج معكوس وفهم منكوس لأن كتابة القرآن وحفظه في آن واحد في صدور آلاف مؤلفة من الخلق أدعى إلى بقاء ذلك القرآن وأدل على أنه لم تفلت

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ١/ ١٦١

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ١/ ٢٨٦

منه كلمة ولا حرف. كيف وأحد الأمرين من الكتابة والحفظ كاف في هذه الثقة فما بالك إذا كان القرآن كله مكتوبا بخطوط أشخاص كثيرين ومحفوظا في صدور جماعات كثيرين.

رابعا: قولهم: وبعضها يختلف في القراءة واللفظ والمعنى إن أرادوا به الطعن في تعدد القراءات واختلاف وجوه الأداء فقد سبق في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف ما يكفيك في الرد عليهم وسيأتيك في مبحث القراءات ما يزيدك تنورا في هذا الموضوع وإن أرادوا به شيئا آخر فعليهم البيان. وحسبك أن تعرف أن اختلاف حروف القرآن أمر تقتضيه الحكمة ويوجبه عموم الدعوة الإسلامية. خصوصا لمن شافههم الرسول عليه الصلاة والسلام وهم على اختلاف قبائلهم وتنوع." (١)

"أما زعمهم أن فيه اختلافات مدهشة فقد علمت في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف مدى اختلاف وجوه القراءات وحكمته وأنه لا يؤدي إلى تخاذل وتناقض حتى يكون مدهشا.

وأما نصوص القرآن الصحيحة فقد علمها وحفظها جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الأمة. من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم.

فادعاء هؤلاء الجهلة الدجالين أنه لا يعلم نصوص القرآن الصحيحة أحد ادعاء مفضوح وكذب مكشوف.

قال صاحب مسلم الثبوت وهو من أشهر الكتب في أصول الفقه الإسلامي: ما نقل آحادا فليس بقرآن قطعا ولم يعرف في هذا خلاف لواحد من أهل المذاهب. والدليل على ذلك أن القرآن مما تتوافر الدواعي على نقله لتضمنه التحدي ولأنه أصل الأحكام باعتبار المعنى واللفظ جميعا ولذلك علم جهد الصحابة في حفظه بالتواتر القاطع وكل ما تتوافر الدواعي على نقله ينقل متواترا عادة فوجوده ملزوم التواتر عند الكل عادة فإذا انتفى اللازم وهو التواتر انتفى الملزوم قطعا. والمنقول آحادا ليس متواترا فليس قرآنا اهـ بتصرف قليل.." (٢)

"بالسنة النبوية فإنها غير متواترة مع ذلك تتوافر الدواعي على نقلها فإنها أصل الأحكام كما أن القرآن أصل الأحكام.

ونجيب: أولا: بأن توافر الدواعي على نقل القرآن متواترا لم يجئ من ناحية أصالة الأحكام فحسب. بل جاء منها ومن نواحي الإعجاز والتحدي والتعبد بتلاوته والتبرك به في كل عصر وقراءته في الصلاة ونحو ذلك.

والسنة النبوية لا يجتمع فيها كل هذا. بل يوجد فيها بعضه فقط وذلك لا يكفي في توافر الدواعي على نقلها متواترة.

ثانيا: أن المراد بأصالة الأحكام الفرد الكامل الذي لا يوجد إلا في القرآن. ذلك لأن أصالة الأحكام فيه ترجع إلى اللفظ والمعنى جميعا. أما المعنى فواضح. وأما اللفظ فمن ناحية الحكم بإعجازه وبثواب من قرأه. وبالوعود الكريمة والعطايا العظيمة لمن حفظه وبالوعيد الشديد لمن نسيه بعد حفظه ولمن مسه أو قرأه جنبا إلى غير ذلك والسنة النبوية ليس للفظها شيء من هذه الأحكام. ولهذا تجوز روايتها بالمعنى. أما معناها فإن كان مما تتوافر الدواعي على نقله وجب تواتره وإلا فلا. ولهذا يقطع بكذب نقل الروافض ما نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه نص على أن الإمامة العظمى من بعده

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ١/٢٨٧

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ١/٢٨٩

محصورة في علي وولده.

رضي الله عنهم. بيان ذلك أنه لو صح ما زعموه لنقل متواترا فإنه مما تتوافر الدواعي على نقله لتعلقه بأمر يتصل بمستقبل الحكم الأعلى والولاية العظمى في الإسلام لجميع بلاد الإسلام.

الشبهة الخامسة:

يقولون: إن تواتر القرآن منقوض بأن ابن مسعود وهو من أجلاء الصحابة لم يوافق على مصحف عثمان بدليل الروايات الآتية وهي:." (١)

"منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته

نعلم مما سبق أن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه أما تفصيلا فنذكر أن منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى ومنه ما يرجع خفاؤه إلى **اللفظ والمعنى** معا.

فالقسم الأول وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء في اللفظ وحده منه مفرد ومركب والمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة غرابته أو من جهة اشتراكه والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة اختصاره أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه.

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه: ﴿وفاكهة وأبا﴾ وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك: ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ .

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة لفظ اليمين في قوله سبحانه: ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضاربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينها.

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه والأصل وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا." (٢)

"والخفاء لم يجيء ناحية غرابة في اللفظ أو اشتراك فيه بين عدة معان أو إيجاز أو إطناب مثلا فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده.

القسم الثالث وهو ما كان التشابه فيه راجعا في **اللفظ والمعنى** معا له أمثلة كثيرة منها قوله عز اسمه: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه ورد أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ٤٧٥/١

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ٢٧٨/٢

نقبا في ظهر بيته يدخل ويخرج منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل قول الله: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ .

فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لأن هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لا بد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا لتعذر فهمه.

قال الراغب في مفردات القرآن المتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالأول ضربان أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو الأب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب﴾ وضرب لبسطه نحو ﴿ليس كمثله شيء﴾ لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع وضرب لنظم الكلام نحو ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما﴾ تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا.." (١)

"فمن الله عليكم فتبينوا، وعلى أبصارهم غشاوة، أو فى وسط الآية كالوقف على قوله تعالى: فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، لا أملك إلا نفسي وأخي، أو قريبا من أول الآية كالوقف على قوله تعالى:

وعلامات، وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا.

وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كالتام، وهو أكثر الوقوف الجائزة ورودا فى القرآن، وقد يتفاوت مقدار كفايته فالوقف على قوله تعالى:

وزلفا من الليل كاف، والوقف على قوله تعالى: يذهبن السيئات أكثر كفاية منه. والوقف على قوله تعالى: ذكرى للذاكرين أكثر كفاية منهما.

الفرق بين التام والكافى:

ثم إن الفرق بين الوقف التام والكافى غير محدد تحديدا منضبطا عند جميع القراء كالفرق بينهما وبين الحسن والقبيح، لأن وجه الاختلاف بين التام والكافى تعلقه بما بعده فى المعنى أو لا، وهو أمر نسبى يرجع فيه إلى الأذواق فى فهم المعانى واعتبار ما وقف عليه متعلقا بما بعده فى المعنى، أو مستغنيا عنه، ولذا نجد منهم من يعد بعض الوقوف الكافية فى نظر غيره تامة أو العكس.

أما الفرق بين التام والكافى وغيرهما من الوقوف فليس محلا لهذا الاختلاف الكبير، لأنه يعتمد على تعلق ما وقف عليه بما بعده فى الإعراب أو لا، وهو أمر منضبط بعض الشيء أكثر من التعلق المعنوى.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم ٢/٢٨٠

تعريف الوقف الحسن، ووجه تسميته حسنا، وصوره وحكمه:

وأما الوقف الحسن فهو: الوقف على كلام تام فى ذاته متعلق بما بعده فى **اللفظ والمعنى** معا. كأن يكون متبوعا وما بعده تابعا له، أو مستثنى منه وما بعده مستثنى.

وسمى حسنا: لأنه يحسن الوقف عليه.." (١)

"وأكثر من تكلم فيها النحاة (١) والأسماء، والأفعال (٢) وأكثر من تكلم فيها اللغويون (٣) ومنه: معرفة ما وضع له الضمير وما يعود عليه (٤) ؛

---

(١) فيرجع في ذلك إلى كتبهم، وهي كثيرة مشهورة.

(٢) أي: ومعرفة الأسماء فنحو ﴿قل هو الله أحد﴾ أحد: أكمل من واحد والاسم الشريف: علم على ربنا تعالى، ومعرفة الأفعال ومدلولاتها وكذا الظروف.

(٣) فيرجع في ذلك، إلى كتب أهل اللغة، كالمحكم لابن سيدة، والتهذيب للأزهري، والصحاح للجوهري، ومجمع البحرين للصاغاني وأمثالها من كتب اللغة.

(٤) أي: ومن معرفة غريب القرآن، معرفة ما وضع له الضمير، وأصل وضعه للاختصار قال تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ قام الضمير مقام [خمسة وعشرين] *كلمة () .

... ومنه: معرفة ما يعود إليه الضمير، فإنه لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به، سابقا، نحو ﴿ونادى نوح ابنه﴾ أو متضمنا له نحو ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أو دالا عليه، نحو ﴿إنا أنزلناه﴾ أو متأخرا نحو ﴿أوجس في نفسه خيفة موسى﴾ ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ أو دل عليه السياق، نحو ﴿كل من عليها فان﴾ وإذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى** بدئ باللفظ ثم بالمعنى.." (٢)

"٢- ولكن ما إن قاربنا نوره حتى بهرنا ضياؤه، واستغرض نفوسنا سناؤه، وانتقلت نفوسنا إلى الاتجاه إليه قاصدين ذاته أصلا، لا تبعا للسيرة، ولو كانت سيرة من نزل عليه القرآن وخاطب في ظله الأجيال، سيدنا الهادي رسول الله رب العالمين.

وقد حاولنا أن نملأ نفوسنا من ينابيع الهداية فيه، وأن نشفي أمراض قلوبنا بما فيه من دواء، وأن نكشف الغمة بما فيه من حكم وعبر.

لذلك صار القرآن وعلم القرآن، وكل ما يتعلق به هدفا لنا مقصودا، وأملا منشودا لا نبغي سواه، ولا نطلب غيره.

فكان لزاما علينا أن نخص كتاب الله ببحث ودراسة، وأن نخرج من ذلك البحث كتابا نرجو أن يكون قيما في ذاته، وإن كان لا يعلو إلى حيث يكون مناسبا لموضوعه، فموضوعه أعلى من أن تناهده همتنا، وأن تتسامى إليه عزيمتنا؛ لأنه كتاب

---

(١) العميد في علم التجويد محمود علي بسة ص/١٥٤

(٢) حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم عبد الرحمن بن قاسم ص/١٤٤

الله تعالى، وأنى لضعيف مثلي أن يصل إلى وصفه أو التعريف به، إنه فوق منال أعلى القوى إدراكا، وأعظم النفوس إشراقا.

"أ" وقد اتجهت ابتداء إلى بيان نزول القرآن منجما، وحكمته مستمدا هذه الحكمة من نص القرآن، وما أحاط بالتنزيل ووجوب حفظه في الصدور، ثم بينت أنه كتب في حياة الرسول، وأن النبي -عليه السلام- كان يملي الآية أو الآيات التي تنزل عليه على كتاب الوحي، حتى إذا تم نزوله كانت كتابته قد تمت، وقراءته بهذا الترتيب الذي نراه في الآيات والسور قد كملت، وقد تكلمت من بعد ذلك في جمع المكتوب في عهد الصديقين أبي بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما، ثم في عهد ذي النورين عثمان رضي الله تعالى عنه.

"ب" وقد اتجهت إلى الحق في وسط ما أثاره بعض العلماء من خلافات حول أحرف القرآن الكريم، وقراءته ونزوله، وقد أسرف بعض العلماء على أنفسهم وعلى الحق، فأثاروا أقوالا باطلة ما كان من المعقول إثارتها، حتى إن بعض المغرمين بالجمع ونقل الخلاف قالوا أمورا تخالف نص القرآن الكريم، فيما ذكر من نزوله، وتهافتت الأقوال حتى وجدنا الذين لا يرجون للإسلام وقارا يتعلقون بأقوال ذكرت لهؤلاء، كقول بعضهم: إن هناك رأيا يقول: إن القرآن نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم **بالمعنى واللفظ** للنبي، ونسوا قوله تعالى معلما للنبي -صلى الله عليه وسلم القراءة والنطق بها: ﴿لا تحرك به." (١)

"لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٦-١٩] ، فإن ذلك صريح في أن القرآن نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- **باللفظ والمعنى** والقراءة، وأن ذلك عليه إجماع المسلمين، والعلم به علم ضروري، ومن يخالفه يخرج من إطار الإسلام، وقد صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى هو الذي رتل القرآن، فقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ [الفرقان: ٣٢] .

"ج" ولقد تكلمنا من بعد ذلك في إعجاز القرآن، وبينا وجوه الإعجاز، ودفعنا القول بالصرفة دفعا، ثم تكلمنا في علم الكتاب، وجدل القرآن، وتفسير القرآن، ومناهج التفسير، وبينا التفسير بالأثر، ومقامه من التفسير بالرأي، وأن الرأي يجب ألا يناقض المأثور، وأن التفسير باللغة والأثر مفتاح التفسير بالرأي.

"د" وتكلمنا في الغناء بالقرآن وتحريمه، والتغني الجائز المأثور، وإبطال ما سواه، وسرنا في طرق الحق الذي لا عوج فيه ولا أمت.

٣- وإنا نحمد الله تعالى على ما اختبرنا به في أثناء كتابه ما كتبناه، لقد اختبرنا الله تعالى في أول كتابة ما كتبنا عن القرآن، فانقطعنا عن الاتصال بالصحف السيارة، نخاطب المسلمين من فوق منبرها، وقطعنا عن المجلات العلمية نوجه الفكر الإسلامي من طريقها، ومن كل طرق الإعلام فلا نصل إليها، وكان الهم الأكبر أن انقطعنا عن دروسنا، وعن المحاضرات العامة.

ولكن القرآن آنسنا في وحدتنا، وأزال غربتنا، فكان العزاء النفسي والجلاء الروحي، واختبرنا الله تعالى بالضر كما اختبر نبيه أيوب؛ إذ قال: ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] ، وإنه وإن تشابه المرض فإنه يختلف المقام، فهذا

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٤

نبي يوحى إليه، ونحن من الأتباع، ونرجو أن نكون من الأبرار في اتباع النبيين، لزمنا المرض المقعد نحو شهرين، فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكبر من ألم المرض الممض، ولقد من الله تعالى بالشفاء، فخرجنا من الداء العقام، وما منعتنا وعثاء المرض، فعدنا إلى القرآن نقبس من نوره، ونعيق من عرفه، هو أنس المستوحش، وسمير المستغرب، فأنسنا بعد طول الغياب، ومنحنا الله تعالى به العافية، فوفقنا لأن نقطع كل ما أردنا عرضه في مدة المرض، وكأنا في مجموع ما بلينا في طول المدة أصحاء في أبداننا؛ لأنه سلمت نفوسنا من السقام، بفضل القرآن.." (١)

"وما يصدر عنها من نور وضياء، وكان الانتقال من الأرض إلى السماء بتقريب في الألفاظ والمعاني، فعبر سبحانه عن خروج النهار من الليل بالفجر الصادق الذي يشق الظلام، فقال سبحانه: ﴿فالق الإصباح﴾ ، وفي ذلك مقاربة في التعبير بين فلق الحجب والنوى، وشق النور في الظلام، ثم جعل من بعد ذلك نتيجة لهذا الإصباح أن كان الليل سكنا، ووجه الأنظار إلى الشمس والقمر، فجعلهما سبيلا لحسبان الأيام والليالي والشهور، ثم ختم النص بما يفيد أن ذلك كله من حكمة الله تعالى العلي القدير، وهنا نجد **المعنى واللفظ** يختمان بختام من القول يدل على انتهاء هذا الجزء، ومثله في ذلك -ولكلام الله تعالى المثل الأعلى- كمثل من يصور أجزاء كل جزء منه ناطق وحده متميز بوجوده مع الاتصال الوثيق بما يليه، وقد كانا على مقربة بعضهما من بعض في نسق بياني، لا هو من السجع، ولا من الإرسال ولا الشعر، ولكنه فوق ذلك، وفيه مزايا كل واحد من هذه الأقسام مع الزيادة التي تجعل الكلام لا يطاول بيانا.

وقد ذكر من بعد ذلك زينة السماء إذ قد زينت بالنجوم كالمصابيح للأرض يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، وفي ذلك إشارة واضحة إلى بيان نعم الله تعالى في اليابس والماء، ففي الأرض زروع وثمار وحيوان قد سخرت لبني الإنسان، ومن البحر تستخرج حلية، وتأكل منه لحما طريا، وفي السماء يهتدي بالنجوم في دجنة الليل، ويسير في البحر بالجوار المنشئات كأنها الأعلام.

وختمت الآية الكريمة بما يدل على أن إدراك هذه النعم يحتاج إلى علم وإيمان بالحق، ولا حياة لعلم بغير إيمان بالحق، ولا حياة لإيمان من غير علم، فهما متلازمان.

ثم بين سبحانه خلق الإنسان وهو كون قائم بذاته في إدراكه ببصر وبصيرة، وفي أصل نشأته ما يساوي أصل الوجود كله، ولذلك قال -سبحانه وتعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢١، ٢٢] .

وإن الله ختم الآية الكريمة بما يناسب خلق الإنسان الدقيق الذي لا يدركه إلا نافذ البصيرة، فقال سبحانه: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ فالفقه هو العلم الدقيق العميق الذي يشق الظلام حتى يصل إلى الحقيقة.

وإننا نجد من هذا أن القرآن لا يمكن أن يوصف بأنه نثر، ولا بأنه مزدوج له فواصل، ولا بأنه سجع له قواف، ولا بأنه شعر، فليس له أوزان ولا قواف، بل هو ذو نظم اختص به من كل الكلام.." (٢)

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٥

(٢) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٢٠٩

"الإيجاز. وإذا كان الأطناب في منزلة الأمر بحسن أكثر منها، فالإطناب حينئذ إيجاز كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه فإطناب فيه إيجاز".

وإن الرماني يتجه بهذا إلى معان ثلاثة:

أولها: أنه يصف الإيجاز بأن فيه تصفية للألفاظ من الكدرة ودرن القول وحشوه. وأنه البيان عن المعنى بأقل ألفاظ، وأن المعنى الكثير يكون في أقل مقدار من وحشوه، وأن المتكلم أو الكاتب يجهد فكره عند الاتجاه إلى الإيجاز ليأتي بأوجز لفظ يحمل أكبر معنى، وقد قال إمام من أئمة عصرنا في البيان في كتاب أرسله إلى صديق له وأطنب فيه "اعذرني في هذا الإطناب فإنه ليس عندي وقت للإيجاز" لأنه بالنسبة للبشر جميعا ليس سهلا، لأن الإطناب فإنه إرسال الحقائق أرسال، أما الإيجاز، فإنه جمع للحقائق في أقل الألفاظ وأجملها، وأبعدها عن الكدر والدرن.

ثانيها: أن الإطناب نسبي، فإنه إذا كان المعنى كثيرا واللفظ كثيرا، فإنه يكون إطنابا، وإذا كان المعنى الكثير يمكن أن تكون ألفاظه أكثر فإن ذلك يكون إيجازا مسببا.

ثالثهما: أن كل ألفاظ ذات معان كثيرة، وقد وضعت على قدرها، فإن كان الواضح قلة الألفاظ مع كثرة المعنى كان الإيجاز، وإن كان الواضح الكثرة في **اللفظ والمعنى** من غير تزيد، بل لمقصد، فهو إطناب.

والقرآن في حالي الإيجاز والإطناب محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.." (١)

"٢٥٩- أجمع العلماء على أن القرآن هو **اللفظ والمعنى**، وأن من خالف ذلك يعد قد خالف في أمر عرف من الدين بالضرورة، وليس المعنى وحده يعد قرآنا؛ لأن التحدي كان **باللفظ والمعنى**، ولما تحداهم الله تعالى طالبهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وواضح أن التحدي هنا باللفظ.

وأن جبريل -عليه السلام- نزل على النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- بلسان عربي مبين، ولقد وصف القرآن الكريم بأنه عربي، فقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ ، وقال تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ ، فالقرآن بلفظه ومعناه عربي، ولا يصح أن يقال عن كتابه بعض معانيه بغير العربية أنها قرآني.

ومع وضوح هذه الحقيقة البدهية التي لا تختلف فيها العقول عند أهل الإيمان، ولا تتباين فيها الأنظار، وجد من الناس من ادعى أن معاني القرآن قرآن، وأنه على هذا الاعتبار تجوز ترجمة القرآن الكريم، على أن يكون المترجم قرآنا له كل خواص القرآن، ويتعبد به كما يتعبد بالقرآن الذي نزل به جبريل بلسان عربي.

بل وصل التهافت في القول إلى أن يدعي بعض الذين لا حرج على ألسنتهم ولا على قلوبهم أن يقول: إن الذي نزل به جبريل على النبي -عليه الصلاة والسلام- هو المعنى فقط.

وذلك كله هراء من القول، وانحراف عن الدين، أو خروج عنه.

وفي وسط ذلك المضطرب كان من بين الذين يتجنون على القرآن من ادعى أن الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان يرى أن القرآن هو المعنى فقط، وبنوا على هذا جواز ترجمة القرآن عند أبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه وأكرم مثواه، والأصل الذي

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٢٣٨

بنوا عليه دعواهم أنه رأى في صدر حياته طوائف من الفرس قد دخلوا في الإسلام، وقد علموا العربية، ولكن ألسنتهم لم تطوع للنطق بها من غير رطانة أعجمية، بل كانت تتلوى في مخارج الحروف العربية، كما نجد اليوم الأعاجم الذين يعلمون اللغة العربية، ولا تطاوعهم ألسنتهم في النطق السليم بها، فسوغ أبو حنيفة لهؤلاء أن يقرأوا معاني الفاتحة بلغتهم الفارسية، وقد روي في هذا أن أهل فارس في عهد الصحابة قد صعب عليهم مخاج الحروف العربية، فطلبوا إلى سلمان الفارسي أن يعبر لهم بالفارسية عن معاني الفاتحة ففعل، حتى لانت ألسنتهم وقرأوا القرآن باللغة العربية، وقد اشترط أبو حنيفة لجواز ذلك ألا يكون الشخص مبتدعا بهذا العلم، أي: إنه يترك القراءة بالعربية مع القدرة على النطق الصحيح بها، وإخراج الحروف من مخارجها، ليقرأ معانيه بلغة أخرى فارسية أو أوربية.

وقد روي عن أبي حنيفة أنه رجع عن هذا الرأي، روى هذا نوح بن أبي مريم الجامع، وهو الذي رجحه الأكثرون، وأن النظرة التاريخية الفاحصة تجد ترجيح هذه." (١)

"الرواية له سبب واضح، وهي تساير الحقيقة التاريخية، وهو أن أبا حنيفة الفقيه المدرك قرر جواز قراءة المعاني بالفارسية على أنها دعاء مقارب للفاتحة في معانيه، فلما لانت الألسنة ودخل الناس من أهل فارس وغيرها في دين الله أفواجا، ورأى أن المبتدعين هم الذين يتخذون القرآن مهجورا، وهم الذين يستبيحون تلك الرخصة التي رخصها، حرم ما كان قد استحسن.

٢٦٠- ومهما تكن الفتوى من الناحية التاريخية فإن الفقهاء اختلفوا في أصل هذه الفتوى، أمؤداها أن أبا حنيفة اعتبر الترجمة دعاء وليست قرآنا، أم أنه اعتبرها قرآنا، وهل مؤدى ذلك أن يكون أبو حنيفة قد اعتبر القرآن هو المعنى دون اللفظ.

ونقول في الإجابة عن هذا السؤال: إن من المقطوع به أن أبا حنيفة لم يعتبر القرآن الذي نزل على محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم- هو المعنى فقط، فذلك ما لم يقله أحد من أهل الإيمان؛ لأن محمدا -صلى الله تعالى عليه وسلم- أقرأه جبريل اللفظ، ولم يوح إليه بالمعنى وحده، اقرأ قوله تعالى مع ما تقدم: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٦-١٩] .

فهل بعد هذا النص القاطع يستطيع أحد أن يدعي على أبي حنيفة الورع التقي أنه يقول: إن الذي نزل على محمد وتلقاه عن جبريل الأمين -وهو روح القدس- هو المعنى فقط، إن ذلك غير معقول.

وبقي السؤال الأول: هل يمكننا أن نفهم من هذا أن أبا حنيفة أقر قراءة القرآن بغير العربية ممن يعرف العربية، ولا يجيد إخراج الحروف من مخارجها، إنه يعتبر المعنى ذاته قرآنا مع إقراره، بأن الذي نزل على محمد **اللفظ والمعنى**.

نقول: إن الأكثرين من الفقهاء المتقدمين والمتأخرين يقولون: إن أبا حنيفة اعتبر المترجم مجزئا للصلاة في الحدود التي رسمناها في دور من أدوار اجتهاده الفقهي، ولكنه لا يعد قرآنا قط، ولذا لم يقل أنه تجب سجدة التلاوة بالجزء المترجم إذا كان في معنى آية لها سجدة تلاوة، وأجاز أن يمس غير المتوضئ الجزء المترجم، ولا حرج عليه، وتقرأ الحائض والنفساء المعنى المترجم، ولا إثم في ذلك؛ لأنه ليس قرآنا.

ولذلك يقول الأكثرون من فقهاء المذهب الحنفي: إن ما قرره أبو حنيفة إن هو إلا ترخص للذين لم تقوم ألسنتهم تقويما

(١) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٤١٥

عربيا سليما، فسوغ لهم أن يقرءوا المعاني حتى تقوم ألسنتهم، وعلى أنه دعاء لا على أنها قرآن، ولم يعرف عنه قط أنه سوغ في غير الفاتحة.." (١)

"يكون لك بيت من ذهب" تفسر لفظ الزخرف فى القراءة المشهورة: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ .. وبعض القراءات تختلف مع غيرها فى **اللفظ والمعنى**، وإحدى القراءتين تعين المراد من القراءة الأخرى، فمثلا قوله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ .. وفسرتها القراءة الأخرى: "فامضوا إلى ذكر الله"، لأن السعى عبارة عن المشى السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.

وبعض القراءات تختلف بالزيادة والنقصان، وتكون الزيادة فى إحدى القراءتين مفسرة للمجمل فى القراءة التى لا زيادة فيها، فمن ذلك: القراءة المنسوبة لابن عباس: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج".. فسرت القراءة الأخرى التى لا زيادة فيها، وأزالت الشك من قلوب بعض الناس الذين كانوا يتحرجون من الصفق فى أسواق الحج.. والقراءة المنسوبة لسعد بن أبي وقاص: "وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس".. فسرت القراءة الأخرى التى لا تعرض فيها لنوع الأخوة.

وهنا تختلف أنظار العلماء فى مثل هذه القراءات فقال بعض المتأخرين: إنها من أوجه القرآن، وقال غيرهم: إنها ليست قرآنا، بل هى من قبيل التفسير، وهذا هو الصواب: لأن الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز إثبات التفسير بجانب القرآن فظنها بعض الناس – لتطاول الزمن عليها – من أوجه القراءات التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه أصحابه.

ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روى عن مجاهد أنه قال: "لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه".

هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة فى تعرف بعض معانى القرآن، وليس هذا عملا آليا لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة.

ومن أجل هذا نستطيع أن نوافق الأستاذ جولدزيهر على ما قاله فى كتابه "المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن" من أن: "المرحلة الأولى لتفسير القرآن والنواة التى بدأ." (٢)

"للقارىء بعد إن شاء الله. وكان مصحفه الذي نسخه على ترتيب النزول كما قاله الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في إتقانه في بحث جمع القرآن ج ١ نقلا عن الامام ابن حجر وتخريج ابن أبي داود، ونقل مثل هذا عن محمد بن سيرين، ولهذا البحث صلة وسط المطلب العاشر الآتي. واعلم أن الخليفة عثمان رضي الله عنه ومن معه من الأصحاب انما

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن محمد أبو زهرة ص/٤١٦

(٢) التفسير والمفسرون الذهبي، محمد حسين ٣٣/١

لم يأخذ برأيه لأن السور والآيات كانت مرتبة ومجموعة على ما هو في المصاحف الآن، وهو أمر توقيفي لا مجال للرأي فيه، وليعلم أن تفسيره على رأي الإمام علي كرم الله وجهه لا يشك أخذ بأنه كثير الفائدة عام النفع، لأن ترتيب النزول غير التلاوة، ولأن العلماء رحمهم الله لما فسروه على نمط المصاحف اضطروا لأن يشيروا لتلك الأسباب بعبارات مكررة، إذ بين ترتيبه في المصاحف وترتيبه بحسب النزول بعد يرمي للزوم التكرار بما أدى لضخامة تفاسيرهم، ومن هذا نشأ الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأخذ والرد فيما يتعلق فيهما، وقد علمت بالاستقراء أن أحدا لم يقدم تفسيره بمقتضى ما أشار إليه الإمام عليه السلام، ويكفي القارئ مؤنة تلك الاختلافات وتدوينها، ويعرفه كيفية نزوله ويوقفه على أسباب تنزيله، ويذيقه لذة معانيه وطعم اختصار مبانيه، بصورة سهلة يسرة موجزة خالية عن الرد والبدل، سالمة من الطعن والعلل، مصونة من الخطأ والزلل، فعن لي القيام بذلك، إذ لا مانع شرعي يحول دون ما هنالك، وأراني بهذا متبعا، لا مبتدعا، مؤملا أن يكون عملي هذا سنة حسنة، فعزمت متوكلا على الله تعالى الذي لا يخيب من رجاه، مستمدا من روحانية صفيه ومجتباه، على تفسيره على ذلك المنوال، لما رأيت فيه من الفوائد الجليلة التي ستقر بها عين القارئ إن شاء الله، مبينا أول ما نزل إلى الفترة والفترة، وسببها ومدتها وأول ما نزل بعدها، وسبب وتاريخ كل منه، ومكانه، وزمانه، وقصصه، وأخباره، وأمثاله، وأحكامه، والآيات المكررة وسبب التكرار، ونظائرها مما يناسبها **باللفظ والمعنى** والكلمات التي لم تكرر فيه (عدا ما كان بين صورة (ق) إلى (الحديد) وجزأي تبارك." [1]

"الله المخلصون، وهذا انما قال ذلك لأنه تصور الصلاح في السلطان المشار إليه بالنسبة لمن كانت مصر بيده من المماليك سنة ٩٢٣ غرة محرم حيث خذلت الجراكة وتقلص سلطانهم.

مطلب في الصوفية ومعنى سبعة أحرف:

أو على المعنى الذي جرى عليه بعض المفسرين بأن الصالحين هم الصالحون لعمارة الدنيا، وفي هذا المعنى يدخل البر والفاجر هذا، ومن الانصاف التسليم الى العارفين من السادة الصوفية الذين هم مركز الدائرة المحمدية واتهام الذهن فيما لم يصل إليه من فهم أقوالهم العالية وأحوالهم السامية بسبب العوائق والعلائق قالوا:

وإذا لم تر الهلال فصدق ... لأناس رأوه بالأبصار

راجع تفسير الألوسي رحمه الله ج ١ ص ٧.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم سبعة أحرف أي سبعة وجوه، قال أبو عبيدة وغيره من الصحابة الكرام هي سبع لغات من العرب: ١ تميم، ٢ ومعد، ٣ ومضر، ٤ وقرشي، ٥ وهوازن، ٦ وهذيل، ٧ وحمير أهل اليمن، وقد جاءت متفرقة في القرآن العظيم الذي جاء بأحسن لغات قريش التي ذابت فيها لغات فرق العرب الآخرين، فمن ذلك (انظرونا) في الآية ١٣ من سورة الحديد ج ٣ فهي بمعنى أمهلونا وأخرونا وأرقبونا (ومنه مشوا فيه) في الآية ٢٠ من البقرة ج ٣ فهو بمعنى مروا فيه وزادوا وذهبوا وسعرا وغيرها من لغات العرب، لكن ما جاء في القرآن أبلغ معنى وأعظم إعجازا، ومنها ما جاء في القرآن

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٤/١

من المد والقصر والإمالة والإشمام والإدغام وغيرها أحسن في الأداء واتم في النظم من الكلمات العارية عنها في اللغات الاخرى وانظر إلى كلمة (هلم) التي هي بمعنى أقبل وتعال وإلي وقصدي ونحوي وقربي، هل لهذه الكلمات التي بمعناها في اللغات الأخرى مكانتها من الحسن في **اللفظ والمعنى**، كلا، وقس على ذلك.

ويوجد أقوال أخرى في معناها، أعرضت عنها لعدم التثبت من صحتها والصحيح أنها قراءات سبع استفاضت عن حضرة الرسول الأعظم، وضبطها عنه أصحابه." (١)

"فيها بعض الخلاف **باللفظ والمعنى** والنظم والنسق وقد جاء فيها أن معاصي الأنبياء دليل على عقيدتهم وأن المسيح وحده هو المعصوم وأنه رب وإله ولا مخلص للناس من الذنوب غيره مما يشبه عقائد الوثنيين ويخالف دين الأنبياء والمرسلين في الاعتقاد بإله واحد وشريعة واحدة. قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) الآية ١٣ من سورة الشورى ج ٢.

وقال تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) الآية ١٦٢ من سورة النساء ج ٣. والآيتين بعدها أيضا، إذا أسس الدين لا تختلف لأن الله تعالى لا يتصور أن يرسل نبيا بشريعة ويرسل الآخر بضدها من حيث الأصول الثلاث التي هي ١- الاعتراف بالإله الواحد. ٢- الاعتراف بالنبوة. ٣- الاعتراف باليوم الآخر. أما الفروع فتكون على ما يناسب البشر بأدواره ويصلح لكيانهم ويوافق المجتمع. وليعلم أن الله تعالى كما مدح القرآن مدح التوراة بقوله: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون) الآية ٤٧ من سورة المائدة ج ٣. وكذلك مدح الإنجيل بقوله: (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) الآية ٤٩ منها، والزبور أيضا لأن التنكير في الآية الأولى والتنوين يدلان على التعظيم، وهناك آيات كثيرة في ذلك أعرضنا عنها اكتفاء بما ذكرنا، إذا فالكتب السماوية كلها مصدقة لبعضها فلا يعقل أن يكون فيها خلاف ما في أصل العقيدة وأصول الدين، أو مما يؤدي إلى التكذيب لبعضها، أو بما يصم الأنبياء لأنه كفر عند سائر الملل.

مطلب مدح الكتب الأربعة وصدق الرسالة:

فما جاء في إنجيل لوقا ص ١٨ آية ١٩ وص ٢ مما يدل على أن العذراء متزوجة وعدم مقابلة المسيح لها عند مجيئها لزيارته، وحاشاها وهي المبرأة المصونة الطاهرة وحاشاه وهو الرسول الكريم على ربه أن يصدر منه ما يهين البتول أمه الزكية، وان القرآن يوصي بالإحسان إلى الوالدين، ويفضل العذراء على نساء العالمين، وما." (٢)

"نزلت متأخرة عنه، فتكون من الذي تقدم حكمه على نزوله، وقوله على فعله وحينئذ يكون المراد بهذه الصلاة، الصلاة المفروضة، وكذلك كل صلاة ورد ذكرها بعد سورة والنجم، ولم أجد ما يؤيد هذا ولم أحظ بجواب من العلماء فيه وهو مما توقفت فيه حيث لم أجد قولا من المفسرين الذين اطلعت على تفاسيرهم في هذا، فأسأل الله أن يوفقنا قبل إتمامه

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٤٢/١

(٢) بيان المعاني ملا حويش ٤٧/١

على ما هو الصواب لنضعه فيه ومن الله التوفيق «كادوا» أي الجن والإنس المذكورون في الخبر المار ذكره «يكونون عليه لبدا» ١٩ متلبدين يركب بعضهم بعضا من شدة الازدحام على رؤيته واستماع القرآن منه، كي لا يفوقم شيء مما قرأه عليهم. وهذه الآية تدل على أنهم كانوا أكثر من سبعة أو تسعة كما في الخبر، ويؤيد الكثرة أن معنى النفر ينصرف إلى الأربعين كما نوهنا به أول السورة، ثم ان كفار مكة لما رأوا حضرة الرسول رجع من الطائف حزينا لما رأى من قسوتهم وما أصابه من أذاهم ورد دعوته لهم بالإيمان، قالوا يا محمد لقد جئت بأمر عظيم، فارجع عنه إلى دين آبائك ونحن نجيرك من أهل الطائف وغيرهم ونحميك منهم ونكفيك أمر الدنيا، فأجابهم صلى الله عليه وسلم بما أوحى الله تعالى إليه «قال إنما أدعوا ربي» وحده وأحصر عبادتي وحمايتي وإعانتي وكفايتي بحضرته المقدسة، وقرىء قل بلفظ الأمر، وهي قراءة جائزة إذا لا زيادة فيها ولا نقص في **المعنى واللفظ** غير مد القاف «ولا أشرك به أحدا» ٢٠ من خلقه في العبادة والنصرة والطلب، فلم تتعجبون مما جئت به ولا جله، تطبقون على عداوتي

«قل» لهم أيضا «إني لا أملك لكم ضرا» إذا بقيتم على كفركم «ولا رشدا» ٢١ إذا آمنتم بالله وحده، ومعنى رشدا هنا نفعا لأنها بمقابلة ضرا، أي لا أقدر على شيء من ذلك كله، لأنه من خصائص الله الذي أرسلني إليكم منذرا لا مسيطرا ولا كفيلا «قل» لهم أيضا «إني لن يجيرني من الله أحد» إذا أنا رجعت إلى دينكم وأرادني بسوء فلن يقدر أحد على دفع عذابه عني، وهذا كقول صالح لقومه (فمن ينصرني من الله إن عصيته) الآية ٦٢ من سورة هود في ج ٢ «ولن." (١)

"«كأن لم يدعنا» قبل «إلى ضر مسه» وكأنه لم يصبة شيء من الفقر والفاقة والمرض البتة «كذلك» كما زينا لهذا الإنسان جهله القبيح ونسيانه المليح «زين للمسرفين» الذين تجاوزوا حدود الله وأفرطوا بكل صفة ذمية وفرطوا بكل خصلة ممدوحة فرأوا حسنا «ما كانوا يعملون ١٢» من القبائح والإعراض عن الله تعالى والانهماك في الشهوات والمثابرة على الكفر. ونائب فاعل زين هو لفظ ما الذي هو بمعنى الذي، أي العمل السيء الذي كانوا يعملونه بإغواء الشياطين وتسويلاتهم. وفي هذه الآية ذم لمن يترك الدعاء في الرخاء ويهوع إليه في الشدة.

ومما يليق بالكامل أن يتضرع إلى مولاء في السراء والضراء فهو أرجى للإجابة، وأن يكثر الخوف حالة الرخاء والصحة، والرجاء حالة الفاقة والمرض، فهو أجدر بالخضوع إلى الله. جاء عن أبي الدرداء: أدع الله تعالى يوم صرائك يستجب لك يوم ضرائك. وعن أبي هريرة: من صره أن يستجاب له عند الشدائد والكروب فليكثر الدعاء في الرخاء. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وقدمنا ما يتعلق في هذا البحث في تفسير الآية ٨٣ من سورة الإسراء في ج ١ فراجعه. والمراد بالإنسان هنا من حيث **اللفظ والمعنى** الكافر بقطع النظر عن كونه معينا فتشمل الآية من نزلت فيه وغيره من كل من هذه صفته من الكافرين والعاصين غير المبالين بما يفعلون، لأن أل فيه للجنس ويدخل تحت الجنس عموم أفراده. هذا، واعلم أن المزين في الحقيقة للعمل هو الله تعالى، لأنه مالك الملك، والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيفما شاء وأراد. راجع قوله تعالى:

(ألا له الخلق والأمر) الآية ٥٧ من سورة الأنعام الآتية، وقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) الآية ٩٦ من سورة

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ١٧/٢

الصافات، وقوله تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) الآية ١٣٥ من الأنعام أيضا، وإذا كان للشيطان سبب ظاهرى فيكون بإقدار الله تعالى إياه، وإلا فهو عاجز أيضا عن أن يقسر الإنسان على فعل شيء أو عدمه، راجع قوله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) الآية ٧٦ من سورة النساء في ج ٣، والآية ٣١ من سورة إبراهيم الآتية، وقدمنا ما يتعلق في هذا البحث في تفسير الآية ١٢١ من سورة طه المارة في ج ١، وفيها ما يرشدك." (١)

"لهم وقد عمم الله هذا الخطاب، لأن العبادة عامة وواجبة على العامة، وخصص أوله بموسى وأخيه لأن الأمر باتخاذ بيوت العبادة من خصائص الأنبياء لأنهم هم المشرعون لغيرهم، وقيل المراد من قوله «قبلة» أي اجعلوها متقابلة وليس بشيء على أن ظاهر القرآن لا يدل على المعنى المراد في هذه اللفظة لأن اليهود تستقبل صخرة بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس، ولا يبعد أن تشمل هذه اللفظة الأمر بأن يجعلوا بيوتهم قبلة لروادها من الضيفان والزوار وجعلها مأوى لكل فقير ومسكين ومقطوع يستقبلون فيها العاني وذا الحاجة وغيرهم، لأن هذا من جملة ما حث عليه الشارع ومن مكارم الأخلاق والله أعلم «وأقيموا الصلاة» في تلك البيوت على المعنى الجاري في التفسير «وبشر المؤمنين ٨٧» بك يا موسى فإنه لا يصيبهم أذى الكفرة ولا ينالهم مكروه منهم «وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا» من كل ما يتزين به الناس من اللباس والحلي والمراكب والمساكن ونحوها «في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك» الناس ويميلوهم عن طاعتك ويصرفوهم عن هداك، وكرر لفظ ربنا للالحاح في التضرع، والله تعالى يحب الملحين في الدعاء واللام في ليضلوا مثل اللام في قوله تعالى «ليزدادوا إثما» الآية ٧٨ من آل عمران في ج ٣ في **اللفظ والمعنى** وهذه حجة على المعتزلة لأنهم لا ينسبون ما لا يليق فعله إلى الخالق، والله تعالى يقول ليضلوا وليزدادوا، إذ لا يكون شيء خيرا كان أو شرا إلا بإرادته وقضائه وقدره، راجع الآية ٥٩ المارة من هذه السورة. واعلم بأن هذه اللام للتعليل مجازا لا حقيقة، لأن الله تعالى آتاهم ما آتاهم ليؤمنوا به ويشكروه فتوسلوا بها إلى البغي والطغيان، وتوصلوا بها إلى الكفر والخسران، فاشبهت حالهم حال من أعطى المال لأجل الإضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة وقال بعض المفسرين إن اللام هذه للعاقبة أي تكون عاقبة أمرهم الإضلال عن الحق.

وقيل في هذا المعنى:

وأموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أي أن عاقبة المال والدور تكون كذلك.." (٢)

"بالنار، طبقا لما هو مدون في كتابه، وحق أمره بذلك، وهو قوله للملائكة أزلا وعزتي وجلالي «لأملأن جهنم من الجنة» الهاء فيها للمبالغة، وهي والجن بمعنى واحد، أما من قال إن الجن يقع على الواحد فتكون الجنة جمعا له ويكون من الجموع التي يفرق بين مفردها وجمعها بالهاء مثل كمأة فليس بشيء، لأن الحق أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه والكمأة جمعها أكمؤ قال.

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ١٤/٣

(٢) بيان المعاني ملا حويش ٦٨/٣

ولقد جنيتكم أكموء عساقلا ... ولقد نهيتكم عن نبات الأوبر

«والناس أجمعين» ١١٩ من عصاتهم كما سبقت كلمته بملء الجنة من تقاتهم لما علم شرعا أن العذاب والوعيد مخصوصان بالكافرين والمصرين على المعاصي بدليل قوله تعالى في الآية ١٨ من الأعراف المارة في ج ١ (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) . والنعيم والوعد مخصوصان بالمؤمنين لقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري) إلخ الآية ١٠ من سورة المائدة في ج ٣ وهي مكررة كثيرا في القرآن **باللفظ والمعنى**، والقرآن يفسر بعضه بعضا فما قيل إن ظاهر الآية يقضي بدخول الفريقين جهنم، قول واه يخالف آيات الله وأخبار رسوله التي لا تقبل التأويل والتفسير، وليس للرأي فيها مدخل، ولهذا البحث صلة في الآية ١٤ من سورة السجدة الآتية فراجعه. قال تعالى «وكلا» مفعول مقدم والتنوين للعوض عن المضاف إليه أي وكل نبأ «نقص عليك من أنباء الرسل» السالفين قبلك، وهو بيان لكلا ويبدل منها قوله تعالى «ما نثبت به فؤادك» نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بأخبارهم معهم ليسهل عليك تحمل أذاهم «وجاءك» يا حبيبي «في هذه» السورة العظيمة كما جاءك في غيرها من القصص «الحق» الواضح الصريح الذي لا يغير ولا يبدل وكل ما جاء في القرآن فهو حق ثابت، وخصصت هذه السورة العظيمة كما جاءك في غيرها من القصص «الحق» الواضح الصريح الذي لا يغير ولا يبدل وكل ما جاء في القرآن فهو حق ثابت، وخصصت هذه السورة به تشريفا وتكريما «وموعظة وذكرى للمؤمنين» ١٢٠ جاء فيها أيضا، فإذا تذكر قومك أحوال الأمم السالفة وكيفة إهلاكهم وأسبابه واتعظوا وتذكروا وأخبتوا إلى ربهم

«وقل للذين لا يؤمنون» من قومك وغيرهم، لأنك مرسل لجميع الخلق بمقتضى الآية ١٥٨ من سورة الأعراف المارة في ج ١ وما ترشدك إليه من الآيات على سبيل التهديد." (١)

"لها في أم الكتاب بل تنتظره حتما «وما يستأخرون ٥» عنه لحظة واحدة إذا حل أجله وقد أنث أولا وذكر ثانيا باعتبار **اللفظ والمعنى** «وقالوا» كفار مكة لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم «يا أيها الذي نزل عليه الذكر» القرآن المذكر للرشد والهدى والحق والصواب «إنك لمجنون ٦» وصموه بما هو براء منه لما يرونه حال نزول الوحي عليه كالمغشي عليه من ثقل ما يلاقي من الهيبة الإلهية ورزانة المنزل مما لا تطيقه الجبال الراسيات، راجع قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) الآية ٦ من سورة المزمل المارة في ج ١ وقوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) الآية ٢٢ من سورة الحشر في ج ٣، وقولهم له هذا على طريق الاستهزاء إذ يقولون (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) إلخ فيعترفون أنه ذكره وينسبونه إلى الجنون،، والتعكيس في كلامهم

للاستهزاء والتهكم جار شائع، وقد جاء القرآن على ذلك المنوال الذي ألهمه لهم منزله لما هو معلوم في سابق علمه، قال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) الآية ٢٧ من سورة آل عمران ج ٣، ومثلها في القرآن كثير، وقال تعالى (إنك لأنت الحليم الرشيد) الآية ٨٧ من سورة هود المارة وقال تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) الآية ٤٩ من سورة الدخان الآتية، وقد جاءت هذه الآية على حد قوله تعالى حكاية عن فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) الآية ٢٧ من سورة الشعراء

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ١٦٩/٣

المارة في ج ١ والمعنى أنك تقول قول المجانين بادعائك أن الله نزل عليك الذكر قال تعالى «لو ما» هي لو ركب معها ما، وهي لامتناع الشيء لوجود غيره مثل لولا، فتحتاج للشرط والجواب، ولكنها لا تجزم وإخوانها كذلك وراجع الآية ١١٥ من سورة هود المارة ومعناها هلا، وهذه أصلها هل ركبت مع لا، وتفيد التحضيض وهو طلب الشيء بحث وإزعاج، فعند إرادة المعنى الأخير لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمر كما في الآية، وعند إرادة معنى امتناع الشيء لوجود غيره لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر عند البصريين وعليه قول ابن مقبل:

لو ما الحياء ولو ما الدين عبتكما ... ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري." (١)

"وهذه بخلاف ربما إذ لا تدخل على الأسماء كما بيناه آنفا في الآية الثانية «تأتينا بالملائكة» ليشهدوا على دعواك رسالة الله لنا كي نصدقك «إن كنت من الصادقين ٧» بها قال تعالى ردا عليهم «ما ننزل الملائكة» على طلبكم الواهي وما ننزلهم «إلا بالحق» عند إرادتنا إنزال العذاب بأحد، وعند قبض الروح، وعند إنزال الوحي، وعند اقتضاء أمر تقتضيه حكمتنا «وما كانوا إذا منظرين ٨» ممهلين بل لأوقعنا بهم العذاب حالا مع نزول الملائكة، نزلت هذه الآية في كفار مكة القائلين إلى محمد صلى الله عليه وسلم أنزل علينا ملائكة ربك الذين تزعم ليشهدوا أنك صادق بوعدك ووعيدك كي نصدقك، قال تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر» عليك يا سيد الرسل أصدقوا أم كذبوا «وإنا له لحافظون ٩» من كل ما يقدح فيه كالتحريف والتغيير والزيادة والنقص، بحيث لو أن أكبر رجل قرأه بزيادة حرف أو نقصه أو تبديل حركة منه لرد عليه الصبيان، إذ لا يراعى في لحنه كبير لكبريائه، وهو الموجود بين الدفتين الآن كما كان قبل يكون بعد المتواترة قراءته كما هي فيه، كيف لا وهذا العهد من الله تعالى بحفظه له على الصورة التي أنزلت عليها، وبقائه معمولا به إلى آخر الزمان فلا يقدر أحد على إحداث شيء فيه أو إزالة شيء منه البتة بمقتضى عهده هذا، وهذا من خصائصه، لأن غيره من الكتب السماوية تطرقت إليها الأيدي بالزيادة والنقصان من تحريف وتبديل، وأدخل فيها من ما ليس منها بسبب تسلط بعض الملوك على القسوس والرهبان وأهل العلم من أهل الكتابين، وبسبب الترجمة وأسباب دنيوية وقسرية، لأن التوراة حرفت مرارا وتداولتها أيدي الملوك وعلماء السوء، والإنجيل لم ينزل دفعة واحدة ولم يجمع على عهد المسيح ولم يعلم بصورة صحيحة الذي نقله من السريانية إلى العربية، وأن الأناجيل الأربعة المعمول بها الآن وإن كانت من حيث المعنى على توافق غالبا فإنها مختلفة من حيث اللفظ، وكلام الله لا بد وأن يكون موافقا بعضه لبعض حرفيا في **اللفظ والمعنى**، وكلها مخالفة لإنجيل برنابا الذي هو موافق من حيث المعنى للقرآن العظيم بشأن صون سيدنا عيسى من الصلب وعدم توصل أيدي اليهود القذرة إلى طهارته وقدسيته، وأن المصلوب هو يهوذا الأسخريوطي المنافق الذي دلهم عليه." (٢)

"وأدلة السمع تأبى ذلك، وهذه الآية رد على المشركين الذين يكلفون حضرة الرسول اتباع دينهم دين آبائهم، وقطع لأطماعهم الفارغة لأنها عبارة عن هوى أنفسهم وضلال صرف محض ولذلك نهى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله «قل لا أتبع» في هذا ولا في طرد المؤمنين «أهواءكم» النفسية البحتة «قد ضللت إذا» إن أنا فعلت أو ملت لشيء من

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٣/٢٧٤

(٢) بيان المعاني ملا حويش ٣/٢٧٥

ذلك «وما أنا من المهتدين ٥٦» بهداية ربي وفيها إشارة الى أنهم هم الضالون عن الهدى «قل إني» فيما أنا عليه «على بينة من ربي» وبصيرة ظاهرة ناصعة لأني في طاعته وعبادته «وكذبتم به» على غير بينة تبعا لهدى أنفسكم فأشركتم به غيره ما لا يستحق العبادة وإذا دمتم على هذه ولم تقلعوا عنه فأنذركم عذاب الله فقالوا له ائتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقا لنصدقك فأوحى الله إليه أن يقول لهم «ما عندي ما تستعجلون به» من العذاب ولا أقدر على إنزاله «إن الحكم» في إنزاله حالا أو تأخيره لأجل معلوم عنده لا يكون «إلا لله» وحده وهو «يقص الحق» يبرمه وقرىء يقض والمعنى واحد لأن القضاء قول مبرم وهذه من القراءات الجائزة إذ لا تبديل فيها **بالمعنى واللفظ** عبارة عن تصحيف في النقط لأن الصاد أخو الضاد وقد ذكرنا غير مرة أن القراءة الغير جائزة وهي التي فيها تبديل كلمة أو حرف مباين أو زيادة أو نقص شيء من ذلك «وهو خير الفاصلين ٥٧» بين الحق والباطل إذ لا يقع في حكمه جور ولا حيف، يا أكرم الرسل إذا ألح عليك قومك بطلب إنزال العذاب «قل» لهم «لو أن عندي ما تستعجلون به» لأوقعته عليكم حالا وما أمهلتكم به وقد رأيت منكم ما رأيت يدل على هذا قوله «لقضي الأمر بيني وبينكم» لأني بشر وقد نفد صبري عليكم لولا أن الله يأمرني بالصبر ولأوقعته عليكم غضبا لله الذي قابلتم نعمه بالجحود لا تشفيا لنفسي ولكنه بيده وهو صبور لا يستفزه الغضب وهو حليم لا يعجل بالعقوبة «والله أعلم بالظالمين ٥٨» أمثالكم هل تعجيل العذاب أصلح لهم أو تأخيره وهو أعلم بالوقت والمحل الذي ينزله عليكم بهما ونوع العذاب الذي تستحقونه

وما أنتم عليه من الحال «وعنده مفاتح الغيب» بفتح الميم جمع مفتح اي المخزن وعليه يكون المعنى." (١)

"أي عليهم أن يتذكروا ويتعظوا وينبهوا غيرهم ويمنعوهم بما أمكن من العظة ويظهروا لهم الكراهة ليتيقظوا «لعلهم يتقون» ٦٩ ذلك الخوض ويتركونه وينفضوا عنه حياء أو كراهية لمساءتهم، نزلت هذه الآية لما قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما استهزأ المشركون بالقرآن لم نستطيع أن نجلس بالمسجد الحرام ولا نطوف بالبيت وإنا نخاف الإثم إذا لم ننهاهم فبين الله تعالى أن لا بأس لمن يتقي أعمال الخائضين والاكتفاء بتذكيرهم على ما يدل على المنع، هذا إذا كانوا في المسجد ولم يقدروا على منعهم أما في غير المسجد فعليهم ترك المكان الذي هم فيه إذا لم يقدروا على منعهم من الخوض، وهذه الآية محكمة لأنها خير من الأخبار والأخبار لا يدخلها النسخ راجع الآية ٤١ من سورة يونس المارة، وغاية معناها أن كل إنسان مختص بحساب نفسه، وما قيل إنها منسوخة بآية النساء ١٤ في ج ٣ لا وجه له لأن تلك مؤيدة هذه ومؤكدة لها **باللفظ والمعنى** وهي مدنية وهذه مكية تدبر، راجع تمحيص القول في هذا عند تفسيرها، ومن هنا يعلم كراهة جلوس المرء في المجالس التي يقع اللهو واللعب واللغو والرفث وغيره إذا لم يستطع النهي عنه، روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. أقول ولا ضرورة تقضي بأن يتصف الرجل بضعف الإيمان لأنه لا يقدر إلا على عدم رضاء قلبه في ذلك بل عليه أن يترك هذا المجلس على الأقل فإن بقائه مع عدم قدرته على النهي فعلا أو قولا رضاء به وبما يقع فيه والرضاء بالذنب ذنب كما أن الرضاء بالكفر كفر، لهذا فإن الأحسن للعاقل التقي أن يتجنب هكذا مجالس سوء ويحتفظ

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٣/٣٤٩

بقوة دينه إذ يجب النهي على القادر باللسان وإن لم يسمع منه لأن العمل ثمرة الإيمان وأعلى الإيمان النهي باليد حتى إذا قتل كان شهيدا، قال تعالى حاكيا حال لقمان (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) الآية ١٨ من سورته الآية إذ أمره بالصبر على ما يصيبه من جراء ذلك وإن النهي بالكلام قد ينال منه في هذا الزمن ما يفضي إلى التحمل." (١)

"[الجزء الرابع]

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة فصلت عدد ١١- ٦١- ٤١

نزلت بمكة بعد سورة غافر المؤمن، وهي أربع وخمسون آية، وتسعمئة وست وتسعون كلمة، وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «حم» ١ «تنزيل من الرحمن الرحيم» ٢ تقدم مثله وفيه ما فيه. واعلم يا أكرم الرسل أن المنزل عليك من لدنا هو «كتاب فصلت آياته» تفصيلا شافيا وبينت تبيينا كافيا وافيا وأعني به «قرآنا عربيا» أنزلناه «لقوم يعلمون» ٣ هذه اللغة حق العلم فيجيلون النظر في مبانيه ويتفقهون في معانيه ويعرفون المراد منه، وفي هذه الآية إيذان بتعليم اللغة العربية للوقوف على معاني القرآن العظيم، فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها، لأن القرآن لا يقرأ إلا بها:

مطلب عدم جواز ترجمة القرآن وبحث في الزكاة وفي معجزات القرآن:

وان الترجمة باللفظ والمعنى غير ممكنة، إذ الحروف العربية لا توجد كلها في اللغات الأجنبية، فيضطر المترجم الى تبديل حرف بغيره أو تحريره، ويجر هذا التغيير الى تبديل كلمة تعطي غير المعنى المراد من أجلها، ومن المعلوم أن تغير شيء من كتاب الله كفر، إذ قد يختل المعنى المقصود منه وهو مبرأ من الخلل، أما تفسيره باللغات الأجنبية مع المحافظة على متنه فجائز، ومن هنا طرأ التحريف على الكتب السماوية المترجمة، راجع هذا البحث في المقدمة تقف على ما تريده. وقد جعلنا هذا الكتاب المنزل عليك يا خاتم الرسل (بشيرا) للطائعين المنقادين لأحكامه بالجنة ونعيمها «ونذيرا» للعاصين الجاحدين له بالنار وجحيمها «فأعرض»." (٢)

"عصم من فتنة الدجال. وفي رواية: من آخرها. فعلى من أراد الحفظ من فتنته- عصمنا الله منها بيقين- فليحفظ عشرا من أولها وعشرا من آخرها عملا بالروايتين.

ويوجد سورة أخرى فقط مختومة بما ختمت به هذه السورة وهي الإخلاص في ج ١.

وليعلم أن كلمة الشرك المزجور عنها تكررت في القرآن في مواضع كثيرة لأنها أعظم شيء مكروه عند الله، ولهذا فإن كل

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٣/٣٥٨

(٢) بيان المعاني ملا حويش ٤/١

شيء داخل تحت المشيئة بالعفو عنه والمغفرة إلا الشرك، لأنه الكفر الظاهر، وقد شبه به الرياء إذ ورد الرياء هو الشرك الخفي، لعظم وزره عند الله، راجع الآية ٣٣ من سورة الأعراف في ج ٢ والآيتين ٢٢/ ٧٩ من الإسراء أيضا، وسنبحث عنه كلما مررنا بما ينم عليه في **اللفظ والمعنى** كما جعلنا ذلك قبل. هذا، والله أعلم، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة النحل عدد ٢٠- ٧٠- ١٦

نزلت بمكة بعد الكهف، عدا الآيات ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨، وهي مئة وثمان وعشرون آية، والفان وثمنمئة وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وسبعمئة وسبعة أحرف.

وتسمى سورة النعم، ولا يوجد في القرآن سورة مبدوءة بما بدئت به، ولا بما ختمت به، ولا يوجد مثلها في عدد الآي.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «أتى أمر الله» بقيام الساعة أي يأتي، وجاء بلفظ الماضي لأنه محقق الوقوع، قال الشيخ عبد القاهر: إن إخبار الله تعالى بالتوقع يقام مقام الإخبار بالواقع، إذ لا خلف فيه فيجري المستقبل مجرى الماضي المحقق وقوعه «فلا تستعجلوه» أيها الناس فإنه آت لا محالة «سبحانه وتعالى عما يشركون» ١ به غيره، وهذا مما يعد سببا لتلو هذه السورة التي قبلها، إذ ختمها بذم الشرك، وبدأ هذه بتقبيحه أيضا، قال ابن عباس لما نزلت (اقتربت الساعة) المارة في ج ١ قال الكفار إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قربت فأمسكوا عما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه." (١)

"سماع الأذان وحده لا يكفي للانتفاع بالمسموع، بل لا بد من اقترانه بالقبول وإلا عد كسماع الموتى، ولهذا قال تعالى بحق الذين يسمعون ولا يعون (وما أنت بمسمع من في القبور) الآية ٢٢ من سورة فاطر في ج ١.

مطلب جواز تذكير اسم الجمع وشبهه وكيفية هضم الطعام وصيرورة اللبن في الضرع والدم في الكبد والطحال وغيرها:

هذا وبعد أن عدد الله تعالى مساوئهم وذكر الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب وضرب المثل لصحة البعث طفق يعدد نعمه على خلقه فقال «وإن لكم في الأنعام» المار ذكرها بصدر هذه السورة «لعبرة» كبيرة وعظة عظيمة إذا تفكر بها، ثم بين هذه العبرة بقوله «نسقيكم مما في بطونه» ذكر الضمير وهو مؤنث لأن لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع، فكان ضميره ضمير الواحد المذكر بحسب اللفظ وبحسب المعنى جمع، فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث، ولهذا المعنى ذكره هنا وأنثه في سورة المؤمنين في الآية ٢٣ في نظير هذه الآية، والأنعام اسم جمع وكل ما كان كذلك يجوز فيه التذكير والتأنيث والجمع والإفراد من حيث **اللفظ والمعنى**، كالخيل والإبل والغنم وغيرها من أسماء الأجناس التي لا واحد لها من لفظها، قال الشاعر:

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٢١٠/٤

تركنا الخيل والنعم المفدى ... وقلنا للنساء بها أقيمي

وقال الكسائي إنما يفرد ويذكر على تقدير المذكور وذلك كقوله:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

وهذا شائع وفي القرآن سائغ، قال تعالى (إنها تذكرة فمن شاء ذكره) الآيتين ٥٤/ ٥٥ من سورة المدثر في ج ١، وقال تعالى (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) الآية ٣٨ من الأنعام المارة، وإنما يكون هذا في التأنيث المجازي تدبر.

«من بين فرث ودم» الفرث في الكرش ما دام فيها، نخرج «لبنا خالصا» من شوائب الكدورة، ومن مصل الفرث والدم جاريا بسهولة هنيئا مريئا، بدلالة قوله «سائغا للشاربين» ٦٦ لا غصة فيه ولا يحتاج للمضغ ولا يثقل على المعدة ولا يحتاج للشرب بعده، وهو غذاء وماء يكفي الكبير والصغير، ذلك تدبير الحكيم." [1]

"قال صلى الله عليه وسلم: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها.

ولله الحمد، هذا، ولما لم يقنع بقوله ليقضي الله أمرا كان مفعولا وليطلعهم عليه ليصدقوا أن من عباده ممن هو ملهم بما يقع من قضائه، فلما انتهوا به إلى البيداء قال أبو جهل كلتت نافتي فاحملني معك، فنزل، فأخذاه وشدا وثاقه، وجلده كل منهما مئة جلدة، وذهبا به إلى أمه، فقالت له لا تزال بعذاب حتى ترجع عن دين محمد.

هذا وقد جعل بعض المفسرين الآيات الثلاث في حق سعد رضي الله عنه، وان ما جرينا عليه أولى، على أن كلا منها عامة **اللفظ والمعنى** لا يخصصها عن عمومها هذه الأسباب ولا يقيدها عن إطلاقها، لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولأن الآية الواحدة قد يكون نزولها لعدة حوادث بسبب انطباق مآلها عليها، ولم نعهد أن ثلاث آيات نزلت في حادثة واحدة أو آيتين، وعليه فالقول بنزول الآيات الثلاث المذكورة في حق سعد رضي الله عنه لم يثبت، والله أعلم. ومرت بقية القصة في الآية ١١ من سورة لقمان، وقيل إنها نزلت في سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، لما أسلم قالت له لا آكل ولا أشرب ولا استظل حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بي، فلم يفعل، وبقيت أياما، ولما أيست منه أكلت وشربت واستظلت، قال تعالى «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين» ٩ من عبادنا مع الأنبياء والأولياء والشهداء والعارفين. قال تعالى «ومن الناس من يقول آمنا بالله» إيمانا مطلقا «فإذا أوذي في الله» لأجله أو من أجله «جعل فتنة الناس» به من أذية أو إهانة «كعذاب الله» أي نزل ما يصيبه منهم منزلة عذاب الله في الآخرة وجزع كما يجزع من عذابه لو حل به، مع أنه لا يعد كل عذاب الدنيا شيئا بالنسبة لجزء من عذاب الآخرة، فلم يصبروا على ما وقع عليهم من عذاب الدنيا، ورجعوا عن دينهم وكفروا بربهم، مع أنه يجب عليهم أن يصبروا عليه مهما كان شديدا، لأنه فان رغبة بما عند الله للصابرين من نعيمه الدائم. وهذه سمة المنافق فإنه إذا أوذي في الله رجع عن دينه، كالذي يعبد الله على حرف، راجع الآية ١٢ من سورة الحج المشار إليها آنفا، أما المؤمن فإنه يصبر على ما أصابه." [2]

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٤/٢٣٢

(٢) بيان المعاني ملا حويش ٤/٤٦٧

"هذه الآية إلى قول الفلاسفة إن النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما أشرنا إلى هذا المعنى آنفا في بحث النفس، وإنما خاطب الله تعالى حضرة الرسول وأصحابه المؤمنين كافة بهذا ليوطنهم على احتمال ما سيلقونه من الشدائد التي لا تقابل إلا بالصبر لئلا يرهقوا عند نزولها بهم على غرة فيجزعوا أو يشمئزوا، وهي عامة **اللفظ والمعنى** محكمة ثابتة الحكم بين الناس إلى يوم القيامة، وقد ظهر مصداقها في زماننا هذا بتولية الإفرنسيين علينا وفعل بعضهم كما ذكر الله في الآية ٢٤ من سورة النمل ج ١، وها نحن أولاء صابرون على أذاهم، وعسى الله أن يزيحهم عنا بتقوى أهل التقوى منا وهو على كل شيء قدير، إذ أصاب بعض المؤمنين منهم ما ذكره الله ولم يجدوا بدا إلا الصبر، فنسأله أن يقيض لنا من يجمع كلمة المسلمين ويرد لهم مجدهم ويدفع عنهم من يتسلط عليهم، ولا لوم إلا على أنفسنا، لأن ذلك كله بما كسبت أيدينا من ظلمنا بعضنا لبعض وتعاظمنا وانتصارنا للقوي والغني وعدم التفاتنا للضعيف والفقير والسكوت على المعاصي وهدر الحقوق والتقاطع ولا حول ولا قوة إلا بالله. روى البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله، قال محمد ابن سلمة أتحب أن أقتله؟ قال نعم، قال فأذن لي فلأقل، قال قل، فأتاه فقال له وذكر ما بينهم، وقال إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا، فلما سمعه قال وأيضا والله لتبلغه، قال إنا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء بصير أمره، قال وقد أردت أن تسلفني سلفا، قال فما ترهن عندي تأمينا لما تستلفه؟ فقال له ما شئت، قال أترهنني نساءكم، قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا، قال له ترهنون أولادكم؟ قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر، ولكن نرهنك اللامة (أي السلاح) قال نعم، وأوعده أن يأتيه بالحارث وأبي عيسى بن جبير وعباد بن بشير، قال فجاءوا فدعوه ليلا، فنزل إليهم، قالت امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم، قال إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب، قال محمد لأصحابه إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا استحكمت منه فدونكم، قال فلما نزل وهو متوشح." (١)

"ينقضه إلا هو ولا ينوب عنه في التبليغ به إلا رجل منه فلو أن أبا بكر مبلغ ما يتعلق بنقض العهود من هذه السورة لأنكره الناس ولن يعبئوا به لأنهم يقولون هذا مخالف لما نعهده ونعرفه فلا نعتبره، لأنهم كانوا ينقيدون بعوائدهم كقانون لا يخرمونها أبدا، ومما يؤيد دوام إمارة أبي بكر صلاة سيدنا علي خلفه في الموسم، فلو أنه جاء بدلا منه لصلى هو بالناس، لذلك فإن كل ما جاء في قضية عزل أبي بكر عن إمارة الحج لا صحة له البتة، إذ لا دليل على إبقاء إمارته أقوى من الصلاة، واعلم انه لا تكرار في الأذانين، لأن الأول يفيد براءة الله ورسوله من عهود المشركين وهو إعلان بثبوت البراءة أي قول الله تعالى (براءة) إلخ هو الأذان الأول. والأذان الثاني وهو قوله تعالى (وأذان من الله) يفيد الإخبار بوجوب الإعلام في براءة الله ورسوله منهم، ولذلك علقه بالناس أي إذا أعرضوا وأصروا على ما هم عليه فإنه لا يتولاهم ولا ينصرهم بل يهلكهم ويخذلهم والتكرار لا يسمى تكرارا إلا إذا كان الثاني عين الأول **باللفظ والمعنى** والمغزى، فإذا كان كل يرمي لشيء آخر لا يسمى تكرارا قال تعالى «إلا الذين عاهدتم من المشركين» هذا استثناء من المدة المضروبة يعني أن الله تعالى يبرأ من عهود المشركين كلها بعد تلك المدة إلا من عاهدهم الرسول وهم بنو حمزة، حي من كنانة «ثم لم ينقصوكم شيئا» من شروط العهد

(١) بيان المعاني ملا حويش ٤٤٣/٥

الذي عاهدتموهم عليه «ولم يظاهروا» يعاونوا ويمالئوا «عليكم أحدا» من أعدائكم فهؤلاء إذا وفوالكم بالشروط فضموا إليها هذان الشرطان «فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم» التي ضربتموها لهم ولا تجروهم مجرى الكافرين والمنافقين الذين نكثوا عهودهم وأخلوا شروطها إذ لا يقاس الموفي بالغادر ولا يعامل معاملته، واتقوا الله في ذلك «إن الله يحب المتقين» (٤) مخالفته الموفين بعهودهم المحافظين على أقوالهم، وإنما خص الله تعالى هذه الطائفة ليعلم الناس ويحذرهم من أن يسووا بين الناقض عهده الناكث به والقائم به المحافظ عليه، وما عام إلا وخصص: قال تعالى: «فإذا انسلخ الأشهر الحرم» الأربعة المضروبة في هذه المدة، وسماها حرما وليس كلها حرم لحرمة نقض العهد فيها ولأنها صارت محرمة بتخصيصها لانتهاء عهود المعاهدين حتى صار الناس يعدون." (١)

"٣ – أو في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة نحو: هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت قرئ: تبلوا وتتلوا وهما سبعيتان.

٤ – أو عكس ذلك: أي يتغير في الصورة لا المعنى نحو الصراط والسراط.

٥ – أو بتغيرهما: أي المعنى والصورة نحو: فاسعوا إلى ذكر الله وقرئ فامضوا.

٦ – وإما بالتقديم والتأخير نحو فيقتلون ويقتلون الأولى بفتح الياء على البناء للفاعل والثانية بضم الياء للمفعول، وبالعكس.

٧ – وإما بالزيادة والنقصان نحو: ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب وقرئ وأوصى فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها: قال: وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام والتفخيم والترقيق والنقل؛ فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه في **اللفظ والمعنى**؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا؛ ولئن فرض فيكون من الوجه الأول الذي لا تتغير فيه الصورة والمعنى.

وقد رجح هذا القول بعض كبار العلماء، وأئمة الفتوى، وهو المغفور له الشيخ محمد بخيت المطيعي، وسوى بينه وبين مذهب ابن قتيبة، بل حاول جاهدا أن يرجع معظم الأقوال التي ذكرها السيوطي في الإتقان، وذكرناها هنا– إليه (١) وهو تكلف لا نوافقه عليه.

كما رجح هذا القول أيضا بعض الباحثين، وأرجع إليه الأقوال الثلاثة الأخرى (٢)، وبين أنها جميعها ترجع إلى رأي واحد، ولعله تابع الشيخ في قوله.

وقرأ ابن كثير بالنصب.

(١) الكلمات الحسان ص ٧٧.

(٢) القراءات واللهجات ص ١٣ وما بعدها.." (٢)

"وسرعة إجابة الداعين، وأما السر في حذفها في الرابعة، فللإشارة إلى سرعة الفعل، وإجابة الزبانية (١).

أقول: وفيه– أيضا– تطابق بين المتجاورين في اللفظ؛ إذ قبلها فليدع ناديه وإشارة إلى أن إجابة الزبانية أسرع من إجابة أهل

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٦/٤٠٧

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة ص/١٩٢

ناديه.

وعلل الشيخ العلامة المراكشي لزيادة الواو في قوله تعالى: سأوريكم دار الفاسقين [الأعراف: ١٤٥]، وقوله: سأوريكم آيتي للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رتبة للعيان، قال: ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد، أقول: فيكون فيه تطابق بين **اللفظ والمعنى**.

أقول: وعلى هذا اللون من الاجتهاد في التعليل للرسم يمكن أن نقول (٢) في زيادة الألف في قوله تعالى: ولأاوضعوا خللكم [براءة: ٤٧] السر فيه الإيماء إلى أن هؤلاء المعتذرين المتخلفين من المنافقين لو خرجوا معكم لأكثروا من الإيضاع في الفتنة، والإفساد- والإيضاع هو الإسراع- ولجاوزوا الحد في هذا، فتوافق الرسم والمعنى.

وفي زيادة الياء في قوله تعالى: بأييكم المفتون [القلم: ٦] أي:

المجنون، الإشارة إلى أن جنون المشركين بلغ الغاية، وتجاوز الحد وأنهم المجانين لا أنت لأن مثلك يا محمد في رجاحة عقلك وعظم أخلاقك وسمو فضائلك لا يصح أن يرمى بالجنون، فمن رماك به فقد رجع على نفسه بالجنون، وبذلك يتوافق الرسم، والمعنى، والكلام في ظاهره ترديد بين أمرين، وهو في الحقيقة يراد به ما ذكرت، وهو لون من ألوان الحجاج في القرآن، يدل على غاية النصفة مع الخصوم، ومثله قوله سبحانه: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين مع اليقين أن النبي وأتباعه على

---

(١) الإتقان ج ٢ ص: ١٠٨.

(٢) قد استفدت في كثير من هذا بما ذكره العلامة الشيخ المراكشي ولكني زدته توضيحا وبعضها مما اجتهدت فيه كما اجتهد العلماء من قبل.." [(١)]

"فللإشارة إلى أن الإيتاء ينبغي أن يكون ممدودا موصولا غير منقطع، فيكون فيه تطابق بين **اللفظ والمعنى**، وفي قوله تعالى: ولقد جاءك من نبإى المرسلين [الأنعام: ٣٤] للإشارة إلى كثرة ما جاء في القرآن من أخبار الأنبياء، وتحملهم الأذى البالغ، والصبر الصابر، حتى جاء نصر الله.

وفي قوله: ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى [طه: ١٣٠] للإشارة إلى أنه ينبغي أن يشغل معظم ساعات الليل بالقيام والتسبيح، فجاءت هيئة رسم اللفظ موحية بهذا المعنى، وفي قوله: أو من وراءي حجاب [الشورى: ٥١]. للإشارة إلى كلام من وراء وراء فهو وراء فسيح ممدود لا حد له.

وهكذا لا يعدم المتأمل في رسم القرآن، بعقل فسيح وقلب مستنير، من أن يجد في الرسم من أسرار القرآن الشيء الكثير، فلله در القرآن ما أعظم بركاته، وما أكثر أسراره معنى ولفظا ورسما.

(٥) إفادة بعض المعاني المختلفة بطريقة لا خفاء فيها؛ وذلك نحو قطع كلمة (أم) في قوله تعالى: أم من يكون عليهم وكيلا ووصلها في قوله تعالى: أمن يمشي سويا على صراط مستقيم فقطع الأولى في الكتابة للدلالة على أنها (أم) المنقطعة بمعنى

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة ص/٣٥٠

بل، ووصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست المنقطعة، وإنما هي المتصلة.
(٦) احتمال الرسم للقراءات المتواترة والصحيحة، وذلك مثل قوله تعالى: وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا الآية فقد قرئت بالإفراد والجمع، يعني تمت كلمت ربك أو كلمات ربك.

[مذهب الامام الباقلانى وابن خلدون فى ان الرسم اجتهادى]
الرأي الثاني إن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، وممن ذهب إلى هذا ابن خلدون في مقدمته (١) والقاضي أبو بكر الباقلاني في «الانتصار» حيث قالا:

---

(١) المقدمة ص ٣٥١ فقد قال: إن الكتابة من الصناعات التي تتبع الحضارة تقدما." (١)

"فما فوقها في الحجم والمقدار، وثانيهما: فما فوقها أي في الخسة والقدر، يعني فما دونها في الحجم، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب المثل بما دون البعوضة، فقال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء».
وبهذا انتهينا من هذه المسائل والفوائد التي لا يستغنى مسلم عن معرفتها والتأدب بها.
نسأل الله سبحانه أن يرزقنا الأدب معه ومع كتابه، ومع نبيه.

لا يجوز كتابة القرآن بغير الحروف العربية
كنت قد كتبت هذا العنوان ريثما أكتب تحته ما أريد ثم طبع العنوان ص ٣٦٦ من غير شيء وها أنا ذا أستدرك ما فات، فأقول وبالله التوفيق:
من المجمع عليه أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية لا في الصلاة ولا في خارجها؛ لأن الله أنزله قرآنا عربيا قال تعالى: إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون [يوسف: ٢]، وقال: إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون [الزخرف: ٣] وقال: نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥) [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] ولم يقل قرآنا أعجميا، وركنا القرآن **اللفظ والمعنى** معا فإذا قرأ بغير العربية لا يسمى قرآنا.
وما روي عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أنه جوز القرآن بالفارسية في الصلاة للعاجزين عن العربية قد نقل بعض المحققين من أتباعه أنه رجع عنه (١) وبذلك صار الأمر إجماعا من الفقهاء والقرآن كما ذكرت في مقدمة الكتاب هو الذي وحد بين المسلمين في اللسان كما وحد بينهم في العقيدة والشريعة، وبفضل القرآن كان المسلمون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم يتكلمون اللغة العربية من المحيط إلى المحيط بل من الفرس، والرومان وغيرهم من أجاد اللغة العربية إجادة العرب الخلص لها، ومؤلفاتهم التي لا

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة ص/٣٥٣

---

(١) حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن ص ٦ ط الثانية.." (١)

"بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين"١، ومن الغريب أن ينسب مثل هذا الرأي إلى القاضي عياض٢ وهو الذي لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا، ولكن السيوطي رد على هذا لقول ردا قويا مؤيدا بالنصوص٣.

وإذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة، بل الحصر كما فهمه أكثر العلماء، وهو الذي كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين "فالأكثر -كما يقول ابن حبان٤- على أنه محصور في سبعة"٥. بيد أن كثيرا من تلك المحاولات لم يحالفها التوفيق، كما رأينا في قول من جنح إلى أن الأحرف السبعة هي القراءات. ويكاد يقارب هذا القول في الضعف رأي الذين حصروا هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات، مع ما بين المفهومين من تغاير دقيق. فأما اللهجات فليست عند بعض العلماء٦ من الاختلاف الذي يتنوع في **اللفظ والمعنى**، لأن الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتخفيف والتسهيل، والنقل، والإبدال، صفات متنوعة في أداء اللفظ الواحد، وتنوعها لا يخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، ولكننا -مع ذلك- لا نضعف هذا القول بهذا السبب، فإن تنوع صفات الأداء في اللفظ الواحد يوشك أن

---

١ الإتقان ١/ ٧٨ وانظر محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٢٨٧ والمستشرقون يحلو لهم الضرب على هذا الوتر كثيرا، فعدد "السبعة" له فعل سحري في نفوس الساميين. انظر:

Buhl, Encyclopedie de l'Islam. II, 1135 b. Noldede, Geschichte des Qorans, .p.50

٢ الإتقان ١/ ٨٧ والقاضي عياض هو عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، صاحب كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" توفي سنة ٥٤٤هـ "الأعلام ٢/ ٧٤٩".

٣ الإتقان ١/ ٧٨.

٤ هو الحافظ محمد بن حبان البسي ويكنى أبا حاتم، من كبار المحدثين، توفي سنة ٣٥٤ "شذارت الذهب ٣/ ١٦".

٥ البرهان ١/ ٢١٢.

٦ هو ابن الجزري كما في الإتقان ١/ ٨٠.." (٢)

"بها ألسنتهم في يسر وسهولة"١: وذلك ما لاحظه ابن الجوزي حين قال: "وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق". ويفسر ذلك بقوله: "وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة ص/٤٥٩

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صبحي الصالح ص/١٠٤

القرآن بلغتهم: لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج٢".

وأهمية هذا الوجه الآخير -أعني اختلاف اللهجات- جعلت بعض العلماء يحصرون الأحرف السبعة في أنواع اللهجات، بينما أغفل آخرون ذكر هذا الوجه إغفالا تاما، لأنه -على حد قول ابن قتيبة: "ليس من الاختلاف الذي يتنوع في **اللفظ والمعنى**، لأنه هذه الصفات المتنوعة في أدائه، لا تخرجه عن أن يكون واحدا"٣. وفي كلا الرأيين مغالاة، فالأوجه الستة السابقة على جانب من الأهمية لا يسمح بإسقاطها والاكتفاء بالوجه السابع. كما أن اختلاف اللهجات في أداء بعض الأصوات أمر واقع بين الصحابة، بل لعله كان أشد أنواع الاختلاف دورانا على الألسنة. فلا يجوز إغفاله والاكتفاء بأوجه أخرى لا تستقرى بها مختلف ضروب الأداء. وهذا النقص في استقراء الأقدمين للأوجه السبعة قد حملنا على أن نسلك في طريقة استقرائنا لها سبيلا مخالفة لهم جميعا، فلم نختر مذهب أبي الفضل الرازي٤ الذي فضله الزرقاني في "مناهله" على مذهب ابن قتيبة وأبي الخير بن الجزري والقاضي أبي بكر بن الطيب

---

١ دراسات في الفقه واللغة ٥٠.

٢ مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٣٩ ومن الغريب أن يدافع ابن الجزري عن هذه الفكرة مع أنه لا يذكر اختلاف اللهجات بين الحروف السبعة.

مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٥٤ وقد رأينا عبارة كهذه منسوبة إلى ابن الجزري في مكان آخر.

راجع ص١٠٩.

٤ هو الإمام الكبير ابن شاذان الرازي المتوفى في حدود سنة ٢٩٠هـ "النشر ١/ ١٧٩".." (١)

"ظاهرة في الرواية الثانية، فكل ما فيها من **اللفظ والمعنى** يدعو إلى الدهشة والاستغراب، بينما الرواية الأولى صحيحة، فلا مسوغ لترددنا وتساؤلنا: أيهما تعمل وأيهما تهمل؟ إذ لا مكان للباطل إلى جانب الصحيح، قال ابن حجر: "قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول لآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيح"١.

وقد تكون حادثة واحدة سببا في نازلين أو أكثر من القرآن، وهوم ما يعبرون عنه بقولهم: "تعدد النازل والسبب واحد". مثال الحادثة الواحدة تكون سببا في نازلين، ما أخرجه ابن جرير الطبري والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال: "إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه". فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق العينين، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "علام تشتمني أنت وأصحابك؟ " ، فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا

---

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صبحي الصالح ص/١١٥

يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ من سورة التوبة.

وأخرج الحاكم هذا الحديث بهذا اللفظ وقال: فأنزل الله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ من سورة المجادلة٢.

ومثال الحادثة الواحدة تكون سببا في أكثر من نازلين من القرآن ما أخرجه الحاكم والترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر

---

١ الإتقان ١/ ٤٥ "الروايتان كلتاهما مع تعليق ابن حجر في الصفحة نفسها".

٢ الإتقان ١/ ٥٨.." [1]

"الفصل الثالث: إعجاز القرآن

مدخل

...

الفصل الثالث: إعجاز القرآن

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته، وطاولهم في المعارضة، ولكنهم انهزموا أمام تحديه، وأعلنوا عجزهم عن تقليده؛ لأنه يعلو وما يعلى، وما هو بقول بشر.

ولقد كان الإعجاز القرآني خليقا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف على وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير. وبذل أولئك العلماء جهودا مشكورة، وقاموا بمحاولات مضنية، لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال، ولكنهم وقفوا غالبا عند النص الواحد، فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى، ودرسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلافهم الذي لا يتناهى حول مشكلة **اللفظ والمعنى،** فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص، وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز.

ولعل الجاحظ "ت٢٥٥" أول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه "نظم القرآن"، ولم يصلنا هذا الكتاب، ولكن للجاحظ نفسه إشارات إلى هذا المصنف في كتابه "الحيوان" إذ يقول: "ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لا." [2]

---

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صبحي الصالح ص/١٤٧

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صبحي الصالح ص/٣١٣

"الفاصلة ففي قول الله تعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ [الفرقان: ٢٩] .

وقد يكون بعد تمام الآية بكلمة كالوقف على لفظ "كذلك" "وبالليل" "وزخرفا" من قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك﴾ [الكهف: ٩٠-٩١] ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] ﴿ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا﴾ [الزخرف: ٣٤-٣٥] . فإن تمام الآية في كل "سترا" و"مصبحين" و"يتكئون" وتمام الكلام لفظ "كذلك" "وبالليل" "وزخرفا".

ويكون في أواخر السور وهو ظاهر.

قال الحافظ ابن الجزري في النشر: "وقد يتفاضل التام في التمام نحو ﴿مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٤-٥] كلاهما تام إلا أن الأول أتم من الثاني لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب بخلاف الأول" أهـ.

وسمي تاما لتمام لفظه وانقطاع ما بعده عنه في **اللفظ والمعنى**.

وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده لما تقدم في وجه تسميته بالتام.

هذا والمراد بالتعلق المعنوي أن يتعلق المتقدم بالمتأخر من جهة المعنى لا من جهة الإعراب. والمراد بالتعلق اللفظي أن يتعلق المتقدم بالمتأخر من حيث الإعراب كأن يكون موصوفا للمتأخر أو يكون المتأخر معطوفا على المتقدم أو مضافا إليه أو خبرا له وما إلى ذلك. ويلزم من التعلق اللفظي التعلق المعنوي.

الأصل في الوقف التام من السنة المطهرة

الأصل في الوقف التام ما ذكره الحافظ ابن الجزري في كتابه التمهيد في علم التجويد بسنده المتصل إلى عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: "أي ابن أبي بكرة": إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل:." (١)

"وسنرى الجرجاني يعتمد هذه التفرقة بين **المعنى واللفظ** أساسا لنظريته في النظم، على حين لا نرى اللفظ منفصلا عن معناه بحيث يمكن أن يصح أحدهما والآخر فاسد، بل يفسد المعنى بفساد لفظه، ولا عبرة عندنا برونق لفظي مع فساد المعنى. ثم إن الخطابي في شرح فكرته في النظم المعجز، يرى من الإعجاز أن تأتي بلاغات القرآن جامعة لطبقات ثلاث متفاوتة من حيث المستوى بعد استبعاد الهجين المذموم. قال:

"والعلة فيه - يعني إعجاز القرآن من جهة البلاغة - أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية: فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة:

"فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه. والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة" ٢٦

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري عبد الفتاح المرصفي ١/٣٧١

والعبارة موهمة، قد يفهم منها أن في القرآن ما هو من الدرجة العليا في البلاغة وفيه ما هو من أوسطها وأدناها. وذلك مردود عندنا من ناحيتين:

أولاهما: أن فهمنا للإعجاز البياني، فوت لأعلى درجات البلاغة دون أوسطها وأدناها.

والأخرى، أن هذه الدرجات الثلاث لا تجتمع، بالضرورة، في السورة الواحدة، وبسورة واحدة كان التحدي والمعاجزة.

وسبق "الخطابي" أيضا إلى لمح فروق دقيقة في الدلالة، لألفاظ قرآنية جرت معاجمنا وكتب المفسرين على القول بترادفها مع "ألفاظ أخرى في معناها" مثل: العلم والمعرف، الحمد والشكر، العتق وفك الرقبة، (٢٩: ٣٣) . . .." (١)

"الرماني. فنرى الباقلانى مثلا يخرج في كتابه عن الدراسة القرآنية إلى دراسات للشعر، ونرى عبد القاهر يستكثر في (الدلائل) من الاستشهاد بالشعر. وقلما يأتي بشواهد قرآنية تجلو الملحظ البلاغي. وهذا هو ما غلب على جمهرة المصنفين من البلاغيين فيما عدا قلة منهم جعلت للشواهد القرآنية المكان الأول في مباحثها البلاغية، كابن أبي الأصبع المصري - في القرن السابع - الذي سار في (بديع القرآن) على نهج الرماني، في تقديم الشاهد القرآني.

ونرجئ التعرض لرأي الرماني في بلاغة **اللفظ والمعنى** إلى حيث يتسع المجال لمثل هذا في "مذهب النظم للجرجاني" ونتابع خطوات السلف على الطريق، انطلاقا من هذه الخطوة الرائدة التي وصل إليها جهد الرماني في دراسته البلاغية للقرآن، وقد بدا واضح الفكرة والمنهج، لم تختلط عنده بالجدل الكلامي، ولا شغل عنها بالنظر في هذيان مدعى معارضة القرآن.

* * *

وفصاحة القرآن كانت مناط النظر، في الجزء الخاص بإعجاز القرآن، من (كتاب المغني) للقاضي المعتزلى عبد الجبار.

لم يتناوله تناول البلاغيين، كزميلة الرماني، وإنما كان همه الاستدلال لإعجاز القرآن، من جهة فصاحته التي انفرد بها، وصحة التحدي به. فاقتضى هذا بطبيعة الحال، أن ينظر في مفهوم الفصاحة وإعجازها، فكان أن عرض لقضية النظم، مقصودا به النمط الخاص من صياغة الكلام، وبين وجهة نظر المعتزلة فيها. والملحظ الدقيق في النظم عنده. بمعنى النسق والطريقة، أنه لا يكفي عدم السبق إلى مثله، ليكون وجها لإعجاز. وإلا كان يجب القول بإعجاز من يبتدع طريقة ركيكة من النظم، لم يسبق إليها "وقد علمنا أنه لابد من أن يعتبر مع النظم المبتدع، رتبته في الفصاحة".

ومن ثم ينبغي أن يتبين المقصود بالنظم: إن أريد به مجرد السبق إلى طريقة." (٢)

"وعقد القاضي فصلا (في اختصاص القرآن بمزية في رتبة الفصاحة خارجة عن العادة) فلم يتناول الموضوع تناول البلاغيين بل مضى على طريقته في الاستدلال لإعجاز القرآن بعلو مرتبته في الفصاحة إلى حيث باين الفصيح من كلام العرب، وأعياهم أن يأتوا بمثله، قال: بينا أن العرب كانت عارفة بما يباين المعتاد من الفصيح، للتجربة والعادة. فلم تكن عند سماع القرآن والوقوف على مزيته محتاجة إلى تجربة مجددة، وعلمت خروجه عن العادة. ومن قصر حاله عن حالهم

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص/١٠٢

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص/١٠٧

فكمثل، لأنه إذا عرف بالتجربة تعذر مثل كلامهم عليه، فبأن يتعذر عليه أولى. وإن كان لا يمتنع أن يكون في العرب من ظن في الوقت أن مثل القرآن يواتيه إن رامه، ثم تبين تعذره. وإن كان ذلك – الظن – يبعد من أهل التقدم في الفصاحة، كما يبعد ممن جرب مقادير ما يمكنه أن يفعله، أن تلتبس عليه حال الأمور العظيمة. وقد أورد بعض شيوخنا عند جحد بعض اليهود أن للقرآن مزية، بعض ما ذكرناه من حال العرب. ثم تلا عليه قوله تعالى:

﴿والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى﴾ وبعضهم تلا قوله تعالى:

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ .

وإذا تأمل السامع لقوله تعالى: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾

إلى آخر الآيات، علم أن كزيته على ما نسمع من الكلام الفصيح عظيمة، وإنما يشتبه مثل ذلك على من لاحظ له" ١٦ / ١٣٤

ثم كان أكثر ما تجرد له القاضي عبد الجبار: الرد على مطاعن المخالفين في القرآن (٣٣٧) وبطلان القول بأن للتنزيل في القرآن تأويلا باطنا غير ظاهر، على ما يحكى الباطنية (٣٦٣) وبطلان طعنهم في القرآن بأن فيه تناقضا واختلافا فيما يتصل **باللفظ والمعنى** والمذهب (٣٨٧) وبيان فساد طعنهم من جهة التكرار والتطويل وما يتصل بذلك (٣٩٧) .." [(١)]

"الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي أهمها:

١ – أن القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائما، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.

والحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

٢– والقرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى.

والحديث القدسي –كما سبق– قد يروى مضافا إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال: قال الله تعالى، أو: يقول الله تعالى، وقد يروى مضافا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه عليه الصلاة والسلام هو المخبر به عن الله، فيقال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما يرويه عن ربه عز وجل.

٣– والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد يكون الحديث القدسي صحيحا، وقد يكون حسنا، وقد يكون ضعيفا.

٤– والقرآن الكريم من عند الله لفظا ومعنى، فهو وحي **باللفظ والمعنى**.

والحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول –صلى الله عليه وسلم– على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص/١٠٩

٥- والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ ١، وقراءته عبادة يثيب الله عليها بما جاء في الحديث: "من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" ٢.

---

١ المزمل: ٢٠.

٢ رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح.." (١)

"شكل الكلمة أو كيفية الأداء مما لا يقع به التغاير في اللفظ، كاختلاف في الإعراب، أو التصريف، أو التفخيم والترقيق والفتح والإمالة والإظهار والإدغام والإشمام فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في **اللفظ والمعنى**، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا.

وأصحاب هذا الرأي يرون أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، بمعنى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من هذه الأحرف، فآية: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ ١. التي تقرأ بصيغة الجمع وتقرأ بصيغة الإفراد جاءت في الرسم العثماني ﴿لأمنتهم﴾ -موصولة وعليها ألف صغيرة- وآية: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ ٢، جاءت في الرسم العثماني ﴿بعد﴾ - موصولة كذلك وعليها ألف صغيرة، وهكذا..

وهذا لا يسلم لهم في كل وجه من وجوه الاختلاف التي يذكرونها.

كالاختلاف بالزيادة والنقص، في مثل قوله تعالى: ﴿وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾ ٣. وقرئ: "من تحتها الأنهار" بزيادة "من" وقوله: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ ٤، وقرئ: "والذكر والأنثى" بنقص "ما خلق".

والاختلاف بالتقديم والتأخير في مثل قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ٥، وقرئ: "وجاءت سكرت الحق بالموت".. والاختلاف بالإبدال في مثل قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ ٦، وقرئ: "وتكون الجبال كالصوف المنفوش".

ولو كانت هذه الأحرف تشتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسما للنزاع في اختلاف القراءات، إنما كان حسم هذا النزاع بجمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ولولا هذا لظل

---

١ المؤمنون: ٨.

٢ سبأ: ١٩.

٣ التوبة: ١٠.

٤ الليل: ٣.

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان مناع القطان ص/٢٢

٥ سورة ق: ١٩.

٦ القارعة: ٥.." (١)

"٣- والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به في **اللفظ والمعنى** كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم﴾ ١.

٤- والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد، كالوقوف على قوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا﴾ ٢، والابتداء بقوله: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ ٣؛ لأن المعنى على الابتداء يكون كفرا، ونظيره قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ ٤، فلا يقف على "قالوا" وهكذا..

---

١ الفاتحة: ٢، ٣.

٢ المائدة: ١٧، ٧٢.

٣ المائدة: ١٧، ٧٢.

٤ المائدة: ٧٣.." (٢)

"وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن". تعني قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ١.

فالذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ٢، ويجعلون: ﴿والراسخون في العلم﴾ ٢، استئنافا، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله.

والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني أي التفسير، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري فيه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به أنه يعرف تفسيره.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في **اللفظ والمعنى** الكلي إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: ﴿لرحمن على العرش استوى﴾ ٣، قالوا: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وكذلك قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك قبله: "الاستواء معلوم،

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان مناع القطان ص/١٦٦

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان مناع القطان ص/١٨٩

والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان".

فبين أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا إلا أن الحقيقة غير الحقيقة. ففي الآخرة ميزان،

---

١ رواه البخاري ومسلم – [والآية من سورة النصر: ٣] .

٢ آل عمران: ٧.

٣ طه: ٥.." (١)

"لم يقتبسوها من العرب، ولا مانع من أن تتفق لغتان أو أكثر فى بعض الألفاظ، وليس ادعاء أمة بأنها لغتها أولى من ادعاء أمة أخرى، ولم يقل أحد ممن فسر هذه الكلمات فى القرآن بغير العربية، أنها ليست من كلام العرب.

يقول ابن جرير: «إن الذى قالوه من ذلك غير خارج عن معنى ما قلنا، من أجل أنهم لم يقولوا: هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاما، ولا كان ذاك لها منطقا قبل نزول القرآن ... وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا، ولم تستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك- مما يتعب إحصاؤه، ويمل تعداده، كرهنا إطالة الكتاب بذكره- مما اتفقت فيه الفارسية والعربية **باللفظ والمعنى**، ولعل ذلك كذلك فى سائر الألسن التى نجهل منطقها ولا نعرف كلامها» «١».

ثم قال: «وهذا المعنى الذى قلناه فى ذلك هو معنى قول من قال: «فى القرآن من كل لسان» «٢»، عندنا بمعنى- والله أعلم- أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الامم التى تنطق بها ... فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن بعض القرآن فارسى لا عربى، وبعضه نبطى لا عربى، وبعضه رومي لا عربى، وبعضه حبشى لا عربى، بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآنا عربيا» «٣».

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٤ - ١٥

(٢) روى هذا ابن جرير عن أبي ميسرة قال: «فى القرآن من كل لسان»، المرجع السابق ١/ ١٤ - وأبو ميسرة: هو عمرو بن شرحبيل الهمدانى الثقة المخضرم أبو ميسرة الكوفى- ت ٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ٨/ ٤٧).

(٣) المرجع السابق ١/ ١٧ - ١٨." (٢)

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان مناع القطان ص/٢٢٤

(٢) نزول القرآن على سبعة أحرف مناع القطان ص/١٥

"فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه **اللفظ والمعنى**، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا» «١».

وجاءت آراء قريبة من هذا الرأى متداخلة معه على نهج آخر: اختار أبو على الأهوازى طريقة أخرى فقال: «قال بعضهم: معنى ذلك، هو الاختلاف الواقع فى القرآن، يجمع ذلك سبعة أوجه:

الجمع والتوحيد، كقوله تعالى: «وكتبه» و «وكتابه» «٢».

والتذكير والتأنيث، كقوله تعالى: «لا يقبل» و «لا تقبل» «٣».

والإعراب، كقوله تعالى: «المجيد» و «المجيد» «٤».

والتصريف، كقوله تعالى: «يعرشون» و «يعرشون» «٥».

والأدوات التى يتغير الإعراب لتغيرها، كقوله تعالى: «ولكن الشياطين» و «ولكن الشياطين» «٦».

واللغات، كالهمز، وتركه، والفتح، والكسر، والإمالة، والتفخيم، وبين بين، والمد، والقصر، والإدغام، والإظهار، وتغيير اللفظ والنقط باتفاق

---

(١) النشر ١/ ٢٦ - ٢٧

(٢) البقرة: ٢٨٥، وقراءة حمزة والكسائى: «وكتابه»، وقرأ الباقون: «وكتبه» والكلمة فى المصاحف بغير ألف فاحتملت القراءتين.

(٣) البقرة: ٤٨ - بالتاء: قراءة ابن كثير وأبى عمرو، وبالياء: قراءة الباقين.

(٤) البروج: ١٥ - بالجر: فى قراءة حمزة والكسائى، وبالرفع: فى قراءة الباقين من السبعة.

(٥) الأعراف: ١٣٧، والنحل: ٦٨ - بضم الراء: قراءة ابن عامر، وبكسرها: قراءة الباقين.

(٦) البقرة: ١٠٢ بتخفيف «لكن» ورفع «الشياطين»: فى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى، وبتشديد «لكن» ونصب «الشياطين»: فى قراءة الباقين.." [١]

"مناقشة الرأى الرابع:

ويجاب عن الرأى الرابع- الذى يرى أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير الذى يقع فيه الاختلاف «١»، بأن هذا وإن كان شائعا مقبولا لكنه لا ينهض أمام أدلة الرأى الأول التى جاء التصريح فيها باختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى.

وبعض وجوه التغاير والاختلاف التى يذكرونها ورد بقراءات الآحاد، ولا خلاف فى أن كل ما هو قرآن يجب أن يكون متواترا، وأكثرها يرجع إلى شكل الكلمة أو كيفية الأداء مما لا يقع به التغاير فى اللفظ، كالاختلاف فى الإعراب، أو التصريف، أو التفخيم والترقيق والفتح، والإمالة والإظهار والإدغام والإشمام، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى **اللفظ والمعنى**، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا.

---

(١) نزول القرآن على سبعة أحرف مناع القطان ص/٦٣

وأصحاب هذا الرأى يرون أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، بمعنى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من هذه الأحرف، فآية: والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون «٢» التى تقرأ بصيغة الجمع، وتقرأ بصيغة الإفراد، جاءت فى الرسم العثمانى: «لأمنتهم» موصولة وعليها ألف صغيرة، وآية: فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا «٣»، جاءت فى الرسم العثمانى: «بعد» موصولة كذلك وعليها ألف صغيرة ... وهكذا.

وهذا لا يسلم لهم فى كل وجه من وجوه الاختلاف التى يذكرونها، كالاختلاف بالزيادة والنقص فى مثل قوله تعالى: وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار

---

(١) هذا الرأى هو أقوى الآراء بعد الرأى الذى اخترناه، وإليه ذهب «الرازى» وانتصر له من المتأخرين الشيخ محمد بخيت المطيعى، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى، وانظر المبحث السادس فى نزول القرآن على سبعة أحرف في كتاب «مناهل العرفان» ١/ ١٣٠.

(٢) المؤمنون: ٨.

(٣) سبأ: ١٩.." (١)

"ولا يجد القارئ نسخة من التوراة متفقة مع نسخة أخرى من كل وجه، كما أن الإنجيل كذلك، اختلفت نصوصه باختلاف رواته من الحواريين، وهذا الاختلاف أو ذاك لا يقتصر على وجوه النطق مع اتفاق المعنى، ولكنه اختلاف فى اللفظ والمعنى معا، فهو اختلاف تضاد، وذلك هو الجدير بأن يوصف بالاضطراب وعدم الثبات فى النص.

وليس هذا شأن القرآن كما ادعى «جولد زيهر» فإن القراءات المتعمدة فى القرآن الكريم مع ثبوت نسبتها تتفق فى المعنى وإن اختلفت فى اللفظ، ويظاهر بعضها بعضا، وليس بينها شىء من التضارب، حتى يوصف القرآن بالاضطراب وعدم الثبات أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا «١».

٢ - وادعى «جولد زيهر» أن المسلمين مالوا إلى توحيد النص القرآنى فى كتابة مصحف عثمان رضى الله عنه، ولكنهم لم يحرزوا تقدما كبيرا.

يقول «جولد زيهر»:

«وفى جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامى لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدى للنص إلا انتصارات طفيفة .. فليس هناك نص موحد للقرآن، ومن هنا نستطيع أن نلمح فى

صياغته المختلفة أولى مراحل التفسير، والنص المتلقى بالقبول (القراءة المشهورة) الذى هو لذاته غير موحد فى جزئياته، يرجع إلى الكتابة التى تمت بعناية الخليفة الثالث «عثمان»، دفعا للخطر الماثل من رواية كلام الله فى مختلف الدوائر على صور متغايرة ... بيد أن هذه الرغبة لم يصادفها التوفيق على طول الخط» «٢».

ولم يثبت أن أحدا من المسلمين مال إلى توحيد نص القرآن حيث لا يوجد اختلاف فى نصه المنزل، ولو وقع هذا النقل

---

(١) نزول القرآن على سبعة أحرف مناع القطان ص/٨٤

إلينا لتوافر الدواعي على نقله.

(١) النساء: ٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ٥ – ٦.." [1]

"الاختلاف الوارد في التفسير المأثور

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية، مثاله قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (الإسراء: ٢٣) قال ابن عباس: قضي: أمر، وقال مجاهد: وصي، وقال الربيع بن انس: أوجب، وهذه التفسيرات معناها واحد، او متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

الثاني: اختلاف في **اللفظ والمعنى**، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) (الأعراف: ١٧٥) (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (الأعراف: ١٧٦) قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس أنه: رجل من أهل اليمن، وقيل: رجل من أهل البلقاء.

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها، لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل.

ومثال آخر قوله تعالى (وكأسا دهاقا) (النبأ: ٣٤) قال ابن عباس: دهاقا مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة: صافية. ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعا ويكون كل قول لنوع من المعنى.

القسم الثالث: اختلاف **اللفظ والمعنى**، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما، فتحمل." [2]

"«محمد» صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقرأ الباقون «جئتكم» بتاء مضمومة، على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم والمراد الرسول «محمد» صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الجزري:

.... وسقفا وحد ثبا ... حبر ....

(١) نزول القرآن على سبعة أحرف مناع القطان ص/٩٩

(٢) أصول في التفسير ابن عثيمين ص/٢٩

المعنى: اختلف القراء في «سقفا» من قوله تعالى: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون (سورة الزخرف آية ٣٣).

فقرأ المرموز له بالثاء من «ثبا» ومدلول «حبر» وهم: «أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو» «سقفا» بفتح السين، وإسكان القاف، على الإفراد، لإرادة الجنس، وعلى معنى أن لكل بيت سقفا.

وقرأ الباقون «سقفا» بضم السين، والقاف، بالجمع، على لفظ «البيوت» لأن لكل بيت سقفا، فجمع **اللفظ والمعنى**.

قال ابن الجزري:

.... ولما اشدد لدا خلف نبا

في ذا ....

المعنى: اختلف القراء في «لما متع» من قوله تعالى: وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا (سورة الزخرف آية ٣٥).

فقرأ المرموز له بالنون من «نبا» والفاء من «في» والذال من «ذا» واللام من «لدا خلف» وهم: «عاصم، وحمزة، وابن جماز، وهشام» بخلف عنه «لما» بتشديد الميم، على أن «لما» بمعنى «إلا» و «إن» نافية.

وقرأ الباقون «لما» بتخفيف الميم، وهو الوجه الثاني «لهشام» على أن «إن» مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، و «ما» زائدة للتأكيد.." (١)

"وضرب لبسط الكلام نحو: ﴿ليس كمثله شيء﴾

لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو: ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما﴾ ١.

تقديره: الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا.

وقوله: ﴿ولولا رجال مؤمنون﴾ .

إلى قوله: ﴿لو تزيلوا﴾ ٢.

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

والمتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعا خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: ﴿اقتلوا المشركين﴾ .

والثاني: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، نحو: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ .

والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ ٣.

---

١ الكهف: ١-٢.

---

(١) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر محمد سالم محيسن ٣/٢١٤

٢ الفتح: ٢٥، ففي الآية تقديم وتأخير دعا إليه المقام، والمعنى كما قال أبو السعود في تفسيره: "لولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين، غير عالمين بهم، فيصيبكم بذلك مكروه، لما كف أيديكم عنهم".

٣ البقرة: ١٨٩.." [١]

"الثالث، أي: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته، وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله.

والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني، أي: التفسير، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري فيه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به أن يعرف تفسيره.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته، وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في **اللفظ والمعنى** الكلي، إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها، ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ .

قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وكذلك قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك قبله: "الاستواء معلوم والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان".

فبين أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى أخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا، إلا أن الحقيقة غير الحقيقة، ففي الآخرة ميزان وجنة ونار، وفي الجنة: ﴿أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ ١.

﴿فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة﴾ ٢.

---

١ محمد: ١٥.

٢ الغاشية: ١٣-١٦.." [٢]

---

(١) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل محمد بكر إسماعيل ص/١٨٧

(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل محمد بكر إسماعيل ص/٢٠٣

"والحاجة الداعية إليه، وأنواعه وخصائصه ومراحل تكوينه وعناصره وفائدته.

وانتهيت من هذا كله إلى أن اللغة لم تقف عند الجانب النقلى للأفكار من متكلم إلى سامع. بل لها وظيفة جمالية إمتاعية غير وظيفتها العملية النفعية. تبرز أولاهما في لغة الآداب والفنون الرفيعة وتكون اللغة – حينئذ – في أسمى مظاهرها.

وقد تأتى وظيفة اللغة في غير هاتين فلا يراد بها النقل ولا الإمتاع.

كما في عبارات الترويح عن النفس، وعبارات التحية والتأسف، وكما فى " المنولوج ".

وكان هدفى من هذا الفصل معرفة ما به تسمو وظيفة اللغة. ومنها الوجوه البلاغية التي هي محور الدراسة في هذا البحث.

لذلك جاء الفصل الثاني من المدخل: الوجوه البلاغية وقيمتها في جمال التعبير.

وأوجزت فيه القول عن البلاغة الفنية في عصورها الأولى – الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسي – وأبنت كيف نشأت توأما مع النقد توجهه وتعضده. وبينت دور النقد في تكوين الملاحظات البلاغية حتى انفصلا فى كتاب " البديع " لابن المعتز، وأبنت قيمة هذا الكتاب.

كما تعرضت لجهود بعض البلاغيين من بعده كقدامة بن جعفر وأبى هلال العسكرى وابن طباطبا؛ لأضرب مثلا بأصالة البلاغة في النقد والتوجيه. كما ذكرت دور البلاغة العربية فى قضايا النقد الكبرى ومنها الصراع بين القديم والجديد، والطبع والصنعة.

ومنها نقد الموازنات بين نصين اتحدا موضوعا واختلفا شكلا.

ومنها قضية الإعجاز التي شغلت العلماء على مختلف مناهجهم ومشاربهم. كما كان لها دور كبير في قضية **اللفظ والمعنى**.." (١)

"الفصلين التدليل على أصالة " البديع " في القرآن سواء المعنوي واللفظي منه، : قد تبين من الدراسة أن أصالة " البديع " القرآني قد أخرجته من كونه حلى للمعنى أو اللفظ تأتى بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، إلى كونه قريبا من ذلك المقتضى إن لم يكن منه. وقد استشهدت في بعض المواضع بآراء من سبقوا من علماء البلاغة، الذين لهم فيها قدم راسخة.

أما الفصل الثالث. . فقد درست فيه " البديع " معاني وألفاظا من خلال

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ١٠/١

ثلاثة نصوص قرآنية حللت كل ما بدا لى من صور " البديع " فيها، وقمت
بإحصاء شامل لمظاهر " البديع " التي وردت في تلك النصوص فبلغت – بعد
حذف المكرر منها – واحدا وأربعين نوعا، فإذا علمنا أن تلك النصوص الثلاثة لم تزد في جملتها على خمس آيات فإن
مقابلة هذين الرقمين تفيد أن الآيات الخمس قد حفلت بصور " البديع " وكثر هو فيها كثرة يحذر النقاد منها في غير
القرآن لأنهم يشترطون في تناوله شرطين أساسيين هما:

١ – جريه مع الطبع.

٢ – الإقلال منه.

وإنما فعلوا زلك ليأمن الأديب الزلل.

وهذان الشرطان سلم أحدهما في القرآن الكريم وهو: جريه مع الطبع وعدم التكلف.

أما الثاني فلا مفهوم له فيه، ومع هذا فإن بديع القرآن بديع حقا وفى بحق **اللفظ والمعنى**.

وذلك هو الفارق بين القرآن في بيانه المعجز، وبين غيره من الآداب الرفيعة.

ثم ذكرت نصوصا للشعراء تناولوا فيها " البديع " فأصابوا وأخطأوا حتى
المقلون منهم. حيث لم يكن الإقلال منه عاصما لهم من الزلل.

ولذا سيظل الفرق بين أدب القرآن وبين الآداب الأخرى كالفرق بين الصوت صادرا من مصدره الأصيل، والصدى لا تلوى
منه على شيء.

كما بينت في مطلع الباب خلط العلماء بين فنون " البديع "، وبينت السبب
فيما ظهر لى، وأوضحت في نهايته إسرافهم في أنواعه.

والاعتدال كان أحوط.

وبهذا تنتهى أبواب وفصول هذا البحث واضعا أمامك صورة تقريبية فى
وصف كل باب وفصل.

وبقيت – بعد – كلمة أخيرة عن المراجع والرجاء.." (١)

"وثانيهما: مذهب " المتكلفون " الذين يعدون في معانيهم ويحتالون لإيراد
" البديع " في شعرهم يزينونه به، وإن كان ذلك على حساب المعنى. وجودة
التعبير، ويمثل هؤلاء أبو تمام.

وقد رأينا أن أول من حمل حملة شعواء على أصحاب البديع هو ابن المعتز،
بل إنه وضع كتابه للرد عليهم خاصة، وأنهم لم يأتوا بجديد لم يعرفه السابقون
بل إن إسرافهم فيه جعل له بهم شبه إضافة.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٢٠/١

نقول: كانت هذه البوادر كلها سببا في نشأة الخصومة الأدبية والفكرية بين أنصار القديم والطبع. وأنصار الجديد والصنعة. وهذه الخصومة لم تقم على غير أساس. بل كانت تعتمد على فروق في الأساليب بين المذهبين. – وهذه الفروق لم تتضح إلا من كتابات البلاغيين، ولم تعتمد على شيء مثل اعتمادها على الوجوه البلاغية التي يستخدمها الشاعر أو الناثر في أسلوبه للكشف عن معانيه.

* * *

* صلة البلاغة بقضايا النقد الكبرى:

ونتيجة لذلك عالجت البلاغة قضيتين من أخطر قضايا النقد. وهما قضية اللفظ والمعنى، وقضية الموازنة بين معنى ومعنى.

وليس من اليسير معالجة هاتين القضيتين في جزء من بحث. ولذلك فإننا نتناولهما في إيجاز نتبين من خلاله صلة البلاغة بقضايا النقد الكبرى. ومدى تأثيرها في صقل الأساليب وإجادة المعنى.

أما قضية اللفظ والمعنى فإن النقاد ينقسمون حولها ثلاثة أقسام:

فريق يقدم المعنى على اللفظ. وينسب إليه كل فضل في صناعة الأدب ونقده، يقول ابن رشيق: " اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح." (١)

"بالجسم. يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا في الشعر، وهجنة عليه. كما يعرض لبعض الأقسام من العرج والشلل والعور، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، كذلك إذا ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الروح. ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع. كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به. ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لا نجد له معنى لأنا لا نجد روحا في غير جسم ألبتة ".

فابن رشيق – وإن بدا أنه يسوى بين اللفظ والمعنى – فإنه يقدم المعنى على اللفظ ما دام المعنى روحا والجسم هو اللفظ. . .

وكذلك يرى ابن الأثير: " اعلم أن العرب كما كانت تعنى بالألفاظ

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٨٠/١

فتصلحها وتهذبها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا فى نفوسها. فأول ذلك عنايتها بالألفاظ لأنها كانت عنوان معانيها. وطريقا إلى إظهار أغراضها، أصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع فى النفس. وأذهب بها في الدلالة على القصد، فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها. ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك بالألفاظ فقط. بل هي خدمة منهم للمعاني. ونظير ذلك إبراز الصور الحسناء في الحلل الموشية. والأثواب الحبرة، فإنا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه ".." (١)

"الأقسام موفورة التمام وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم باتفاق النظوم وتلخيص الأوصاف بنفى الخلاف، والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف.

وتكافؤ المقابلة بالتوازن وإرداف اللواحق وتمثيل المعاني ".

وهكذا تصرف هم هذا الفريق إلى جمال الألفاظ، وجودة السبك، ظنا منهم أن الأقدمين ذهبوا بالمعاني كلها ولم يتركوا منها ضرعا لمحتلب. فكان لا بد من التسابق في ميدان اللفظ وروعة التعبير.

* * *

* قيمة هذا المذهب:

ولهذا المذهب خطره في الأدب ونقده. وإن تطرف بعض دعاته كابن خلدون وقدامة، ذلك لأن الأسلوب أو الأداء اللفظي هو دليل المعنى وآلة البيان، ولولا الأسلوب ما وقفنا على ما يجول في نفس الأديب من معان وأخيلة وعواطف وصور أدبية، فليس الأديب تمثالا صامتا وإنما هو طائر يغرد، وتغريده هو الذي يكشف لنا عن عالمه الفسيح. والطعام الطيب إذا قدم فى أوان نفيسة كان أشهى للنفس وأمتع للذوق.

* *

* نظرة عادلة:

الرأيان اللذان قدمناهما متقابلان فهما يصنعان مشكلة.

ومن هنا تبدو قيمة رأى فريق ثالث

ويرى هذا الفريق ألا تفرقة في العمل الأدبي ونقده بين معانيه وألفاظه، فهم

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٨١/١

– إذن – يسوون بين **اللفظ والمعنى**، ولكل منهما معايير حسن وجمال، ولكل منهما وظيفة يؤديها لكن ليس منفردا بل باعتبار ارتباطه بالآخر، فإذا توفرت لهما أوصاف الجمال قدما نموذجا رائعا من الأدب يمتع من أي جهة نظر إليه سواء من." (١)

"جهة لفظه، أو من جهة معناه مثل سلكى الكهرباء السالب والموجب عندما

يتماسان ينطلق منهما الشعاع الذي يبدد طبقات الظلام وإن كان كثيفا.

وإن أزيل اتصالهما فلا نحس لأى منهما أثرا.

فالمعنى بدون اللفظ جنين في ضمير الغيب. واللفظ بدون معنى لا يعتبر.

وهؤلاء على حق فيما ذهبوا إليه لأنهم يحلون تلك المشكلة التي رأيناها بين

الفريقين السابقين. ولأنهم يمثلون الواقع. . فهى نظرة معتدلة حرية بالاعتبار.

ومن أقدم النصوص في هذا المذهب صحيفة بشر بن المعتمر المعتزلى (المتوفى

عام ٢١٠ هـ) وقد ذكرها الجاحظ في " البيان والتبيين ". . . وفيها ينصح

بترك التوعر والتكلف " فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى

يستهلك معانيك ويشين ألفاظك. . ومن رام معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما.

فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما.

وفي موضع آخر يقول: " أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا، ويكون

معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا "

والباحث يرى أنه في الموضعين يتحدث عن جمال اللفظ وجمال المعنى،

ويسوى بينهما ويمضى في الصحيفة مشرعا للأدب. وناصحا للأديب.

فهى – بحق – تشريع فريد في صناعة الأدب وبناء الأسلوب. لا فرق بين

الشكل أو المضمون وكان لهذا التوجيه أثره في تقعيد البلاغة العربية.

وممن يسوون بين **اللفظ والمعنى** ابن قتيبة. فخير الشعر – عنده – ما حسن

لفظه، وجاد معناه، فإذا قصر اللفظ عن المعنى، أو حلا اللفظ ولم يكن وراءه طائل كان الكلام معيبا.." (٢)

"ويسوق نموذجا على ذلك هو قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة. . . ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على هدب المهارى رحالنا. . . ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخدنا بأطراف الأحاديث بيننا. . . وسالت بأعناق المطى الأباطح

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٨٦/١

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٨٧/١

ثم يقول: " وهذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع. فإذا نظرت إلى ما تحتها وجدته: ولما قضينا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا الإبل

الأنضاد ومضى الناس لا ينظر من غدا الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت

المطى في الأباطح ".

والشاعر البحترى يرى التسوية بين الألفاظ والمعاني فيقول:

حجج تخرس الألد بألفا. . . ظ فرادى كالجهر المعدود

ومعان لو فصلتها القوافي. . . هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلاماختيارا. . . وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن. . . به غاية المراد البعيد

وعبد القاهر الجرجانى ممن يسوون في صناعة الأدب بين **اللفظ والمعنى**. وإن

لم يصرح بذلك. لأنا نجده أحيانا يثنى على اللفظ دون المعنى، وأحيانا أخرى

يثنى على المعنى دون اللفظ، ولعله كان يقصد الرد على المتطرفين فلام كلا

الجانبين لنفى ذلك التطرف إلى جانب دون آخر وغرضه من ذلك إثبات التساوى بين العنصرين: الألفاظ والمعاني.." (١)

"ولا ينسى عبد القاهر في كل ذلك فضيلة النظم التي من أجلها وضع أصول

الكتاب، فإنكاره لمزية اللفظ - مفردا - إنكار - بدلالة اللزوم - لمزية المعنى المفرد - ولذلك فهو يقول: " علمت - بفتح التاء - أن الفصاحة والبلاغة، وسائر ما يجرى في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني وإلى ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها لأنه إذا لم يكن في القسمة إلا المعاني والألفاظ.

وكان لا يعقل تعارض في الألفاظ المجردة إلا ما ذكرت لم يبق إلا أن تكون

المعارضة معارضة من جهة ترجع إلى معاني الكلام المعقولة. . . دون ألفاظه

المسموعة ".

ذلك هو رأى عبد القاهر في قضية **اللفظ والمعنى**، وهو رأى حرى بالقبول

لخلوه من التصرف ولتمثيله للواقع.

وله في أسرار البلاغة ما يؤيد هذه الفكره. يقول فيه: " الألفاظ خدم

للمعاني والمصرفة في حكمها. وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة

طاعتها. فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته. وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة من الاستكراه ".

وهو في هذا النص يدفع الغلو من جهة اللفظ، وإهمال المعنى. .

وقبله يقول:

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٨٨/١

" فقد تبين لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى،
إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولا وجد فيه إلا معيب مستهجن ولذلك ذم الإكثار منه والولوع به ".
فلكل من **المعنى واللفظ** دوره في روعة العمل الأدبي.
ولكنا نراه فى " الأسرار " ينتصر للمعاني أكثر من إثباته مزايا الألفاظ، وفي " الدلائل "." [1]
"الفصل الأول
من أسرار الحذف
الحذف فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني،
ترى به ترك الترك أفصح من الذكر. والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تبن.
وقد أشاد البيانيون كثيرا بفن الحذف. وأفصحوا عن ملامحه الجمالية فقعدوا
له القواعد ووضعوا الشروط وأظهروا المزايا.
وكان لظاهر الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته.
ورصد حالاته وكشف أسراره مقيسا عليه كل فن بليغ وأدب ممتع.
* شروط الحذف:
كل حذف لا بد فيه من شرط وسبب. .
أما الشرط فقد أجمعوا على أن الحذف لا يصار إليه إلا إذا بقيت في الكلام
قرينة تدل على المحذوف. حتى لا يصبح البيان ضربا من التعمية والغموض،
لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة.
وهذا الشرط ضرورى لا يحمد إغفاله، لأن الحذف إذا لم يكن فيه ما يدل على المحذوف – ويعينه أحيانا – جار على **اللفظ والمعنى**.
والألفاظ – كما قالوا – أوعية المعاني فلا بد من
ملاحظتها مذكورة أو محذوفة دل عليها دليل (١) .

---

(١) لا يشترط البلاغيون عند حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه أن يكون هناك دليل على الحذف لأن الفاعل عمدة لا بد من ملاحظته وإن حذف. ولأنه قد أقيم مكانه عوض، فهم يكتفون فيه بتوفير الداعي إلى الحذف مثل " قتل الخارجي " لأن الأهم قتله لا من قتله: المطول ص ٦٩." [2]

---

[1] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٩١/١

[2] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ٥/٢

"فلو أنك نظرت إلى آية البقرة المذكورة وحدها لم يظهر لك شيء من أمر

التقديم والتأخير فيها.

لكنك حين تقارنها بآية الأعراف المتفقة معها في أصل المعنى المختلفة معها

فى النظم بان لك أمر التقديم والتأخير واضحا.

فدخول الباب سجدا مقدم في البقرة، والقول بالحطة مؤخر.

وقد عكس ذلك فى الأعراف فجاء القول بالحطة مقدما ودخول الباب سجدا مؤخرا إ!

وقد أحصيت من هذا النوع واحدا وعشرين موضعا في القرآن الكريم. فرحت أبتغي توجيها لها عند المفسرين فلم أجد إلا عبارات مقتضبة في مواضع قليلة جدا لم تشف غليل باحث.

وبدهي أن البلاغيين لم يعالجوا هذا النوع لا من قريب، ولا من بعيد.

إلا في موضع واحد أو اثنين وسنشير إلى هذا كله فى

موطنه.

والحق يقال إن الإمام الزركشي قد سرد هذه الآيات في باب التشابه وحلل

القول في مواضع نادرة منها، وحتى ما كتبه هو لم يحل المشكلة.

وسأنبه عليه فى موضعه كذلك.

أمام هذه الاعتبارات اضطررت إلى استئناف البحث في هذه المواضع جميعا.

معتمدا في توجيه السر فيها على ما يأتي:

١ - شروح المفسرين وما قاله بعضهم من عبارات مقتضبة لم تشف غليلا.

٢ - ما كتبه الزركشي في البرهان عن بعض المواضع منها.

٣ - وهو المعتمد الأهم. هو القرآن نفسه أوازن وأستنتج وأقف في كل

موضع أدرسه على ما اشتمل عليه من دقائق **اللفظ والمعنى**، وقرائن الأحوال

واختلاف المقامات والسابق واللاحق نزولا.

وكان لهذا فضل توجيهى في كل المواضع التي تناولتها بالدراسة هنا.." (١)

"لون آخر من بيان النسق الصوتي في القرآن الكريم: وهو ما يسميه بعض اللغويين بـ "حروف الزيادة"، هذه الحروف الزائدة أو جود زيادة أو حرف زائد- هذه المسألة ننبه إليها الآن تنبيها بسيطا، وسنأتي إليها تفصيلا -إن شاء الله-سبحانه وتعالى- فيقال: أولا: هذا الادعاء الزائد إن أريد به زيادة في **اللفظ والمعنى** فهذا كفر والعياذ بالله، لا يقوله أحد من أهل العلم ولا من أهل الجهل حتى، لا يقوله إلا جاحد منكر والعياذ بالله، أما المقصود باللفظ الزائد عند العلماء والذي يذكرونه، حتى إن كثيرا منهم يحرص على تسميته بحرف صلة، يعني: ولا يقول حرف زائد، حرف صلة يتوصل به إلى معنى معين،

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ١٤٨/٢

وكثير منهم يصرف المعنى للتوكيد في وجود الزيادة وغيرها، وهذه القضية -إن شاء الله- سنتعرض لها، إنما نعرف الآن أنهم لا يقصدون بالزائد أنه زيادة في المعنى، حاشا لله، وإنا يقصد به بالمصطلح ما يريدونه في علمهم؛ يعني أهل النحو عندما يقولون: زائد، يريدون به أنه لا يؤثر في الإعراب، أن ما بعده يعرب حسب موقعه في الكلام، لا يريدون به أنه زيادة في المعنى، أو أنه يستغنى عنه، حاشا لله.

المهم أننا ندعوك الآن لأن تنظر لبعض الحروف التي هي في عرف اللغويين من حروف الزيادة، بمعنى أنها جاءت في موضع ذكرت فيه وما بعدها أعرب حسب موقعه في الكلام، فضرب الشيخ هنا مثالين، قال في قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وفي قوله تعالى: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ (يوسف: ٩٦) يقول الشيخ: فإن النحاة يقولون ما في الآية الأولى وأن في الثانية زائدتان أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم، ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع

(حروف المعاني (١))

حروف العطف (الواو والفاء)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وآل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبعد:

انتهينا إلى الحديث عن حروف المعاني، فمهدنا لها، وذكرنا الفرق بينها وبين حروف المباني؛ بأن حروف المباني هي التي يتكون منها الكلام، أما حروف المعاني فهي الحروف التي يؤتى بها لمعنى، وتكون رابطا بين أجزاء الكلام، فهي تربط بين الأسماء والأفعال، ويجاء بها لمعنى.

هذه الحروف هي مناط كبير من أساليب الفصاحة التي جاء القرآن الكريم بأبرع الأساليب في استخدامها، فإن هذه الحروف شغلت كثيرا من العلماء، وصنفت فيها التصانيف؛ فصنف أبو الحسن الرماني كتابه في الحروف، وصنف كذلك المرادي كتابه (الجنى الداني) وصنف كذلك المالقي كتابه (رصف المباني) وصنف كذلك ابن هشام كتابه المشهور (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) وأفرد لحروف المعاني بابا واسعا في كتابه هذا، فهذه الحروف التي شغلت من اهتم باللغة وأبانوا وجوه الإعجاز في استخدامها في القرآن الكريم.

وحروف العطف -كما تعرف- هي الحروف التي يطلق عليها النحاة عطف النسق؛ أي العطف بواسطة أداة تربط بين الكلمتين أو بين الجملتين، هذه الحروف يسمونها حروفا عاطفة؛ أي تعطف بين ما قبلها وما بعدها في الحكم الإعرابي وفي

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٢٢

المحل الإعرابي، هذه الحروف يقسمها النحاة إلى نوعين: نوع يقتضي التشريك في **اللفظ والمعنى**، ونوع آخر يقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى، أما ما يقتضي التشريك في **اللفظ والمعنى** فينقسم قسمين؛ قسم: يقتضي التشريك مطلقا وهو الواو والفاء وثم وحتى، وقسم آخر: يقتضي التشريك بالقيد؛ بأنه." (١)

"موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل، ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانة، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له.

وهكذا الجرجاني يوضح القضية بأسرها، أنها هذا النظم وهذه الفصاحة وهذه البلاغة التي تفرق بين كاتب وآخر، وشاعر وغيره، وبين ناظم وسواه، هي التصرف في الوجوه النحوية كما ذكر، ومما ذكرت لك يتبين لك أنه شمل جميع أوجه البلاغة والفصاحة.

هذا هو معنى النظم الذي أشار إليه الجرجاني.

مادة النظم هي العلاقة بين **اللفظ والمعنى**

ما مادة النظم؟

النظم عند عبد القاهر الجرجاني -وكما بينه العلماء الثقات- أنه يعادل لفظ الأسلوب الذي يخرج به الكلام، وهذا الكلام يدور بين شيئين أساسيين؛ لفظ ومعنى، معنى داخلك تريد أن تعبر عنه، ولفظ تعبر به عن المعنى الذي تريده، فهي قضية العلاقة بين **اللفظ والمعنى**.

بإيجاز: العلاقة بين مادة النظم أي: العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، وهذه قضية -كما يقول أهل العلم- قديمة جديدة، فهي تتجدد بتجدد الأيام، وهي مسألة شغلت العلماء وتناولها تفصيلا وتكلموا فيها كثيرا قضية **اللفظ والمعنى**، وعبد القاهر." (٢)

"هذا هو فريق يذهب إلى أن اللفظ أعلى من المعنى.

وفريق آخر يذهب إلى العكس، فيقول: المعنى أفضل من اللفظ، ويؤيد هذا الفريق الآمدي الذي يقول عمن سماهم أهل النصفة من أصحاب البحتري، يقول: من أن اهتمام أبي تمام بمعانيه أكثر باهتمامه بتقويم ألفاظه، على شدة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، وأنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوي. ويعقب الآمدي على هذا بقوله: هذا أعدل ما سمعت من القول فيه، وإذا كان هذا هو هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم، وهو لطيف المعاني، وبهذه الخلة دون سواها فضل امرؤ القيس؛ لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة، فوق ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام.

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٣١

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٦٩

فهذا فريق يرى أن المعاني هي أعلى قدرا من الألفاظ.

أما الفريق الثالث الذي ناقش قضية **اللفظ والمعنى**، فذهب إلى أن تلك الثنائية حرف في بحر، أي: لا داع لها بأن يفرق لها بين **اللفظ والمعنى**، فكلاهما مدار الصورة الأدبية، فهذا الفريق سوى بين **اللفظ والمعنى** في القيمة وفي التقدير، فالصورة الأدبية كالكائن الحي، فكما لا يصح فصل الجسم عن الروح، فكذلك لا يصح فصل اللفظ عن المعنى، فكلاهما مكمل للآخر. يقول ابن طباطبا: والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض الحكماء: للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه.

فكان ذلك هو الاختلاف بين العلماء في قضية **اللفظ والمعنى**، والعلاقة بينهما إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني، فوجد -كما يقول الدكتور لاشين- البحوث." (١)

"ممهدة، ولكل فريق حجته الناهضة، ورأيه السديد، فلم يكن رأيه صريحا في الاتجاه إلى واحد منهم، فقد أثر عنه في كتابيه (إشارة إلى أسرار البلاغة)، و (دلائل الإعجاز) كلام يؤكد أفضلية المعنى، وآخر يؤيد أفضلية اللفظ، وتارة يكون الكلام مغشى بالغموض والإبهام بين تأييد **اللفظ والمعنى**، مما يصعب على الفاحص والدارس أن يستخلص حقيقة رأيه، أو يهتدي إلى صريح مذهبه.

هذا وإن كان يراه أستاذنا الدكتور عبد الفتاح لاشين، إلا أن أستاذنا الدكتور شفيق السيد يرى رأيا آخر في هذه القضية مما يتعلق بعبد القاهر الجرجاني، وهو أن من فهم من كلام عبد القاهر في بعض نصوصه أنه يؤيد اللفظ، لم ينظر جيدا إلى مراد عبد القاهر باللفظ.

فالحاصل الذي ينتهى إليه أن عبد القاهر الجرجاني موقفه محسوم قاطع واضح، لا ريبة فيه، فالرجل نص على أن اللفظ بمعزل عن السياق لا قيمة له، وأن اللفظ غاية ما يقال فيه إذا ما كان منفردا: هو أنه مألوف، أو مستوحش، غريب أو سائر، مستخدم، ولا قيمة له خارج النص. أما تعبيره باللفظ في بعض المواضع فيتضح في سياق الكلام أنه يريد به الصورة التي خرج بها الكلام، ويشير في معنى آخر وفي نصوص أخرى في كتابه إلى أن اللفظ هو المعنى المراد الذي يقال، فتعبيره باللفظ لا يراد به الكلمة المفردة؛ لأن الرجل نص نصا صريحا بأن الكلمة في مفردها لا قيمة لها دون النظم الذي خرجت فيه.

هذه القضية التي شغلت الباحثين حول كلام الجرجاني في مسألة العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، أسهب في بيانها أستاذنا شفيع السيد في كتابه (النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية) فليرجع إليه.." (٢)

"هذه العبارة ذكرها ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) التكرير يقسمه العلماء إلى نوعين: تكرير في **اللفظ والمعنى**. وتكرير في اللفظ دون المعنى. التكرير في **اللفظ والمعنى**: ينقسم إلى قسمين: مفيد، وغير مفيد، وعندما يقول علماء البلاغة: مفيد، فإنما لا يعنون به الإفادة عند النحويين من وجود المسند والمسند إليه، أو أن الكلام يحسن السكوت عليه، وإنما

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٧١

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٧٢

يريدون بالمفيد من التكرير أن يأتي في الكلام؛ تأكيدا له وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك؛ للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك. أي: إنه يفيد الغرض الذي تتحدث فيه، وغير المفيد الذي يأتي في الكلام عيا وخطلا من غير حاجة إليه، وبذا يتبين لك ابتداء أن غير المفيد لا سبيل لتواجده في كتاب الله – سبحانه وتعالى. فالتكرار في اللفظ والمعنى ينقسم المفيد منه إلى فرعين:

الأول: هو أن يكون التكرير في اللفظ والمعنى دالا على معنى واحد، وأن يكون المقصود به غرضين مختلفين، مثال ذلك: قول الله –سبحانه وتعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ (الأنفال: ٧، ٨) هذا تكرير في اللفظ والمعنى ﴿يحق الحق﴾، ﴿ليحق الحق﴾ وإنما جيء به ها هنا؛ لاختلاف المراد. وذلك أن الأول ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ تمييز بين الإرادتين، والثاني: ﴿ليحق الحق﴾ بيان." (١)

"لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ (الزمر: ١١ – ١٥) فكرر – سبحانه وتعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾ وقوله –سبحانه وتعالى: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ فالمراد به غرضان مختلفان، وذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه، والثاني إخبار بأنه –صلوات الله وسلامه عليه– يخص الله وحده دون غيره بعبادته، مخلصا له دينه، ولدلاته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول؛ لأن الكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانيا فيمن يفعل الفعل من أجله –سبحانه وتعالى. ولذلك رتب عليه: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾.

ومما يجري من هذا النوع أيضا فاتحة الكتاب: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة: ١ – ٤) فكرر: ﴿الرحمن الرحيم﴾ مرتين، والفائدة في ذلك أن الأول يتعلق بأمر الدنيا، والثاني يتعلق بأمر الآخرة، فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع إلى خلق العالمين في كونه خلق كلا منهم على أكمل صفة، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه، حتى البقة والذباب، وقد يرجع إلى غير الخلق كإدرار الأرزاق وغيرها. أما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة إلى الرحمة الثانية في يوم القيامة، الذي هو يوم الدين.

والضرب الثاني من هذا النوع: أن يكون التكرير في اللفظ والمعنى دالا على معنى واحد، والمراد به غرض واحد. كقوله تعالى: ﴿فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر﴾ (المدثر: ١٩، ٢٠) فالتكرير دلالة التعجب من تقديره وإصابته الغرض، وهذا –كما يقال: قتله الله." (٢)

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٥٩

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٦٠

"ومن هذا النوع الذي أشاروا إليه أن يكون المعنى مضافا إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، كقوله تعالى: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ (سبأ: ٥) فالرجز هو العذاب، وهذا على من يرى مسألة الترادف، والصحيح أن لا بد أن يكون هناك فرقا بين العذاب وبين الرجز.

ومما ذكروه في هذا الباب من التكرير في **اللفظ والمعنى** على غرض واحد قول الله –سبحانه وتعالى: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ (غافر: ٣٨، ٣٩) فإنه إنما كرر نداء قومه ها هنا؛ لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سنة الغفلة، ولأنهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم من الضلال، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وأن ينزلوا على نصيحته لهم. وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز، وأشد موقعا من الاختصار.

ومما يجب أن يشار إليه أن هناك بعض الآيات ظن البعض أن فيها تكريرا وليس فيها تكرير، كقوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ (النحل: ١١٩) وقوله –سبحانه وتعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (آل عمران: ١٨٨) فهاتان الآيتان يظن أنهما من باب التكرير وليستا كذلك. فإنهما تخرجان عن حكم التكرير؛ وذلك لإطالة الفصل في الكلام بين "إن" الأولى والثانية، فكانت الأولى تفتقر إلى تمام لا يفهم الكلام إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأولى مرة ثانية؛ ليكون مقارنا لتمام الفصل، كي لا يجيء الكلام منثورا لا سيما." (١)

"في إن وأخواتها، تأمل قول الله –سبحانه وتعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (يوسف: ٤) فلما قال: ﴿إني رأيت﴾ ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية، فيقول: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ فليس هذا من التكرير وإنما هو من حسن إعادة اللفظ؛ لأجل الفصل.

الضرب الثاني من التكرير في **اللفظ والمعنى** –وهو غير المفيد– قلنا: إن ذلك لا مكان له في القرآن، وإنما يلتمسه من أقوال الشعراء كقول أبي نواس:

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم الترحل خامس

وقول الآخر:

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيس كلهن قلاقل

فهذا من التكرير الذي لا فائدة منه، ولا معنى لذكره، ويعاب الشاعر به. أما النوع الثاني من التكرير: وهو التكرير في المعنى دون اللفظ، وينقسم أيضا إلى قسمين؛ مفيد وغير مفيد. والأول –المفيد– نوعان: إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين، وذلك كما في الحديث في قول حاطب بن أبي بلتعة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم: "وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام". فيظن البعض أن ذلك تكرير لا فائدة فيه، فإن الكفر والارتداد

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٦٢

عن الدين سواء، وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام، والأمر ليس كذلك، فالذي يدل عليه اللفظ هو: أني لم أفعل ذلك وأنا كافر، في الأولى عندما قال: "ما فعلت ذلك كفرا" وفي الثانية: "ولا." (١)

"الموضع الثالث من مواضع الوصل: أن يكون بين الجملتين كمال انقطاع، مع إيهام الفصل خلاف المقصود، وهذا يمثل له البلاغيون بهذه العبارة الجميلة، التي كانت من أبي بكر -رضي الله عنه- عندما مر برجل في يده ثوب، فقال له الصديق: "أتبيع هذا؟ فقال: لا يرحمك الله. فقال له: لا تقل هكذا، ولكن قل: لا ويرحمك الله". فتجد أن الجملة الأولى خبرية في **اللفظ والمعنى**؛ فهو يقول: لا، التقدير لا أبيعه فهذه جملة خبرية. والجملة الثانية "يرحمك الله" خبرية في اللفظ إنشائية في المعنى؛ لأنه يريد بها الدعاء، فليس بين الجملتين اتفاق في المعنى، ولكن لما كان عدم استخدام الواو يوهم بخلاف المقصود، بأننا إذا كان الكلام: لا يرحمك الله توهم منه أنه قد يكون داعيا عليه، لا داعيا له؛ فأرشده الصديق -رضي الله عنه- أن يضع الواو أن يقول: "لا ويرحمك الله". لذا وجب العدول عن الفصل إلى الوصل بالواو دفعا لهذا الإيهام.

ومما استشهدوا به على حسن ذلك ما روي أن الرشيد سأل وزيره عن شيء، فقال له: "لا، وأيد الله الخليفة". لأنه لو طرح الواو وقال: لا أيد الله الخليفة، ربما تسبب ذلك في هلاكه لظنه أنه يدعو على الخليفة لا يدعو له، ولذا قال من حضر: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في خدود المرد الملاح.

مواضع الفصل: أي عدم العطف وعدم استخدام الواو وهذه المواضع خمسة: كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين، وشبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع. فأول موضع هو: كمال الاتصال: ويقصد به أن تتحد الجملتان اتحادا تاما؛ بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، ويكون ذلك في ثلاثة مواضع؛." (٢)

"الموضع الأول: أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدا لفظيا أو معنويا، وأشير أن هناك فرقا بين كلام البلاغيين عن التوكيد، وكلام النحاة عن التوكيد؛ فالتوكيد اللفظي عند البلاغيين: يعنى به اتحاد المضمون بين التابع والمتبوع، كقوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ (الطارق: ١٧)، ف ﴿أمهلهم رويدا﴾ توافق الجملة الأولى في **اللفظ والمعنى**، وهو توكيد لفظي للأولى وبذلك أصبحت الصلة قوية بين الجملتين لا تحتاج إلى رابط؛ لأن التوكيد من المؤكد كالشيء الواحد، ومن ثم ترك العطف لعدم صحة عطف الشيء على نفسه.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ١، ٢)، فجملة ﴿هدى للمتقين﴾ هي مضمون الجملة الأولى ﴿ذلك الكتاب﴾ إذ معنى ﴿هدى للمتقين﴾ أنه الكتاب الكامل في الهداية، وذلك لما في تنكير ﴿هدى﴾ من الإبهام الدال على التفخيم؛ فهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الكتاب هدى فهو الهداية نفسها، وهذا بعينه هو المقصود من قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ إذ إن معناه: ذلك الكتاب الكامل في الهداية، فهي بمثابة التوكيد اللفظي لسابقتها. ومثال التوكيد المعنوي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا﴾ (البقرة: ٨، ٩) فتجد الجملة الثانية: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ لا تختلف من حيث المعنى عن سابقتها

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٦٣

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٤١٩

﴿قالوا آمنا﴾ (البقرة: ١٤) لأنهم يقولون: آمنا من غير أن يكونوا مؤمنين؛ فلا فرق في المعنى بين الجملتين؛ فمعنى الآية الثانية يؤكد مضمون معنى الأولى توكيدا معنويا، ومن ثم ترك العطف بالواو؛ لأن اتحاد الجملتين يمنع العطف، كما قلنا لأن الشيء لا يعطف على نفسه.." (١)

"يوصله إلى من أراد أن يصل إليه الكتاب من غير تدخل من الأمين في الكتاب.

أما الأحاديث القدسية، ففيها وحي المعنى.. والتعبير عنها بألفاظ يختارها الرسول، وينسبها إلى الله الذي أوحى بها.

أما الحديث النبوي، فالوحي فيه بالمعنى، واللفظ من عند النبي، وهو منسوب في الجملة إلى من أوحى به، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ .

وقول بعض العلماء: إن له –صلى الله عليه وسلم– أحاديث توفيقية، فإن أرادوا توفيقه إلى اختيار اللفظ المناسب للمعنى فمسلم، وإن أرادوا قبولها للخطأ فمردود ومردود؛ لأن الفعل كالنكرة، وقد وقع في سياق النفي، فنعم ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ .. ثم أكد ذلك بصيغة الحصر فقال: ﴿إن هو إلا وحي﴾ .. وبين تجدده له وعدم انقطاعه عنه بقوله: ﴿يوحى﴾ ، ثم أوضح دور الملك وهو التعليم فقط فقال: ﴿علمه شديد القوى﴾ .

ودعوى أن جبريل كان يوحي **بالمعنى واللفظ** من عند النبي، وذلك في القرآن دعوى باطلة. وما نظن أن أحدا من المسلمين أراد بها أن يخلط بين القرآن وغيره؛ وإنما أراد تفسيرا لمعنى النزول لغة، ويقول للذين جعلوا كلام الله فقط للصفة القائمة به: إن إنزال ذلك ممتنع.. وللذين يجعلون الكلام شاملا للفظ والمعنى يقول لهم: الإنزال للجواهر، والألفاظ والمعاني من الأعراض. ولست أدرى لماذا لم يكن إنزال جبريل بالقرآن كما يلقن أحدنا شخصا آخر ألفاظا لها مدلولها ومعانيها، وتبليغ ذلك لشخص ثالث.

وللوحي كيفيات؛ منها وهي أشده عليه: أن يأتيه مثل صلصلة." (٢)

"والذي أختاره هو ما ذهب إليه الراغب في مفرداته؛ حيث قال: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه.. فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهة **اللفظ والمعنى** معا.. فالمتشابه في اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة، إما من جهة الغرابة نحو: أبا، أو الاشتراك: كاليد، تطلق على الكف وعلى الذراع وتمتد إلى المنكب.

وثانيهما: يرجع إلى الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف﴾ مختصر عن قوله: "غفرت خطاياه وبدلت سيئاته حسنات"، وضرب لبسطه؛ نحو: ﴿ليس كمثله شيء﴾ .. لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع..

وضرب ثالث لنظم الكلام؛ نحو: ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما﴾ وتقديره: أنزل على عبده الكتاب

---

(١) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٤٢٠

(٢) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/٣٨

قيما ولم يجعل له عوجا.

أما المتشابه من جهة المعنى؛ فكأوصاف الله سبحانه، والأمور الغيبية، فإننا لا نتصورها على الحقيقة ما لم نشاهدها؛ إذ العقل لا يتصور الشيء إلا بعد أن تنقله الحواس له، وإلا كان التصور خيالا.

وأما المتشابه من جهة **اللفظ والمعنى** فخمسة أقسام:

١- ما كان التشابه فيه من جهة الكم كالعموم؛ نحو: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ .

٢- ما كان التشابه من جهة الكيفية؛ كالوجوب، والندب، والإباحة؛ نحو: ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾.." (١)

"وجوه الإعجاز:

زعم قوم أن المتحدى به هو الكلام الأزلي القديم، وهذا قول سخيف، فما لا يدرك كنهه كيف يتحدى به؟..

ومن له أدنى تعقل يدرك أن الإعجاز للقرآن، والقرآن كلام الله، يشمل **اللفظ والمعنى**، وهو بلسان عربي مبين..

وزعم النظام أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن وهو في إمكانهم، وروى أنهم سلبوا القدرة على المعارضة، كذا قال النظام.

ولو كان كما زعم لم يكن الإعجاز للقرآن؛ بل هو لله.. وقد قال سبحانه: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ ولو كان الاجتماع مع سلب قدرة المجتمعين لم تكن للدعوة إليه فائدة.. وهذا باطل..

وزعم قوم أنهم كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن، والذي عجزوا عنه هو ترتيب ما يأتون به، وهذا في غاية السخف، فمن يقدر على الاختراع لا يعجز عن الترتيب..

وزعم حسالة من الناس أن الأولين وإن عجزوا لا يستلزم ذلك عجز المتأخرين المتعلمين..

ونقول لهم: ﴿هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ..

وقد عد فريق من الناس من بين وجوه إعجاز القرآن: إخباره عن حوادث وقعت في الماضي، أو ستقع في المستقبل وقد وقعت بالفعل، وإخباره عن بعض ما في الصدور، واعتراف أصحابها بذلك..." (٢)

"ومنها: نظمه العجيب الذي يخالف الكلام المعهود من شعر ونظم ونثر، وليس له مثال سابق، وسلامته من العيوب، وفصاحة ألفاظه، وصحة معانيه، واستمرار ذلك في كل آياته..

ومما يمتاز به القرآن: الرباط القائم بين **اللفظ والمعنى**؛ من حيث: اللفظ ومدلوله لغة، وجرس اللفظ، ومعناه..

ففي الإكراه على الشيء يستخدم ألفاظا تدل على النفرة: ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ ..

وهكذا يستعمل في كل معنى ما يناسبه من الألفاظ: ﴿فمن زحزح عن النار﴾ ﴿اثاقلتم إلى الأرض﴾ ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ ..

---

(١) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/٥٣

(٢) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/١٧٥

وعلى حسب علمنا يظهر الإعجاز في موضع، ويدق إدراكه في آخر..

ومن وجوه إعجازه: تأثيره في القلوب والأسماع، وعدم الملل من تلاوته مهما ترددت تلاوته، وإيجاز لفظه، وكثرة ما تضمه من العلوم والمعاني والمعارف..

وأقل ما يقع به الإعجاز مقدار أصغر سورة منه، وكلام الله في غيره من الكتب السماوية لا يعد معجزا إلا من حيث ما تضمنه ... وما حكاه الله عن البشر.. ترجمة لمعنى ما قالوا، وليس بنقل لألفاظهم..

والحق أن وجوه الإعجاز في القرآن توصف ولا تحدد، فمن حيث نظر الناظر إليه رأى وجوها من الإعجاز واضحة فيما يتوقع النظر إليه وفيه:

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا." (١)

"وتحققت قبل عصور التدوين، وتهيب به أن يجوب في الأرض ليستنطق آثارها، ويستقرئ أخبارها..

والمحدث يرى فيه أصول الخبر المقبول والمردود والمتوقف فيه من نحو قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وقوله: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ وقوله: ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ ..

وعالم القراءات يرى فيه كيفية الأداء، والوقف والابتداء، ومخارج الحروف، قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ وقال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ ..

والنحوي يستنبط منه قواعد الإعراب وتطبيقها..

والبلاغي يرى فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال أفصح الألفاظ، وأبلغ العبارات..

واللغوي يرى فيه الارتباط الوثيق بين **اللفظ والمعنى** جامعا بين الجزالة والعذوبة..

والصوفي يلمح منه الإشارة إلى مقامات السالكين ومنازل المتوجهين؛ من نحو قوله: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ وقوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ..

والداعية إلى الحق يرى فيه كيفية عرض الدعوة، مستخدما أعظم وسائل الإقناع تأثيرا، وذلك واضح فيما استخدمه من ضرب الأمثال والقسم وطرق الجدل المؤسسة على المنطق الفطري بلا تكلف أو تلاعب بالألفاظ، مما يضيع الحقيقة تحت الغبار المتناثر من عناد وجمود المتحاورين، والقصص القرآني خير شاهد على ذلك..." (٢)

"وللقرب: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ .

وإذا وردت خبرا أفردت.. وإن وردت استفهاما جمعت، ومعناها أخبرتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض﴾ .

---

(١) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/١٧٦

(٢) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/١٧٨

قيل: كل "عسى" في القرآن واجبة الوقوع.

ولها جانبان: ما يتعلق بالله، وسبيله القطع، وما يتعلق بالعباد، وسبيله الظن.

من أجل ذلك هي من الله للقطع، ومن العباد للرجاء حتى لا يفارقهم الخوف.

وهل "عسى" فعل ماض في **اللفظ والمعنى**، أو هى ماض في اللفظ، مستقبل في المعنى؟ وقيل: بكل.

- "عند":

ظرف مكان، تستعمل في الحضور والقرب حسيين: ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾ ، ﴿عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى﴾ .. أو معنويين: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ ، ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ .

ويساويها في الحضور والقرب "لدى" و"لدن"؛ قال تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ ، ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ .

وتختص "لدن" بأنها لا تقع إلا في ابتداء الغاية، ولا تكون فضلة يستغنى عنها، ولم تقع في القرآن إلا مجرورة بـ"من".

و"لدن" أخص من "عند" وأبلغ؛ لأنها تدل على ابتداء نهاية الفعل.

وتختص "عند" بأنها تكون ظرفا للأعيان والمعاني، وتستعمل للحاضر والغائب.." [١]

"٢١٧ - كذا مصدر والأمر من ذين مثلن ... بكاستغفر الله العلي وكالتقى

٢١٨ - كذلك أمر من ثلاث وشرطه ... تسكن ثان للمضارع قد أتى

٢١٩ - وهمزة أمر حين تبدأ حكمها ... كثالث أحرف للمضارع قد حوى

٢٢٠ - فإن كان مضموما لزوما فضمها ... ولو كان في التقدير كاغزي بني العدى

٢٢١ - وإن لم يكن ضم فكسر لهمزة ... كفى اذهب لخير واخش ربا عسى هدى

٢٢٢ - وفي عشر أسماء أتتك لوصلهم ... كفى اسم مع اسم وايم الله تتقى

٢٢٣ - وفي اثنين وابن وامرئ وإناثها ... وفي ابنهم مع أل كجاء الفتى العلا

٢٢٤ - وآل أيمن الله افتح الهمز منهما ... كإلياس في قول ابن ذكوان ذي الرضى

٢٢٥ - وتقطع في غير الذي قد ذكرته ... كأرسل قل إلياس بعضهم قرا

٢٢٦ - وإن ضمة لم تلزم الثالث اكسرن ... لهمز ابتداء نحو في ابنوا له بنا

٢٢٧ - وتفتح همز بعد نعل تكلم ... كأعبد أستخلصه أشكر ذا العلى

٢٢٨ - إذا لم يكن ماضيه أربع أحرف ... وإلا فضم نحو أشركه قد يرى

٢٢٩ - على بئس إن وقف فبدءا بقوله ... والاسم بفتح الهمز والأصل قد عدى

تذييل في أنواع الوقف

---

(١) الأصلان في علوم القرآن محمد عبد المنعم القيعي ص/٢٧٤

٢٣٠ - ولا بد من وقف وبدء القارئ ... وذاك ثلاث للذي ثم في الأدا

٢٣١ - فإن لم يكن ما بعده متعلقا ... به **اللفظ والمعنى** فللتام ينتمى

٢٣٢ - وإن كان معنى غير لفظ فسمه ... بكاف إذ الوقف الذي جاء ذو اكتفا

٢٣٣ - وإن يك لفظا ثم معنى فكنه ... بذي حسن للحسن في الوقف قد حوى

٢٣٤ - وفي الأولين ابدأ بما بعد وامنعن ... بثالث إلا رأس آي فيبتدا

٢٣٥ - وغير الذي قد تم بالقبح كنه ... وعند اضطرار قف وتبدأ بقبل ذا

ما تستحق همزة الاستفهام

٢٣٦ - وهمزة الاستفهام في الصدر حقها ... فبدأ بها في غير قول لها حكى." (١)

"لوجود الرابط اللفظى لأن كلمة (رب) صفة والموصوف هو (الله) فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف فيجب على القارئ إن فصل وأراد الابتداء بالثانية عليه إعادة الجملة الأولى ١، فهذا النوع من الوقف يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده.

القسم الرابع: القبيح:

هو الذى يفصل بين عبارتين اشتد تعلقهما فى **اللفظ والمعنى** بحيث أن كل جملة منهما لا تستطيع أن تستغنى عن الأخرى وتكون جملة مفيدة. ومثاله: إن الله لا يستحيي لا تقربوا الصلاة فالوقف على هذه الجمل والبدء بما بعدها يعد من القبح فى الوقف ولا يجوز لأنه يغير المعنى المقصود تماما.

وكذا وصل ما يجب الوقف عليه قبيحا كما فى قوله تعالى: إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله فلا نستطيع الوصل بل يجب الوقف على (يسمعون) لأنه فى حالة الوصل اشرك الموتى مع الذين يسمعون فى صفة الاستجابة.

رموز الوقف:

وضع العلماء رموزا للوقف وهى:

(م) رمز للوقف اللازم وهو ما كان فى وصله إفساد للمعنى أو إيهام لمعنى آخر غير مراد.

(ط) رمز للوقف المطلق والمراد به ما يحسن فيه الابتداء بما بعده وهذا الرمز لا يكون إلا فى الوقف التام والكافى.

(ج) رمز الوقف الجائز وهو ما يجوز فيه الوقف والوصل بدرجة متساوية. لوجود وجهين فيها من الإعراب من غير ترجيح لأحدهما.

(ز) رمز للوقف المجوز لوجه وذلك إذا كان هناك وجهان متغايران فى الإعراب وأحدهما أرجح من الآخر.

(ص) رمز للوقف المرخص لضرورة النفس، وذلك إذا طال الكلام وانقطع النفس فيقف عليه مع وجود الارتباط بما بعده

---

(١) مجموعة مهمة في التجويد والقراءات مجموعة من المؤلفين ص/٧٣

.«١»

---

(١) المرجع السابق.." (١)

"خدمة السنة والسيرة النبوية

القرآن الكريم وحي الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم **باللفظ والمعنى**، والسنة وحي الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعنى، وإقرار الله تعالى لما صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم باجتهاده من قول، أو فعل، فهما من منبع واحد. وإذا كان القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام، فإن السنة المصدر الثاني؛ فالقرآن المصدر الأول للعقيدة، والأخلاق، والمثل، والشرائع الإسلامية، والسنة المصدر الثاني التطبيقي والبياني الموضح والمتمم للقرآن الكريم.

ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق، دون التعرض إلى تفاصيلها، وفي السنة النبوية توضيح معاني القرآن الكريم، وتفصيل مجمله، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتأكيد ما ورد فيه من أوامر ونواه وآداب وتشريعات.. وغيرها، وتطبيق قواعده الكلية، والأصول العامة فيه على الأمور الفرعية (١) .

قال تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم، كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) (٣) . وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى شريحا قضاء الكوفة قال له: انظر ما تبين لك في كتاب الله، فلا تسأل عنه أحدا، وما لم يتبين لك فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد رأيك، واستشر أهل العلم والصلاح (٤) .

أما سيرته صلى الله عليه وسلم فهي خير معلم ومثقف ومهذب ومؤدب، وهي المدرسة التي تخرج فيها أمثل النماذج البشرية (الصحابة رضوان الله عليهم) ، وكان السلف الصالح يتدارسون السيرة، ويحفظونها، ويلقنونها أبناءهم، فما أجدر المسلمين اليوم أن يتعلموها، ويعلموها غيرهم، ويتخذوها نبراسا يسيرون على ضوئه في تربية أبنائهم (٥) .

من هنا جاء اهتمام ولاة الأمر في هذه البلاد بأمر السنة والسيرة النبوية مكملا لاهتمامهم بكتاب الله سبحانه وتعالى، فجمعوا بين خيري العناية بالمصدرين الأساسين للتشريع الإسلامي، حيث صدر الأمر الكريم في ٢٠/ ٤/ ١٤٠٦ هـ برقم ٧٩٣/٥/م بالموافقة على قيام الجامعة الإسلامية بتنفيذ التوصية الخاصة بإنشاء مركز لخدمة السنة والسيرة النبوية، يكون مؤسسة علمية مستقلة، بالتعاون مع المجمع لطباعة ما يتم إعداده وتحقيقه، على أن تكون نفقات التشغيل على حساب المجمع.

أهداف المركز:

جمع وحفظ الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية، وتيسيرها للباحثين.

إعداد موسوعة في الحديث النبوي، وموسوعات أخرى في خدمة السنة النبوية وفقا للخطط التي يضعها مجلس المركز.

---

(١) الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية عزت شحاتة كرار ص/٢٠

تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية، وإعداد البحوث العلمية التي تخدمها.

ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية، وما يتعلق بها، وترجمة ما ينشر باللغات الأعجمية عن السنة والسيرة.

رد الأباطيل، ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

نشر الأعمال المنجزة في المركز في مجال التأليف، والتحقيق والترجمة.

التعاون مع المراكز والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعمل في خدمة السنة والسيرة النبوية داخل المملكة وخارجها، فيما يخدم المركز، وتحقيق أهدافه.

الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة النبوية.

الاستفادة من الحاسب الآلي في جمع السنة، وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها.

وتتلخص أهم إنجازات المركز فيما يلي:

أولا في مجال الموسوعات:

موسوعة الرواة: أنجز المركز مراحل المقابلة، وضبط النص، والعنصرة الآلية، والمراجعة اليدوية للعنصرة والترميز، ومراجعة الترميز والتشغيل الموسوعي، وذلك لعدد ٥٠٢ مجلدا.

موسوعة المتون: أنجزت مراحل الإدخال، والمقابلة، والتصحيح، والترميز، والعلامات العلمية، والعنصرة الآلية، وإثبات أرقام التخريج، ومراجعة الترميز، والتشغيل الموسوعي لعدد ٦٨٣ مجلدا.

موسوعة السيرة النبوية: أنجزت مراحل الإدخال، والمقابلة، والتصحيح، لعدد ٤١ مجلدا. وبذا يصبح مجموع المجلدات التي تم العمل فيها في الموسوعات منذ إنشاء المجمع (١٢٢٦) مجلدا.

ثانيا: في مجال الحاسب الآلي:

مرحلة التصميم والتنفيذ: تم إنجاز عدد من الأعمال، منها:

١- برنامج الاستعلام اللفظي تحت النوافذ ٩٥.

٢- إنشاء برنامج الطباعة للأحاديث المعروضة في نظام الاستعلام اللفظي.

٣- إنشاء برنامج طباعة لأطراف الحديث المستخرجة بواسطة الاستعلام اللفظي.

٤- إنشاء قاعدة بيانات لأطراف الحديث، وإنشاء برنامج للبحث اللفظي الحر.

٥- إنشاء برنامج للبحث عن الأحاديث ذات الرقم العام الواحد.

٦- برنامج التمييز الآلي المساعد في تمييز الرواة.

٧- برنامج إدخال الآية والسورة إلى قواعد بيانات التقسيم الموضوعي.

مرحلة اختبار البرامج:

تم الانتهاء من اختبار البرامج من ١-٥.

تم تعديل عدد من البرامج؛ للتوافق مع متطلبات الموسوعات المتجددة.

تم التوثيق الأولي لبرامج موسوعة السيرة والتقسيم الموضوعي، وتم تحديد النواقص لهذه التوثيقات.

ثالثا: قسم الدراسة والتحقيق:

كتاب " إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف الكتب العشرة "، لأحمد بن حجر العسقلاني: ويصل إلى ثمانية عشر مجلدا، طبعت منه الأجزاء (١-١٧) ، وبقية الأجزاء تحت المراجعة.

طبع كتاب " الأحاديث الواردة في فضائل المدينة "، للدكتور صالح بن حامد الرفاعي في مجلد واحد.

طبع كتاب " بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث " لعلي بن سليمان الهيثمي، في مجلدين.

طبع كتاب " المستشرقون والسيرة النبوية " (العهد المكي) للدكتور محمد مهر علي، في مجلدين.

كتاب " لسان الميزان " لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: ويجري تقويم الأجزاء (١، ٣، ٤، ٥، ٦) أما الجزآن (٢، ٧) فتحت التحقيق.

سنن أبي داود: ويجري تقويم الجزأين (٣، ٤) وتحقيق الجزأين (١، ٢) .

وتحت التحقيق حاليا: سنن النسائي، وسنن ابن ماجه.

---

(١) الدكتور صديق عبد العظيم أبو حسن، والدكتور محمد نبيل غانم: دراسات في السنة النبوية الشريفة، ط١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مكتبة الفلاح، الكويت، ٣٨/٢٤.

(٢) الحشر، آية ٧.

(٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٧٢٨٠. ((أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار أبي حيان بالقاهرة، ٥٨/١٧)) .

(٤) صديق عبد العظيم، ومحمد نبيل، مرجع سابق، ٢٨-٢٩.

(٥) محمد بن محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٣ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار القلم بدمشق، ج١ ٧، ٨.." (١)

"أي محمل من محامل اللفظ، وعلى أية صورة من صوره... حتى لقد كاد ذلك يذهب بكثير منهم إلى الخروج على الأساليب العربية والذوق العربي١.

لهذا وقف الجاحظ في وجه هذا التيار، وتصدى له، ودفع به إلى الوراء بعيدا... فانحسر شيئا فشيئا، وجعل أولئك الذين كانوا قد ركبوا هذا المركب لاصطياد المعاني، يعودون رويدا إلى الساحل، حيث يأخذون من المعاني ما تنال أيديهم، وما تبلغ أفكارهم.

رأي الجاحظ

---

(١) تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته محمد سالم العوفي ص/١٨

والرأي الذي دعا إليه الجاحظ، هو أن البلاغة نظم وصياغة... فمن أخطأه حسن النظم، وحبكة الصياغة، فقد أخطأت كلامه عناصر الحياة، وجمدت فيه عروق البلاغة والبيان... وذلك أن المعنى الذي يخرج في صورة من النظم المضطرب ومن الصياغة المختلطة، هو معنى شأنه ذميم.

ويشهد عبد القاهر الجرجاني آثار هذه المعركة التي كانت دائرة بين **اللفظ والمعنى**، ويراها في مخلفات الجاحظ الذي كان ينتصر للفظ، من جهة، وفي مخلفات من كانوا يقفون ضده... في الجهة الأخرى.

ويقف "عبد القاهر" إلى جانب رأي الجاحظ، ويقفو أثره، ويتخذ من هذا الرأي حجته على وجه الإعجاز في القرآن.

ولا تحسبن أن "الجاحظ" يهون من شأن المعنى، أو يغمض من قدره... وكيف وهو رجل راجح العقل ... وفير العلم والحكمة والأدب؟

فالجاحظ لم ينتصر للفظ، ولم يقف إلى جانب الأسلوب، إلا لمواجهة هذا الخطر الداهم على اللغة، والذي أشرنا إليه آنفا، وإلا فإنه حفي بالمعنى مؤثر له، حريص عليه ما دام لم يجر على الأسلوب، ولم يفسد كيانه، ولم يشوه بنيانه.

---

١ إن نقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية كانت له آثاره المعروفة في ظهور النزعات الكلامية والاعتزالية وكذلك ظهور الفرق التي أدخلت حشدا من البدع إلى الإسلام، أما العلماء الذين استمسكوا بهدي الكتاب والسنة فقد حماهم الله تعالى وكانوا بمنجاة من تلك الآثار السيئة، بل أظهروا عوارها وحذروا الناس منها (المجلة) .." [١]

"وأنا النذير بحرة مسودة

تصل الجيوش إليكم أقوادها﴾ أبناؤها متكنفون أباهم

حنقوا الصدور وما هم أولادها

ولا تختص زيادة الباء باللغة الحجازية، بل تزاد في لغة تميم خلافا لمن منع ذلك، وإنما ادعينا أن قوله: ﴿بمؤمنين﴾ في موضع نصب لأن القرآن نزل بلغة الحجاز، لأنه حين حذفت الباء من الخبر ظهر النصب فيه، ولها أحكام كثيرة في باب معقود في النحو. وإنما زيدت الباء في الخبر للتأكيد، ولأجل التأكيد في مبالغة نفي إيمانهم، جاءت الجملة المنفية إسمية مصدرة بهم، وتسلط النفي على إسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الأزمان، إذ لو جاء اللفظ منسحبا على اللفظ المحكي الذي هو: آمنا، لكان: وما آمنوا، فكان يكون نفيا للإيمان الماضي، والمقصود أنهم ليسوا متلبسين بشيء من الإيمان في وقت ما من الأوقات، وهذا أحسن من أن يحمل على تقييد الإيمان المنفي، أي وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر، ولم يرد الله تعالى عليهم قولهم: آمنا، إنما رد عليهم متعلق القول وهو الإيمان، وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب. وهم في قوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ عائد على معنى من، إذ أعاد أولا على اللفظ فأفرد الضمير في يقول، ثم أعاد على المعنى فجمع. وهكذا جاء في القرآن أنه إذا اجتمع **اللفظ والمعنى** بدىء باللفظ ثم أتبع بالحمل على المعنى. قال تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾ (التوبة: ٤٩) ، ومنهم من عاهد

---

(١) أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه) عبد الفتاح محمد محمد سلامة ص/١٠١

الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ (التوبة: ٧٥) الآية، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا﴾ (الأحزاب: ٣١) .." (١)

"عائدين على الضمير في ننسأها. انتهى كلامه. وذهل عن القاعدة النحوية، وهي أن اسم الشرط لا بد في جوابه من عائد عليه. وما في قوله: ﴿ما ننسخ﴾ شرطية، وقوله: أو ﴿ننسها﴾ ، عائد على الآية، وإن كان المعنى ليس عائدا عليها نفسها من حيث **اللفظ والمعنى**، إنما يعود عليها لفظا لا معنى، فهو نظير قولهم: عندي درهم ونصفه، فهو في الحقيقة على إضمار ما الشرطية. التقدير: أو ما ننسأ من آية، ضرورة أن المنسوخ هو غير المنسوء، لكن يبقى قوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾ مفلتا من الجواب، إذ لا رابط فيه منه له، وذلك لا يجوز، فبطل هذا المعنى.

﴿من آية﴾ ، من: هنا للتبعيض، وآية مفرد وقع موقع الجمع، ونظيره فارس في قولك: هذا أول فارس، التقدير: أول الفوارس.

ويتضح بهذا المجرور ما كان معمولا لفعل الشرط، لأنه مخصص له، إذ في اسم الشرط عموم، إذ لو لم يأت بالمجرور لحمل على العموم. لو قلت: من يضرب أضرب، كان عاما في مدلول من. فإذا قلت: من رجل، اختص جنس الرجال بذلك، ولم يدخل فيه النساء، وإن كان مدلول من عاما للنوعين جائز، تقول: ما تضرب زيدا أضرب مثله، التقدير: أي ضرب تضرب زيدا أضرب مثله، وقال الشاعر:

نعب الغراب فقلت بين عاجل

ما شئت إذ ظعنوا لبين فانعب

وهذا فاسد، لأن ما إذا جعلتها للنسخ، عري الجواب من ضمير يعود عليها، ولا بد من ضمير يعود على اسم الشرط. ألا ترى أنك لو قلت: أي ضرب يضرب هندا أضرب أحسن منها، لم يجز لعرو جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط، لأن الضمير في منها عائد على المفعول الذي هو هند، لا على أي ضرب الذي هو اسم الشرط، ولأن المفعول به لا تدخل عليه من الزائدة إلا بشرط أن يتقدمه غير موجب، وأن يكون ما دخلت عليه نكرة، وهذا على الجادة من مشهور مذهب البصريين. والشرط ليس من قبيل غير الموجب، فلا يجوز: إن قام من رجل أقم معه، وفي هذا خلاف ضعيف لبعض البصريين.." (٢)

"﴿مما في الأرض﴾ ، من: تبعيضية، وما: موصولة، ومن: في موضع المفعول، نحو: أكلت من الرغيف، و ﴿حلالا﴾ : حال من الضمير المستقر في الصلة المنتقل من العامل فيها إليه. وقال مكي بن أبي طالب: حلالا: نعت لمفعول محذوف تقديره شيئا حلالا، قال ابن عطية: وهذا بعيد ولم يبين وجه بعده، وبعده أنه مما حذف الموصوف، وصفته غير خاصة، لأن الحلال يتصف به المأكول وغير المأكول. وإذا كانت الصفة هكذا، لم يجز حذف الموصوف وإقامتها مقامه. وأجاز قوم أن ينتصب ﴿حلالا﴾ على أنه مفعول بكلوا، وبه ابتدأ الزمخشري. ويكون على هذا الوجه من لابتداء الغاية متعلقة بكلوا، أو

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٣٧/١

(٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٢٥٨/١

متعلقة بمحذوف، فيكون حالا، والتقدير: كلوا حلالا مما في الأرض. فلما قدمت الصفة صارت حالا، فتعلقت بمحذوف، كما كانت صفة تتعلق بمحذوف. وقال ابن عطية: مقصد الكلام لا يعطي أن تكون حلالا مفعولا بكلوا، تأمل. انتهى.

﴿طيبا﴾ : انتصب صفة لقوله: ﴿حلالا﴾ ، إما مؤكدة لأن معناه ومعنى حلالا واحد، وهو قول مالك وغيره، وإما مخصصة لأن معناه مغاير لمعنى الحلال وهو المستلذ، وهو قول الشافعي وغيره. ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث. وقيل: انتصب ﴿طيبا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف، أي أكلا طيبا، وهو خلاف الظاهر. وقال ابن عطية: ويصح أن يكون طيبا حالا من الضمير في كلوا تقديره: مستطيبين، وهذا فاسد في **اللفظ والمعنى**. أما اللفظ فلأن طيبا اسم فاعل وليس بمطابق للضمير، لأن الضمير جمع، وطيب مفرد، وليس طيب بمصدر، فيقال: لا يلزم المطابقة.." (١)

"وقال أبو عبيدة: قتال فيه، خفض على الجوار، قال ابن عطية: هذا خطأ. إنتهى. فإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار الذي اصطلح عليه النحاة، فهو كما قال ابن عطية: وجه الخطا فيه هو أن يكون تابعا لما قبله في رفع أو نصب من حيث **اللفظ والمعنى**، فيعدل به عن ذلك الإعراب إلى إعراب الخفض لمجاورته لمخفوض لا يكون له تابعا من حيث المعنى، وهنا لم يتقدم لا مرفوع، ولا منصوب، فيكون: قتال، تابعا له، فيعدل به عن إعرابه إلى الخفض على الجوار، وإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار أنه تابع لمخفوض، فخفضه بكونه جاور مخفوضا أي: صار تابعا له، ولا نعني به المصطلح عليه، جاز ذلك ولم يكن خطأ، وكان موافقا لقول الجمهور، إلا أنه أغمض في العبارة، وألبس في المصطلح.

وقرأ ابن عباس، والربيع، والأعمش: عن قتال فيه، بإظهار: عن، وهكذا هو في مصحف عبد الله.

وقرىء شاذا: قتال فيه، بالرفع، وقرأ عكرمة: قتل فيه قل قتل فيه، بغير ألف فيهما.

ووجه الرفع في قراءة: قتال فيه، أنه على تقدير الهمزة فهو مبتدأ، وسوغ جواز الإبتداء فيه، وهو نكرة، لنية همزة الاستفهام، وهذه الجملة المستفهم عنها هي في موضع البدل من: الشهر الحرام، لأن: سأل، قد أخذ مفعوليه، فلا يكون في موضع المفعول، وإن كانت هي محط السؤال، وزعم بعضهم أنه مرفوع على إضمار اسم فاعل تقديره: أجائز قتال فيه؟ قيل: ونظير هذا، لأن السائلين لم يسألوا عن كينونة القتال في الشهر الحرام، إنما سألوا: أيجوز القتال في الشهر الحرام؟ فهم سألوا عن مشروعيته لا عن كينونته فيه.." (٢)

"﴿فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ هذا جواب الشرط، والفعل الماضي المصحوب: بقد، الواقع جوابا للشرط في الظاهر قد يكون ماضي اللفظ، مستقبل المعنى. كهذا. فهو الجواب حقيقة، وقد يكون ماضي **اللفظ والمعنى**، كقوله تعالى ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ (فاطر: ٤) فتكذيب الرسل واقع فيما مضى من الزمان، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون جواب الشرط، لأن الشرط مستقبل، وما ترتب على المستقبل مستقبل، فالجواب في الحقيقة إنما هو محذوف، ودل هذا عليه، التقدير: وإن يكذبوك فتسل، فقد كذبت رسل من قبلك، فحالك مع قومك كحالهم مع قومهم.

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٣٥٧/١

(٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٤٥٤/١

وأيضا ففي تقديره: خيرا كثيرا أي كثير، حذف أي الصفة وإقامة المضاف إليه مقامها، وقد حذف الموصوف به، أي: فاجتمع حذف الموصوف به وحذف الصفة، وهذا كله يحتاج في إثباته إلى دليل.
﴿إن تبدوا الصدقت﴾ وقيل الألف واللام للعهد، فتصرف إلى المفروضة.." (١)

"وفي إعراب من خلاف، ذهب الأكثرون إلى أنه بدل بعض من كل، فتكون من موصولة في موضع جر، وبدل بعض من كل لا بد فيه من الضمير، فهو محذوف تقديره، من استطاع إليه سبيلا منهم. وقال الكسائي وغيره: من شرطية، فتكون في موضع رفع بالابتداء. ويلزم حذف الضمير الرابط لهذه الجملة بما قبلها، وحذف جواب الشرط، إذ التقدير من استطاع إليه سبيلا منهم فعليه الحج، أو فعلية ذلك. والوجه الأول أولى لقلة الحذف فيه وكثرته في هذا. ويناسب الشرط مجيء الشرط بعده في قوله: ﴿ومن كفر﴾ وقيل: من موصولة في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم من استطاع إليه سبيلا. وقال بعض البصريين: من موصولة في موضع رفع على أنه فاعل بالمصدر الذي هو حج، فيكون المصدر قد أضيف إلى المفعول ورفع به الفاعل نحو: عجبت من شرب العسل زيد، وهذا القول ضعيف من حيث **اللفظ والمعنى**. أما من حيث اللفظ فإن إضافة المصدر للمفعول ورفع الفاعل به قليل في الكلام، ولا يكاد يحفظ في كلام العرب إلا في الشعر، حتى زعم بعضهم أنه لا يجوز إلا في الشعر. وأما من حيث المعنى فإنه لا يصح، لأنه يكون المعنى: إن الله أوجب على الناس مستطيعهم وغير مستطيعهم أن يحج البيت المستطيع. ومتعلق الوجوب إنما هو المستطيع لا الناس على العموم، والضمير في إليه يعود على البيت، وقيل: على الحج. وإليه متعلق باستطاع، وسبيلا مفعول بقوله استطاع لأنه فعل متعد. قال تعالى: ﴿لا يستطيعون نصركم﴾ وكل موصل إلى شيء، فهو سبيل إليه.

﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العلمين﴾ ومن شرطية وجواب الشرط الجملة المصدرة بالفاء، والرابط لها بجملة الشرط هو العموم الذي في قوله: ﴿عن العالمين﴾ إذ من كفر فهو مندرج تحت هذا العموم.." (٢)

"وقيل في هذا الوجه: الخبر محذوف، والتقدير: وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء لكم أو يفتيكم، وحذف لدلالة ما قبله عليه. وعلى هذا التقدير في الكتاب بقوله: يتلى عليكم، أو تكون في موضع الحال من الضمير في يتلى، وفي يتامى بدل من في الكتاب. وقال أبو البقاء في الثانية: تتعلق بما تعلقت به الأولى، لأن معناها يختلف، فالأولى ظرف، والثانية بمعنى الباء أي: بسبب اليتامى، كما تقول: جئتك في يوم الجمعة في أمر زيد. ويجوز أن تتعلق الثانية بالكتاب أي: فيما كتب بحكم اليتامى. ويجوز أن تكون الثانية حالا، فتتعلق بمحذوف. وأما النصب فعلى التقدير: ويبين لكم ما يتلى، لأن يفتيكم معناها يبين فدلت عليها. وأما الجر فمن وجهين: أحدهما: أن تكون الواو للقسم كأنه قال: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم بمعنى التعظيم، قاله الزمخشري: والثاني: أن يكون معطوفا على الضميرالمجرور في فيهن، قاله محمد بن أبي موسى. وقال: أفتاهم الله فيما سألوا عنه، وفي ما لم يسألوا عنه. قال ابن عطية: ويضعف هذا التأويل ما فيه من

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٢/٦٠

(٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٣/١٠٨

العطف على الضمير المخفوض بغير إعادة حرف الخفض. قال الزمخشري: ليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن، لاختلاله من حيث **اللفظ والمعنى** انتهى.

والذي ختاره هذا الوجه، وإن كان مشهور مذهب جمهور البصريين أن ذلك لا يجوز إلا في الشعر، لكن قد ذكرت دلائل جواز ذلك في الكلام. وأمعنت في ذكر الدلائل على ذلك في تفسير قوله: ﴿وكفر به﴾ و ﴿المسجد الحرام﴾ وليس مختلا من حيث اللفظ، لأنا قد استدللنا علي جواز ذلك، ولا من حيث المعنى كما زعم الزمخشري، بل المعنى عليه ويكون على تقدير حذف أي: يفتيكم في مثلوهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب، من إضافة متلو إلى ضميرهن سائغة، إذ الإضافة تكون لأدنى ملابسة لما كان متلوا فيهن صحت الإضافة إليهما. ومن ذلك قول الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة." (١)

"وأما قول الزمخشري: لاختلاله في **اللفظ والمعنى** فهو قول الزجاج بعينه. قال الزجاج: وهذا بعيد، لأنه بالنسبة إلى اللفظ وإلى المعنى، أما للفظ فإنه يقتضي عطف المظهر على المضمر، وذلك غير جائز. كما لم يجز قوله: ﴿تساءلون به والأرحام﴾ وأما المعنى فإنه تعالى أفتى في تلك المسائل، وتقدير العطف على الضمير يقتضي أنه أفتى فيما يتلى عليكم في الكتاب. ومعلوم أنه ليس المراد ذلك، وإنما المراد أنه تعالى مفتي فيما سألوه من المسائل انتهى كلامه. وقد بينا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف، والرفع على العطف على الله، أو على ضمير يخرجه عن التأسيس. وعلى الجملة تخرج الجملة بأسرها عن التأسيس، وكذلك الجر على القسم. فالنصب بإضمار فعل، والعطف على الضمير يجعله تأسيسا. وإذا أراد الأمرين: التأسيس والتأكيد، كان حمله على التأسيس هو الأولى، ولا يذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس. وتقدم الكلام في تعلق قوله: «في يتامى النساء» . وقال الزمخشري: (فإن قلت) : بم تعلق قوله: في يتامى النساء؟ (قلت) : في الوجه الأول هو صلة يتلى أي: يتلى عليكم في معناهن: ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن. وأما في الوجهين الأخيرين فبدل لا غير انتهى كلامه. ويعني بقوله في الوجه الأول: أن يكون وما يتلى في موضع رفع، فأما ما أجازه في هذا الوجه من أنه يكون صلة يتلى فلا يتصور إلا إن كان في يتامى بدلا من في الكتاب، أو تكون في للسبب، لئلا يتعلق حرف جر بمعنى واحد بفعل واحد، فهو لا يجوز إلا إن كان على طريقة البدل أو بالعطف. وأما ما أجازه في هذا الوجه أيضا من أن في يتامى بدل من فيهن، فالظاهر أنه لا يجوز للفصل بين البدل والمبدل منه بالعطف. ونظير هذا التركيب: زيد يقيم في الدار وعمرو في كسر منها، ففصلت بين في الدار وبين في كسر منها بالعطف، والتركيب المعهود: زيد يقيم في الدار في كسر منها. وعمرو واتفق من وقفنا على كلامه في التفسير على أن." (٢)

"﴿قال الله هذا يوم ينفع الصدقين صدقهم﴾ قرأ الجمهور هذا يوم بالرفع على أن هذا مبتدأ ويوم خبره والجملة محكية بقال وهي في موضع المفعول به، لقال: أي هذا الوقت وقت نفع الصادقين وفيه إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام. وقرأ

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٣/٣٣٤

(٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٣/٣٣٥

نافع ﴿هذا يومُ﴾ بفتح الميم وخرجه الكوفيون على أنه مبني خبر لهذا وبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهم لا يشترطون كون الفعل مبنيا في بناء الظرف المضاف إلى الجملة، فعلى قولهم تتحد القراءتان في المعنى. وقال البصريون: شرط هذا البناء إذا أضيف الظرف إلى الجملة الفعلية أن يكون مصدرا بفعل مبني، لأنه لا يسري إليه البناء لا من المبني الذي أضيف إليه، والمسألة مقررة في علم النحو فعلى قول البصريين: هو معرب لا مبني وخرج نصبه على وجهين ذكرهما الزمخشري وغيره أحدهما: أن يكون ظرفا لقال وهذا إشارة إلى المصدر فيكون منصوبا على المصدرية، أي: قال الله هذا القول أو إشارة إلى الخبر أو القصص، كقولك: قال زيد شعرا أو قال زيد: خطبة فيكون إشارة إلى مضمون الجملة، واختلف في نصبه أهو على المصدرية أو ينتصب مفعولا به؟ فعلى هذا الخلاف ينتصب إذا كان إشارة إلى الخبر أو القصص نصب المصدر أو نصب المفعول به. قال ابن عطية: وانتصابه على الظرف وتقدير ﴿قال الله هذا﴾ القصص أو الخبر ﴿يوم ينفع﴾ معنى يزيل وصف الآية وبهاء **اللفظ والمعنى**، والوجه الثاني أن يكون ظرفا خبر هذا وهذا مرفوع على الابتداء والتقدير، هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع ويكون هذا يوم ينفع جملة محكية بقال. قال الزمخشري: وقرأ الأعمش يوما ينفع بالتنوين كقوله ﴿واتقوا يوما لا تجزى﴾ . وقال ابن عطية: وقرأ الحسن بن عياش الشامي ﴿هذا يومٌ﴾ بالرفع والتنوين. وقرأ الجمهور ﴿صدقهم﴾ بالرفع فاعل ينفع وقرىء بالنصب، وخرج على أنه مفعول له أي لصدقهم أو على إسقاط حرف الجر أي بصدقهم أو مصدر مؤكد، أي الذين يصدقون صدقهم أو مفعول به." (١)

"وما في قوله: ﴿وما آفاء الله على رسوله﴾ شرطية أو موصولة، وأفاء بمعنى: يفيء، ولا يكون ماضيا في **اللفظ والمعنى**، ولذلك صلة ما الموصولة إذا كانت الباء في خبرها، لأنها إذ ذاك شبهت باسم الشرط.

ومن في: ﴿من خيل﴾ زائدة في المفعول يدل عليه الاستغراق.

والضمير في تكون بالتأنيث عائد على معنى ما، إذ المراد به الأموال والمغانم، وذلك الضمير هو اسم يكون ﴿السبيل كى لا يكون﴾ . وكذلك من قرأ بالياء، أعاد الضمير على لفظ ما، أي يكون الفيء، وانتصب دولة على الخبر. ومن رفع دولة فتكون تامة، ودولة فاعل.

﴿للفقراء﴾ ، قال الزمخشري: بدل من قوله: ﴿ولذي القربى﴾ ، والمعطوف عليه والذي منع الإبدال من ﴿لله وللرسول﴾ ، والمعطوف عليهما، وإن كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله: ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ ، وأنه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلمعن التسمية بالفقير، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا. انتهى. وإنما جعله الزمخشري بدلا من قوله: ﴿ولذي القربى﴾ ، لأنه مذهب أبي حنيفة.

والإيمان معطوف على الدار، وهي المدينة، والإيمان ليس مكانا فيتبوأ. فقيل: هو من عطف الجمل، أي واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه، قاله أبو علي، فيكون كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٤٧٦/٣

أو يكون ضمن تبوؤا ﴿الصدقون * والذين تبوءوا الدار والإيمن من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون﴾ معنى لزموا، واللزوم قدر مشترك في الدار والإيمان، فيصح العطف.

﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ : الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين.." (١)

"فإذا استعان بالله – سبحانه وتعالى – وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل، وإظهار العجز والوثوق بأنه في الذروة من أحكام الربط، كما كان في الأوج من حسن **المعنى واللفظ**، لكونه كلام من جل عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال إيمانا بالغيب، وتصديقا للرب قائلا ما قال الراسخون في العلم: ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةإنك أنت الوهاب﴾ (آل عمران:٨) ، فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار رقص الفكر منه طربا وشكروا لله استغرابا وعجبا وشاط لعظمة ذلك جنانه، فرسخ من غير مرية إيمانه " (١)

إذا ما نظرنا في سورة "النحل" مثلا فإنا نراها من مقدمة وخاتمة وأربعة معاقد:

المقدمة من الأولى

والمعقد الأول من الآية الثانية إلى الحادية والعشرين (٢-٢١)

والثاني من الثانية والعشرين إلى الرابعة والستين (٢٢-٦٤)

والثالث من الخامسة والستين إلىالتاسعة والثمانين (٦٥-٨٩)

والرابع من الآية التسعين إلى الآية الرابعة والعشرين بعد المئة (٩٠- ١٢٤)

والخاتمة الآيات الأربع الأخيرة (١٢٥-١٢٨)

حين نتأمل نجد أن "البقاعي قدجعل المعقد الثالث معطوفا مطلعه على مقطع المعقد الأول أي الآية (٦٥) على الآية (١٩)

ووجه ذلك أن المعقد الأول من سورة النحل معقود للتدليل بأنعم الله تعالى على وحدانيته وقدرته وعلمه وكماله والمعقد الثالث معقود أيضا لتأسيس ضرب جديد من التدليل بالنعم على وحدانيته.... استدلالا يظهر فيه معنى الامتنان بينما آيات المعقد الأول كان التدليل أظهر من الامتنان

أما آيات المعقد الثاني فهي كالجملة الاعتراضية بين المعقدين الأول والثالث، وآيات هذا المعقد الثالث قائمة ببيان ونقض اعتراضات المشركين، فهنالك تشاكل بين موقع هذا المعقد الثالث ومضمونه، وهو ضرب من المشاكلة بين الوقع المضمون بديع.

---

(١) – نظم الدرر: ١/١١." (٢)

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ١١٤/٨

(٢) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن محمود توفيق محمد سعد ص/٢٤٣

"كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان "إلا" "لكن"، فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول"١.

والصولي "ت ٣٣٦هـ" يقف أمام بيت امرئ القيس:

الله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

يقول: "ألا ترى أن قوله: "الله أنجح ما طلبت به" كلام مستغن بنفسه وكذلك باقي البيت على أن في البيت واوا عطفت جملة على جملة، وما ليس فيه واو عطف أبلغ٢.

والجرجاني "ت ٣٩٢هـ" أبو الحسن علي بن عبد العزيز في شرح ما أنكره العلماء على المتنبي في بيته:

جللا كما بي فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح٣

يقول: ... وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في **اللفظ والمعنى**، فقال المحتج عنه يسوغ الإنكار، لو قطع قبل الإتمام وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفى مراده ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب ... ٤.

ويتكلم ابن جني "ت ٣٩٣هـ" عن "حذف حرف العطف" في نحو

---

١ الطبري، جامع البيان، ٢/ ٢٦٤.

٢ المرزباني، الموشح ٣٦ تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر ١٩٦٥م.

٣ ديوانه: "١/ ٢٤٣" والتبريح: الشدة، والجلل: الأمر العظيم، والرشأ: ولد الظبية، والأغن: الذي في صوته غنة وهي صوت من الخيشوم "هـ ص٤٤١" من الوساطة.

٤ الجرجاني، الوساطة، ٤٤١، ٤٤٢، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط٣ الحلبي.." [(١)]

"والرازي وحده هو الذي انفرد بذكر هذا النوع من الاختلاف.

٤- لقد تكلفوا كثيرا في محاولتهم لحصر أنواع التغاير والاختلاف في سبعة؛ بحيث يمكننا أن نقول: إن الأحرف في نفسها شيء، وأنواع الاختلاف التي ذكروها شيء آخر مغاير لها.

٥- من الممكن أن نرجع تلك الأنواع إلى ثلاثة كما فعل ابن الجزري١:

أ- ما اختلف لفظه واتفق معناه، نحو: هلم، وأقبل، وتعال.

ب- ما اختلف لفظه ومعناه؛ لكنه اختلاف تنوع لا تضاد: مالك وملك، وقل وقال، وباعد وباعد.

ج- الاختلاف في اللهجات مع اتفاق **اللفظ والمعنى**؛ كالإمالة والفتح، والمد والقصر، والإدغام الفك، والتحقيق والتسهيل٢.

---

(١) الفصل والوصل في القرآن الكريم منير سلطان ص/٢٢

١ النشر ١/ ٤٩، ٥٠، وتبعه في ذلك القسطلاني في لطائفه ١/ ٣٧، ٣٨.

٢ راجع: مجلة كلية القرآن الكريم ص٦٣-٧٦ بتصرف واختصار.." (١)

"مآخذ على الأقوال في الأوجه:

أ- لقد اتفق الجميع على أن الأوجه تنحصر في سبعة؛ إلا أنهم اختلفوا في تعيينها.

ب- انفرد الرازي بذكر اختلاف اللهجات ضمن الأوجه، وقد أهملها ابن قتيبة وتبعه الباقلاني في ذلك. ولم يذكر السجستاني إلا بعض الخلافات الأصولية في الوجه السابع، أما ابن الجزري فلا يراها من الاختلاف الذي يتنوع فيه **اللفظ والمعنى**، ويقول: ولئن فرض فيكون من الأول١.

رغم أن الخلافات الأصولية في أحرف القرآن شيء كثير.

ج- استشهدوا للتمثيل ببعض هذه الأوجه بالقراءات الشاذة أو الضعيفة أو المنكرة.

د- الحكمة من تعدد الأحرف: رفع الحرج والمشقة من الأمة الأمية، والأنواع التي ذكروها معظمها يتعلق بالخط والكتابة، ولا يدركها إلا المحققون من خواص العلماء، فكيف يكون اليسر فيها للأمة التي لا تعرف الكتابة ولا القراءة؟!

هـ- تكلفوا كثيرا في محاولتهم لحصر الأوجه في سبعة؛ بحيث يمكننا أن نقول: إن الأوجه في نفسها شيء، والأنواع التي ذكروها شيء آخر مغاير لها.

---

١ النشر ١/ ٢٧.." (٢)

"ز- من الممكن أن نرجع تلك الأنواع السبعة إلى ثلاثة كما فعل ابن الجزري١:

١- اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد:

نحو: "الصراط" و"القدس" مما يطلق عليه أنه لغات فقط، فقد تقرأ "الصراط" بالصاد والسين والإشمام، وتقرأ "القدس" بضم الدال وإسكانها.

٢- اختلاف **اللفظ والمعنى** مع جواز اجتماعهما في شيء واحد:

نحو: ﴿كيف ننشزها﴾ ٢ بالراء والزاء.

والإنشار -كما قال ابن قتيبة- الإحياء، والإنشاز: هو التحريك للنقل، والحياة حركة، فلا فرق بينهما٣.

٣- اختلاف **اللفظ والمعنى** وعدم اجتماعهما في شيء واحد؛ إلا أنه اختلاف تنوع وتغاير لا تضاد وتناقض:

نحو: ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ ٤ بالتشديد والتخفيف.

و"الظن" على قراءة التشديد بمعنى "اليقين"،

---

(١) صفحات في علوم القراءات عبد القيوم عبد الغفور السندي ص/١١٤

(٢) صفحات في علوم القراءات عبد القيوم عبد الغفور السندي ص/١٣٣

١ النشر ١/ ٤٩، ٥٠، وتبعه القسطلاني في لطائفه ١/ ٣٧، ٣٨.

٢ البقرة: ٢٥٩.

٣ تأويل مشكل القرآن ص٤١.

٤ يوسف: ١١٠.." [١]

"والتفسير ليس كله متفقا عليه بل هناك خلاف بين السلف، وإذا كان بين السلف خلاف فمن باب أولى أن يكون خلاف فيمن جاء بعدهم؛ لأنه كلما ابتعد العصر عن زمن النبوة زادت رقعة الاختلافات، وهذه قاعدة علمية ذكرها شيخ الإسلام في «مقدمة في أصول التفسير»، فالاختلاف مقرر، وكذلك الإجماع مقرر (١).

والذي يعنينا في هذا الباب هو الاختلاف الذي نص عليه المؤلف، وقد انطلق المؤلف في أنواع الاختلاف من **اللفظ والمعنى**، فقال في النوع الأول: (اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه).

أقول: لعل السبب الذي جعل بعض المفسرين يعده اختلافا راجع إلى منهجية المفسر، فابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في «زاد المسير» قد يجعل في الآية سبعة أقوال، وإذا تأملنا هذه الأقوال وجدنا أن بعضها يرجع إلى بعض، فكأن هذه المنهجية في تعداد الأقوال جعلها أقوالا مستقلة، وكأنها متغايرة، والحقيقة أن بعضها يرجع إلى بعض.

وهذا الأسلوب ليس منه ما يفعله بعض المفسرين من الحفاظ على عبارات السلف، فيذكرون كل قول بسنده كما هو الحال في تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ).

فهذا ليس من هذا الباب الذي يذكره المؤلف؛ لأن المقصد من ذلك أن يذكر من قال بهذا القول من المفسرين، أو على سبيل ما ورد في لفظ هذه الآية من المعاني عند السلف، وليس على سبيل أنها أقوال؛ لذا يفرق بين هذين المنهجين.

---

(١) كتب الشيخ الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري رسالة علمية «الإجماع في التفسير»، وهي مطبوعة.." [٢]

"الباب السابع

في الناسخ والمنسوخ

قال المصنف رحمه الله: النسخ في اللغة: هو الإزالة والنقل، ومعناه في الشريعة رفع الحكم الشرعي بعد تقرره، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ **اللفظ والمعنى**، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم».

الثاني: نسخ اللفظ دون المعنى كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ، وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عد بعض العلماء مائتا موضع واثنتا عشرة موضعا

---

(١) صفحات في علوم القراءات عبد القيوم عبد الغفور السندي ص/١٣٤

(٢) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي مساعد الطيار ص/٨٨

منسوخا إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا، والاستثناء نسخا، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه، ونقدم منها ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم، والإعراض، والصبر على أذاهم بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين سورة:
ففي البقرة: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ولنا أعمالنا﴾ [البقرة: ١٣٩]، ﴿ولا تعتدوا﴾ [البقرة: ١٩٠] أي: لا تبدؤوا بالقتال، ﴿ولا تقاتلوهم﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿قل قتال فيه كبير﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿لا إكراه﴾ [البقرة: ٢٥٦] وفي آل عمران: ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿منهم تقاة﴾ [آل عمران: ٢٨]..." (١)

"الذي هو التخصيص والتقييد والاستثناء وبيان المجمل، فهذا يدخل في الأخبار كما يدخل في الأحكام.

أنواع النسخ التي ذكرها المؤلف ثلاثة:

١ - نسخ اللفظ والمعنى.

٢ - نسخ اللفظ دون المعنى.

٣ - نسخ المعنى دون اللفظ.

وأصل مبحث النسخ في النوعين الأولين أنه من مباحث الرواية، وليس الدراية، لذا فإن البحث فيه يتطلب ثبوت الرواية بالنسخ، ثم يصار إلى الدراية، أما ما وقع من نقد لوقوع النسخ في هذين النوعين من جهة الدراية، فإن هذا ليس بصواب، ولا شك أن الآثار تدل على وقوع هذه الأنواع الثلاثة.

وأما النسخ في الأحكام ـ وهو النوع الثالث ـ فإنه لا يقع إلا عند التعارض التام بين النصوص بحيث لا يمكن إعمال النصين معا، فيجتهد الفقيه هاهنا بالقول بالنسخ.

فإن قال قائل: هل المجتهد هو الذي ينسخ؟

نقول: الناسخ هو الشارع، فالذي أنزل المنسوخ هو الذي أنزل الناسخ، فالأمر إلى الله سبحانه وتعالى في ذلك.

وعمل المجتهد عند حصول التعارض في النصوص هو الحمل على النسخ، ثم مناقشة صحة النسبة من عدمها، أما الذي ينسخ آية بآية فهو الشارع سبحانه.

فإن قال قائل: هل ورد قرآن ونسخ بالكلية؟

نقول: هذا بحث نقلي، فإذا ثبت النقل، فإنه يحكم به، والمطلوب من العقل تفهم وجه النسخ، وليس الاعتراض عليه، والمؤلف قد أورد." (٢)

"ولا تكلموني﴾ ١.

ويتلو: ﴿ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ ٢.

إن المؤمن ليقرأ القرآن وهو بين الخوف والرجاء، يهفو قلبه إلى موعود الله، وتخشع جوارحه لله، وينيب قلبه إلى مولاه، ويزداد

---

(١) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي مساعد الطيار ص/٢١٨

(٢) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي مساعد الطيار ص/٢٢٣

إيمانه بربه كلما تلى آياته وكلما تدبر وتفكر في كون الله الواسع.

وإن هذا كله يؤدي إلى حضور الذهن بصفة دائمة، وهو ضروري لتثبيت **اللفظ والمعنى** في الذاكرة، وإن "التفاعل" بين القارئ والمقروء والسامع والمسموع ادعى إلى الرسوخ والتثبيت ...

يقول عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إلي من أن أقرأ القرآن هذرمة٣.

ويقول محمد بن كعب القرظي "١١٨هـ" لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ و ﴿القارعة ما القارعة﴾ لا أزيد عليهما وأتفكر فيهما وأتردد، أحب إلي من

---

١ سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٧ـ ١٠٨.

٢ سورة الانفطار، الآية:٦.

٣ صفة الصفوة١/٧٥٤ والهذرمة: الإسراع في القراءة.." (١)

"٤ القبيح: هو ما تعلق ما قبله بما بعده في **اللفظ والمعنى** واشتد تعلقه بحيث أن كلا من الجملتين لا تشكل بنفسها جملة مفيدة. وهو يتفاوت، وأشده قبحا ما أحدث خللا في المعنى وأوهم معنى فاسدا.

وكما يكون القبح في الوقف يكون في الابتداء:

مثاله: في الوقف ﴿إن الله لا يستحيي﴾ ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ .

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى﴾ .

﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل﴾ .

﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله﴾ .

ومثاله في الابتداء ﴿ ... يد الله مغلولة﴾ ﴿ ... إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ .

﴿..المسيح ابن الله﴾ ﴿..عزير ابن الله﴾ ﴿..إن الله ثالث ثلاثة﴾ .

فكل هذا ونحوه جلي القبح؛ لأنه يحيل المعنى ويفسده، ويوهم معنى آخر غير مراد، فيجب الاحتراس منه فإن تعمده القارئ أثم، وربما أفضى به مثل هذا إلى الكفر.

ومن الوقوف القبيحة أيضا، كل وقف يفصل بين جزأي المعنى، وبين المترابطين لفظيا، كالفصل بين إن واسمها وخبرها، وبين الحال وصاحبها، والموصول وصلته، والجار والمجرور ومتعلقهما، والفعل وفاعله ومفعوله.." (٢)

"ولمحصليه ـ الغفران، والرحمة من الله والرضوان، ويشتمل على أنواع من علوم الكتاب العزيز؛ المسمى بـ «الفرقان»:

النوع الأول: معرفة تفسير غريب **اللفظ والمعنى**، وأسباب النزول، والقصص، وما صح من المنسوخ على ما ذهب إليه في ذلك كل من يعتمد عليه.

---

(١) كيف تحفظ القرآن الكريم عبد الرب نواب الدين ص/٩٨

(٢) قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود عبد العزيز القارئ ص/١١١

النوع الثاني: معرفة المبهمات من الأسماء والأنساب، وضمائر الغيبة والخطاب، والعدد، والمدد، واختلاف الأقوال في ذلك ...

الثالث: معرفة قراءات الأئمة السبعة رحمة الله عليهم، ولكل إمام منهم راويان ...

الرابع: معرفة الوقوف والموقوف عليه إن لم يتوقف فهمه على ما بعده وبالعكس، فالوقف لازم إن اختل المعنى بالوصل، وتام إن لم يختل، ولم يكن للثاني تعلق بالأول ...

الخامس: معرفة خط الإمام مصحف عثمان بن عفان ...

السادس: معرفة عدد آي كل سورة (العدد الكوفي)، وكونها مكية أو مدنية أو مختلفا فيها، وذلك مذكور في أول كل سورة.

السابع: معرفة رؤوس الآيات وأخماسها وأعشارها، والمختلف في كونه آية أو غير آية بين الكوفيين وغيرهم ...

الثامن: معرفة أجزائه الثلاثين وأخماسها وأنصافها وأنصاف أسداسها وأسباع القرآن وأرباع الأسباع ...» (١)، ثم شرع في تفسير الاستعاذة والبسملة والفاتحة حتى ختم كتابه بتفسير سورة بالناس.

ولا يعني أن هذه التفاسير تختلف في مادتها العلمية عن التفاسير السابقة، لكن المقصود أن مؤلفيها قد رتبوها ترتيبا متوافقا مع أنواع علوم القرآن، أو قصدوا ذكر جملة من علوم القرآن قصدا مباشرا، وهذا مما لا يحسن إغفاله في نشأة علوم القرآن.

---

(١) البستان في علوم القرآن (مخطوط، لوحة ١ أ ب).." [(١)]

"الثاني: من قسم الوقوف إلى مراتب:

ويمكن حصر المدونات في هذا إلى ثلاثة أنواع:

الأول: التقسيم المبني على **اللفظ والمعنى**: وهذه التقسيمات مبنية على المعنى من حيث تمامه أو نقصه، وبين التمام والنقص مراتب اختلف العلماء في تقديرها اختلافا كثيرا، وأشهر هذه التقسيمات القسمة الرباعية، وهي: الوقف التام، والوقف الكافي، والوقف الحسن، والوقف القبيح.

ومن قسم إلى أربعة أقسام قد يزيد مراتب إلى هذه الوقوف؛ كالصالح، والجائز، والمفهوم، وغيرها.

كما قد يجعل بعضهم كل قسم من الأقسام الأربعة على قسمين: التام والأتم، والكافي والأكفى، والحسن والأحسن، والقبيح والأقبح.

وهذا التقسيم الرباعي للوقوف المبني على **اللفظ والمعنى** ينظر فيه إلى تمام الانقطاع من عدمه.

فالتام: ما انقطع عنه ما بعده لفظا (إعرابا) ومعنى.

كالوقف على (المفلحون) من قوله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة: ٥]؛ لأن قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة: ٦]، لا علاقة لها بما قبلها لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، فلو ابتدأت بالقراءة بها لأفهمت معنى تاما، ولا حاجة لك بأن تبدأ بما قبلها.

---

(١) المحرر في علوم القرآن مساعد الطيار ٤١/١

والكافي: ما تعلق به ما بعده من جهة المعنى دون اللفظ (الإعراب).
ومن أمثلته الوقف على رأس الآية من قوله تعالى: ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة: ٦]، ثم البدء بقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة: ٧]، فالجملة الأولى من قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة: ٦] مستقلة بمعناها بحيث لو قطع السامع قراءته عليها لأفهم معنى واضحا مستقلا، فلو قرأ بقوله تعالى:." [١]

"فلما كثر الداخلون في الإسلام من دهماء العرب ومن عموم بقية الأمم = توجه اعتناء أهل القرآن إلى ضبط وقوفه تيسيرا لفهمه على قارئيه، فظهر الاعتناء بالوقوف، وروعي فيها ما يراعى في تفسير الآيات، فكان ضبط الوقوف مقدمة لما يفاد من المعاني عند واضع الوقف» (١).
فإن قلت: أيعني هذا عدم تتبع المواقف الحسنة في أواسط الآي؟
فالجواب: لا، بل ذلك مطلب في أواسط الآي، وعلى هذا يقوم علم الوقف والابتداء، حيث يتتبع العلماء المواقف الصالحة في أواسط الآي، وينبهون على المواقف غير الصالحة.
أما الوقف على رؤوس الآي، فلم يقع اختلاف بين العلماء في الوقف على رؤوس الآي إذا لم يتعلق بها ما بعدها، وقد كان بعض العلماء يسمي الوقف على رأس الآية وقف السنة، وذلك اعتمادا على حديث أم سلمة رضي الله عنها (٢).
لكن وقع خلافهم فيما إذا كان رأس الآية يتبعه ما بعده من جهة **اللفظ والمعنى**، فما الأولى في ذلك: الوقف على رؤوس الآي، أو الوصل من أجل تمام المعنى (٣)؟ والأمر في ذلك واسع ـ ولله الحمد ـ، فإن وقفت فلك في ذلك سلف من العلماء قالوا بذلك القول، ولهم حججهم العلمية، وإن وصلت فلك كذلك مثل ذلك.
لكن حديث أم سلمة رضي الله عنها يشير ـ كما فهم بعض العلماء ـ إلى أن الوقوف على رؤوس الآي سنة، فعنها رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته، يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ثم يقف. ﴿الرحمان

---

(١) التحرير والتنوير (١:٨٣ – ٨٤).
(٢) ينظر ـ مثلا ـ: الوقف والابتداء، للغزال (١:١٩٣)؛ والهادي في المقاطع والمبادي (٤:١٨١، ٥٣١).
(٣) يمكن أن يقوم الطلاب باستقراء رؤوس الآي التي لا يتم المعنى بها إلا بوصلها بما بعدها.." [٢]

"ثالثا: ماذا أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كتب اليهود؟ : وضع الفادي المفتري عنوانا مثيرا: " ما أخذه من كتب جهال اليهود "،
وقال تحت هذا العنوان: " هاكم جدولا بالموضوعات التي انتحلها محمد،
ومكانها في المؤلفات اليهودية التي أخذ عنها " (١) .

---

(١) المحرر في علوم القرآن مساعد الطيار ١/٢٥٥
(٢) المحرر في علوم القرآن مساعد الطيار ١/٢٦٦

والموضوعات التي ذكرها أحد عشر موضوعا، وكان يذكر موضع كل موضوع في القرآن، وموضعه في كتب اليهود.

والموضوعات التي ذكرها هي:

١ - تعلم " قايين " من الغراب كيفية دفن أخيه.

وهو ابن آدم الكافر، الذي سماه اليهود والنصارى " قايين "، وسماه بعض المسلمين " قابيل ".

علما أن اسمه لم يذكر في القرآن.

وقد ذكرت قصة ابني آدم في سورة المائدة: ٣٠ - ٣٥،.

وادعى الفادي أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أخذ هذا الموضوع من الكتاب اليهودي " فرقى ربي أليعزر، فصل: ٢١ ".

٢ - طرح نمرود لإبراهيم في النار، وعدم مقدرة النار على إحراقه.

وقد ذكر هذا في السور التالية: الأنبياء ٥٧ - ٧٥،.

والصافات: ٩١ - ٩٨،.

وادعى الفادي الجاهل أن قصة إلقاء إبراهيم في النار وردت في تسع سور، هي: البقرة: ٢٦٠.

والأنعام: ٧٤ - ٨٤.

والأنبياء: ٥٢ - ٧٢.

والشعراء: ٦٩ - ٧٩.

والعنكبوت: ١٥ - ١٦.

والصا فات: ٨١ - ٨٥.

والزخرف: ٢٥ - ٢٧.

والممتحنة: ٤.

وهذا دليل جهله بالعلم والبحث وبالقرآن، لأن الكلام ليس عن قصة إبراهيم - عليه السلام -، ومواجهته لقومه، وإنما الكلام عن محاكمته بعد تحطيمه الأصنام، وحكمهم عليه بالإحراق بالنار، وهذا لم يرد إلا في سورة الأنبياء وسورة الصافات.

ولسنا مع الإخباريين الذين جعلوا اسم الملك زمن إبراهيم - عليه السلام -: " نمرود ".

---

(١) جاء في كتاب شبهات المشككين ما نصه:

١١- الكلام المنقول عن غيره دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة

الشبهة التى تمسكوا بها ورود مواضع بينها تشابه فى كل من التوراة والقرآن الكريم. ومن أبرزها الجانب القصصى. وبعض المواضع التشريعية تمسكوا بها، وقالوا: إن القرآن مقتبس من التوراة، وبعضهم يضيف إلى هذا أن القرآن اقتبس مواضع أخرى

من " الأناجيل ".

* الرد على هذه الشبهة:

كيف يتحقق الاقتباس عموما؟

الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان:

الأول: الشخص المقتبس منه.

الثانى: الشخص المقتبس (اسم فاعل) .

الثالث: المادة المقتبسة نفسها (اسم مفعول) .

والشخص المقتبس منه سابق إلى الفكرة، التى هى موضوع الاقتباس، أما المادة المقتبسة فلها طريقتان عند الشخص المقتبس، إحداهما: أن يأخذ المقتبس الفكرة بلفظها ومعناها كلها أو بعضها. والثانية: أن يأخذها بمعناها كلها أو بعضها كذلك ويعبر عنها بكلام من عنده.

والمقتبس فى عملية الاقتباس أسير المقتبس منه قطعا ودائر فى فلكه؛ إذ لا طريق له إلى معرفة ما اقتبس إلا ما ذكره المقتبس منه. فهو أصل، والمقتبس فرع لا محالة.

وعلى هذا فإن المقتبس لابد له وهو يزاول عملية الاقتباس من موقفين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يأخذ الفكرة كلها بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط.

وثانيهما: أن يأخذ جزء من الفكرة **باللفظ والمعنى** أو بالمعنى فقط.

ويمتنع على المقتبس أن يزيد فى الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة فى الأصل؛ لأننا قلنا: إن المقتبس لا طريق له لمعرفة ما اقتبس إلا ما ورد عند المقتبس منه، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لا صلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه.

إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول إن فلانا اقتبس منى كذا.

أما إذا تشابه ما كتبه اثنان، أحدهما سابق والثانى لاحق، واختلف ما كتبه الثانى عما كتبه الأول مثل:

١- أن تكون الفكرة عند الثانى أبسط وأحكم ووجدنا فيها مالم نجده عند الأول.

٢- أو أن يصحح الثانى أخطاء وردت عند الأول، أو يعرض الوقائع عرضا يختلف عن سابقه.

فى هذه الحال لا تصدق دعوى من يقول إن فلانا قد اقتبس منى كذا.

ورد هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه، لأن المقتبس (اتهاما) لما لم يدر فى فلك المقتبس منه (فرضا) بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع فإن معنى ذلك أن الثانى تخطى ما كتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها ما استقى. فهو إذن ليس مقتبسا وإنما مؤسس حقائق تلقاها من مصدرها الأصيل ولم ينقلها عن ناقل أو وسيط.

وسوف نطبق هذه الأسس التى تحكم عملية الاقتباس على ما ادعاه القوم هنا وننظر:

هل القرآن عندما اقتبس كما يدعون من التوراة كان خاضعا لشرطى عملية الاقتباس وهما: نقل الفكرة كلها، أو الاقتصار

على نقل جزء منها فيكون بذلك دائرا فى فلك التوراة، وتصدق حينئذ دعوى القوم بأن القرآن (معظمه) مقتبس من التوراة؟
أم أن القرآن لم يقف عند حدود ما ذكرته التوراة فى مواضع التشابه بينهما؟ بل:
١ عرض الوقائع عرضا يختلف عن عرض التوراة لها.
٢ أضاف جديدا لم تعرفه التوراة فى المواضع المشتركة بينهما.
٣ صحح أخطاء " خطيرة " وردت فى التوراة فى مواضع متعددة.
٤ انفرد بذكر " مادة " خاصة به ليس لها مصدر سواه.
٥ فى حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ما ذكره القرآن. والباطل ما جاء فى التوراة بشهادة العقل والعلم إذا كان الاحتمال الأول هو الواقع فالقرآن مقتبس من التوراة..
أما إذا كان الواقع هو الاحتمال الثانى فدعوى الاقتباس باطلة ويكون للقرآن فى هذه الحالة سلطانه الخاص به فى استقاء الحقائق، وعرضها فلا اقتباس لا من توراة ولا من إنجيل ولا من غيرهما.
لا أظن أن القارئ يختلف معنا فى هذه الأسس التى قدمناها لصحة الاتهام بالاقتباس عموما.
وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور التشابه بين التوراة والقرآن، ونطبق عليها تلك الأسس المتقدمة تاركين الحرية التامة للقارئ سواء كان مسلما أو غير مسلم فى الحكم على ما سوف تسفر عنه المقارنة أنحن على صواب فى نفى الاقتباس عن القرآن؟.
والمسألة بعد ذلك ليست مسألة اختلاف فى الرأى يصبح فيها كل فريق موصوفا بالسلامة، وأنه على الحق أو شعبة من حق.
وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة صحيحة توجب النجاة لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار يوم يقدم الله إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباء منثورا.
الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن. لقطة من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز
تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) ليفعل بها الفحشاء وتنتهى بقرار وضع يوسف فى السجن. واللقطة كما جاءت فى المصدرين هى:
أولا: نصوصها فى التوراة: (١)
" وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: اضطجع معى، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدى، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى. ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله، وكانت إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها..
ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وخرج إلى خارج، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها، وهرب إلى خارج أنها نادت أهل

بيتها وكلمتهم قائلة:
" انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا دخل إلى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج. فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى..
فأخذ سيده يوسف ووضعه فى بيت السجن المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه ".
نصوص القرآن الأمين
(وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لايفلح الظالمون *ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئ ... (٢) ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين) (٣) .
تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين:
وأدعو القارئ أن يقرأ النصين مرات قراءة متأنية فاحصة. وأن يجتهد بنفسه فى التعرف على الفروق فى المصدرين قبل أن يسترسل معنا فيما نستخلصه من تلك الفروق. ثم يكمل ما يراه من نقص لدينا أو لديه فقد يدرك هو ما لم ندركه، وقد ندرك نحن ما لم يدركه ورب قارئ أوعى من كاتب..
الفروق كما نراها
التوراة: القرآن الأمين
المراودة حدثت مرارا ونصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة: المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفذ رغبتها.
تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب وانتظرت هى قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت بها أهل بيتها.: يشير إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هم بالخروج فقدت ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى فى الحال.
لم يكن يوسف موجودا حين دخل العزيز ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزيز.: يوسف كان موجودا حين قدم العزيز، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هى راودتنى عن نفسى.
تخلو من حديث الشاهد وتقول إن العزيز حمى غضبه على يوسف بعد سماع المرأة: يذكر تفصيلا شهادة الشاهد كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.

تقول إن العزيز فى الحال أمر بوضع يوسف فى السجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.

يشير إلى أن القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزيز وحاشيته.

تخلو من حديث النسوة اللاتى لمن امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه، وهى فجوة هائلة فى نص التوراة.

يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما يذكر موقف امرأة العزيز منهن ودعوتها إياهن ملتمسة أعذارها لديهن ومصرة على أن ينفذ رغبتها

هذه ستة فروق بارزة بين ما يورده القرآن الأمين، وما ذكرته التوراة. والنظر الفاحص فى المصدرين يرينا أنهما لم يتفقا إلا فى " أصل " الواقعة من حيث هى واقعة وكفى، ويختلفان بعد هذا فى كل شىء. على أن القرآن قام هنا بعملين جليلى الشأن:

أولهما: أنه أورد جديدا لم تعرفه التوراة ومن أبرز هذا الجديد:

(١) حديث النسوة وموقف المرأة منهن.

(٢) شهادة الشاهد الذى هو من أهل امرأة العزيز.

ثانيهما: تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

(١) لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابسا إياه ولكن قطع من الخلف.

(٢) غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه.

اعتراض وجوابه:

قد يقول قائل: لماذا تفترض أن الخطأ هو ما فى التوراة، وأن الصواب هو ما فى القرآن؟! أليس ذلك تحيزا منك للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين وأنت مسلم؟ ولماذا تفترض العكس؟ وإذا لم تفترض أنت العكس فقد يقول به غيرك، وماتراه أنت لا يصادر ما يراه الآخرون. هذا الاعتراض وارد فى مجال البحث. وإذن فلابد من إيضاح.

والجواب:

لم نتحيز للقرآن لأنه قرآن. ولنا فى هذا الحكم داعيان:

الأول: لم يرد فى القرآن – قط – ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وقد ثبتت هذه الحقيقة فى كل مجالات البحوث التى أجريت على " مفاهيم " القرآن العظيم فى كل العصور. وهذا الداعى وحده كاف فى تأييد ما ذهبنا إليه.

الثانى: وهو منتزع من الواقعة نفسها موضوع المقارنة وإليك البيان: كل من التوراة والقرآن متفقان على " عفة يوسف "وإعراضه عن الفحشاء. ثم اختلفا بعد ذلك:

فالتوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله لدى المرأة وهرب والقرآن يقول: إنه لم يترك الثوب بل أمسكته المرأة من الخلف ولما لم يتوقف يوسف عليه السلام اقتطعت قطعة منه وبقيت ظاهرة فى ثوبه.

فأى الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟! أن يترك ثوبه كله؟! أم أن يخرق ثوبه من الخلف؟!

إذا سلمنا برواية التوراة فيوسف ليس " عفيفا " والمرأة على حق فى دعواها؛ لأن يوسف لا يخلع ثوبه هكذا سليما إلا إذا كان هو الراغب وهى الآبية.

ولا يقال إن المرأة هى التى أخلعته ثوبه؛ لأن يوسف رجل، وهى امرأة فكيف تتغلب عليه وتخلع ثوبه بكل سهولة، ثم لما يمتنع تحتفظ هى بالثوب كدليل مادى على جنايته المشينة؟!

وهل خرج يوسف " عريانا " وترك ثوبه لدى غريمته..؟!

والخلاصة أن رواية التوراة فيها إدانة صريحة ليوسف وهذا يتنافى مع العفة التى وافقت فيها القرآن الأمين.

أما رواية القرآن فهى إدانة صريحة لامرأة العزيز، وبراءة كاملة ليوسف عليه السلام.

لقد دعته المرأة إلى نفسها ففر منها. فأدركته وأمسكته من الخلف وهو ما يزال فارا هاربا من وجهها فتعرض ثوبه لعمليتى جذب عنيفتين إحداهما إلى الخلف بفعل المرأة والثانية إلى الأمام بحركة يوسف فانقطع ثوبه من الخلف.

وهذا يتفق تماما مع العفة المشهود بها ليوسف فى المصدرين ولهذا قلنا: إن القرآن صحح هذا الخطأ الوارد فى التوراة.

.. فهل القرآن مقتبس من التوراة؟!

فهل تنطبق على القرآن أسس الاقتباس أم هو ذو سلطان خاص به فيما يقول ويقرر؟.

المقتبس لا بد من أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها. وها نحن قد رأينا القرآن يتجاوز هذه الأسس فيأتى بجديد لم يذكر فيما سواه، ويصحح خطأ وقع فيه ما سواه.

فليس الاختلاف فيها اختلاف حبك وصياغة، وإنما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع. هذا بالإضافة إلى إحكام البناء وعفة الألفاظ وشرف المعانى (٤) .

إن الذى روته التوراة هنا لا يصلح ولن يصلح أن يكون أساسا للذى ذكره القرآن. وإنما أساس القرآن هو الوحى الصادق الأمين. ذلك هو مصدر القرآن " الوضىء " وسيظل ذلك هو مصدره تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين فى كل عصر ومصر.

الصورة الثانية من صور التشابه بين التوراة والقرآن

قصة هابيل وقابيل ابنى آدم

نصوص التوراة:

" حدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين. وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابين جدا وسقط وجهه. فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟؟. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها. وكلم قابين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله. فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخى؟ فقال ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض؟؟ تعود تعطيك قوتها. تائها وهاربا تكون فى الأرض فقال قابين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل أنك قد طردتنى اليوم على وجه الأرض، ومن وجهك أختفى وأكون تائها وهاربا فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى فقال له الرب: لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده. فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن " (٥) .

نصوص القرآن الأمين
(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين* فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه * قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين * من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون) (٦) .

الفروق بين المصدرين

اتفق المصدران حول نقطتين اثنتين لا ثالث لهما واختلفا فيما عداهما. اتفقا فى: مسألة القربان. وفى قتل أحد الأخوين للآخر. أما فيما عدا هاتين النقطتين فإن ما ورد فى القرآن يختلف تماما عما ورد فى التوراة، وذلك على النحو الآتى:

التوارة/القرآن الأمين

تسمى أحد الأخوين بقابين وهو " القاتل " والثانى " هابيل " كما تصف القربانين وتحدد نوعهما./ لايسميهما ويكتفى ببنوتهما لآدم كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما.

تروى حوارا بين قابين والرب بعد قتله أخاه،وتعلن غضب الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرض بعيدة./ لا يذكر حوارا حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكر أن القاتل طرده الله من وجهه إلى أرض بعيدة، إذ ليس على الله بعيد.

التوراة تخلو من أى حوار بين الأخوين./ يذكر الحديث الذى دار بين ابنى آدم ويفصل القول عما صدر من القتيل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلما..

لا مقابل فى التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟! / يذكر مسألة الغراب، الذى بعثه الله ليرى القاتل كيف يتصرف فى جثة أخيه، ويوارى عورته.

تنسب الندم إلى " قابين " القاتل لما هدده الله بحرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعر بشناعة ذنبه./ يصرح بندم " القاتل " بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.

لا هدف لذكر القصة فى التوراة إلا مجرد التاريخ. فهى معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه. /يجعل من هذه القصة هدفا تربويا ويبنى شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بنى إسرائيل على إفسادهم فى الأرض بعد مجىء رسل الله إليهم.

أضف إلى هذه ما تحتوى عليه التوراة من سوء مخاطبة " قابين" الرب، فترى فى العبارة التى فوق الخط: " أحارس أنا لأخى " فيها فظاظة لوصدرت من إنسان لأبيه لعد عاقا جافا فظا غليظا فكيف تصدر من " مربوب " إلى " ربه " وخالقه..؟!

ولكن هكذا تنهج التوراة فلا هى تعرف " قدر الرب " ولا من تنقل عنه حوارا مع الرب.

ولا غرابة فى هذا فالتوراة تذكر أن موسى أمر ربه بأن يرجع عن غضبه على بنى إسرائيل، بل تهديده إياه سبحانه بالاستقالة

من النبوة إذا هو لم يستجب لأمره.

والواقع أن ما قصه علينا القرآن وهو الحق من أمر ابنى آدم مختلف تماما عما ورد فى التوراة فى هذا الشأن.

فكيف يقال: إن القرآن اقتبس هذه الأحداث من التوراة وصاغها فى قالب البلاغة العربية؟!

إن الاختلاف ليس فى الصياغة، بل هو اختلاف أصيل كما قد رأيت من جدول الفروق المتقدم.

والحاكم هنا هو العقل فإذا قيل: إن هذه القصة مقتبسة من التوراة قال العقل:

* فمن أين أتى القرآن بكلام الشقيق الذى قتل مع أخيه، وهو غير موجود فى نص التوراة التى يدعى أنها مصدر القرآن؟!

* ومن أين أتى القرآن بقصة الغراب الذى جاء ليرى القاتل كيف يوارى سوءة أخيه وهى غير واردة فى التوراة المدعى أصالتها للقرآن؟!

* ولماذا أهمل القرآن الحوار الذى تورده التوراة بين " الرب " وقابين القاتل وهذا الحوار هو هيكل القصة كلها فى التوراة؟!

إن فاقد الشىء لا يعطيه أبدا، وهذا هو حكم العقل. والحقائق الواردة فى القرآن غير موجودة فى التوراة قطعا فكيف تعطى التوراة شيئا هى لم تعرف عنه شيئا قط..؟!

لا.. إن القرآن له مصدره الخاص به الذى استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة فى " أصل الواقعة " لا يؤثر فى استقلال القرآن أبدا.

الصورة الثالثة من صورالتشابه بين التوراة والقرآن مقارنة بين بعض التشريعات

المحرمات من النساء

قارنا فيما سبق بين بعض المسائل التاريخية التى وردت فى كل من التوراة والقرآن الأمين. وأثبتنا بأقطع الأدلة أن القرآن له سلطانه الخاص به فيما يقول ويقرر، ورددنا دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة. وبينا حكم العقل فى هذه الدعوى كما أقمنا من الواقع " المحكى " أدلة على ذلك.

ونريد هنا أن نقارن بين بعض المسائل التشريعية فى المصدرين؛ لأنهم يقولون: إن المسائل والأحكام التشريعية التى فى القرآن لا مصدر لها سوى الاقتباس من التوراة.

وقد اخترنا نص المحرمات من النساء فى التوراة لنقابله بنص المحرمات من النساء فى القرآن الحكيم ليظهر الحق.

النص فى المصدرين

أولا: فى التوراة:

" عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف. إنها أمك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أبيك لا تكشف. إنها عورة أبيك. عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت، أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها. عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها إنها عورتك. عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك. عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك. عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك عورة أخى أبيك لا تكشف، إلى امرأته لا تقرب إنها عمتك. عورة كنتك لا تكشف. إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها.

عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك. عورة امرأة، وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنتها أو ابنة بنتها لتكشف

عورتها إنهما قريبتاها. إنه رذيلة. ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها (٧) .

ثانيا: فى القرآن الحكيم:

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء..) (٨) .

هذان هما النصان فى المصدرين. نص التوراة، ونص القرآن الحكيم. فما هى أهم الفروق بينهما ياترى؟!

وقبل إجراء المقارنة نفترض صحة النص التوراتى وخلوه من التحريف إذ لا مانع أن يكون هذا النص فعلا مترجما عن نص أصلى تشريعى خلا مترجمه من إرادة تحريفه.

والمهم هو أن نعرف هل يمكن أن يكون نص التوراة هذا أصلا اقتبس منه القرآن الحكيم فكرة المحرمات من النساء، علما بأن النص التوراتى قابل إلى حد كبير لإجراء دراسات نقدية عليه، ولكن هذا لا يعنينا هنا.

الفروق بين المصدرين:

التوراة:

١- لا تقيم شأنا للنسب من جهة الرضاعة.

٢- تحرم نكاح امرأة العم وتدعوها عمة.

٣- تحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه.

٤- لا تذكر حرمة النساء المتزوجات من رجال آخرين زواجهم قائم.

٥- تجعل التحريم غالبا للقرابة من جهة غير الزوج مثل قرابة الأب الأم العم ... وهكذا.

القرآن الأمين:

١- يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

٢- لا يحرم نكاح امرأة العم ولا يدعوها عمة.

٣- لا يحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه إذا طلقها أو مات عنها أخوه.

٤- يحرم نكاح المتزوجات فعلا من آخرين زواجا قائما ويطلق عليهن وصف المحصنات من النساء.

٥- يجعل التحريم لقرابة الزوج ممن حرمت عليه. أو قرابة زوجته أحيانا.

هذه الفروق الواضحة لا تؤهل النص التوراتى لأن يكون أصلا للنص القرآنى، علميا، وعقليا، فللنص القرآنى سلطانه الخاص ومصدره المتميز عما ورد فى التوراة. وإلا لما كان بين النصين فروق من هذا النوع المذكور.

وقفة مع ما تقدم:

نكتفى بما تقدم من التوراة وإن كانت التوراة مصدرا ثرا لمثل هذه المقارنات، ولو أرخينا عنان القلم لما وقفنا عند حد قريب

ولتضاعف هذا
الحجم مئات المرات. ومع هذا فما من مقارنة تجرى بين التوراة وبين القرآن إلا وهى دليل جديد على نفى أن يكون القرآن مقتبسا من كتاب سابق عليه، فالقرآن وحى أمين حفظ كلمات الله كما أنزلت على خاتم النبيين (وقد رأينا فى المقارنات الثلاث المتقدمة أن القرآن فوق ما يأتى به من جديد ليس معروفا فى سواه إنه يصحح أخطاء وقعت فيما سواه وهذا هو معنى " الهيمنة " التى خص الله بها القرآن فى قوله تعالى: (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (٩) .
فالأمور التى لم يلحقها تحريف فى التوراة جاء القرآن مصدقا لها أو هو مصدق لكل من التوراة والإنجيل بالصفة التى أنزلها الله عليهما قبل التحريف والتبديل.
أما الأمور التى حرفت، وتعقبها القرآن فقصها قصا صحيحا أمينا، وصحح ما ألحقوه بهما من أخطاء، فذلك هو سلطان " الهيمنة " المشهود للقرآن بها من منزل الكتاب على رسله.
فالقرآن هو كلمة الله " الأخيرة " المعقبة على كل ما سواها، وليس وراءها معقب يتلوها؛ لأن الوجود الإنسانى ليس فى حاجة مع وجود القرآن إلى غير القرآن.
كما أن الكون ليس فى حاجة مع الشمس إلى شمس أخرى تمده بالضوء والطاقة بعد وفاء الشمس بهما.
ولنأخذ صورة مقارنة من العهد الجديد أيضا حيث يختلف عن العهد القديم وذلك لأن نص الإنجيل الذى سندرسه يقابله من القرآن نصان كل منهما فى سورة مما يصعب معه وضع النص الإنجيلى فى جدول مقابلا بالنصين القرآنيين. ولهذا فإننا سنهمل نظام الجدول هنا ونكتفى بعرض النصوص، والموازنة بينها والموضوع الذى سنخضعه للمقارنة هنا هو بشارة زكريا عليه السلام بابنه يحى عليه السلام وذلك على النحو الآتى:
الصورة الرابعة من الإنجيل والقرآن
بشارة زكريا ب " يحيى " (عليهما السلام)
النص الإنجيلى:
" لم يكن لهما يعنى زكريا وامرأته ولد. إذ كانت اليصابات يعنى امرأة زكريا عاقرا. وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما فبينما هو يكهن فى نوبة غرفته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجا وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لاتخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ولدا وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفخرون بولادته؛ لأنه يكون عظيما أمام الرب. وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء. والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهئ للرب شعبا مستعدا. فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها..؟!
فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين

من إبطائه فى الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل. فكان يومئ إليهم. وبقى صامتا.." (١٠) .

النصوص القرآنية:

(١) سورة آل عمران:

(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين * قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار) (١١) .

(٢) سورة مريم:

(ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا * يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) (١٢) .

ذلك هو نص الإنجيل. وذان هما نصا القرآن الأمين. والقضية التى نناقشها هنا هى دعوى " الحاقدين " أن القرآن مقتبس من الأناجيل كما ادعوا قبلا أنه مقتبس من التوراة.

وندعو القارئ أن يراجع النص الإنجيلى مرات، وأن يتلو النصوص القرآنية مرات، ويسأل نفسه هذا السؤال:

هل من الممكن علميا وعقليا أن يكون النص الإنجيلى مصدرا لما ورد فى القرآن الأمين؟!

إن المقارنة بين هذه النصوص تسفر عن انفراد النصوص القرآنية بدقائق لا وجود لها فى النص الإنجيلى. ومن أبرز تلك الدقائق ما يلى:

أولا: فى سورة آل عمران:

(أ) تقدم على قصة البشارة فى" آل عمران" قصة نذر امرأة عمران ما فى بطنها لله محررا. وهذا لم يرد فى النص الإنجيلى.

(ب) الإخبار بأنها ولدت أنثى " مريم " وكانت ترجو المولود ذكرا وهذا لم يأت فى النص الإنجيلى.

(ج) كفالة زكريا للمولودة "مريم " ووجود رزقها عندها دون أن يعرف مصدره والله سبحانه وتعالى أعلم سؤاله إياها عن مصدره. وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلى.

(د) القرآن يربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلى.

(هـ) دعاء زكريا منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى النص الإنجيلى.

ثانيا: فى سورة مريم:
(أ) ما رتبه زكريا على هبة الله له وليا، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. ولم يرد هذا فى النص الإنجيلى.
(ب) السبب الذى حمل زكريا على دعاء ربه وهو خوفه الموالى من ورائه والنص الإنجيلى يخلو من هذا.
(ج) كون زكريا أوحى لقومه بأن يسبحوا بكرة وعشيا. ولا وجود لهذا فى النص الإنجيلى.
(د) الثناء على المولود " يحيى " من أنه بار بوالديه عليه سلام الله يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حيا ورد فى القرآن ولا مقابل له فى النص الإنجيلى.
هذا كله جديد خاص بالقرآن لا ذكر له فى سواه. وهذا يعنى أن القرآن قد صور الواقعة المقصوصة تصويرا أمينا كاملا.
وهذه هى المهمة الأولى التى تعقب بها القرآن المهيمن ما ورد فى الإنجيل المذكور.
وبقيت مهمة جليلة ثانية قام بها القرآن المهيمن نحو النص الإنجيلى، كما قام بمثلها نحو النصوص التوراتية المتقدمة. وتلك المهمة هى: تصحيح الأخطاء التى وردت فى النص الإنجيلى.
ومن ذلك:
(أ) النص الإنجيلى يجعل الصمت الذى قام بزكريا عقوبة له من الملاك.
فصحح القرآن هذه الواقعة، وجعل الصمت استجابة لدعاء زكريا ربه. وقد حرص على هذا النصان القرآنيان معا. ففى آل عمران (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا (وفى مريم: (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (.
فالصمت فكان تكريما لزكريا عليه السلام من الله، وليس عقوبة من الملاك، وقد انساق بعض مفسرى القرآن الكريم وراء هذا التحريف الإنجيلى فقال: إن الصمت كان عقوبة لزكريا، ولكن من الله لا من الملاك.
وها نحن نرفض هذا كله سواء كان القائل به مسلما أو غيرمسلم.
فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا حتى يعاقب من الله أو حتى من الملاك؟!
هل إقراره بكبر سنه وعقر امرأته هو الذنب؟!
لقد وقع هذا من إبراهيم عليه السلام حين بشر بإسحق، ووقع من سارة حين بشرت به فلم يعاقب الله منهما أحدا.
وقد وقع هذا من " مريم " حين بشرت بحملها بعيسى ولم يعاقبها الله عليه. فما السر فى ترك إبراهيم وسارة ومريم بلا عقوبة وإنزالها بزكريا وحده مع أن الذى صدر منه صدر مثله تماما من غيره.
أفى المسألة محاباة..؟! كلا.. فالله لا يحابى أحدا.
إن أكبر دليل على نفى هذا القول هو خلو النصوص القرآنية منه، وليس هذا تعصبا منا للقرآن. وإنما هو الحق، والمسلك الكريم اللائق بمنزلة الرسل عند ربهم.
إن الصمت الذى حل بزكريا كان بالنسبة لتكليم الناس، ومع هذا فقد ظل لسانه يلج بحمد الله وتسبيحه فى العشى والإبكار كما نص القرآن الأمين.
(ب) النص الإنجيلى يحدد مدة الصمت بخروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى.

وهذا خطأ ثان صححه القرآن المهيمن فجعل مدته ثلاثة أيام بلياليهن بعد الخروج من المحراب.

(ج) النص الإنجيلى يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، بينما النصان القرآنيان يجعلانها على لسان جمع من الملائكة:

(فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب) (١٣) .

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام..) (١٤) .

وهذا خطأ ثالث وقع فيه النص الإنجيلى فصححه القرآن الأمين.

(د) النص الإنجيلى يجعل التسمبة ب " يحيى " يوحنا من اختيار زكريا بيد أن الملاك قد تنبأ بها.

وهذا خطأ رابع صححه القرآن الأمين فجعل التسمية من وحى الله إلى زكريا: (.. اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) (١٥) .

(هـ) النص الإنجيلى يقول: " إن زكريا حين جاءه الملاك وقع عليه خوف واضطراب ".

وقد خلا النص القرآنى من هذا.. فدل خلوه منه على أنه لم يقع.

ذلك أن القرآن الحكيم عودنا فى قصه للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يسجلها إذا حدثت ولا يهملها، بدليل أنه قد نص عليها فى واقعة السحرة مع موسى عليه السلام فقال: (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) (١٦) . وقال فى شأنه كذلك عند انقلاب العصى حية لأول مرة: (فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب) (١٧) . وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره فقال حكاية عن إبراهيم لضيوفه: (إنا منكم وجلون) (١٨) . وحكاها عن مريم حين جاءها الملك: (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) (١٩) .

وحرص القرآن على ذكر هذا الانفعال (الخوف، إذا حدث) يدل على أن خلوه منه بالنسبة لزكريا دليل على أنه لم يقع منه خوف قط، وهذا " الخلو "يعتبر تصحيحا لما ورد فى الإنجيل من نسبة حدث إلى زكريا هو فى الواقع لم يصدر منه.

فهذه خمسة أخطاء قام بتصحيحها القرآن الأمين نحو نصوص الإنجيل المذكورة هنا فى المقارنة. وبهذا نقول:

إن القرآن أدى هنا فى تعقبه للنص الإنجيلى مهمتين جليلتين:

الأولى: تصوير الواقعة المقصوصة تصويرا أمينا كاملا.

الثانية: تصحيح الأخطاء الواردة فى النص الإنجيلى المقارن.

وقفة أخيرة مع دعوى الاقتباس:

موضوع الدعوى كما يروج لها المبشرون أن القرآن اقتبس من الكتاب المقدس كل قصصه التاريخى.

والواقعة التى هى موضوع دعوى الاقتباس هنا هى حادثة تاريخية دينية محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى عبد الله ورسوله ووثائق تسجيلها هما: الإنجيل، ثم القرآن الأمين.

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوصة أنه سجلها فرضا بعد زمن وقوعها بقليل؛ لأن عيسى كان معاصرا ليحيى عليهما السلام وصلة القرآن الأمين بها أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل " حوالى سبعمائة سنة ".

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوصة، وبعد القرآن الزمنى عنها يقتضى إذا سلمنا جدلا بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتى الاقتباس على إحدى صورتين:

أولاهما: أن يقتبس القرآن جزءا مما ورد من القصة الكلية فى الإنجيل. وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم.

ثانيهما: أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هى فى الإنجيل بلا نقص ولا زيادة، سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد (البلاغة العربية كما يدعون) ، بشرط أن يتقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس منه؛ لأن الفرض قائم (حتى الآن) على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه الواقعة غير الإنجيل المقتبس منه.

ومحظور على القرآن عملا بهذه القيود التى تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد أن يأتى بجديد أو يضيف إلى الواقعة ما ليس فى مصدرها الأوحد.

فماذا صنع القرآن إذن؟

هل اقتبس من الإنجيل جزءا من الواقعة؟ أم الواقعة كلها؟!

دائرا فى فلك الإنجيل دورة ناقصة أو دورة كاملة؟!

لو كان القرآن قد فعل هذا: اقتبس جزءا من الواقعة كلها، ولو مع صياغة جديدة لم تغير من المعنى شيئا؛ لكان لدعوى الاقتباس هذه ما يؤيدها من الواقع القرآنى نفسه. ولما تردد فى تصديقها أحد.

ولكننا قد رأينا القرآن لم يفعل شيئا مما تقدم. لم يقتبس جزءا من الواقعة ولا الواقعة كلها.

وإنما صورها تصويرا أمينا رائعا. سجل كل حقائقها، والتقط بعدساته كل دقائقها. وعرضها عرضا جديدا نقيا صافيا، وربط بينها وبين وقائع كانت كالسبب الموحد لها فى بناء محكم وعرض أمين.

ولم يقف القرآن عند هذا الحد.. بل قام بإضافة الكثير جدا من الجديد الذى لم يعرفه الإنجيل. وصحح كثيرا من الأخطاء التى وردت فيه بفعل التحريف والتزوير. إما بالنص وإما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه.

وإنما يتأتى ممن له مصدره ووسائله وسلطانه المتفوق، بحيث يتخطى كل الحواجز، ويسجل الواقعة من " مسرحها " كما رآها هو، وعقلها هو، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن.

إن المصدر الوحيد للقرآن هو الوحى الصادق الأمين.. وليس ما سجله الأحبار والكهان، والفريسيون، والكتبة فى توراة أو أناجيل.

إن مقاصد القرآن وتوجيهاته وكل محتوياته ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل منها شيء يذكر. وفاقد الشيء لا يعطيه. هذا هو حكم العقل والعلم، ومن لم يخضع لموازين الحق من عقل وعلم ونقل فقد ظلم نفسه. اهـ (شبهات المشككين) .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح (٣٩) الفقرات (٧ ١٩) .

(٢) لم نذكرالنص القرآنى الخاص بحديث النسوه إذ لا مقابل له فى التوراة.

(٣) يوسف: ٢٣-٢٩ ثم آية ٣٥.

(٤) تأمل عبارة التوراة " اضطجع معى " تجدها مبتذلة فاضحة تكاد تجسم معناها تجسيما. ثم تأمل عبارة القرآن (وراودته

التى هو فى بيتها عن نفسه (تجدهاكناية لطيفة شريفة بعيدة عن التبذل والإسفاف. والألفاظ أوعية المعانى والمعانى ظلال الألفاظ..

(٥) سفر التكوين (٤-٣-١٦)

(٦) المائدة: ٢٧-٣٢.

(٧) سفر اللاويين (١٨ ٧ ١٨) .

(٨) النساء: ٢٢-٢٤.

(٩) المائدة: ٤٨.

(١٠) إنجيل لوقا (٧- ٢٢) الإصحاح الأول.

(١١) آل عمران: ٣٨-٤١. وراجع قبله الآيات من ٣٥-٣٧ للأهمية

(١٢) مريم: ٨ - ١٥

(١٣) آل عمران: ٣٩.

(١٤) مريم: ٧.

(١٥) مريم: ٧.

(١٦) طه: ٦٧.

(١٧) القصص: ٣١.

(١٨) الحجر: ٥٢.

(١٩) مريم: ١٨.." [١]

"ثانية وهي تفسير تلك النصوص حسبما يتبادر منها وفق استعمالات كلام العرب.

وقد تاه أقوام في فهم مذهب السلف، وأتوا في تعريفهم به بعبارة موهمة فقالوا:

إن المراد من هذه الآيات المتشابهة في الصفات هو معناها الحقيقي على وجه يليق به تعالى.

وهذا تعبير منتقد من حيث **اللفظ والمعنى**:

أما انتقاده من حيث اللفظ فلأن السلف لم يأتوا بكلمة «حقيقة»، وهذا باب دقيق يجب التقيد فيه بالعبارات المنقولة تماما، فكيف نقحم على كلامهم ما لم يقولوا؟! وأما انتقاده من حيث المعنى: فلأن قولهم «المراد معناها حقيقة» يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه، وقولهم «على وجه يليق به» ينافي ذلك، فصارت العبارة متناقضة موهمة، حتى وجدنا كثيرا ممن نظر في كلام أصحاب هذا الرأي أو اعتقده يتجه فهمه إلى التشبيه من حيث لا يشعر.

وإن من نظر في سياق تلك الآيات الواردة من متشابه الصفات وتمعن في الغرض الذي سيقت له علم بعدها عن إرادة المعنى الظاهري، واستحالة تفسيرها به.

---

(١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان صلاح الخالدي ٥٧٩/١

تأمل قوله تعالى: قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. وقوله تعالى: تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وقوله: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء. وقوله تعالى: والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون، تعلم أن هذه الآيات وردت في مقام بيان قدرته تعالى، ووردت فيها اليد مفردة ومثناة وجمعا، مما يدل على استحالة إرادة المعنى الظاهري.

وحسبنا في هذا كلام الإمام الحافظ السلفي ابن كثير، قال في تفسير." (١)

"وقد قال سفيان بن عيينة: ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صح القول في ذلك (١).

وقال: أيكون شيء أظهر خلافا في الظاهر من الخنس؟

قال عبد الله بن مسعود: هي بقر الوحش.

وقال علي: هي النجوم.

قال سفيان: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، والوحشية [٥٥] إذا رأت إنسيا خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إنسيا ظهرت.

قال سفيان: فكل خنس.

قال إسحاق: وتصديق ذلك ما جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الماعون يعني أن بعضهم قال: الزكاة، وقال بعضهم: عارية المتاع.

قال: وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة، وعارية المتاع منه.

قال إسحاق: وجهل قوم هذه المعاني؛ فإذا لم توافق الكلمة الكلمة قالوا: هذا اختلاف.

وقد قال الحسن ـ وذكر عنده الاختلاف في نحو ما وصفنا ـ فقال: إنما أتي القوم من قبل العجمة» (٢).

وفصل شيخ الإسلام (ت:٧٢٨هـ) هذه المسألة أتم تفصيل في كتابه «مقدمة في أصول التفسير» (٣).

---

(١) انظر كلام سفيان: «فتح القدير» (١/ ١٢)، فقد ذكر أن هذا القول أخرجه سعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في كتاب «الرؤية» وابن المنذر في تفسيره، وينظر في تفسير سعيد بن منصور المطبوع بتحقيق الدكتور سعد الحميد برقم (١٠٦١).

(٢) «السنة» (ص٧، ٨).

(٣) انظر: (ص٣٨، ٥٥) وعليه اعتمدت في هذا المبحث، وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٢٨ - ١٣٠)، كان لابن جزي تقسيم نفيس لأنواع الاختلاف في التفسير، وهو قائم على **اللفظ والمعنى**، ولا أدري كيف غفلة عن إثباته ههنا.

قال ابن جزي (ت: ٧٤١): «واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع: =." (٢)

---

(١) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر نور الدين عتر ص/١٢٧

(٢) فصول في أصول التفسير مساعد الطيار ص/٧٧

"وذكر الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) في «الموافقات» مبحثا كاملا في اختلاف التنوع، وجعله من قسم الخلاف الذي لا يعتد به (١).

قال الشاطبي: «من الخلاف ما لا يعتد به وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالفا لمقطوع به في الشريعة، وقد تقدم التنبيه عليه.

والثاني: ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في [٥٦] تفسير الكتاب والسنة، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالا مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه ..» (٢).

وللشيخ محمد بن صالح العثيمين تقسيم لاختلاف التنوع والتضاد، اعتمد فيه على **اللفظ والمعنى**، وهو ثلاثة أقسام:

= الأول: اختلاف في العبارة، مع اتفاق في المعنى: فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولا واحدا، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف لأن كل قول منها مثال، وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافا: بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل، مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب».

التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: أ. د محمد بن سيدي محمد مولاي (١/ ٦٢ - ٦٣).

(١) انظر: «الموافقات» تحقيق محيي الدين عبد الحميد (٤/ ١٤٠ - ١٤٤)، وينظر: تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان (٥/ ٢١٠ - ٢١٨).

(٢) «الموافقات» تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (٤/ ١٤٠)، وينظر: تحقيق مشهور آل سلمان (٥/ ٢١٠).." [١]

"الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى.

الثاني: اختلاف في **اللفظ والمعنى**، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما.

الثالث: اختلاف في **اللفظ والمعنى**، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره (١).

* * *

---

(١) فصول في أصول التفسير مساعد الطيار ص/٧٨

(١) «أصول في التفسير» (ص٣٠، ٣١)..." [١]

"٤ – «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها»، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت:٣٩٢هـ).

٥ – «الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها»، لمكي ابن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ).

٦ – «حجة القراءات»، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة (القرن الخامس).

ومن كتب المتأخرين:

١ – «طلائع البشر في توجيه القراءات العشر»، لمحمد الصادق القمحاوي.

٢ – «القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب»، لعبد الفتاح القاضي.

٣ – «المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة»، لمحمد سالم محيسن.

وأما كتب التفسير، فالمطولات لا تخلو من توجيه القراءات؛ كتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان، والرازي، والشنقيطي، والطاهر بن عاشور ... إلخ.

أنواع الاختلاف في القراءات: الاختلاف في القراءات ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد.

ومثال هذه النوع: اختلافهم في قراءة «الصراط» فمنهم من قرأ بالصاد، ومنهم من قرأ بالسين.

وكذا اختلافهم في: «عليهم، عليهم»، و «القدس، القدس» وغيرها. [١٢٧]

الثاني: اختلاف **اللفظ والمعنى**، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

ومثال ذلك: اختلافهم في قراءة: «ملك» و «مالك» وقراءة «بظنين» و «بضنين»، ففي مثل هذه الحالة يثبت للشيء الواحد معنيان.

ففي قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] و «مالك يوم الدين» يكون وصف الله بأنه مالك وملك، وبين هذين اللفظين اختلاف في المعنى والمرجع واحد.

وفي قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ [التكوير: ٢٤] و «بظنين» يكون وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم البخل، وبنفي الاتهام عنه.." [٢]

"الثالث: اختلاف **اللفظ والمعنى**، مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

مثل قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد *ولا يوثق وثاقه أحد﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] فقرئ: «يعذب» و «يعذب» و «يوثق» و «يوثق»، ولكل قراءة توجيه يختلف عن الآخر.

ومثله ما يقرأ في لفظة: «يرجعون» و «ترجعون»، بالياء أو التاء، فالمعنى فيها يختلف (١). وهذا النوع يكون بمثابة التفسيرين

---

(١) فصول في أصول التفسير مساعد الطيار ص/٧٩

(٢) فصول في أصول التفسير مساعد الطيار ص/١٦٧

.كما سيأتي ..

قواعد في القراءات:

١ – القراءتان في الآية ـ إذا ظهر تعارضهما ـ لهما حكم الآيتين، وصارت بمثابة اختلاف التنوع (٢).

ومثال هذا قوله تعالى: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج: ١٥] برفع المجيد وجره. فبالرفع يكون: «المجيد» صفة لذو. وبالجر يكون: «المجيد» صفة للعرش، وعلى هذا، فهاتان القراءتان لهما حكم الآيتين.

وهذه القاعدة تأتي في النوع الثالث الذي سبق ذكره. [١٢٨]

٢ – القراءات إذا لم يظهر تعارضها وعادت إلى ذات واحدة فهي زيادة في الحكم لهذه الذات بمعنى هذه القراءات.

ومثال هذه: قوله تعالى: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ [الكهف: ٨٦]. قرئت: ﴿حمئة﴾ و «حامية»، فمن قرأ: «حامية» فهي بمعنى: حارة، ومن قرأ: ﴿حمئة﴾ فهي من الحمأة: الطين المنتن المتغير اللون، قال ابن زنجلة: وهذا القول؛ أي: اختيار ﴿حمئة﴾ لا ينفي قول من قرأها: «حامية» إذ كان جائزا أن تكون العين التي تغرب الشمس فيها حارة، وقد تكون حارة وذات حمأة وطينة سوداء، فتكون موصوفة بالحرارة وهي ذات حمأة (٣). وهذه القاعدة تأتي في النوع الثاني الذي سبق ذكره.

---

(١) راجع: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٤٩ – ٥١)؛ و «دقائق التفسير» (١/ ٦٩).

(٢) نص عليها الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٨)، وانظر: «دقائق التفسير» (١/ ٦٩).

(٣) «حجة القراءات» (ص٤٢٩ – ٤٧٠)، وانظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٢).." [١]

"والمعجزة خرق العادة، ولم يخرق القرآن عادة عربية في غير نظمه وبيانه ولم يقل أحد إن كشف خفاء دقائق العادة خرق لها، إذ بدو الموجود وبروزه إلى العيان لا يعني خرقا لعادة.

والأنبياء لهم من خرق العادات ما يؤيد صدق دعواهم للنبوة والرسالة، وليس ما يبدو من آثار لقدرة الله في الكون معجزة قرآنية، إذ لو كانت لامتد منها برهان عند اللحظات الأولى لنزول الوحي لتقوم في وجه الكافرين برهانا على أن القرآن من عند الله. أما وأنه قد تأخرت رؤية التطابق بين آي الكون وآي القرآن فلا يمكن القول بأن مثل هذا كان وجها باديا للعرب عند تحديهم.

والآيات البارزة في الكون دليل على أن للكون إلها، وذلك هو المقصود الأوحد والأول من الدعوة إلى النظر في السموات والأرض.

ويقول الزملكاني برجوع وجه الإعجاز إلى التأليف الخاص بالقرآن لا مطلق التأليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة، وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في **اللفظ والمعنى** (١) .

---

(١) فصول في أصول التفسير مساعد الطيار ص/١٦٨

ويؤكد الخطابي (٢) تعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ولكنه يقول (٣) : "قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس".

وبهذا يتبين أنه قد يلوح للبعض ما أثر في نفسه واستقر من جملة عطاء القرآن ما يحسبه وجها للإعجاز، ولابد من التمييز بين الوجه والتوجيه في دراسة الإعجاز لدرك الصواب.

---

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ط١٣٩٤هـ، ١٩٨٤م صـ٥٤.

(٢) بيان إعجاز القرآن صـ٢١.

(٣) بيان إعجاز القرآن صـ٧٠.." [1]

"التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولا، وأسهل ذوقا، فإن كل من سمع القرآن – من ذكي أو غبي – يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب بأضعاف ما كان حصل له من الهز والبسط، وربما شككه ذلك، وزلزل إيمانه، وزحزح يقينه. وربما وقف كيس (١) من أذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين – بعد ما وضحت لديه دلائله، وبرزت له من حجالها دقائقه وجلائله – لحكمة أرادها منزله، وأحكمها مجمله ومفصله، فإذا استعان بالله (٢) ، وأدام الطرق لباب الفرج، بإنعام التأمل، وإظهار العجز، والوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط، كما كان في الأوج من حسن **المعنى واللفظ**، لكونه كلام من جل عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال (...) انفتح (٣) له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار ...)) (٤) .

وعلى الرغم مما يظهر من هذه الأهمية البالغة لهذا العلم في باب إثبات

---

(١) في القاموس مادة (مكس) : تماسكا في البيع، تشاحا، وماكسه: ساحة فالمراد: اختلفا وتشاكسا في الرأي.

(٢) أي هذا المكيس المذكور سابقا.

(٣) هذا جواب قوله: ((فإذا استعان بالله)) .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ١٩٦٩/١، ١١/١، ١٢.." [2]

---

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم – حسن عبد الفتاح أحمد حسن عبد الفتاح أحمد ص/٥١

(٢) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور عادل بن محمد أبو العلاء ص/٢٩

"– والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

–والمتشابه من جهة **المعنى واللفظ** جميعا خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص (١) نحو: ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة٥] .

والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب (٢) ، نحو: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [النساء/٣] .

والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ (٣) نحو: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

---

(١) العموم: هو شمول الحكم لكل فرد من أفراد الحقيقة، والخصوص: هو إخراج بعض ما يتناوله العموم قبل تقرر حكمه، انظر: تقريب الأصول إلى علم الأصول لابن جزئ الكلبي، ص: ١٣٧-١٤١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

(٢) الوجوب: ما طلب الشرع فعله طلبا جزما (تقريب الأصول ص: ٢١١) ، والندب: ما طلب الشرع فعله طلبا غير جازم (السابق ص: ٢١٢) .

(٣) الناسخ: هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا، التقريب، ص: ٤٣٠، المنسوخ: هو الحكم الشرعي المرفوع بالخطاب الشرعي المتراخي عنه، السابق، نفس الموضع.." [(١)]

"وهو مشتق من إله، وأصله الإله.١

قال ابن القيم – رحمه الله –:

"ولكن الذين قالوا بالاشتقاق ... أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع والبصير ... لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة عنها تولد الفرع عن اسمه. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله بهذا المعنى"٢.

أما معنى اسمه تعالى (الله) فهو كما فسره ابن عباس – رضي الله عنهما – ورجحه ابن جرير وغيره: ذو الألوهية والمعبوديه على خلقه أجمعين.٣

---

١ انظر جامع البيان لابن جرير، ح (٨٢/١، ٨٣) والمفردات في غريب القرآن (٢١) . وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ت: د. الوليد آل فريان، (٧١/١، ٧٢) .

٢ بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، ت: بشير محمد عيون، (٢٥/١) ، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ)

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم = الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين عبد المحسن المطيري ص/١٠٠

.

٣ جامع البيان، (٨٢/١) ، وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٧٢/١) .." [1]

"وهذا القسم أنواع:

أ – ما يكون التشابه فيه ظاهريا مع الاختلاف التام في الحقيقة. ومن هذا النوع التشابه في الشكل والصورة بين الحيوان مثلا وصورته وتمثاله.

ومنه التشابه الحاصل بين صورة الماء وصورة السراب في عين الرائي.

ب – التشابه في الألفاظ والمعاني العامة المشتركة دون الحقائق والكيفيات. ومن هذا النوع التشابه في اللفظ والمعنى المشترك بين أسماء الله عز وجل والأسماء التي تطلق على بعض خلقه.١

ومن ذلك: التشابه في المسميات بين ثمرات الدنيا وثمرات الجنة ونحو ذلك.٢

جـ – المتشابه من الألفاظ التي يخفى علمها على كثير من الناس، ويعلمها الراسخون في العلم، وكثيرا ما يقع في المراد بها خلاف بين الناس بسبب أنها: "تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد"٣.

وهذه الأنواع المتشابهة في الألفاظ والمعاني داخلة في مدلول قول

---

١ انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (الرسالة التدمرية) (٣/٩، ١٠، ٦٢-٦٤) .

٢ انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٨) .

٣ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٤٤/١) .." [2]

"الفصل الثاني الآيات المتشابهة، والحكمة منها

مدخل: سبق تعريف المتشابه اصطلاحا بأنه: ما احتمل أوجها من التأويل فيحتاج إلى بيان. ومنشأ التشابه يعود إلى خفاء مراد الشارع من كلامه، والخفاء يعود إلى أسباب ثلاثة:

١ – خفاء في اللفظ، مثل: فواتح السور، أو في المفرد بسبب اشتراكه بين عدة معان، مثل العين: تأتي للجارحة، ونبع الماء، والذهب، والفضة، وغير ذلك.

٢ – خفاء في المعنى، مثل: ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة وصفا لله تعالى أو لأهوال القيامة، أو لنعيم الجنة، وعذاب النار، فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق، ولا بأهوال القيامة، ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب النار، وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه وما لم يكن فينا مثله ولا جنسه؟

٣ – خفاء في اللفظ والمعنى معا، مثل قول الله تعالى: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها [البقرة: ١٨٩] فقد كان

---

(١) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢٠٦/١

(٢) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٥٢٢/٢

العرب في الجاهلية إذا أحرموا وأرادوا دخول بيوتهم- وكانوا من أهل البيوت لا من أهل الخيام- نقبوا نقبا في ظهور بيوتهم يدخلون ويخرجون منه، وإن كانوا من أهل الأخبية خرجوا من خلف الأخبية، فنزل: وأتوا البيوت من أبوابها [البقرة: ١٨٩].
فمنشأ الخفاء في." (١)

"ومع كل ذلك فإننا نلحظ وجود مناسبات عدة بين السورتين الكريمتين، ولم يكن اقتران رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في تسميتهما بـ"الزهراوين أو الغمامتين١ إلا عن حكمة ووجود علائق تشد إحداهما إلى الأخرى ولو أن بعض الباحثين وضع منهجا محددا لدراسة السورتين دراسة موضوعية لأماط اللثام عن كثير من أسرار كتاب الله سبحانه وتعالى.
وهكذا نجد أن علم المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض وبين السور يبرز لنا جانبا من إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام الله المنزل وليس من عند البشر.
فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفرقا منجما لبضعة وعشرين عاما حسب الوقائع المختلفة وفي ظروف متباينة، وإجابة لاستفسارات متنوعة، ثم كان الترتيب المحكم الذي لا نجد فيه آية ينبو بها مكانها من السياق القرآني العتيد.
ولا نجد كلمة يتململ بها موضعها في النظم المحكم. ولقد نجد الآية المدنية في السورة المكية أو الآية تتلو الآية والفاصل في نزولهما يبلغ عدة سنوات فأي عقل بشري يستطيع أن يراعي هذه الدقة وهذا الإحكام في النسق والترتيب والملاءمة بحيث يكون ذلك في الذروة من الفصاحة والبلاغة والانسجام.
﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢].
"إن عقلا بشريا مهما أوتي من القوة والحفظ والإحكام لا يستطيع أن يذكر موضع فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات طويلة. فيضعها في مكانها بحيث تلتحم مع سابقاتها ولاحقاتها في **اللفظ والمعنى** والسياق. ولو أن عقلا أتقن ذلك في حال واحدة فلن يستطيع أن يحكمه في حالات كثيرة وفي سور كثيرة بحيث لا تشذ حالة واحدة عن قاعدة الإحكام المشاهدة في كتاب الله الحكيم"٢.
إن إدراك المناسبات بين مقاطع السورة وافتتاحيتها وخاتمتها وسائر آياتها أمر

---

١ انظر في تسميتهما: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين: ٢/ ١٩٧.
٢ من مقدمة المحقق لكتاب "تناسق الدرر".." (٢)

"١٢ - الاختطاف = الاختلاس.

١٣ - الاختلاس:

* الإتيان ببعض الحركة في الوصل، وهو يدخل جميع أنواع الحركات من فتح وضم وكسر، ويقدر المحذوف من الحركة بالثلث والمنطوق بالثلثين، وهو مرادف لـ (الإخفاء) و (الاختطاف).

---

(١) الواضح في علوم القرآن مصطفى ديب البغا ص/١٢٨

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم ص/٩٠

* تحريك هاء الكناية من غير صلة.

١٤ – اختلاف التضاد:

اختلاف القراءات في اللفظ مع تضاد المعنى أو تناقضه، وهذا ليس له وجود ألبتة في القراءات.

١٥ – اختلاف التغاير:

اختلاف القراءات في **اللفظ والمعنى** معا، مع صحة المعنيين كليهما، مثل قوله تعالى: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ بفتح." (١)

"المقصد السابع: الضمائر

قاعدة: إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور، وأمكن الحمل على الجميع، حمل عليه.

قاعدة: إذا ورد مضاف، ومضاف إليه وجاء بعدهما ضمير، فالأصل عوده للمضاف.

قاعدة: قد يجيء الضمير متصلا بشيء وهو لغيره، أو عائدا على ملابس ما هو له.

قاعدة: إذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى**، بدئ باللفظ ثم بالمعنى.

قاعدة: قد يذكر شيئان، ويعود الضمير على أحدهما اكتفاء بذكره عن الآخر، مع كون الجميع مقصودا.

قاعدة: قد يثنى الضمير مع كونه عائدا على أحد المذكورين دون الآخر.

قاعدة: ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به، كالذي يفسره سياق الكلام.

قاعدة: إذا تعددت الجمل، وجاء بعدها ضمير جمع، فهو راجع إلى جميعها، فإن كان مفردا اختص بالأخيرة.

قاعدة: إذا تعاقبت الضمائر، فالأصل أن يتحد مرجعها.." (٢)

"أقسام المتشابه

مدخل

...

أقسام المتشابه:

والتشابه في بعض آيات القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

الأول: التشابه من جهة اللفظ.

الثاني: التشابه من جهة المعنى.

الثالث: التشابه من جهة **اللفظ والمعنى**.." (٣)

---

(١) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات إبراهيم الدوسري ص/١٤

(٢) مختصر في قواعد التفسير خالد السبت ص/١٤

(٣) دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي فهد الرومي ص/٣٩٥

"الثالث: التشابه من جهة **اللفظ والمعنى**:

وهو خمسة أنواع:

الأول:

من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ ١.

الثاني:

من جهة الكيفية كالوجوب والندب، كقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ ٢.

الثالث:

من جهة الزمان؛ كالناسخ والمنسوخ؛ نحو قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ٣.

الرابع:

من جهة المكان؛ كقوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ الآية٤ وكقوله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ ٥ فإن من لا يعرف عادة أهل الجاهلية في ذلك يتعذر عليه تفسير هذه الآية.

الخامس:

من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح٦.

قال الراغب الأصفهاني: بعد ذكره لهذه الأقسام "وهذه الجملة إذا تصورت، علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم"٧.

---

١ سورة التوبة: الآية ٥.

٢ سورة النساء: الآية ٣.

٣ سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

٤ سورة البقرة: الآية ١٨٩.

٥ سورة التوبة: الآية ٣٧.

٦ انظر المفردات: الأصفهاني ص٢٥٤، ٢٥٥، وعمدة الحفاظ: السمين ج٢ ص١٢٩٨، ١٣٠٠، والمحكم والمتشابه: المطرودي ٦٥، ٧٠.

٧ المفردات: الأصفهاني ص٢٥٥.." (١)

"الواحد والجماعة فيه، إلا الهاء، فمن العرب من يذكره «١» ومنهم من يؤنثه «٢» ، ومنهم من يقول: «هي البر والشعير» «٣» وقال تعالى: والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) [ق] فأنث على تلك اللغة، وقال «باسقات» فجمع، لأن المعنى جماعة. وقال الله جل ثناؤه ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه [النور: ٤٣] ، فذكر في لغة من يذكر، قال

---

(١) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي فهد الرومي ص/٣٩٧

وينشئ السحاب الثقال (١٢) [الرعد] فجمع، على المعنى، لأن المعنى سحابات.

وقال تعالى ومنهم من ينظر إليك [يونس: ٤٣] وقال سبحانه:

ومنهم من يستمعون إليك [يونس: ٤٢] على **المعنى واللفظ**.

وقد قال بعضهم: إن الباقر «٤» مثل «الجامل» يعني «البقر» و «الجمال» قال الشاعر [من الكامل وهو الشاهد السابع والثمانون] :

مالي رأيتك بعد أهلك موحشا ... خلقا كحوض الباقر المتهدم

وقال «٥» [من الطويل وهو الشاهد الثامن والثمانون] :

فإن تك ذا شاء كثير فإنهم ... ذوو جامل لا يهدأ الليل سامره «٦»

وأما قوله تعالى إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة [الآية ٧١] «مسلمة» على «إنها بقرة مسلمة» .

لا شية فيها [الآية ٧١] يقول: «لا وشي فيها» من «وشيت شية» كما تقول: «وديته دية» و «وعدته عدة» .

وإذا استأنفت ألآن [الآية ٧١] ، قطعت الألفين جميعا لأن الألف الأولى مثل ألف «الرجل» وتلك تقطع

---

(١) . هم تميم وأهل نجد «اللهجات العربية ٥٠١» .

(٢) . هم أهل الحجاز.

(٣) . انظر الهامش السابق، والمزهر ٢: ٢٧٧.

(٤) . في الكشاف ١: ١٥١ الى محمد ذي الشامة. وذكرها في الإملاء ١: ٤٣ بلا نسبة، وفي الجامع ١: ٤٥٢ الى يحيى بن يعمر.

(٥) . هو الحطيئة. ديوانه ١٨٤، واللسان «جمل» والخزانة ٣: ٣٨٩.

(٦) . في الأصل: له جامل ما يهدأ الليل سامره والصدر والتصحيح من الديوان، وفي الصحاح «جمل» ب «لهم» بدل «له» واللسان «جمل» كذلك. وفي الخزانة «لنا» بدل «له» ولا بدل «ما» وأشار الى الروايات الاخرى.." (١)

"بلفظ الهبة بدون مهر فقال جل ثناؤه: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ .

فقوله تعالى: ﴿إن وهبت نفسها للنبي﴾ وقوله ﴿خالصة لك﴾ دليل على أن إحلال المرأة عن طريق الهبة إنما كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿من دون المؤمنين﴾ فالخصوصية له عليه السلام كانت بالهبة (لفظا ومعنى) لأن اللفظ تابع للمعنى.

ب – وقالوا: ما كان من خصوصياته عليه السلام، فلا يجوز أن يشاركه فيها أحد.

والآية دلت على أن هذا خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم أي أن النكاح بدون مهر، وبلفظ الهبة معا، من خصائصه

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين ١٨٩/١

عليه السلام، فمن أين لكم الخصوصية في المعنى دون اللفظ؟ ومن أين لكم أنه يجوز عقد النكاح لغير النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة مع إيجاب المهر؟

ج – وأما استدلال الحنفية بحديث (سهل بن سعد) أن النبي عليه السلام زوج الصحابي بلفظ التمليك بقوله: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» فليس فيه ما يدل لهم، فقد جاء في بعض الروايات «اذهب فقد زوجتكها» وليس كل ما يدل على التمليك ينعقد به النكاح. فلفظ الإجارة يدل على التمليك ومع ذلك لا ينعقد به النكاح باتفاق.

الترجيح: أقول: أدلة الحنفية كما بسطها الإمام (الجصاص) وإن كانت قوية، إلا أن النص ورد بالخصوصية للرسول عليه السلام في (نكاح الهبة) والظاهر أن المراد منه (**اللفظ والمعنى**) ، وحمله على لامعنى دون اللفظ يحتاج إلى دليل. وصيغ النكاح لا يجري فيها القياس، فما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح كما قال الإمام مالك رحمه الله: إن الهبة لا تحل لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إن كانت هبة نكاح، والله أعلم.." (١)

"والثالث: خص النداء به صلى الله عليه وسلم على العادة في خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الأتباع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إمام أمته، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه. وفيه إظهار لجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام ما فيه، ولذلك اختير لفظ (النبي) لما فيه من الدلالة على علو مرتبته.

والرابع: الخطاب كالنداء له صلى الله عليه وسلم إلا انه اختير ضمير الجمع للتعظيم نظير ما في قوله: (ألا فارحموني يا إله محمد) .

والخامس: إنه بعد ما خاطبه عليه الصلاة والسلام بالنداء صرف سبحانه الخطاب عنه لأمته تكريما له صلى الله عليه وسلم لا في الطلاق من الكراهة فلم يخاطب به تعظيما.

والسادس: حذف نداء الأمة، والتقدير يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم.

قال القرطبي: إذا أراد الله بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله: ﴿يأيها النبي﴾ فإذا كان الخطاب **باللفظ والمعنى** جميعا له قال: (يا أيها الرسول) .

اللطيفة الثانية: فإن قيل: ما السر في تسمية الطلاق ب (الطلاق البدعي) ، أو (الطلاق السني) ؟

فالجواب كما قال الإمام الرازي: إنما سمي بدعة لأنها إذا كانت حائضا لم تعتد بأيام حيضها من عدتها بل تزيد على ثلاثة أقراء، فتطول العدة عليها حتى تصير كأنها أربعة أقراء، وهي في الحيض الذي طلقت فيه في صورة المعلقة التي لا هي معتدة، ولا ذات بعل، والعقول تستقبح الإضرار.

ففي طلاقة إياها في الحيض سوء نظر للمرأة، وفي الطلاق في الطهر الذي جامعها فيه، وقد حملت فيه سوء نظر للزوج.." (٢)

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني ٣١١/٢

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني ٥٩٤/٢

"الأعراف ﴿يوم يأتي تأويله﴾ "٥٣" و"لن تريني" و"فسوف تريني" "١٤٣" و ﴿استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ "١٥٠" و ﴿فهو المهتدي ومن﴾ "١٧٨" وفي هود ﴿فكيدوني جميعا﴾ "٥٥" وفي يوسف ﴿ما نبغي هذه﴾ "٦٥" و ﴿أنا ومن اتبعني﴾ "١٠٨" وفي إبراهيم ﴿فمن تبعني﴾ "٣٦" وفي الحجر ﴿قال أبشرتموني﴾ "٥٤" و ﴿سبعا من المثاني﴾ "٨٧" وفي النحل ﴿يوم تأتي كل نفس﴾ "١١١" وفي سبحان ﴿وقل لعبادي﴾ "٥٣" وفي الكهف ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني﴾ "٧٠" وفي مريم ﴿فاتبعني أهدك﴾ "٤٣" وفي طه "أن أسر بعبادي" "٧٧" و ﴿فاتبعوني﴾ "٩٠" وفي النور ﴿الزانية والزاني﴾ "٢" و ﴿أمنا يعبدونني﴾ "٥٥" وفي القصص ﴿أن يهديني سواء السبيل﴾ "٢٢" وفي يس ﴿وأن اعبدوني﴾ "٦١" وفي ص "أولي الأيدي والأبصر" "٤٥" وفي الزمر ﴿أفمن يتقي﴾ "٢٤" و"لو أن الله هدني" "٥٧" وفي الدخان ﴿فأسر بعبادي﴾ "٢٣" وفي الرحمن "فيؤخذ بالنوصي" "٤١" وفي الصف ﴿لم تؤذونني﴾ "٥" و ﴿برسول يأتي﴾ "٦" وفي المنافقون ﴿لولا أخرتني﴾ "١٠" وفي الفجر "فادخلي في عبدي وادخلي جنتي" [٢٩ و٣٠] .

قال أبو عمرو: فهذا جميع ما وجدته من هذا الباب مرسوما في الخط، وثابتا في التلاوة بإجماع من القراءة مما يشاكل في اللفظ والمعنى مما حذفت منه الياء، مما قد تقدم ذكرنا له، وبالله التوفيق.

فصل:

وكل ياء سقطت من اللفظ لساكن لقيها في كلمة أخرى فهي ثابتة في الرسم نحو قوله: ﴿يؤتي الحكمة﴾ و"وما تغني الأيت والنذر" في يونس "١٠١" وفي يوسف ﴿أني أوفي الكيل﴾ "٥٩" وفي الرعد ﴿أنا نأتي الأرض﴾ "٤١" وفي مريم "إلا ءاتي الرحمن" "٩٣" و"بهدي العمي" "٨١" في النمل و"لا نبتغي الجهلين" "٥٥" وفي القصص ﴿أيدي الناس﴾ [٤٨-٢٠] ﴿إن الله لا يهدي القوم﴾ [١٦-١٠٧] و"يلقى الروح" [٤٠-١٥] وما كان مثله حاشا خمسة عشر موضعا من ذلك، فإن المصاحف اتفقت على حذف الياء فيها وقد تقدم ذكرها في جملة الياءات المحذوفات، فأغنى ذلك عن إعادتها ههنا، وبالله التوفيق.." (١)

(١) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم عبد الفتاح شلبي ص/٢٤